المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة





الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك
وجهوده في تقرير العقيدة والدعوة إلى الله

(رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة)

إعداد الطالبة:

ثنوى بنت عبدالله بن محمد العمري

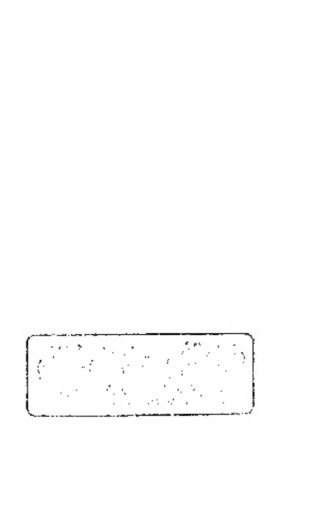
الرقم الجامعي (٤٢٤٨٠٢٤٢)

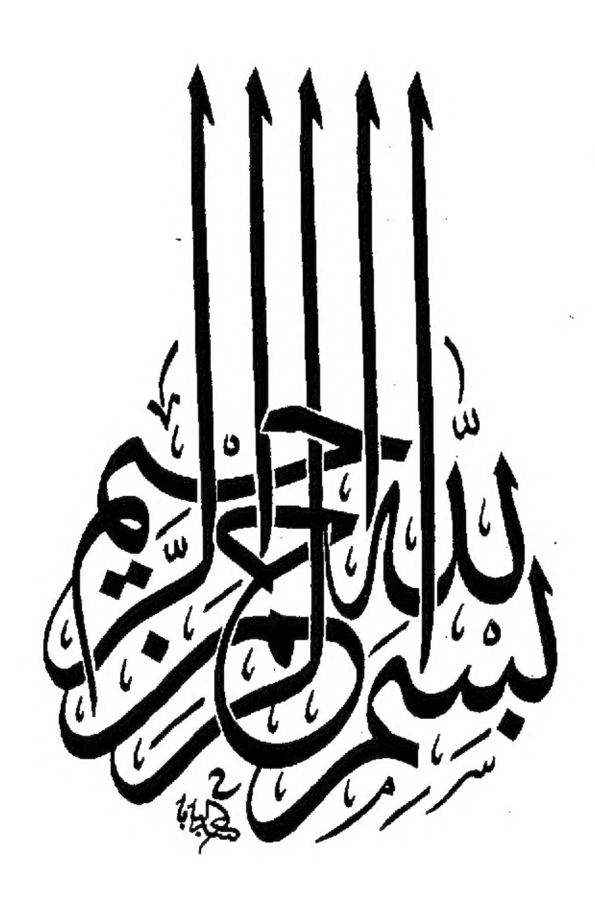
إشراف:

د/ أحلام بنت محمد بن سعيد باحمدان

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

طباعة القطاني




بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

إلى من جعلني الله له سكناً ..

إلى كل الوفاء ..

إلى البسمة الحلوة ..

إلى ربيع حياتي ..

إلى زوجي .. الذي هيأ لي كل أسباب الراحة والهناء ..

أهدي بحثي هذا مع الدعاء والرجاء أن يبقيه الله خير صديق ومعين.

ثنوى عبدالله العمري



ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد:

فقد هيأ الله ﷻ لخدمة دينه الحنيف صفوة من الرجال، أرشدهم إلى طريق الحق القويم، ووفقهم إلى التزام منهج السلف الصالح، فأنفقوا حياتهم في خدمة هذا الدين، وتركوا وراءهم علماً نافعاً حوته الكتب التي صنفوها.

ومن هؤلاء العلماء الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك رحمه الله، فقد جاءت هذه الرسالة للتعريف به، وبيان جهوده في تقرير عقيدة السلف والدعوة إلى الله، وكانت في ثلاثة أبواب تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة.

أما المقدمة فتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، فمنهج البحث، والدراسات السابقة، ثم خطة البحث.

وأما الباب الأول فهو في بيان عصر الشيخ فيصل، وترجمة حياته، وبيان منهجه في تقرير مسائل الاعتقاد، وقد تكفل الباب الثاني ببيان جهود الشيخ في مسائل العقيدة، وأما الباب الثالث فهو عن جهود الشيخ في الدعوة إلى الله، وأخيراً جاءت الخاتمة تحمل خلاصة ما توصلت إليه من نتائج، والتي من أهمها ما يلي:

أولاً: أن الأحداث التي عاصرها الشيخ فيصل قد طبعت في نفسه صورة أثرت في حياته وتجربته العلمية والعملية.

ثانياً: تقرير الشيخ لمذهب السلف في أبواب العقيدة، وذلك بالاعتماد على الكتاب والسنة وأقوال السلف.

ثالثاً: كراهية الشيخ للبدع وتحذيره منها، وخاصة فيما يتعلق ببدع القبور.

رابعاً: سلك الشيخ منهجاً وسطاً في معالجة قضايا الدعوة إلى الله.

ومن أهم توصيات الرسالة: إن ما تركه الشيخ فيصل من تراث فكري يمثل منهجاً علمياً ودعوياً، ويستحق أن يوفر له أصحاب الهمم أوقاتهم لدراستها.

الطالبة	المشرفة على الرسالة	عميد كلية الدعوة وأصول الدين
ثنوى عبدالله محمد العمري	أ.د.أحلام محمد سعيد باحمدان	أ.د.عبدالله محمد الرميان



Abstract

All praises and thanks are to the lord of the two worlds, and may his prayers and blessing be upon the Imam of guidance and prophets, and his family and companions in their entirety.

Almighty Allah prepared a chosen group of men to serve his religion. He guided them to the right path. Allah helped them to follow the right path of the ancestors. They spent their life in serving this religion. They lift a great heritage with the books they wrote.

Sheik Faisal Ben Abdul Aziz Al – Mobarak – Allah bless him- is one of them. This research is to show his biography, his efforts in clarifying the ancestors' beliefs and calling for almighty Allah. The research is divided into three chapters, started with an introduction and ends with a conclusion.

The introduction shows the subject's importance, the causes of choosing this subject, the previous studies, and the research's plan.

The first chapter shows the Sheik Faisal's age, his life, and his method in verification of the beliefs.

The second chapter shows his efforts in verification the beliefs. The third chapter shows his efforts in calling for almighty Allah. The conclusion shows the summary of the research and the most important results such as:

1- The events in the Sheik Faisal's age were very impressive and effective in his life, experience, and sciences.
2- Sheik Faisal adopted the methodology of the right ancestors depending on the Holy Qura'an, Sunnah and says of the right ancestors.
3- Sheik Faisal hated the new religious created mutters and warned against them, specially in the matter of tombs
4- Sheik Faisal followed a moderated method in dealing with the mutters of Islamic call for Allah.

The most important recommendation of the research is that Sheik Faisal's inherited sciences and thoughts are considered as a sceitifical and preaching method, required more time and efforts to be studied.

Student	The Supervisor	Dean of Dawaah and Osool Al-Deen Faculty
Thanwa A. M. Al-Amri	Prof. Ahlam M. Sa.eed Bahamdan	Prof. Abdullah M. Arremian





المقدمـــة

المقدمــــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي لـه، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[3].

أما بعـــــد: -

فإن الله ﷻ يسر لهذه الأمة قادة وأعلاماً يقودونهـا إلى الله ﷻ عـلى هـدى وبـصيرة، ويُضيئون لها الطريق بدعوتهم وعلمهم وجهادهم، أعلاماً فسروا كتابه، وشرحـوا سـنة نبيه، وبينوا أحكامه، ونشروا دعوته في شتى بقاع الأرض، حاثين من اهتدى بالزيادة من الرشاد، ورادين من انحرف عن طريق الضلالة والفساد، فسادت هذه الأمة على الأمم، واشتهرت بالعلم والعدل والحق، والإيمان ومحاسن الأخلاق.

ولا شك أن الاطلاع على سير هؤلاء الأعلام ومنـاهجهم في جوانـب مختلفـة ممـا اشتهروا وعرفوا بها من نشر للعلم، ورد على أعداء الدين، وأمر بـالمعروف، ونهـي عـن المنكر والمجادلة بالتي هي أحسن، يعتبر نبراساً يضيء الطريق للسالكين ويقوي العـزائم في السير على الطريق القويم.

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٠٢).

(٢) سورة النساء: آية (١).

(٣) سورة الأحزاب: آية (٧٠-٧١).

فحقيق علينا أن نعرف لهؤلاء الأفذاذ حقهم وأن نسعى جهدنا لمعرفة حياتهم الذاتية وسيرهم العلمية وآراءهم العقدية وجهودهم في تقريرها، ومناهجهم العلمية والدعوية، خاصة إذا كنا قريبي العهد بهم، لما في ذلك من إبقاء لذكرهم وإيفاء بحقهم، ونشر لعلمهم ودعوتهم.

ومن هؤلاء الأعلام، علامة نجد الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك رحمه الله الذي أنار الله بصيرته وجمع فيه من خصال الخير الشيء الكثير، فبجانب علمه الغزير الذي يشهد له به من عرفه من خلال دروسه ومؤلفاته. نجد التواضع الجم وبذل النفس لنشر عقيدة السلف والدعوة إلى الله، والحرص الشديد على هداية الأمة وتوعيتها وتربيتها وخدمة الناس والتفاعل مع قضاياهم.

ففي دراسة حياته وأمثاله من العلماء العاملين والدعاة المخلصين حياة للقلوب وقرب من الله عز وجل وفي تتبع حياته وآثاره العلمية والدعوية نشر للعلم وتوجيه لطلاب العلم والدعاة.

فقد عُرف رحمه الله بالمنهج السديد في العقيدة حيث وافق منهج السلف في جميع مسائل الاعتقاد؛ لذلك جاءت هذه الدراسة لإبراز جهود الشيخ في تقرير عقيدة السلف، خاصة في هذا العصر الذي تكالب فيه أعداء المسلمين على اختلاف عقائدهم واتجاهاتهم، ووقفوا صفاً واحداً لحرب المسلمين وفتنتهم عن دينهم الحنيف.

ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى هذه الدراسة لتساهم في توعية الأمة وتبصيرها، وإرشادها، وتوجيهها إلى مناهج العلماء الذين اعتنوا بإبراز عقيدة السلف والذب عنها، وعليه: فأسباب اختيار هذا الموضوع تتلخص في الآتي:

١-الحاجة إلى إبراز جهود الشيخ في دعوته السلفية، خاصة وأنه أحد رواد التعليم في العصر الحديث حيث تخرج على يديه رحمه الله ثلة من العلماء المربين والدعاة الناصحين.

٢-المكانة العلمية العالية التي تبوأها الشيخ رحمه الله حيث يعتبر من أغزر علماء نجد تأليفاً، فقد تألفت من مصنفاته مكتبة علمية ضخمة.

٣-مشاهدتي للأثر الواضح الذي تركه الشيخ ﷺ في منطقة الجوف، وذلك عندما انتقلت إليها منذ زمن مع ذلك فحين سألت بعض أهالي المنطقة عن شخصية هذا العالم ومنهجه في العقيدة، لم أجد منهم الجواب الكافي حول ذلك، فما زالت هذه الشخصية تخالج نفسي حتى قررت اختيارها لتكون مادة بحثي لدرجة الماجستير، والهدف من ذلك إيضاح جهود الشيخ ﷺ، في تقرير عقيدة السلف والدعوة إلى الله.

٤-أن يستمر انتفاع الناس بدعوة الشيخ وعلمه، ليكون أجره موصولاً إن شاء الله بعد موته على ما قدم من علم وعمل.

٥-في دراسة جهود الشيخ أهمية خاصة في المساهمة بمعالجة ما قد يوجد من انحرافات عقدية عند كثير من الناس في هذا العصر.

۞ الدراسات السابقة:

بالنسبة للدراسات السابقة التي تناولت الشيخ فيصل المبارك فيمكن أن تقسم على قسمين:

أحدها: كتب التراجم التي ترجمت للشيخ مع آخرين، على اختلاف فيما بينها في الطول والقصر، وقد يعتمد بعضها على بعض في كثير من الجوانب.

ومن هذه الكتب: كتاب « علماء نجد خلال ثمانية قرون » للشيخ عبدالله البسام[١]، وكتاب « روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين » للشيخ محمد بن عثمان القاضي[٢]، وكتاب « مشاهير علماء نجد » للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ[٣]، وكذلك « الأعلام » للزركلي[٤].

---

(١) انظر: (٥/ ٣٩٢).

(٢) انظر: (٢/ ١٤٧).

(٣) انظر: (٢/ ٣٩٨).

(٤) انظر: (٥/ ١٦٧).

أما القسم الثاني:

فهي الكتب التي ترجمت للشيخ بصفة مستقلة، وهي: كتاب « العلامة المحقق والسلفي المدقق ترجمة لحياة فضيلة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك » لفيصل بن عبدالعزيز البديوي، وكتاب « المتدارك من تاريخ الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك » لحفيد الشيخ محمد بن حسن المبارك، وله أيضاً كتاب « معالم الوسطية والتيسير والاعتدال في سيرة الشيخ فيصل عبدالعزيز آل مبارك » .

وهذه الكتب الثلاثة قد شملت على سيرة الشيخ الذاتية والعلمية والدعوية، وهي قد جمعت شتات التراجم في القسم الأول مع الزيادة عليها وتصنيفها تحت عناوين مناسبة.

وهناك أيضاً بعض التراجم المختصرة للشيخ رحمه الله في مقدمات بعض كتبه.

ولم يوجد حتى الآن دراسات وأبحاث علمية خاصة عن جهود الشيخ في العقيدة أو الفقه، أو التفسير أو الحديث، أو الدعوة.

۞ منهج البحث:

وأما عن منهجي في هذا البحث فيتلخص فيما يأتي:

أولاً: استقراء كتب الشيخ، واستخراج المادة العلمية المتعلقة بالعقيدة.

ثانياً: ترتيب المادة العلمية وتقسيمها على أبواب، ثم تقسيم الأبواب إلى فصول، والفصول إلى مباحث، والمباحث إلى مطالب، حسب حاجة البحث.

ثالثاً: عند دراسة أي مسألة من مسائل العقيدة التي قررها الشيخ رحمه الله أبدأ هذه المسالة بمدخل عام لها، ثم اتبعه ببيان موقف الشيخ ملخصاً بأسلوبي، ثم أنقل كلامه المؤيد لما ذكرت، وبعد ذلك أذكر أقوالاً لبعض السلف، ثم أعلق على كلام الشيخ بأنه موافق لمنهج السلف، وقد أعقب على كلامه إن احتاج ذلك إلى تعقيب أو توجيه.

رابعاً: القيام بدراسة وافية لحياة الشيخ الشخصية والعلمية والعملية، واستقراء منهجه في تقرير العقائد من خلال كتبه.

خامساً: عزوت الآيات القرآنية الواردة في البحث إلى موضعها في القرآن الكريم، بذكر اسم السورة، ورقم الآية.

سادساً: خرّجت الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في البحث من كتب السنة: فإن كان الحديث في الصحيحين، أو في أحدهما، فإني أكتفي بتخريجه منهما، أو من أحدهما، فإن لم أجده في الصحيحين اجتهدت في تخريجه من كتب السنة الأخرى، ولم يفتني من ذلك إلا النزر القليل، مع بيان حكم الأئمة عليه.

سابعاً: ترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة عند أول مناسبة، واستثنيت من ذلك مشاهيرهم.

ثامناً: عرّفت ما رأيت أنه يحتاج إلى التعريف من المصطلحات العلمية والفرق، والأماكن.

تاسعاً: شرحت المفردات اللغوية التي تحتاج إلى إيضاح وبيان من كتب اللغة

المعتمدة.

عاشراً: دونت المصادر والمراجع، بذكر اسم الكتاب، فالمؤلف، ثم معلومات النشر الخاصة بكل مرجع في الحاشية عند ذكره في أول مناسبة، وبعد ذلك اكتفي بالإحالة إليه ذاكرة اسم الكتاب، والمؤلف، والصفحة، ما عدا كتب الشيخ فيصل فقد اكتفيت بذكر اسم الكتاب ، ورقم الجزء والصفحة فقط، وكذلك كتب الحديث فلم أذكر معلومات النشر الخاصة بها في ثنايا البحث وإنما اكتفيت بذكر ذلك في الفهرس المخصص لها تجنباً للإطالة في تخريج الحديث .

الحادي عشر: اخترت عام (١٣١٩هـ) بأن يكون هو الفاصل في وصف الحالة السياسية للبلاد في عصر الشيخ، حيث يعد هذا العام هو بداية الدولة السعودية الثالثة التي عاصرها الشيخ فيصل رحمه الله.

الثاني عشر: وضعت فهارس شاملة للبحث: فهرس الآيات القرآنية، وفهرس الأحاديث النبوية، وفهرس الأعلام المترجم لهم، وفهرس الفرق والمذاهب، وفهرس الأماكن، وفهرس المفردات والمصطلحات، وفهرس الكتب والمراجع، وفهرس تفصيلي للموضوعات.

۞ خطة البحث:

لقد قمت بتقسيم هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة، وفيما يلي التعريف التفصيلي بمحتويات الرسالة:

المقدمة، وقد اشتملت على الآتي:

أ-أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

ب-الدراسات السابقة.

ج-منهج البحث.

د-خطة البحث.

أما الباب الأول: فهو في بيان عصر الشيخ وترجمة حياتـه، وبيـان منهجـه في تقريـر العقائد، وهو ثلاثة فصول:

الفصل الأول: عصر الشيخ فيصل، ويضم أربعة مباحث:

المبحث الأول: الحالة السياسية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحالة السياسية للبلاد قبل عام ١٣١٩هـ.

المطلب الثاني: الحالة السياسية للبلاد بعد عام ١٣١٩هـ.

المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحالة الاجتماعية للبلاد قبل توحيدها.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية للبلاد بعد توحيدها.

المبحث الثالث: الحالة العلمية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعليم القديم «غير النظامي».

المطلب الثاني: التعليم الحديث.

المطلب الثالث: الصحافة والمكتبات.

المطلب الرابع: تعليم البنات.

المبحث الرابع: الحالة الدينية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحالة الدينية للبلاد في العقيدة وأصول الدين.

المطلب الثاني: الحالة الدينية للبلاد في بعض مظاهر الإسلام العملية.

وأما الفصل الثاني: فهو عن ترجمة حياة الشيخ فيصل، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حياته الشخصية، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه، وأسرته.

المطلب الثاني: مولده ونشأته.

المطلب الثالث: صفاته.

المطلب الرابع: وفاته.

المطلب الخامس: عقبه.

المطلب السادس: رثاؤه.

المبحث الثاني: حياته العلمية والعملية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: شيوخه.

المطلب الثاني: مكانته العلمية، وإجازاته.

المطلب الثالث: تلاميذه.

المطلب الرابع: أعماله.

وأما **الفصل الثالث** فهو في منهج الشيخ فيصل حول تقرير مسائل الاعتقاد، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان والتسليم لنصوص الوحيين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موقفه من الاستدلال السمعي بالقرآن على العقائد.

المطلب الثاني: موقفه من الاستدلال السمعي بالسنة على العقائد.

المبحث الثاني: حجية فهم السلف الصالح.

المبحث الثالث: الإيمان بالنصوص على ظاهرها.

وقد تكفل **الباب الثاني** ببيان جهود الشيخ فيصل في تقرير مسائل العقيدة، فجاء في سبعة فصول:

الفصل الأول: تقرير الشيخ لمنهج السلف في حقيقة الإيمان، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الإيمان.

المبحث الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الثالث: التكفير.

المبحث الرابع: حكم تارك جنس العمل.

المبحث الخامس: ما يناقض الإيمان، وفيه تمهيد ومطلبان:

المطلب الأول: الكفر.

المطلب الثاني: النفاق.

وأما **الفصل الثاني**: فيختص ببيان جهود الشيخ في توضيح الإيمان بالله، ويعد أكبر فصول البحث،ويضم ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في توحيد الربوبية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية.

المطلب الثاني: أدلة توحيد الربوبية.

المطلب الثالث: استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية.

المبحث الثاني: في توحيد الألوهية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف توحيد الألوهية.

المطلب الثاني: كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)

المطلب الثالث: العبادة وأنواعها.

المطلب الرابع: ما ينافي العبادة.

المبحث الثالث: في توحيد الأسماء والصفات، وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: جهود الشيخ في إبراز عقيدة السلف في الأسماء والصفات.

المطلب الثاني: مسائل مهمة في الأسماء والصفات.

المطلب الثالث: ذكر جملة من الصفات التي أوردها الشيخ.

المطلب الرابع: إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

ثم يأتي **الفصل الثالث** متناولاً: الإيمان بالملائكة،وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الإيمان بالملائكة.

المبحث الثاني: صفات الملائكة.

المبحث الثالث: أعمال الملائكة.

وبعده **الفصل الرابع**: وهو حول الإيمان بالكتب، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الإيمان بالكتب.

المطلب الأول: الإيمان بالكتب إجمالاً.

المطلب الثاني: الإيمان بالكتب تفصيلاً.

المبحث الثاني: تحريف أهل الكتاب لكتبهم.

المبحث الثالث: القرآن الكريم.

ثم **الفصل الخامس** وهو يختص بالإيمان بالرسل، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: معنى الإيمان بالرسل.

المبحث الثاني: أولو العزم من الرسل.

المبحث الثالث: خصائص الرسل، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اصطفاء الله لهم.

المطلب الثاني: الوحي.

المطلب الثالث: العصمة.

المبحث الرابع: صفات الرسل، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بشرية الرسل.

المطلب الثاني: عدم علم الرسل بالغيب.

المطلب الثالث: صبر الرسل.

المبحث الخامس: الإيمان بنبوة نبينا محمد ﷺ، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: من خصائص النبي محمد ﷺ.

المطلب الثاني: حقوقه ﷺ على أمته.

المطلب الثالث: حقوق صحابته عليه الصلاة والسلام.

المطلب الرابع: حقوق آل بيته عليه الصلاة والسلام.

المبحث السادس: معجزات بعض الأنبياء.

المبحث السابع: الأولياء وكراماتهم.

وبعده يأتي الفصل السادس من الباب متناولاً: الإيمان باليوم الآخر، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: معنى الإيمان باليوم الآخر.

المبحث الثاني: فتنة القبر وعذابه أو نعيمه.

المبحث الثالث: أشراط الساعة.

المبحث الرابع: نماذج من المسائل التي اشتمل عليها اليوم الآخر، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: البعث.

المطلب الثاني: الحشر.

المطلب الثالث: الحساب.

المطلب الرابع: الحوض.

المطلب الخامس: الشافعة.

المطلب السادس: الصراط.

المبحث الخامس: الإيمان بالجنة والنار.

وأخيراً كان **الفصل السابع** متكفلاً بقضية الإيمان بالقضاء القدر وما يتعلق بـه مـن مسائل مهمة، وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر.

المبحث الثاني: معنى الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث الثالث: مراتب القضاء والقدر.

المبحث الرابع: مسألة أفعال العباد، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: رأي الشيخ في أفعال العباد.

المطلب الثاني: موقف الشيخ من القدرية.

المطلب الثالث: موقف الشيخ من الجبرية.

المبحث الخامس: حكم الاحتجاج بالقدر.

المطلب الأول: الاحتجاج بالقدر في فعل المعاصي.

المطلب الثاني: الاحتجاج بالقدر على المصائب.

المبحث السادس: الهداية.

وأما **الباب الثالث** والأخير فهـو يتحـدث عـن جهـود الـشيخ في الـدعوة إلى الله، ويضم ثلاثة فصول:

الفصل الأول: وهو يختص بموقف الشيخ من البدع والأهواء، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: البدعة حقيقتها وأقسامها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف البدعة.

المطلب الثاني: بداية ظهور البدع.

المطلب الثالث: أقسام البدعة.

المبحث الثاني: موقف الشيخ رحمه الله في التحذير من البدع والأهواء .

المبحث الثالث: أمثلة لبعض البدع التي تحدث عنها الشيخ، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بدع القبور.

المطلب الثاني: بدعة الانتساب إلى فرق مخالفة لأهل السنة.

المطلب الثالث: بدعة الاشتغال بعلم الكلام المذموم.

بينما **الفصل الثاني** يختص بجهود الشيخ في توضيح الإمامة، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: وجوب نصب إمام للمسلمين.

المبحث الثاني: الشروط الواجب توافرها في الإمام.

المبحث الثالث: في حثه على وجوب طاعة ولي الأمر.

المبحث الرابع: في تحذيره من الخروج عن طاعة ولي الأمر.

و**الفصل الثالث** فهو في بيان النشاط الدعوي للشيخ فيصل رحمه الله وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: منهجه في الدعوة إلى الله.

المبحث الثاني: الدعوة إلى الله من خلال مجالسه العلمية والعناية بطلبة العلم.

المبحث الثالث: الدعوة إلى الله من خلال التأليف، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مشروعه العلمي في تيسير المتون.

المطلب الثاني: أسماء مؤلفاته.

المطلب الثالث: الشيخ فيصل ومجاميع العلوم الشرعية.

المبحث الرابع: الدعوة إلى الله من خلال التواصل مع أولي الأمر.

المبحث الخامس: مراسلات الشيخ فيصل العلمية.

المبحث السادس: صلات الشيخ فيصل بالشيخ القرعاوي وتلامذته.

وأخيراً جاءت الخاتمة تحمل خلاصة ما توصلت إليه من نتائج،والتي فصلت في ثنايا البحث.

هذا وإني لأشكر الله العلي العظيم على إتمام هذا البحث، وأسأله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، موجباً أَمَتَه الجنة يوم الدين، نافعاً لكل من قرأه أو سمعه.

ثم إني أتقدم بالشكر والدعاء لكل من ساهم في إخراج هذا البحث إلى حيز النور، وأخص بخالص الدعاء وفائق الامتنان أستاذتي الفاضلة المشرفة على الرسالة الدكتورة/ أحلام محمد سعيد باحمدان حفظها الله، فقد بذلت الكثير من الجهد في النصح لي وتوجيهي خلال فترة بحثي، فأشكر لها حسن تعاملها معي، وصبرها عليّ، وأسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناتها، ويجزيها عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالدعاء الصادق والتقدير إلى من تكرم بقبول مناقشة هذه الرسالة لتوجيه النصح لي، وإرشادي لما هو أحسن، فجزاهما الله خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناتهما.

وأتوجه ببالغ الشكر والتقدير إلى جامعة أم القرى، ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة ، فجزاهم الله خير الجزاء.

كما أنه لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتوجه بالدعاء الصادق والشكر الجزيل لأسرتي الكريمة، وأخص منهم والداي الكريمين لتشجيعهما ودعاءهما لي، وما بذلاه وما زالا من العطاء، فأسال الله العظيم أن يجزيهما عني خير الجزاء، وأن يبارك في عمريهما، وأن يصلح شأنهما، وأن يرزقهما سعادة الدارين إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وكذلك من شاركني جل متاعب دراستي، وما زال يتفانى في العطاء بصدق وإخلاص زوجي الكريم/ خالد حفظه الله.

وتلك النفس الطاهرة البريئة التي عبقت أرجاء حياتي بعبيرها، وتحملت الكثير في سبيل تحصيلي للعلم ابني الوحيد يزيد جعله الله قرة عيني ونفع به الإسلام والمسلمين.

أما لسان حالي فيعجز عن الدعاء والشكر لكل من مدَّ يد العون لي من قريب أو

بعيد، سواء كان ذلك بإعارة كتاب أو تصويره أو إهدائه أو أعـان عـلى طباعـة البحـث، وأخص بذلك أخواي الكريمين،وحفيد الشيخ فيصل، الأستاذ/ محمد بن حـسن المبـارك، والذي أفادني كثيراً فيما يتعلق بتوفير كتب الـشيخ، والمراجـع المهمـة المختـصة بترجمتـه، فجزاهم الله خير الجزاء، ولهم مني جميل الثناء.

وفي الختـــــام:

فأنا لا أدعي أني وفيت الموضوع حقه، واستكلمته من جميع جوانبه، ولكن حـسبي أني قد بذلت قصارى جهدي وغاية وسعي، فإن كنت قد وفقت فيه، فذلك فضل من الله وهو غاية المراد، وإن قصُر عن غايتي فإن لي مـن حـسن نيتـي شـفيعاً، وإني أرجـوا مـن أساتذتي الكرام، أن تتسع صدورهم بذلك، فكلي آذان صاغية لتلقي توجيهاتهم القيمة.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله على نبينا محمـد وعـلى آلـه وصحبه أجمعين..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة/

ثنوى بنت عبدالله بن محمد العمري

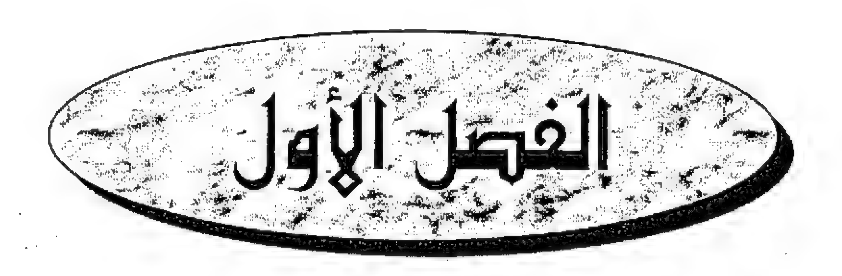




عصر الشيخ، وترجمة حياته، وبيان منهجه

وفيه ثلاثة فصـــول : -

- **الفصل الأول** : عصر الشيخ.
- **الفصل الثاني** : ترجمة حياة الشيخ.
- **الفصل الثالث** : منهجه في تقرير العقيدة.



الفصل الأول

عصر الشيخ فيصل

وفيه مباحث : -

- المبحث الأول: الحالة السياسية.
- المبحث الثاني: الحالة الاجتماعية.
- المبحث الثالث: الحالة العلمية.
- المبحث الرابع: الحالة الدينية.

* *　　* *　　* *



الحالة السياسية

<u>وفيــه مطلبــــان</u> : -

۞ المطلب الأول: الحالة السياسية للبلاد قبل عام ١٣١٩هـ.

۞ المطلب الثاني: الحالة السياسية للبلاد بعد عام ١٣١٩هـ.

* *   * *   * *

المطلب الأول: الحالة السياسية للبلاد قبل عام ١٣١٩هـ[١]

كان لانتقال مركز الخلافة من شبه الجزيرة العربية في عصر النبوة والخلفاء الراشدين إلى خارجها في العصور التالية أثر في معاناة شبه الجزيرة العربية عامة من فراغ سياسي رهيب خاصة في المناطق الداخلية للجزيرة، كما عانت حينئذ من انحطاط ثقافي وتأخر اقتصادي ردحاً من الزمن، وذلك بسبب فقرها وقلة مواردها الاقتصادية، بل ندرتها، إذا نسبت للمناطق الأخرى من العالم الإسلامي. ولولا ما للحجاز ومدينتاه (مكة والمدينة) من مكانة دينية إسلامية لكان نصيبه الإهمال مثل باقي مناطق شبه الجزيرة[٢].

وبقيت شبه الجزيرة مجزأه إلى مناطق، قامت دويلات في بعضها وتبعت بعضها حكومات بعض الدول خارج الجزيرة، سواء كان ذلك زمن الدول الأموية أو العباسية أو ما بعدها، حتى مجيء الدولة العثمانية في الثلث الأول من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي. ولم ترزق شبه الجزيرة العربية بدولة واحدة توحد معظم أجزائها في كيان واحد بعد عصر النبوة والخلفاء الراشدين، إلا بمجيء الدولة السعودية الأولى التي وحدت معظم أجزائها في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي[٣].

---

(١) يعد هذا العام تأريخياً لبداية الدولة السعودية الثالثة. انظر: شبه الجزيرة العربية، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٩٩٩م، (١/ ٨٨-١٠٠). تاريخ المملكة العربية السعودية، د. عبدالله الصالح العثيمين، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على توحيد المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ (١/ ٥).

(٢) انظر: تاريخ المملكة العربية السعودية، العثيمين (٢/ ٩). توحيد المملكة العربية السعودية، الأصل باللغة الإنجليزية وترجمة إلى اللغة العربية الدكتور/ عبدالله بن صالح العثيمين، شركة مطابع المطوع، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ص(٢٦).

(٣) كان عام ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م، هو آخر توسع للدولة السعودية الأولى جنوب الجزيرة حيث وصلت إلى =

تلا ذلك أيضاً توحيد الدولة السعودية الثانية منطقتي نجد والإحساء في دولة واحدة وكيان مستقل بعد الانفراط الذي منيت به الجزيرة بسبب سقوط الدولة وعاصمتها الدرعية بيد إبراهيم باشا ابن محمد علي عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م، وحصل نفس الانفراط بزوال الدولة السعودية الثانية عام ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، وكان قد انفصلت نجد عن الأحساء وقامت في نجد إمارة آل رشيد، والأحساء صار تابعاً للدولة العثمانية مثل الحجاز ومناطق من عسير وتهامة، وكانت الحالة السياسية لكل منطقة متردية ومنحطة.

(أ)ففي نجد[1]:

كانت قد توحدت تحت إمارة محمد بن عبدالله بن رشيد[2] أمير حائل بعد انتصاره

الحديدة في اليمن ولكنها توقفت بعد ذلك بسبب مجيء الحملات التركية المصرية إلى الحجاز.

انظر: الدولة السعودية الأولى، عبدالرحيم عبدالرحمن، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م، ص(١٨٢) وما بعدها.

(١) (نجْد) بفتح أوله وسكون ثانية قسم من الجزيرة العربية بين الحجاز والعراق، ونجداً من أعماله اليمامة، وقد ذكر ابن الكلبي أن جزيرة العرب على خمسة أقسام عند العرب وفي أشعارها: تهامة، والحجاز، ونجد والعروض، واليمن، ونجد الآن هي ما يعرف بالمنطقة الوسطى،وبها مدينة الرياض عاصمة الدولة السعودية.

انظر: معجم البلدان، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر، بيروت، ط ١٣٩٧هـ، (٥/ ٤٤٢). المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، أبو إسحاق الحربي تحقيق: حمد الجاسر، من منشورات دار اليمامة، الرياض، ١٤١٠هـ، ص(٥٣١).

(٢) هو محمد بن عبدالله علي بن رشيد آل جعفر من فخذ عبده من قبيلة شمر من طيء، أبوه تولى إمارة حائل، تولى الخلافة بعد ابن أخيه بندر بن طلال عام ١٢٨٩هـ، كان داهية فتاكاً جباراً، بلغت إمارة آل رشيد في ولايته، ذروتها وقوتها، استغل خلاف أبناء فيصل بن تركي آل سعود فكانت نهاية الدولة السعوودية الثانية على يده عام ١٣٠٩هـ، ثم سيطر على بقية نجد، وكان موالياً للدولة العثمانية، توفي عام ١٣١٥هـ.

انظر: شبه الجزيرة ، الزركلي، (١/ ١١٦-١١٨). تأريخ المملكة العربية السعودية، العثيمين، (١/ ٢٩١-٣٠٥)، (٢/ ٢٦-٢٨).

على أهل القصيم في موقعه المليدا عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م، ثم على الإمام عبدالرحمن بن فيصل بن تركي آل سعود[1] في موقعة حريملاء عام ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م، إلا أن نجداً لم تسعد بحكمه أكثر من ستة أعوام حيث توفي عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م، فتولى بعده ابن أخيه عبدالعزيز بن متعب آل رشيد الذي كان معروفاً بالظلم والقسوة والجور والشدة، فعانى الناس من حكمه الويلات، وخاصة من كثرة الضرائب، ولم تأمن في عهده السبل، بل عانت من اضطراب في أمنها، وتدهور في اقتصادها، وضعف في الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2]، فكان ذلك من أسباب كره الناس لحكمه، وسرعة زواله عن أكثر من نصف نجد، وذلك بعد ظهور عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود وبداية أعماله في استعادة ملك أسرته عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م.

(ب)أما في الأحساء[3]:

---

(١) هو عبدالرحمن بن فيصل بن تركي، ولد عام ١٢٦٨هـ، شارك مع جيش أخيه سعود، وأرسله سعود للتفاوض مع والي بغداد عام ١٢٨٧، فقبض عليه رهينة إلى أن استطاع الفرار والرجوع إلى الرياض، وتولى بعد وفاة سعود عام ١٢٩١هـ، ومن ثم تنازل لأخيه عبدالله عام ١٢٩٣هـ. ورحل مع أخيه عبدالله إلى حائل، إلى أن عاد إلى الرياض في عام ١٣٠٧هـ. وبعد وفاة أخيه استعاد الرياض ثم تواجه مع ابن رشيد حتى آل الأمر إلى تركه الرياض متوجهاً إلى الكويت عام ١٣٠٩هـ، وبعد تولي ابنه الملك عبدالعزيز كان مرجعاً ومستشاراً لإبنه إلى أن توفي عام ١٣٤٦هـ.

انظر: الأعلام ، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م، (٣/ ٣٢٢).

(٢) انظر: تذكرة أولي النهي والعرفان، إبراهيم بن عبيد، مطابع مؤسسة النور، الرياض، الطبعة الأولى، (١/ ٣١٣).

(٣) الأَحساء بالفتح والمد، وهو الماء الذي تنشقه الأرض من الرمل فإذا صار إلى أرض صلبة أمسكته فتحفر العرب عنه الرمل فتستخرجه. والأحساء مدينة بالبحرين معروفة مشهورة، كان أول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هجر هو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي القرمطي، وهي الآن إقليم كبير مشهور ضمن المنطقة الشرقية في الدولة السعودية ومن أشهر مدن هذا الإقليم مدينة الهفوف، وهي عاصمته، ومدينة المبرز وغيرها وتبعد الأحساء عن مدينة الرياض قرابة ثلاثمائة كيلو.

انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، (١/ ١١١).

فقد كانت في فترة ظهور الملك عبدالعزيز تابعة للدولة العثمانية عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م، وكانت حالتها السياسية لا تقل عن حالة نجد في السوء، فقد كانت الحامية التركية في المنطقة تحكم حكماً استبدادياً متسماً بالظلم والجور. حيث زاد الموظفون العثمانيون الضرائب على الأهالي مستغلين السلطة التي في أيديهم، مما جعل الأهالي يضيقون من حكم العثمانيين، ويجهرون بالشكوى من مظالم جندهم وموظفيهم[1]. بالإضافة إلى أن الحامية التركية أخذت في الضعف مما جعل الأمن غير مستتب في المنطقة، وعجز الأتراك عن تأمين المنطقة من اللصوص وقطاع الطرق، كما عجزوا عن تأمين أرواح الناس وأحوال المسافرين في الطرق الصحراوية، وبذلك يتضح أن الحاضرة في الأحساء كانوا كارهين للحكم التركي لما جرّ عليهم من مصائب ونكبات وأن البادية كانوا في حالة تمرد على السلطة.

(جـ)أما الحجاز[2]:

فقد كانت تابعة للدولة العثمانية منذ مطلع القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، وكانت الإمارة فيه للأشراف الحسينيين، والذين بدأت إمارتهم فيها منذ منتصف القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي[3]، وكان العثمانيون قد حددوا صلاحيات الأشراف، فقيدوا تبعتهم بالوالي التركي على المدينة المنورة، والتي كانت توجد بها

(١) انظر: الأولياء في تاريخ الأحساء، سليمان الدخيل، الطبعة الأولى، ١٣٣٤هـ، ص(٢١٧).

(٢) الحجاز بكسر الحاء وآخره زاي، والحجاز جبل ممتد حال بين تهامة ونجد فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما وقال الأصمعي: الحجاز اثنتا عشرة داراً، وقال: الحجاز من تخوم صنعاء من الصبلاء وتباله إلى تخوم الشام، وإنما سمي حجازاً لأنه حجز بين تهامة ونجد مملكة تهامية والمدينة حجازية، والطائف حجازية، والمراد به هنا ما يعرف الآن بالمنطقة الغربية، وفيها مدينة مكة وجدة والطائف والتي تبعد عن الرياض العاصمة ما يقارب ثمانمائة كيلو تقريباً.

انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، (٢/ ٢١٨-٢١٩). طرق الحج الحربي، ص(٥٣٣).

(٣) انظر: بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد، د. سليمان عبدالغني مالكي، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٣هـ، ص(٣٠).

حاميات تركية هي وغيرها من مدن الحجاز حيث استقل الأتراك بحكم المدن وحصروا سلطة الأشراف بأمور البدو والبادية، وكان هذا الحكم الثنائي المزدوج الذي خضع له الحجاز هو من أهم عوامل تأخره وتقهقره واضطرابات أحواله واختلال حبل الأمن في ربوعه. إضافة إلى ذلك ما يرويه المؤرخون عن الصراع الكبير الذي كان يدور بين الأشراف أنفسهم على السلطة، وحصول قتال ومعارك عديدة بينهم، ومن يطلع على كتاب عبدالملك العصامي المكي في تاريخه « سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي » تواجهه هذه الحقيقة المرعبة من قتال على السلطة بين هؤلاء الأشراف في مكة بلد الله الحرام (١).

وحينما جاء الشريف حسين بن علي (٢) إلى السلطة وتولى شرافة مكة عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م كانت له طموحات شخصية أظهرها في ثورته ضد الدولة العثمانية المسماه الثورة العربية الكبرى عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م في أثناء الحرب العالمية الأولى، وذلك بالاتفاق والتعاون مع بريطانيا ومع ذلك لم يستطع أن يغيّر من حالة الأمن شيئاً يُذكر نحو الأحسن، وكانت سوء سياسته الإدارية والاقتصادية سبباً في ظهور أزمة

---

(١) انظر: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبدالملك بن حسين العصامي المكي، المطبعة السلفية، الطبعة الأولى، (٤/ ٣٠٥-٥٢٩). ظاهرة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز، عبدالعزيز الأحيدب، الطبعة الأولى، ص(٢٩).

(٢) الشريف حسين بن علي بن محمد بن عبدالمعين بن عون، ولد في الأستانة سنة ١٢٧٠هـ وانتقل مع والده إلى مكة وعمره ثلاث سنوات فتعلم فيها، ثم نفى إلى الأستانة عام ١٣٠٩هـ، ثم عين أميراً لمكة عام ١٣٢٦هـ، وقاد الحملة العثمانية إلى بلاد عسير ضد الإدريس، وقد نادى في الحجاز باستقلال العرب عن الترك عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م وأعلن لنفسه الخلافة عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م، ولقب نفسه « أمير المؤمنين » وانتهت إمارته بدخول الملك عبدالعزيز مكة عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م، ثم حصار جدة عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، وفي جدة تنازل عن الملك لابنه علي ورحل هو إلى العقبة ثم إلى قبرص إلى أن مرض بعد ست سنين ثم عاد إلى عمّان وتوفي بها ودفن بالقدس عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م.

انظر: الأعلام، الزركلي، (٢/ ٢٤٩-٢٥٠).

اقتصادية في الحجاز[1].

يقول حسين نصيف عن حالة الأمن في عهد الشريف حسين الذي ابتدأ عام ١٣٢٦هـ: (إن الأمن في عهد الحسين لم يكن شيئاً إلاَّ في جهات قليلة من جدة بحراً فالسواحل الحجازية، وبراً من جدة إلى مكة، فمنى، فعرفة، فمزدلفة إلى الطائف. أما طرق المدينة فالكل يعلم أنه غير قادر على أن يقيم الأمن فيها، وذلك بتعدي القبائل على الطريق وأخذ الضرائب من الحجاج، ورجوع القوافل الزائرة مرات عديدة منكصة أعقابها إلى مكة، وكان الأمن في أيام تركيا ما كان عليه أيام الحسين إن لم يكن أقل من ذلك)[2].

(د)أما في عسير[3]:

فليست بأحسن حالاً من غيرها من المناطق، فعسير كانت تحت حكم حسن آل عائض[4]، وكان هناك صراع بينهم وبين الأدارسة حكام المخلاف السليماني (منطقة

---

(١) انظر: تاريخ مكة، أحمد السباعي، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، الطبعة السابعة، ١٤١٤هـ، ص(٦١٧-٦٢٤).

(٢) انظر: ماضي الحجاز وحاضره، حسين نصيف، مطبعة العرب، تونس، الطبعة الأولى، ١٣٤٩هـ، ص(١٠٠-١٠١).

(٣) عسير: اسم قبيلة أزدية من سكان السراة كانت لها السيطرة على ذلك الإقليم فترة من الزمن، والإقليم يقع في الجهة الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة العربية يقع بين الحجاز واليمن وينقسم إلى سراة، وتهامة، وقد كان فيها متصرفية عثمانية والتسمية بعسير اصطلاح حديث العهد ومركزها مدينة أبها.

انظر: شبه الجزيرة، الزركلي، (١/ ٥٣- ٥٣٢- ٥٣٩- ٥٥٦). تاريخ عسير في الماضي والحاضر، هاشم بن سعيد النعمي، الطبعة الأولى، جدة، ص(٤).

(٤) هو علي بن محمد بن عائض تولى بعد أبيه، وعندما قام الإدريس بحمله على الترك انضم إليه فحاصر معه أبها ضد بني مفيد عام ١٣٢٨هـ ثم تركه وتحول إلى الشريف حسين فجعله الشريف معاوناً لمتصرف أبها، ثم بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى استقل ابن عائض بالحكم وحصل بينه وبين الملك عبدالعزيز مواجهة عام ١٣٣٨هـ، رحل بعدها إلى الرياض ثم أعيد إلى عسير أميراً. وثار مرة أخرى على الملك عبدالعزيز فأرسل إليه الملك جيشاً بقيادة ابنه فيصل بن عبدالعزيز عام ١٣٤٠هـ، ثم حمل إلى الرياض إلى =

جيزان) منذ عام ١٣٣٧هـ انتهى بهزيمة الأدارسة ثم هزيمة حسن آل عائض أمام الزحف السعودي، وكانت المنطقة قبل آل عائض بيد الأتراك ويوجد بها حامية تركية، ويطلق عليها « متصرفية عسير » وعسير في كلا العهدين لم يكن الأمن فيها مستتباً، فالطرق مخوفة والجهل سائد والفتن والحروب قائمة بين القبائل[1].

(هـ)أما المخلاف السليماني[2] (منطقة جيزان):

فمثلها مثل عسير سواءاً في عهد الأتراك العثمانيين أو في عهد إمارة الأدارسة بقيادة (محمد بن علي الإدريسي)[3] الذي نشب الصراع بينه وبين الأتراك في الحكم، فالمعارك

أن توفي فيها عام ١٣٥٧هـ.

انظر: الأعلام، الزركلي، (٢/ ٢٠٧).

(١) انظر: تاريخ عسير في الماضي والحاضر، هاشم النعمي، ص(٢٢٢)

(٢) المخلاف السليماني: هو مصطلح في التقسيم الإداري في البلدان لتوزيع الأعمال والقضاء ونحوها. قال الحموي: (البنود بأرض الروم، كالأجناد بأرض الشام والكور بالعراق والطساسيج لأهل الأهواز والرساتيق لأهل الجبال والمخاليف لأهل اليمن). فالمخلاف مثل الإقليم أو المنطقة، والمخلاف يضاف إلى اسم المخاليف بالمخلاف السليماني نسبة إلى أحد أمرائها، وهو (سليمان بن طرق الحكمي) الذي وجد المخلافين المذكورين تحت إمارته باسم « المخلاف السليماني » في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وهو ما يعرف الآن بمنطقة جيزان ومقرها مدينة جيزان.

انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، (٥/ ٦٧-٢٦٤). المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (مقاطعة جيزان، الخلاف السليماني)، محمد أحمد العقيلي، طبع بمطابع النهضة، مصر، نشر دار اليمامة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، (١٧/ ٩٥-١١٣).

(٣) هومحمد بن علي بن محمد بن السيد أحمد بن إدريس، مؤسس دولة الأدارسة، أصله من فاس، ولد محمد بن علي في صبيا عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، وتعلم في الأزهر، ورجع إلى صبيا، وطمع في السيادة ونشر طريقة جده (أحمد بن إدريس) الصوفية، استولى على صبيا عام ١٣٢٧هـ وتواجه مع الدولة العثمانية واتفق مع الإنكليز عام ١٩١٤م عند قيام الحرب العالمية الأولى. استمر في الحكم إلى أن توفي عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م، ثم خلفه ابنه علي ثم عزل وتولى أخوه الحسن بن علي، الذي جدد معاهدة حسن الجوار مع الملك عبدالعزيز عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، لكنه أغرى بالمشاركة في حزب الأحرار الحجازي

كانت سجالاً واستقرت الأمور للإدريسي عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م في المخلاف السليماني.

وكانت الفتن والحروب بين قبائل المنطقة قائمة، وحالة الأمن سيئة قبل ثورة الإدريس، وقد استطاع الإدريس أن يعيد الأمن إلى المنطقة بسبب حرصه على تطبيق حكم الشريعة الإسلامية، إلا أن الأمور تغيّرت بعد موته عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م، فعادت الأمور إلى ما يشبه السابق من فقدان الأمن والفتن بين القبائل[1].



= وثار على مندوب الملك عبدالعزيز وساء الوضع إلى أن هرب من بلاده إلى اليمن عند الإمام يحيى عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٣م وبنهاية حكمه انتهت دولة الأدارسة.

انظر: الأعلام، الزركلي، (٦/ ٣٠٣). تاريخ المملكة، العثيمين، (٢/ ٢٠٨).

(١) تاريخ المخلاف السليماني، محمد بن أحمد العقيلي، دار اليمامة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، (٢/ ٧٦٠). أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث، محمد أحمد العقيلي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ص(٣٨).

المطلب الثاني: الحالة السياسية بعد عام ١٣١٩هـ

بعد انتهاء الطور السعودي الثاني في عهد الإمام عبدالرحمن بن فيصل بعشر سنين بدأ الطور الثالث على يد ابنه عبدالعزيز بن عبدالرحمن -الملك عبدالعزيز- وذلك بدخوله الرياض واستعادته الحكم مرة ثانية والقضاء على حامية ابن رشيد فيها عام ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م.

وكان عمر الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك حين ذاك ست سنين[١]، فعاصر الشيخ في نشأته قيام الدولة السعودية الثالثة وعايش بدايتها، بل إن والده قد غزا مع الملك عبدالعزيز في وقعة البكيرية سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، واستشهد فيها، وقد انضم الشيخ رحمه الله إلى القوات السعودية التي افتتحت الأحساء سنة ١٣٣١هـ، ثم شارك في معركة جراب عام ١٣٣٣هـ.

لقد أكسبت هذه النشأة والمشاركة في الغزوات الشيخ قدرةً كبيرة وخبرةً فائقة في مواجهة الأحداث التي أنيطت به وبأمثاله من أهل العلم من القيام بالحق والجهاد في سبيله.

١-ففي نجد:

واصل الملك عبدالعزيز بعد دخوله الرياض استعادة الأقاليم النجدية، وقد استطاع السيطرة عليها في قرابة عامين أي في عام ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م[٢].

ثم استمرت بعد ذلك المواجهات بين الملك عبدالعزيز وابن رشيد في عدد من المواقع في القصيم من أشهرها: وقعة البكيرية سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م تليها وقعة الشنانة في نفس العام، وآخرها كانت وقعة روضة مهنا ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م[٣].

---

(١) ولد الشيخ فيصل رحمه الله عام ١٣١٣هـ، وسيأتي الحديث عن ولادته في الفصل الثاني من هذا الباب.

(٢) شبه الجزيرة، الزركلي (١/ ١٢٧-١٤٤). تأريخ المملكة العربية السعودية، العثيمين، (٢/ ٥٧-٧٠).

(٣) شبه الجزيرة، الزركلي (١/ ٤٩- ١٦٥- ١٦٦- ١٧٢). تاريخ نجد الحديث، أمين الريحاني، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٧٤هـ ص(١٣٣-١٥٨).

وفيها قتل عبدالعزيز بن متعب بن رشيد[1]، وقد أدخل أسرة آل رشيد بعد ذلك في دوامة الصراع الأسري على الحكم[2]، فقامت عدة معارك بينهم وبين ابن سعود لعل من أهمها معركة جراب -قرب الزلفي- سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م[3].

وفي عام ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م أرسل الملك عبدالعزيز ابنه سعود[4] إلى حائل واتبعه بأخيه محمد بن عبدالرحمن[5] إلى أن تم حصار حائل والاستيلاء عليها عام ١٣٤٠هـ/

---

(١) هو عبدالعزيز بن متعب بن عبدالله الرشيد، من أمراء حائل وما حولها بنجد، وليها بعد وفاة عمه « محمد بن عبدالله الرشيد » سنة ١٣١٥هـ. كان أشجع العرب في عصره، وأصلبهم عوداً. له وقائع وغارات كثيرة ألبت عليه ابن صباح صاحب الكويت وابن سعود (عبدالعزيز بن عبدالرحمن) في صباه، وأمير المنتفق. وفي أيامه استرجع ابن سعود مدينة « الرياض » سنة ١٣١٩هـ. وظل ابن رشيد يصاول خصومه، ويقابل الغارات بمثلها، إلى أن قتل في روضة المهنا (من ملحقات القصيم، شرقي بريدة).
انظر: الإعلام، الزركلي، (٤/ ٢٥).

(٢) انظر: تذكرة أولي النهي والعرفان، إبراهيم بن عبيد، (٢/ ٢٦٤).

(٣) انظر: شبه الجزيرة، الزركلي، (١/ ٢٢١-٢٢٢). تأريخ نجد الحديث، الريحاني، ص(٢٢٠).

(٤) هو سعود بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود، ولد في الكويت سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م، ثم انتقل مع والده إلى الرياض وتعلم فيها، وشارك مع والده في الأعمال الحربية، تولى إدارة نجد نيابة عن والده عام ١٣٤٣هـ، وعين قائداً للجيش العربي السعودي عام ١٣٥٣هـ، وسافر خارج البلاد ممثلاً لحكومته عدة مرات، وشارك في حرب اليمن عام ١٣٥٣هـ بويع له بولاية العهد عام ١٣٥٢هـ، وتولى الحكم بعد وفاة والده عام ١٣٧٣هـ، حتى عام ١٣٨٤هـ، ومرض آخر عمره واستمر معه المرض إلى أن توفي عام ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

انظر: الإعلام، الزركلي، (٣/ ٩٠). شبه الجزيرة، الزركلي، (١/ ٥٦٧)، (٢/ ١٤٠٣-١٤٠٤).

(٥) هو محمد بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي آل سعود (١٢٩٨- ١٣٦٢هـ/ ١٨٨١- ١٩٤٣م) أخو الملك عبدالعزيز، شاركه في دخول الرياض وخوض المعارك كان شجاعاً، ولد في الرياض عام ١٢٩٨هـ وفي آخر حياته اختار العزلة، وتوفي عام ١٣٦٢هـ).

انظر: الأعلام، الزركلي، (٦/ ١٩٩).

١٩٢١م[١].

لقد ترتب على سقوط حائل في يد الملك عبدالعزيز نتائج مهمة وصالحة من أهمها:

١-توحيد منطقة نجد بكاملها تحت سلطة سياسية كاملة.

٢-القضاء على إمارة آل رشيد في حائل بعد أن حكموها قرابة تسعين عاماً[٢].

٣-دخول المناطق الشمالية من حائل، وأهمها منطقة الجوف في طاعة ابن سعود بعد أن كانت تابعة لإمارة آل رشيد، وبذلك وصلت حدود سلطته إلى قرب الحدود مع العراق.

٤-تفرغ ابن سعود لمشاكله مع أمراء الحجاز وعسير والتي انتهت بضمها إليه، كما سيأتي.

٥-أصبح يطلق على الملك عبدالعزيز رسمياً « سلطان نجد وملحقاته » بدون منازع.

(ب)وأما الأحساء:

فقد استطاع الملك عبدالعزيز دخول الأحساء والسيطرة عليها من دون مواجهات. وذلك بدخوله قاعدة الأحساء « مدينة الهفوف » في شهر جمادى الأولى عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م، ودانت له بعدها توابعها، وخرجت منها الحامية العثمانية بأمان، وذلك إبان الحرب العالمية الأولى[٣].

---

(١) انظر: شبه الجزيرة، الزركلي، (١/ ٢٥٣-٢٥٨). تاريخ الدولة السعودية، أمين سعيد، طبع مطبعة الهلال، ١٣٨٥هـ (٢/ ٩٩). تأريخ المملكة، العثيمين، (٢/ ١٦٩-١٧٢).

(٢) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن بشر، تحقيق: عبدالرحمن آل الشيخ، طبع وزارة المعارف، مطابع الرياض الحديثة، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ، (٢/ ٨٥). نشأة إمارة آل رشيد، عبدالله بن صالح العثيمين، نشر دار الشريف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ، ص(٤١-٤٢).

(٣) انظر: تاريخ الدولة السعودية، أمين سعيد (٢/ ٥٥). شبه الجزيرة، الزركلي، (١/ ٢٠٧-٢١٥). تاريخ المملكة، العثيمين، (٢/ ١٣٨-١٤٢).

(جـ) وفي الحجاز:

كان الأشراف يحكمون الحجاز تحت سلطة الدولة العثمانية، وكان الشريف حسين بن علي هو المعاصر للملك عبدالعزيز حيث تعين عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م[١].

ولما قامت الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٩م حرصت بريطانيا على جذب زعماء العرب إليها، وكان الشريف حسين من أول المتحمسين لهذه الدعوة بعد أن منته بريطانيا بتعيينه (ملكاً للعرب) فأعلن الشريف حسين الثورة العربية ضد الدولة العثمانية عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م[٢].

فلما انتهت الحرب العالمية الأولى بانتصار الحلفاء بدأ الشريف حسين في تنفيذ مشروعه الخيالي، فاستولى على الحامية التركية في المدينة المنورة، وتقوى بمعداتها وذخائرها، وفي ذلك الحين بدأت تظهر على السطح بوادر الخلاف بينه وبين الملك عبدالعزيز[٣].

توسعت شقة الخلاف كثيراً بين الشريف حسين والملك عبدالعزيز خاصة بعد انتصار الملك عبدالعزيز في تربة عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م . مما أدى ذلك بالحسين إلى منع الحجاج النجديين من الحج بضع سنوات[٤]، وقد دعا ذلك الملك عبدالعزيز إلى عقد مؤتمر في الرياض عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م حضره العلماء والأمراء ورؤساء القبائل، وتقرر فيه تخليص البلد الحرام ولو بالقوة[٥]، فشكَّل الملك عبدالعزيز جيشاً لهذا الغرض،

(١) انظر: تاريخ مكة، أحمد السباعي، ص(٦١٧). ماضي الحجاز وحاضره، حسين نصيف، ص(٧).

(٢) انظر: تاريخ نجد، الريحاني، ص(٢٣١- ٢٣٥)، شبه الجزيرة، الزركلي، (١/ ٣٠٨). تاريخ الدولة السعودية، تاريخ المملكة، العثيمين، (٢/ ١٣٧).

(٣) انظر: شبه الجزيرة، الزركلي، (١/ ٣١٦).

(٤) انظر: تاريخ نجد، الريحاني، (٣٢٤). شبه الجزيرة، الزركلي، (١/ ٣٢٨). تاريخ المملكة، العثيمين، (٢/ ١٨٩).

(٥) انظر: تاريخ نجد، الريحان، ص (٣٢٦). شبه الجزيرة، الزركلي (١/ ٣٢٩-٣٣٠). تاريخ المملكة، العثيمين، (٢/ ١٩٠).

وقد تجمع ذلك الجيش الكبير في تربة ثم زحف إلى الطائف، فاصطدم بقوات الشريف حسين في الحوية وهزمها ودخل الطائف.

وفي تلك الفترة رأى بعض زعماء الحجاز ضرورة تخلي الشريف حسن عن الحكم لصالح ابنه علي بن الحسين[1] لعل ذلك حلاً للخلاف[2]، ولكن ذلك لم يمنع القوات السعودية التقدم إلى مكة فغادرها الشريف علي بن الحسين دون مقاومة إلى جدة، ودخل السعوديون مكة دون قتال -بل محرمين بالعمرة- عام ١٣٤٣هـ[3].

قرر الملك عبدالعزيز محاصرة علي بن الحسين في جدة، واستمر الحصار لأكثر من عام، حتى طلب الشريف الصلح وغادر جدة، فدخل الملك عبدالعزيز وقواته جدة[4].

أما المدينة فكانت قد أضناها الحصار السعودي حتى سلمت الحامية العسكرية فيها للأمير محمد بن عبدالعزيز آل سعود عام ١٣٤٤هـ، وهكذا تم للملك عبدالعزيز ضم الحجاز فأصبح لقبه بعد ذلك (ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها)[5].

---

(١) هوعلي بن الحسين بن علي بن عبدالمعين بن عون، الهاشمي، من الأشراف: آخر من سمي ملكاً في الحجاز من الهاشميين، كان أكبر أبناء الملك حسين، ولد بمكة وأقام زمناً مع أبيه في اسطانبول، ثم عاد إلى مكة عندما عُين أبوه شريفاً لها في عام ١٣٢٦هـ، وبرز نشاطه في ثورة أبيه على الترك (١٩١٦-١٩١٨م) وكان يوم إعلان الثورة نازلاً بالمدينة، فأقام في خارجها محاصراً لها، إلى أن انتهت الحرب العالمية الأولى فتسملها من قائد الحامية التركية « فخري باشا » ثم جعله والده رئيساً لمجلس الوكلاء بمكة. ولما أغار رجال الملك عبدالعزيز على الطائف سنة (١٩٢٤م) خلع الملك حسين نفسه من الملك، وبويع بالملك عنه ابنه الذي انتقل إلى جدة، وقد اشتد حصار ابن سعود لجدة إلى أن نزل علي عن عرشها سنة (١٩٢٥) وانصرف إلى بغداد فاستقر بها إلى توفي عام ١٣٥٣هـ.

انظر: الأعلام، الزركلي، (٤/ ٢٨٢).

(٢) انظر: تاريخ المملكة العربية السعودية، صلاح الدين مختار، بيروت، طبعة عام ١٣٧٦هـ، (٢/ ٣٠١).

(٣) انظر: تاريخ مكة، أحمد السباعي، ص(٩٣).

(٤) انظر: تاريخ نجد، الريحاني، ص(٤٥١). تاريخ الدولة السعودية، أمين سعيد، (٢/ ١٧٨).

(٥) انظر: تاريخ نجد، الريحاني، ص(٣٣١). شبه الجزيرة، الزركلي، (١/ ٣٠٣-٣٤٨). تاريخ المملكة، العثيمين (٢/ ١٩١-٢٠١)، (١/ ٣٠٦-٣٠٨). تاريخ الدولة السعودية،أمين سعيد، (٢/ ١٥١-١٨٤).

د-أما في عسير:

كان ا لقائم فيها حسن بن علي آل عائض قد استخدم أسلوب الشدة والتعسف خصوصاً مع بعض القبائل مما أدى ذلك إلى توسطهم بالملك عبدالعزيز ليتدخل ويمنع حسناً من ظلمهم، فأوفد الملك عبدالعزيز وفداً من علماء نجد إلى حسن لتقديم النصح والإرشاد، ولكنه فسر ذلك العمل بأنه تدخل من الملك عبدالعزيز في شؤونه الداخلية، بل هدَّد أيضاً باحتلال بيشة التابعة للملك عبدالعزيز مما أثار الملك عبدالعزيز عليه، فجهز جيشاً بقيادة ابن عمه (عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي) [1] والتقى بحسن آل عائض في معركة هزم فيها الأخير وأسر، ودخل ابن مساعد أبها قاعدة المنطقة وذلك في عام (١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م) ولكن لم يلبث حسن إلا أن قام بحركة عسكرية جديدة استولى فيها على أبها من جديد، فأرسل له الملك عبدالعزيز قوة عسكرية بقيادة ابنه فيصل[2] عام (١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م) هزمت قوات آل عائض وبذلك دخلت عسير في الدولة السعودية وانتهت إمارة آل عائض فيها .

---

(١) عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي بن تركي بن عبدالله بن سعود، ولد عام (١٣٠٢هـ) في الرياض، ورحل مع أسرته إلى الكويت، ولاه الملك عبدالعزيز إمارة القصيم عام ١٣٣٩هـ ثم حائل ثم عسير، توفي عام (١٣٩٧هـ) .

انظر: عبدالعزيز بن مساعد: حياته ومآثره، حسن بن حسن بن سليمان، ص(٢٣-٣٢) .

(٢) هو فيصل بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود، ولد عام ١٣٢٤هـ في الرياض، تربى في بيت والده، وفي بيت جده لأمه الشيخ العلامة عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، شارك في ضم بلاد عسير، وعين رئيساً للحكومة بمكة، ونائباً عن الملك في الحجاز عام ١٣٤٤هـ ورئيساً لمجلس الشورى عام ١٣٤٥هـ، سافر خارج البلاد ممثلاً لحكومته عدة مرات، وعين وزيراً للخارجية عام ١٣٤٩هـ ورئيساً لمجلس الوكلاء عام ١٣٥٠هـ، شارك في حرب اليمن عام ١٣٥٣هـ، وانتدب لحضور مؤتمر فلسطين عام ١٣٥٧هـ، بويع بولاية العهد عام ١٣٧٣هـ وعين رئيساً لمجلس الوزراء، وتولى الملك عام ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م حتى قتل عام ١٣٩٥-١٩٧٦هـ، كان خطيباً مفوهاً وسياسياً نادراً .

انظر: الأعلام، الزركلي، (٥/ ١٦٦-١٦٨). شبه الجزيرة، الزركلي، (٢/ ١٤٠٥-١٤٠٦).

هـ-أما في المخلاف السليماني (جيزان):

توفي محمد بن علي الادريسي عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م فتولى بعده ابنه علي وكان ضعيفاً، مما جعل أهل البلاد يخلعونه ويبدلون مكانه عمه (الحسن بن علي الادريسي) الذي عقد معاهدة مع الملك عبدالعزيز عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، إلا أن الحسن ثار على المندوب السعودي متعاوناً مع ابن رفادة في الشمال الذي انضم إلى حزب الأحرار الحجازي وتم القضاء على ثورته وهروبه من البلاد عام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٣هـ، وبذلك أصبحت جيزان جزءاً من الدولة السعودية وكانت آخر المناطق في الجزيرة العربية انضماماً إلى الحكم السعودي[١] .

صدر بعد ذلك مرسوم ملكي بتوحيد مناطق المملكة تحت اسم جديد هو (المملكة العربية السعودية) في ١٧ جمادى الأولى ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م المصادف لليوم الأول من برج الميزان، وأطلق على الملك عبدالعزيز (ملك المملكة العربية السعودية)[٢] .

وفاة الملك عبدالعزيز:

توفي الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود رحمه الله في اليوم الثاني من شهر ربيع الأول لعام ألف وثلاثمائة وثلاث وسبعين للهجرة ٢/ ٣/ ١٣٧٣هـ-٩/ ١١/ ١٩٥٣م، وكانت وفاته في مدينة الطائف بعد أن ألم به مرض عانى منه فترة، وكان قد تجاوز الثمانين من عمره ونقل إلى الرياض ودفن في مقبرة العود[٣] .

(١) انظر: شبه الجزيرة، الزركلي، (١/ ٥٣٧-٥٣٩). تاريخ المملكة، العثيمين، (٢/ ٢٠٧-٢٠٨). تاريخ الدولة السعودية، أمين سعيد، (٢/ ١٩٣).

(٢) انظر: تاريخ المملكة، العثيمين، (١/ ٣٠٦-٣٠٨). تاريخ المملكة العربية السعودية، صلاح الدين مختار، (٢/ ٤٥٨-٤٦٠). تذكرة أولي النهي والعرفان ، إبراهيم بن عبيد، ص(٣/ ٢٩٠) .

(٣) انظر: تفصيل وفاة الملك عبدالعزيز في تاريخ المملكة العربية السعودية، صلاح الدين مختار، (٢/ ٥٣٥-٥٤٠). شبه الجزيرة، الزركلي، (٢/ ١٤٣٧). تاريخ الدولة السعودية، أمين سعيد، (٢/ ٤٧٣)، تاريخ المملكة، العثيمين، (٢/ ٣٥٥).

عهد الملك سعود[1]:

تولى الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود بعد وفاة والده الملك عبدالعزيز عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، وعين أخوه فيصل ولياً للعهد.

وقد شهدت البلاد في عهده تقدماً ملحوظاً في جميع المجالات في التعليم والعمران، والصحة والمواصلات، وشؤون الزراعة والتجارة الداخلية وتحول في عهده العديد من الإدارات إلى وزارات مثل: المعارف والزراعة والتجارة والإعلام. كما تم في عهده تطور الرياض عمرانياً بعد قرار نقل الوزارات إليها عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م، واستمر في الحكم إحدى عشر عاماً[2].

وعليه..

فإن معاصرة الشيخ فيصل رحمه الله في نشأته قيام الدولة السعودية الثالثة قد طبع في نفسه صورة أثرت في حياته وتجربته، فقد أفادته في مجابهة الأحداث وحل المشكلات في المستقبل، وقد ظهر ذلك جلياً في مشاركاته في فتوحات الملك عبدالعزيز، فقد انضم الشيخ رحمه الله إلى القوات السعودية التي افتتحت الأحساء وشارك في معركة جراب وقد أظهر فيهما شجاعة وبسالة فائقتين، ثم بعد ذلك انتدبته الدولة لعقد معاهدة صلح مع الإمام الإدريسي لحقن دماء المسلمين وجمع كلمتهم وقد وُفِّق في ذلك[3].

---

(١) سبقت ترجمته ص(٣٤).

(٢) انظر: الأعلام، الزركلي، (٣/ ٩٠). شبه الجزيرة، الزركلي (١/ ٥٦٧)، (٢/ ١٤٠٣- ١٤٠٤).

(٣) انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبدالرحمن بن عبدالله آل الشيخ، دار اليمامة للبحث، والترجمة، الطبعة الثانية، ص(٣٩٩). روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، محمد عثمان القاضي، طبع مطبعة الحلبي، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ، (٢/ ١٤٩). علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبدالله بن عبدالرحمن البسام، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ (٥/ ٣٩٦). العلامة المحقق والسلفي المدقق لحياة الشيخ فيصل آل مبارك، فيصل البديوي، دار البخاري للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، ص(١٤). المتدارك من تاريخ الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، محمد بن حسن آل مبارك، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ص(٣٢).

تلك الأمور مع غيرها جعلت الشيخ رحمه الله يحث كثيراً على طاعة أولي الأمر في المعروف، فقد كان رحمه الله كثيراً ما ينتهز الفرص من خلال مؤلفاته في الثناء على هذه الدولة السلفية والإشادة بدعوتها الإصلاحية، فهي التي حمى الله بها هذه البلاد من شر التفرق والتمزق والخلاف الفكري والسياسي والاجتماعي بوحدة شاملة راسخة وقوية، بعد أن عانت الكثير من فقدها ردحاً من الزمن، ثم مَنَّ الله عليها بالعيش في ظلها آمنه مستقرة، ولا زالت كذلك ولله الحمد والمنة.





الحالة الاجتماعية

وفيــه تمهيد ومطلبان : -

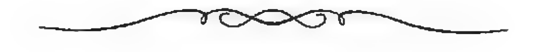
- المطلب الأول: الحالة الاجتماعية للبلاد قبل توحيدها.
- المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية للبلاد بعد توحيدها.

* * * * * *

تمهيـــــــد

تتأثر الحياة الاجتماعية في أي بلد من البلاد بالأوضاع السياسية والاقتصادية وبطبيعة البيئة لذلك البلد من موقع جغرافي ومناخ، لذلك نجد أنه نتيجة لاتساع مساحة شبه الجزيرة العربية فقد كان التنوع في العادات والتقاليد فيهاواضحاً حتى صار لكل قرية أو مدينة نمط معين من العادات والتقاليد والأعراف، وإن حصل بعض الاتفاق في الإطار العام لكونه مجتمع يعيش في ظل ثقافة إسلامية واحدة، واللغة العربية هي الوعاء الرئيسي لهذه الثقافة، إذ يتكلم السكان في نجد والأحساء والحجاز وعسير اللغة العربية وبلهجات متقاربة جداً.

لكن يبقى العامل الأكثر تأثيراً في الحياة الاجتماعية في عصر شيخنا الشيخ فيصل آل مبارك رحمه الله هو قيام الملك عبدالعزيز بمهمة توحيد مجتمع هذه الجزيرة تحت لواء دولة سعودية، تقوم على أساس تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في جميع شؤونها، وبذلك حقق لمجتمعه درجة كبيرة من الاستقرار الاجتماعي الذي يعد الأمن السياسي شرط مهم لتحقيقه[1].



(١) انظر: الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز، عبدالفتاح حسن أبو علية، دار المريخ، الرياض، طبعة عام ١٤٠٦هـ، ص(١١٥-١٢٥).

المطلب الأول: الحالة الاجتماعية للبلاد قبل توحيدها

لقد جاء الملك عبدالعزيز إلى مجتمع الجزيرة وهو في حالة متردية وغير مستقرة من الناحية الأمنية والاقتصادية[1]، ففي نجد نرى أن نسبة البدو فيه عالية حينذاك، ولكل من البدو والحضر عاداته وتقاليده الخاصة به، وقد يحصل تأثير من أحدهما على الآخر في بعض العادات والتقاليد، والبدو يرون أنفسهم أرفع من الحضر لعدم اختلاطهم في النسب مع آخرين[2].

ويختلف البدو عن الحضر في الحالة الثقافية والنشاط الاقتصادي، ففي البادية الحالة الثقافية متدهورة، ونشاطهم الاقتصادي ينحصر في الرعي لأغنامهم وإبلهم ومواشيهم، ويعيشون في بيوت من الشعر، وهم بطبيعتهم ألفوا حياة التنقل، ولا يميلون إلى الاستقرار ويمتازون بالخشونة والصبر على تحمل المشاق، وكانت الصراعات بينهم لا تتوقف خاصة على الأماكن الغنية بالعشب من أجل رعي مواشيهم[3].

ويخضع البدو لتنظيمات قبلية وأعراف وتقاليد لها صفة الإلزام وإن كانت تدل على الطبيعة البدوية إلا أنها لا تخالف روح الشريعة[4]، وينقسم البدو إلى عدة قبائل تحتل مناطق محدودة، ولكل قبيلة شيخ له السلطة الكاملة على أفراد القبيلة وهو المسؤول عن كل ما يحدث في القبيلة،وعليه يترتب الدفاع عن أفراد القبيلة عندما تتعرض لأي أذى من قريب أو بعيد، وعليه أيضاً تقوم مسؤولية تنظيم أمور القبيلة سواءاً ما يتعلق منها بالقبيلة نفسها، أو بعلاقتها بالقبائل المجاورة لها، وعليه أيضاً المحافظة على سمعة القبيلة ومكانتها بين القبائل، وقد يلجأ بعض شيوخ القبائل إلى تحكيم بعض الأعراف والتقاليد

---

(١) انظر: أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث ، العقيلي، ص(٣٥-٣٩).

(٢) انظر: تاريخ المملكة ،العثيمين، ص(٣٨).

(٣) انظر: الإصلاح الاجتماعي ، عبدالفتاح أبو علية، ص(١٤-٢٢).

(٤) انظر: المرجع السابق، ص(٢٧).

في الأمور الخاصة بالقبيلة جهلاً منهم بأحكام الشريعة الإسلامية[1].

أما الحضر:

فهم سكان المدن والواحات والقرى، ويتمتعون بصفة الاستقرار، ويعملون عادة بالزراعة والتجارة والصناعة اليدوية المحدودة، وكانت لهم صلات وثيقة مع البادية تجارية واجتماعية[2]، وكان معظمهم في الأصل من البادية ولكن استقرارهم في المدن والواحات والقرى أعطاهم صفة التحضر والاستقرار وكثير منهم ينتمون إلى قبائل عريقة، وهم يخضعون لأمير أو حاكم ويعتبر هذا الأمير أو الحاكم صاحب السلطة العليا في إدارة شؤون المدينة، أو الواحة أو القرية، ومن أهم مسؤولياته العمل على نشر الأمن والعدل في مدينته أو قريته، وصد الأخطار عن السكان الذين هم تحت حكمه وذلك بقدر المستطاع[3].

وسكان المدن أكثر التزاماً للأحكام الشرعية من البادية، ويعتمدون في تطبيق نص الأحكام على العلماء من مدرسين وقضاة ودعاة.

والحياة في المدينة مستقرة وثابتة، وتحيط بكل مدينة أسوار منيعة، عليها بوابات تفتح نهاراً فقط، وذلك لحماية المدينة من أي اعتداء خارجي.

ونجد هذه الفروق أيضاً في الأحساء، إلا أنه يلاحظ أن إقليم الأحساء أكثر انفتاحاً على الأجناس الأخرى من نجد بسبب موقعه الجغرافي وعلاقته التجارية، كما يوجد في حاضرته نسبة من غير أهل السنة وهم (الشيعة) ويرجعون في أكثريتهم إلى عناصر فارسية وهندية، كما أن نشاط الحاضرة فيها يشمل الزراعة والتجارة والصناعة مع زيادة

---

(١) انظر: نجد في الأمس القريب، عبدالرحمن بن زيد السوداء، دار العلوم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ص(١٩-٢٠). جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٣٧٨هـ، ص(٩-١١).

(٢) انظر: الإصلاح الاجتماعي، عبدالفتاح أبو علية، ص(١٤-١٥).

(٣) انظر: ما رأيت وما سمعت، خير الدين الزركلي، المطبعة العربية، مصر، عام ١٣٤٣هـ، ص(١٥١).

صيد السمك وصيد اللؤلؤ[1].

أما في الحجاز فإنه يشبه نجداً والأحساء في ارتفاع نسبة البدو بين سكانه، بينما نجد نسبة البدو تقل كثيراً في عسير، مع ملاحظة أن الحجاز بحكم مركزه الديني يمثل أجناس مختلطة ومختلفة وخاصة في المدن المقدسة (مكة والمدينة) من آسيا وأفريقيا، وفي عسير يوجد أجناس أفريقية بحكم موقعها القريب من أفريقيا لكن بدرجة أقل من الحجاز كثيراً[2].

وبهذا يتضح أن نسبة كبيرة من سكان الجزيرة من البدو، فهم يشغلون الحيز الأوسع منها[3]، وهم ليسوا على مستوى واحد من الخلق والطبع، ففيهم من اكتسب بعض المرونة من الحاضرة بحكم علاقتهم بها، ومنهم الجفاة القساة[4].



(١) انظر: الإصلاح الاجتماعي، عبدالفتاح أبو علية، ص(٤١-٤٧). جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبه، ص(٦٥-٧٠).

(٢) انظر: الاصلاح الاجتماعي ،عبدالفتاح أبو علية، ص(٧٧-٨٣) .

(٣) الاصلاح الاجتماعي، عبدالفتاح أبو علية، ص(١٢٥) .

(٤) انظر: شبه الجزيرة،الزركلي (١/ ٢٦٠). تاريخ المملكة، العثيمين، (٢/ ١٦٢) .

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية للبلاد بعد توحيدها

لقد كانت الوحدة السياسية والتطبيق لأحكام الإسلام هما المفتاح الرئيسي لحل هذه المشاكل كلها، ثم تأتي الحلول الأخرى بشكل تدريجي وهذا ما حصل.

فقد كان ضم الحجاز عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م هو المفتاح الأول لدخول الدولة عصر النهضة الحديثة. وهذا يرجع إلى أن الحجاز يعتبر أكثر المناطق تقدماً وأخذاً بأساليب الحضارة الحديثة في عهد مبكر بالنسبة لغيره من مناطق شبه الجزيرة المختلفة، ومن ذلك جانب الطباعة والصحافة مثلاً[١].

وقبل ذلك كان الملك عبدالعزيز قد أيقن في أول عهده بالحكم أن الصراع القبلي سوف يكون عقبة أمام استقرار البلاد سياسياً، لهذا عمد إلى مشروع يحل هذه المشكلة، ويقضي على ذلك الصراع ألا وهو توطين البادية عن طريق الهجر[٢] بل إنها قد قضت على مشاكل البدو كلها.

وقد كان التنفيذ هو عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، حيث كانت هجرة (الأرطاوية)[٣] أول هجرة بهذا المشروع وهي لقبيلة مطير[٤]، وقد عرف سكان الهجر باسم

---

(١) انظر: تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية، عثمان حافظ، طبع ونشر شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ (١/ ٣٦). صحافة الأمس والغد، عبدالله خياط، مطابع سحر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ص(٣٣).

(٢) مفردها هجرة، ولعل تسميتها جاءت من هجرة الرسول ﷺ وأصحابه من مكة إلى المدينة حيث يهجر الاخوان حياة التنقل والجهل إلى حياة الاستقرار والتعلم.

انظر: الاصلاح الاجتماعي، عبدالفتاح أبو عليه، ص(١٤١).

(٣) الأرطاوية تقع بين المجمعة وحفر الباطن في شرقي نجد في إقليم سدير التابع لإمارة منطقة الرياض. انظر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة « إمارة تبوك وحائل »، حمد الجاسر، طبع بالمطبعة العربية الحديثة، مصر، نشر دار اليمامة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ (١/ ٧٠).

(٤) جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبة، ص(٢٩٤). توحيد المملكة، المانع، ص(١١١). شبه الجزيرة، الزركلي، (١/ ١٨١). تاريخ المملكة، العثيمين، (٢/ ١٦٢-١٦٤).

(الاخوان)[1]، وتبدأ مراحل التنفيذ بحفر بئر، ثم بناء المسجد، ثم بناء المساكن ثم ارسال الدعاة والمرشدين لتبصيرهم بأمور دينهم[2].

وكانت أهداف ذلك المشروع متعددة الجوانب، فهي دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية بالإضافة إلى الهدف العسكري والذي تحقق بدرجة كبيرة، فقد كانت حروب الملك عبدالعزيز التي وقعت بين ضم الأحساء عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م وضم الحجاز عام ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م للإخوان وهم سكان الهجر دور كبير لا يمكن إنكاره أو إغفاله[3].

ثم لقد كان اكتشاف البترول في الأراضي السعودية عام ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م نقطة تحول في تاريخ البلاد وفي عصرها الحديث، فهو الحد الفاصل بين الدولة ذات الاقتصاد التقليدي إلى دولة حديثة ذات اقتصاد قوي، كما كان له تأثيرات على شتى مرافق الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والعمرانية في المملكة[4].

ففي الزراعة ظهرت مشروعات زراعية حديثة في نجد والأحساء[5]، وفي الصحة

---

(١) الاخوان: يعود الاسم إلى مبدأ التآخي الذي عملت به الجماعة الاسلامية الأولى التي اعتنقت الإسلام على يد الرسول ﷺ وكونت مجتمعاً اسلامياً مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ولكن حماس بعض الاخوان للإسلام بلغ حد الغلو والتعصب للرأي مما جعلهم سبباً في فتنة ما يسمى بـ(ثورة الاخوان) ضد الملك عبدالعزيز لأخذه بوسائل الحضارة الحديثة مثل السيارات والهاتف وغيرهما عندئذ قرر الملك عبدالعزيز حربهم، والتقى بهم في روضة السبلة عام ١٣٤٧هـ التي انتهت بهزيمة الاخوان. انظر: توحيد المملكة، المانع، (١٢٩-١٧٥). شبه الجزيرة، الزركلي، (١/ ٥٠٧). تاريخ المملكة، العثيمين، (٢/ ٢٢٤).

(٢) انظر: معجزة فوق الرمال، أحمد عسه، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٩٦٦م، ص(٦١-٦٥).

(٣) انظر: توحيد المملكة، المانع،ص (١١٢-١١٦). تاريخ نجد الحديث، الريحاني، ص(٢٦٤).

(٤) انظر: شبة الجزيرة، الزركلي، (١/ ٦٧٨-٧٠٠). تاريخ المملكة، العثيمين (٢/ ٣١٨-٣١٩). الاصلاح الاجتماعي، عبدالفتاح أبو علية، ص(١٩٤).

(٥) انظر: الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، خير الدين الزركلي، الطبعة الخامسة، ١٤٠٨هـ ص(٢٤٣-٣١٧).

افتتحت المستشفيات والمراكز الصحية[1]، وفي المواصلات ظهرت بعض الطرق المعبدة وسكة حديد الرياض الدمام، وفي التعليم توسع نشر التعليم الحديث. بما في ذلك ظهور التعليم الجامعي بظهور عدد من الكليات، ثم توالى افتتاح الجامعات، واهتمت الدولة أيضاً بتعليم البنات[2]، وفي الصناعة بدأت البلاد تدخل الصناعات الآلية الخفيفة بدلاً من الصناعات التقليدية اليدوية[3].

أما التجارة فقد تطورت هي الأخرى بسبب توفر الأمن والاستقرار وبسبب ارتفاع الدخل لدى الفرد السعودي من ناحية أخرى، فاتسعت الأعمال التجارية وخاصة في المدن الكبرى والموانىء المهمة مثل جدة والدمام التي أخذت السفن التجارية المحملة بالبضائع ترد إليها .

وأخذت الدولة تقوم بتوقيع الاتفاقات التجارية مع بعض دول العالم المهتمة بالتجارة، كما ظهرت مؤسسات تجارية للاستيراد والتصدير[4]، كل تلك الأمور كان لها الأثر الكبير على تطور حياة المجتمع السعودي وبداية عهده الحضاري، كما أن لذلك أيضاً الأثر الكبير في تشغيل عدد من الأيدي العاملة السعودية سواءاً كان ذلك في شركات البترول أم في المؤسسات الوطنية أم في الوظائف الحكومية، مما فتح المجال أمام الفرد السعودي لرفع دخله السنوي وتحسين مستوى معيشته، فأصبحت المملكة بعد ذلك مصدراً لجذب الوافدين للعمل فيها بعد أن كان بعض أهلها يهاجرون إلى خارجها بحثاً عن لقمة العيش[5].

---

(١) انظر: الوجيز، الزركلي، ص(٩٨).

(٢) انظر: التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، محمد عبدالله السلمان، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ، ص(١٤٧).

(٣) الاصلاح الاجتماعي، عبدالفتاح أبو عليه، ص (٢١١-٢١٢) .

(٤) انظر: الاصلاح الاجتماعي، عبدالفتاح أبو علية، ص (٢١٢-٢١٣) .

(٥) انظر: شبه الجزيرة ، الزركلي، (١/ ٧٤٢) .

وبذلك يكون المجتمع السعودي قد توفرت عنده نعمة الأمن والمال واللتان هما مطلب كل إنسان على وجه الأرض، مما أدى ذلك إلى استقرار اجتماعي كان له أثره الكبير في الاستقرار الفكري .

والحاصل:

أن الشيخ فيصل رحمه الله قد نشأ في شبه الجزيرة العربية في بيئة داخلية، تسير هذه البيئة وفق النظام القبلي، مما أدى ذلك إلى تأخر الامتزاج السكاني لهذا المجتمع بغيره من المجتمعات المليئة بالتعقيد الفلسفي والكلامي، فقد كان ذلك المجتمع النجدي يتصف بجميع الصفات العربية الأصيلة المتفقة مع تعاليم الإسلام والتي كان عنوانها البساطة، فلم يوجد فيه صراعات ومذاهب واتجاهات، بل كان مجتمعاً موحداً يقوم على الاتجاه السلفي والعقيدة السلفية التي كانت لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[1] أكبر الأثر في تثبيت دعائمها وكان لنصرة الدولة السعودية لهذا الاتجاه في جميع أدوارها أثراً كبيراً في استمرارها .

تلك الظروف السابقة ظهر أثرها واضحاً في أسلوب الشيخ رحمه الله كما يبدو من خلال تآليفه المتنوعه، فقد كان رحمه الله واضح العبارة، سهل المأخذ، أبعد ما يكون عن التنطع والتعقيد، ملتزماً بالمنهج السلفي، بعيداً كل البعد عن منهج الفلاسفة والمتكلمين.

---

(١) هو إمام التوحيد وحامل لواء التجديد على نهج السلف الصالح محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي، رحل لطلب العلم، وتلقى عن كثير من العلماء في المدينة والشام والبصرة، ودعى إلى التوحيد، وجاهد من أجل نشره، وقد ترك حصيلة من المؤلفات وطائفة من التلاميذ فنفع الله بهم، وقد ألفت في سيرته كتب كثيرة، توفي في الدرعية سنة (١٢٠٦هـ).

انظر: الأعلام، الزركلي (٦/ ٢٥٧). عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، (١/ ٧-٩). تذكرة أولي النهي والعرفان، ابن عبيد، (١/ ١٣).



المبحث الثالث

الحالة العلميـــة

وفيــه مطالـــب : -

- المطلب الأول: التعليم القديم « غير النظامي » .
- المطلب الثاني: التعليم الحديث.
- المطلب الثالث: الصحافة والمكتبات.
- المطلب الرابع: تعليم البنات .

* *   * *   * *

المطلب الأول: التعليم القديم « غير النظامي »

كان التعليم في أول عهد الملك عبدالعزيز حتى ضم الحجاز يقوم على نظام التعليم القديم أو ما يسمى بالتعليم التقليدي[1]، والقائم على الدراسة في المراحل الثلاثة لذلك التعليم وهي الكتاتيب، ثم حلقات المساجد، ثم الرحلات لطلب العلم.

المرحلة الأولى: « الكتاتيب » .

والكتاتيب: جمع كُتَّاب، وقد كان دورها هو محاربة الجهل والأمية، واستمرت حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري حيث حل محلها مدارس التعليم الحديث في المملكة العربية السعودية[2].

والكتاتيب في مناطق المملكة متشابهة من حيث: أهدافها، والمحتوى الدراسي المقدم فيها، وطريقة التدريس.

-**أما عن أهدافها:** فتعليم الطلاب القراءة والكتابة وتلاوة القرآن وحفظه ومبادئ الحساب وكذلك الإملاء والخط[3].

-**وأما عن منهج الدراسة:** فهوتعليم مبادئ القراءة والكتابة بدءاً بحروف الهجاء العربية وذلك حسب الطريقة البغدادية المشهورة والتي تقوم على تعلم حروف الهجاء في حالات الفتح والكسر والضم، كما يتعلم الطلاب تلاوة القرآن الكريم وحفظه وكذلك يتعلمون مبادئ في الحديث الشريف وفي الفقه وأصول الدين، ويعتبر كتاب الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبدالوهاب هو المعتمد في هذا الجانب.

كما يدرس الطالب فيها مبادئ قواعد اللغة العربية، ومبادئ الحساب فكان من

---

(١) انظر: الإصلاح الاجتماعي، عبدالفتاح أبو علية، ص(٢٩).

(٢) انظر: تاريخ المملكة العربية السعودية، العثيمين، ص(٣٢٥).

(٣) انظر: المرجع السابق، ص(٣٢٣).

الأمور السلبية في دراسة الكتاتيب أن الحفظ كان عماد الدراسة فيها لا التفكير[1].

-**وأما عن طريقة التدريس**: فلا ترتبط بمكان أو زمن معين، فقد تكون في جزء من المسجد أو في غرفة تبني بجوار المسجد أو في منزل المدرِّس أو غيرها، وكذلك الزمن فهي تعتمد على جهد الطالب واستعداده وإدراكه ولا تقل عن أربع ساعات في الغالب.

وتكون على فترتين صباحية ومسائية، وتستمر الدراسة طوال العام ولا تعطل سوى أيام الأعياد الإسلامية فقط[2].

كتاتيب البنات: كالتي كانت تسير جنباً إلى جنب مع كتاتيب البنين، إذ كانت لا تخلو مدينة أو قرية في المملكة توجد فيها كتاتيب للبنين من وجود كتاتيب للبنات في غالب الأمر[3].

لقد كانت الكتاتيب هي النواة الأولى للعلم والمعرفة في تلك الحقبة من الزمن، وبدونها لا يستطيع الشخص أن يسير في تعلمه بخطى صحيحة.

المرحلة الثانية: حلقات المساجد.

يرجع تاريخها إلى عهد الرسول ﷺ حينما قدم المدينة، وبنى فيها مسجده وفيه التف حوله الصحابة ﷺ يتلقون القرآن الكريم ويستمعون للحديث النبوي الشريف، وقد استمرت حلقات التعليم في المساجد منذ ذلك الحين تؤدي دورها الكبير في تعليم الناس وتثقيفهم[4].

وحلقات المساجد في مناطق المملكة لا تختلف عن بعضها في أهدافها ومنهجها الدراسي وطريقة التدريس.

---

(١) انظر: جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبة، ص(١٢٤).

(٢) انظر: نجد في الأمس القريب، عبدالرحمن السويداء، ص(٢٠٩).

(٣) انظر: التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، محمد السلمان، ص(٤٩).

(٤) انظر: الإصلاح الاجتماعي، عبدالفتاح أبو علية، ص(٢٩). تاريخ المملكة، العثيمين، ص(٣٢٤).

-**أما أهدافها:** إعداد الطالب لتولي المناصب الدينية مثل: القضاء والإمامة، والخطابة والتدريس والإفتاء وغيرها.

-**وأما منهج الدراسة:** فيتركز على العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية[(١)]، ففي الحلقات يدرس: القرآن وتجويده والتفسير، والحديث وشروحه ومصطلحاته، والفقه ومصطلحات الفرائض، وفي مجال اللغة العربية يدرس النحو والصرف والبلاغة ونحو ذلك، كما يدرس أيضاً التاريخ الإسلامي، وقد يدرس مواد أخرى كالحساب والفلك والجغرافيا[(٢)]، وبعض المشايخ يدرس في حلقاته العلوم الشرعية واللغوية معاً[(٣)]، والبعض الآخر قد يركز على مادة أو جانب واحد من العلوم مما يضطر الطالب بعد ذلك أن يبحث عن حلقات أخرى ليدرس العلوم الأخرى.

-**وأما طريقة التدريس:** فهذا النوع من التعليم أكثر تركيزاً على العلوم من الكتاتيب، ويتم على نظام حلقات، وقد يوجد في المسجد عدة حلقات لعدة مشايخ ومثال ذلك، حلقات المسجد الحرام، والمسجد النبوي، وتعتمد الدراسة على قراءة موضوع معين من أحد المصادر الرئيسية للعلم ثم يشرح الشيخ العبارات الغامضة، وقد يحصل في بعضها بحث ومناقشة وإبداء للرأي من طلاب العلم[(٤)].

ووقت الدراسة في الحلقات متفاوتة، وغالباً ما ترتبط بأوقات الصلوات الخمس في المسجد.

---

(١) انظر: تاريخ المملكة، العثيمين، ص(٣٢٤).

(٢) التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، محمد السلمان، ص(٥٩).

(٣) هذا المنهج كان لشيخنا الشيخ فيصل المبارك، فقد طلب ﷺ من تلاميذ المدارس أن يدرسوا على يديه علم المواريث صباحاً قبل ذهابهم إلى مدارسهم، وكذلك طلب منهم دراسة اللغة العربية بعد صلاة العشاء، ودرسهم كتاب (ملحمة الإعراب).

انظر: المتدارك، محمد المبارك، ص(٤٤).

(٤) كانت هذه الطريقة هي طريقة شيخنا في تدريسه لطلبة العلم العلوم الشرعية واللغوية في مسجده في سكاكا.

المرحلة الثالثة: « الرحلات العلمية »

هذه هي المرحلة العلمية المتقدمة من مراحل التعليم القديم، وهي بمثابة الابتعاث في التعليم الحديث، لكنها كانت مقتصرة على البلاد الإسلامية فقط، وقد كانت الرحلات العلمية للعلماء في ذلك الحين تؤدي في أكثر الأحيان إلى حصول العالم في رحلته على إجازة علمية من أحد مشايخه، وهي بمثابة الشهادات العلمية في الوقت الحاضر.

وقد عرفت الرحلات لطلب العلم منذ عصور التاريخ القديم، وقد أشار القرآن الكريم إلى سفر موسى عليه السلام لطلب العلم على يد الخضر عليه السلام وذلك في سورة الكهف[1] كما ملئت كتب التاريخ والتراجم في الحديث عن رحلات العديد من علماء المسلمين لطلب العلم من مراكز الحضارة الإسلامية المختلفة التي انتقلت بانتقال مركز الخلافة الإسلامية من المدينة المنورة إلى خارج الجزيرة العربية منذ عصر الخلفاء الراشدين، وكان ذلك من أسباب إهمال الجزيرة العربية في العصور الإسلامية التي أعقبت ذلك مبدءاً بعهد الدولة الأموية حتى عهد الدولة العثمانية، فقد هدرت حالة تلك البلاد في النواحي السياسية والدينية والإقتصادية، وكذلك الثقافية، وخاصة بلاد نجد التي افتقرت إلى تلك الحركات الثقافية التي قامت في حواضر العهود الإسلامية القائمة مثل: دمشق وبغداد والقاهرة إضافة إلى الحجاز لمكانته الدينية.

ثم كان ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد سبباً في نشاط الحركة العلمية الدينية فيها، وخاصة في مجال دراسة العقيدة الإسلامية (علم التوحيد) وفي الفقه الحنبلي، وتركز ذلك في العيينة ثم الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، ثم الرياض عاصمة الدولتين السعوديتين الثانية والثالثة، وفي عهد الملك عبدالعزيز بالذات أصبحت الرياض موئل القاصدين من مختلف بلدان نجد وغيرها لتلقي العقيدة السلفية على علمائها، وقل أن نجد عالماً لم يطلب العلم على علمائها في تلك الفترة[2] .

(١) الآيات من (٦٠-٨٢)، انظر: تفسير القرآن العظيم ابن كثير، دار الفكر، بيروت،لبنان، (٣/ ٩٢-١٠٤).

(٢) انظر: الدولة السعودية الأولى، عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، ص(٣٣-٣٥). تاريخ نجد، الريحاني، ص(٣٥-٤٣).

ولما دخلت الحجاز في حكم الملك عبدالعزيز عام ١٣٤٤هـ صارت مكة المكرمة ومسجدها الحرام والمدينة المنورة ومسجدها النبوي مراكز علمية مهمة لنشر العلم الشرعي والعقيدة السلفية في المملكة والعالم الإسلامي[1] .

لم تكن الرحلات العلمية للعلماء سهلة وميسرة بل كان يعترضها كثير من الصعوبات، فصعوبة وسائل النقل وطرقها، وقلة الموارد المالية، وكثرة الاضطرابات السياسية، وتواجد قطاع الطرق وانعدام الأمن، كانت عقبات قد تقف في وجه طالب العلم ومع ذلك استطاع العلماء التغلب على تلك المصاعب في سبيل طلب العلم .

ومن العلماء في المملكة الذين كثرت رحلاتهم إلى العديد من البلدان، وعانوا في أسفارهم كثيراً من المصاعب الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك فقد كانت له رحمه الله رحلاته العلمية الداخلية منها والخارجية، وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه .

وبهذا يكون التعليم التقليدي على الرغم من إمكانياته الضعيفة قد أدى دوراً ملموساً في ملء فراغ هائل عانت منه البلاد تحت نير الأمية والجهل، والتي غذتها عوامل عديدة لعل من أهمها عدم استقرار الأمور أول الأمر بسبب الحروب والمنازعات، إضافة إلى الفقر الذي كانت تعيشه البلاد في ذلك الحين؛ مما يجعل رب الأسرة يشتغل من الصباح الباكر إلى آخر النهار للحصول على لقمة العيش .

وإذا كان التعليم الحديث قد جاء إلى البلاد في وقت متأخر نسبة لبعض الأقطار العربية والإسلامية الأخرى، فإنه وجد السبيل أمامه ممهداً نوعاً ما لما قام به أصحاب التعليم التقليدي من جهود، وما بذلوه من تضحيات واستمر التعليم التقليدي يؤدي دوره جنباً إلى جنب مع التعليم ردحاً من الزمن بل لا يزال له وجود في بعض أنواعه كالحلقات العلمية في الوقت الحاضر .



(١) انظر: الاصلاح الاجتماعي، عبدالفتاح أبو علية، ص(٢٣٨) .

المطلب الثاني: التعليم الحديث

لقد حظى التعليم الحديث في المملكة العربية السعودية برعاية مبكرة وكبيرة من المؤسس الأول الملك عبدالعزيز، والذي وضع البذور الأولى وأرسى الدعائم لنهضة تعليمية فريدة .

ولما كانت الدولة السعودية في أدوار تاريخها تسير على المنهج الإسلامي والدعوة السلفية، فقد اهتم الملك عبدالعزيز بأن يسير التعليم الحديث على ما تسير عليه المملكة من أسس وأهداف إسلامية نبيلة، فاهتم بتحصين الشباب السعودي بجنسيه بالعلوم الإسلامية والعربية؛ لأنهما أساس فهم عقيدة الإسلام على الوجه الصحيح، ولهذا نرى أن التركيز عليهما في المناهج لجميع مراحل التعليم الحديث فأعطيت نصيباً وافراً من الحصص والمحاضرات سواءاً في المرحلة الابتدائية أو في المتوسطة أو الثانوية أو في الجامعية، مع الاهتمام بدراسة العلوم الأخرى المساعدة كالجغرافيا والهندسة والرسم[١] .

وتعود جذور التعليم الحديث في بعض مناطق البلاد إلى العهد العثماني، ذلك أنه كان موجوداً مع إطلالة القرن الرابع الهجري في الحجاز، ومنه ماكان حكومياً مشابهاً لما هو مطبق حينذاك في مدارس بقية ولايات الدولة العثمانية من حيث المواد المدرّسه، ومن حيث اللغة التي تدرس بها تلك المواد؛ وهي اللغة التركية[٢]. ومنه ما كان أهلياً معتمداً على نفقة المحسنين،ومتخذاً من اللغة العربية أداة للتدريس[٣]، ولهذا التعليم في المملكة فضل كبير في نهضتها الحديثة، فإن القائمين بالأعمال الحكومية في الدولة، كان معظمهم من خريجي المدارس الأهلية التي أنشئت قبل عهد الملك عبدالعزيز وفي عهده[٤] .

(١) انظر: جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبه، ص(١٢٦) .

(٢) كان هذا تعليم موجّه تريد منه الدولة نشر ثقافتها التركية، وهو ما يعرف بسياسة التريك في الدولة العثمانية في تلك الفترة .

(٣) انظر: تاريخ المملكة، العثيمين، ص(٣٢٥) .

(٤) انظر: شبه الجزيرة، الزركلي، (١/ ٦٤١) .

وعندما استقل الحسين بن علي بالحجاز عن الدولة العثمانية اهتم بالتعليم اهتماماً كبيراً وجعل هناك وكالة خاصة به، وافتتحت عدة مدارس في المنطقة[1] .

وكانت البذرة التي بذرها العثمانيون في مجال التعليم المنظم في الحجاز، ثم تولى رعايتها الحسين بن علي، قد جعلت من تلك المنطقة أرضاً مناسبة تقوي عزيمة الملك عبدالعزيز لاتخاذ القرار الصائب لبدء حركة تعليمية منظمة في البلاد، فكان أول عمل قام به بعد دخوله الحجاز هو إنشاء (مديرية المعارف العامة) في غرة رمضان من عام ١٣٤٤هـ جعل مهمتها الاشراف على سياسة التعليم ونشر المدارس الحديثة بما يحقق تقدم المملكة وتطورها على الوجه الإسلامي الصحيح[2] .

وقد سارت مديرية المعارف في افتتاح مدارسها على سياسة التدرج في تحقيق أهدافها، فعملت أولاً على إيجاد المؤسسة التعليمية التي تمدها بالمدرسين اللازمين لمدارسها الابتدائية، فكان إنشاء المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة[3] .

ولما ظهرت الحاجة إلى توفير علماء وقضاة ومرشدين في مجال العلوم الشرعية جاء إنشاء مدرسة (دار التوحيد بالطائف)[4]، ولما واجهت مشكلة الحاجة إلى قضاة ومدرسين على المستوى الجامعي جاء إنشاء (كلية الشريعة بمكة)[5]، وهكذا سارت مديرية المعارف على سياسة التدرج حسب الحاجة .

وقد قامت المديرية أيضاً بالتعاقد مع مدرسين من الخارج للتدريس في المراحل التعليمية المختلفة وذلك لحل مشكلة ندرة المدرسين، كما سارعت إلى إرسال بعثات

---

(١) انظر: تاريخ مكة، أحمد السباعي، (٢/ ٢٣٦-٢٣٨) .

(٢) انظر: لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة العربية السعودية، عبدالعزيز آل الشيخ، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ص(١٦). تاريخ المملكة، العثيمين، ص(٣٢٦-٣٢٧) .

(٣) انظر: شبه الجزيرة، الزركلي، (١/ ٦٣٦). تاريخ المملكة، العثيمين، ص(٣٢٨) .

(٤) تاريخ المملكة، العثيمين، ص(٣٣٠) .

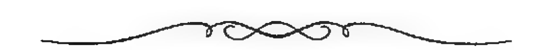
(٥) المرجع السابق، ص(٣٣١) .

طلابية للدراسة الجامعية في جامعات الدول العربية وخاصة مصر .

وقد بقيت حركة الإبتعاث إلى عصرنا هذا في الدراسات والتخصصات التي لاتتوفر داخل المملكة .

ولم تكتف الدولة في عهد الملك عبدالعزيز بجعل التعليم مجاناً للجميع، بل إنها قامت بتوزيع الكتب الدراسية مجاناً في التعليم العام، وخصصت مكافآت مجزية لطلاب بعض المدارس كمدارس تحفيظ القرآن والمعاهد، وطلاب الكليات .

ثم اتسعت أعمال « مديرية المعارف » بعد وفاة الملك عبدالعزيز، فجعلت « وزارة» مقرها كسائر الوزارات في الرياض، وكان أول من تولاها الأمير فهد بن عبدالعزيز، حتى أول رجب ١٣٨٠هـ، وفي عهده أُنشئت « جامعة الرياض »[1] التي أصبح اسمها الآن « جامعة الملك سعود » .



(١) انظر: شبه الجزيرة، الزركلي، (١/ ٦٤٨) .

المطلب الثالث: الصحافة والمكتبات

(أ) الصحافة:

لقد كانت الحجاز أول مناطق الجزيرة العربية عهداً بالصحافة في عهد الملك عبدالعزيز، وذلك لوجود بعض الصحف في الحجاز قبل العهد السعودي، سواء في العهد العثماني أو الهاشمي[1]، ولما جاء عهد الملك عبدالعزيز، ظهرت بعض الجرائد والمجلات في الحجاز .

فأما الجرائد فإن جريدة (أم القرى) تعتبر أول بداية للصحافة في ذلك العهد وكانت تسمى (القبلة) في عهد الشريف حسين بن علي، ولما دخل الملك عبدالعزيز مكة استبدل اسمها بـ(أم القرى) وصدر أول عدد منها في عام ١٣٤٣هـ، ولقد اعتبرت الجريدة الرسمية للدولة، ثم في عام ١٣٥٠هـ صدرت في الحجاز الجريدة الثانية باسم (صوت الحجاز) إلا أنها توقفت أثناء الحرب العالمية الثانية ثم عادت باسم (البلاد السعودية) وأصبحت جريدة يومية، وانقضى عهد الملك عبدالعزيز دون أن يوجد أي أثر لجريدة تصدر في المناطق الأخرى للمملكة .

وأما المجلات فقد ظهرت في المدينة ثم في مكة (مجلة المنهل) عام ١٣٥٥هـ، ثم في عام ١٣٦٦هـ ظهرت (مجلة الحج).

أما في نجد فأول عهد للصحافة فيها كان عام ١٣٧٢هـ حيث صدرت في الرياض مجلة « اليمامة »[2] وكانت تصدر على هيئة مجلة شهرية .

أما في المنطقة الشرقية من المملكة فكان أول عهد لها بالصحافة عام ١٣٧٢هـ مجلة « قافلة الزيت » تصدرها شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو)[3]، ثم تتابعت

---

(١) انظر: تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية، عثمان حافظ، ص(٣٦) .

(٢) أسسها الشيخ حمد الجاسر، ولا زالت تصدر حتى الآن عن مؤسسة اليمامة، لكنها الآن أسبوعية .

(٣) انظر: شبه الجزيرة، الزركلي، (٢/ ١٠٢٦-١٠٢٨) .

الصحف والمجلات بعد ذلك .

(ب)المكتبات:

لم يكن في المملكة في عهد الملك عبدالعزيز مطابع ذات جودة، مع أنه وجدت بعض المطابع في الحجاز في مكة والمدينة وجدة بعضها من بقايا العهد العثماني، وبعضها أنشئت بعد ذلك لكنها كانت ضعيفة المستوى بالنسبة لما يوجد في مصر وبلاد الشام وغيرها، ولهذا نرى أن الكتب التي أمر الملك عبدالعزيز بطبعها كانت تطبع في تلك الديار وليس في داخل المملكة .

ومن الكتب النفيسة التي أمر الملك بطبعها كتب دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، وكتب أخرى في تفسير القرآن (تفسير ابن كثير وتفسير البغوي) وفي التاريخ (البداية والنهاية، تاريخ ابن هشام) وفي الفتاوى (شيخ الإسلام، الدرر السنية) وفي الفقه (المغني لابن قدامه) وفي أصوله (روضة الناظرين) وفي التوحيد (ابن خزيمة، محمد بن عبدالوهاب، فتح المجيد، شرح الطحاوية) وكذلك في الحديث (جامع الأصول لابن الأثير) وفي الردود (الرد على المنطقيين، الصواعق المرسلة) وفي الخطب (خطب محمد بن عبدالوهاب وأحفاده) وفي المواعظ (النفحة القدسية لأحمد الحفظي) وفي الأدب والشعر، طبعت على نفقته ووزعت على العلماء وطلبة العلم بالمجان، فكان لها تأثيرها الكبير في نشر الوعي الإسلامي والثقافة الإسلامية الصحيحة[١] .

وبهذا يمكن القول بأنه قد تضاعفت أعداد المكتبات العامة في مناطق المملكة فقد أصبحت كل مدرسة وكل معهد وكل كلية تحوي مكتبة ينهل منها طلاب العلم ما يختارونه من ألوان الثقافة والمعرفة .



(١) شبه الجزيرة، الزركلي، (٢/ ١٠٢٩-١٠٤٦). عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب، عبدالعزيز أحمد الرفاعي، مطبوعات مكتبة الملك فهد، الرياض، ١٤٠٨هـ ص(٦) فقد أحصى الكتب فوصلت ٩٨ كتاباً .

المطلب الرابع: تعليم البنات

لقد كان تعليم البنات في عهد الملك عبدالعزيز مقتصراً على الكتاتيب الخاصة بالبنات، ولكن تلك الكتاتيب كانت أقل من كتاتيب الأولاد[1]، ثم افتتحت مدارس أهليه للبنات في الحجاز مدعومة من قبل الحكومة، وكانت تقتصر على تعليم البنات قراءة القرآن ومبادىء الكتابة والحساب، وذلك مثل: مدرسة بنات دار العلوم الدينية التي أنشئت عام ١٣٦٢هـ في مكة، ومدرسة الفتاة للثقافة في مكة، ومدرسة تهذيب الأخلاق في مكة[2].

لم يظهر التعليم الحكومي للفتاة بالمملكة إلّا بعد عهد الملك عبدالعزيز في عام ١٣٨٠هـ في عهد الملك سعود، وذلك بعد دراسة مستفيضة لظروف البلاد الإجتماعة قررت الدولة أن تفتح مدارس حكومية للفتيات فأنشأت رئاسة عامة لتعليمهن باسم (الرئاسة العامة لتعليم البنات) أخذت على عاتقها نشر المدارس الحكومية للبنات بمراحلها المختلفة في كافة مناطق المملكة.

وبهذا فإن الفترة والبيئة التي عاش فيها الشيخ فيصل رحمه الله شهدت تغيرات في الوضع التعليمي حيث عاش الفترتين التعليميتين، الطريقة التعليمية التقليدية السائدة في البيئة والتي نشأ فيها الشيخ هي الكتاتيب والمساجد، وحلقات العلماء ثم الرحلات العلمية، والتعليم فيها ليس إجبارياً، ولم يكن منظماً، ولكنه أدى دوره الكبير وسد فراغاً هائلاً، وفي آخر هذه الفترة جاء التعليم الحديث ليقيم أنظمته بشكل لا يبتعد عن أنظمة التعليم التقليدي كثيراً، بل جعله نواة صالحة له، ودعماً في تحقيق أهدافه وآماله الكبار، والذي كان الشيخ أحد دعائمه.

---

(١) انظر: التعليم في عهد الملك عبدالعزيز، محمد السلمان، ص(١٧٨-١٨٠).

(٢) انظر: الإصلاح الاجتماعي، عبدالفتاح أبو عليه، ص(٢٤٤).

وللتعليم الحديث الأثر الواضح في تطور المملكة اجتماعياً وثقافياً، فقد اهتم اهتماماً كبيراً بتعليم المرأة، كما كان له أثر كبير على تطور الصحافة في المملكة وعلى نشاط حركة التأليف .



الحالة الدينية

وفيـــه مطلبـــان : –

۞ المطلب الأول: الحالة الدينية للبلاد في العقيدة وأصول الدين.

۞ المطلب الثاني: الحالة الدينية للبلاد في بعض مظاهر الإسلام العملية.

* *　　* *　　* *

المطلب الأول: الحالة الدينية للبلاد في العقيدة وأصول الدين

لقد أنعم الله تعالى على هذه البلاد بظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[1] في ربوعها، وذلك بالاتفاق الديني والسياسي بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود في الدرعية عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤هـ.

فقد وجد الشيخ من الأمير النصر والتأييد للدفاع عن الدعوة ونشرها وبقي الحماس للدعوة موجوداً في الدولتين السعوديتين الثانية والثالثة[2].

وكانت تلك الدعوة قد قامت لتصحيح أوضاع الجزيرة العربية خاصة، والعالم الإسلامي عامة من الناحية الدينية، فقد شاب عقيدة المسلمين حينذاك انحراف عن العقيدة الصحيحة التي أنزلها الله تعالى على رسوله ﷺ ودخل على هذه العقيدة في نفوس المسلمين الكثير من الشركيات والبدع والخرافات[3]، لعل من أخطرها البدع التي يفعلها كثير من العامة عند القبور من الاستعانة والاستغاثة وطلب الشفاعة والحاجات من أصحابها، وهو أمر يصل إلى الشرك الأكبر، لأن في ذلك عدم تحقيق لتوحيد الألوهية الذي هو توحيد الله بأفعال العباد من دعاء وذبح ونذر واستغاثة وغير ذلك من الأمور التي لا يجوز صرفها إلا لله تعالى[4].

والواقع أن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وجدت معارضة في كل أقاليم

---

(١) سبقت ترجمته، ص(٥٠).

(٢) انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، محمد عبدالله السلمان، ط١٤٠٧هـ ص(٧٤).

(٣) لمعرفة تفصيل الحالة الدينية وقت ظهور الدعوة، انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن بشر، (١/ ١٩-٢٠).

(٤) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع: عبدالرحمن القاسم، من مطبوعات دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية، ط١٣٨٨هـ (٢/ ٣٤-٣٧).

الجزيرة العربية أول الأمر، سواء كان ذلك في نجد أو الأحساء أو عسير وتهامة أو الحجاز، ولكن التأييد السياسي لهذه الدعوة المتمثل بالدولة السعودية في أدوارها الثلاثة كان من أهم عوامل انتشارها[1].

وقد أشار الشيخ فيصل رحمه الله إلى هذه الدعوة وأثرها عند شرحه لكتاب التوحيد فقال: « والمصنف هو الإمام العالم التقي شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب مجدد القرن الثاني عشر، نشأ في بلاد نجد، وهم في أسوأ حال في أمور دينهم ودنياهم، وقد فشا فيهم الشرك الأكبر والأصغر، وكانوا متفرقين يغير بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم بعضاً، فدعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، والاجتماع على دينه، فعمد بعض أقرانه لرد دعوته بغياً وحسداً كفعل أعداء الرسل، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾[2] »[3].

ثم يذكر الشيخ رحمه الله صبر الشيخ على فعل خصومه وتأييد الدولة السعودية لهذه الدعوة المباركة، فيقول متحدثاً عن حال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في دعوته: « فصبر ومضى ودعا إلى الله على بصيرة فنصره الله وأيده بهذه الشجرة المباركة وهم آل سعود فقاتلوا الناس، وهدموا القبور التي تعبد من دون الله، وألزموهم بسنة رسول الله ﷺ وهذا مصداق قوله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى)[4] »[5].

---

(١) انظر: الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حياته وفكره، عبدالله العثيمين، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٠٤هـ، ص(٦٨-٦٩).

(٢) سورة الأنعام: آية (١١٢).

(٣) القصد السديد على كتاب التوحيد، ص(٢٢).

(٤) أخرجه أحمد (٢٨/ ٩٤٩). وابن حبان في صحيحه، (١٥/ ١٠٩). وصححه الألباني في صحيح الجامع، (ح/ ٧٢٩١)، (٢/ ١٢١٩).

(٥) القصد السديد، ص(٢٢).

ولكن الدولة العثمانية عادت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية منذ أول ظهورها، وحاولت القضاء عليها بالقضاء على دولتها السعودية الأولى عن طريق واليها على مصر محمد علي، الذي أسقط الدرعية قاعدة الدولة، إلا أن الدعوة بقيت في المجتمع النجدي خاصة، ثم حاربت الدولة السعودية الثانية، ثم الثالثة، إلى أن زال حكم محمد علي الذي حاول القضاء على هذه الدعوة(1).

وبهذا فإنه يمكننا استعراض الحالة الدينية للبلاد في ما يتعلق بالعقيدة وأصول الدين على مرحلتين:

قبل توحيد البلاد:

فقد كان ضعف الدولة السعودية أو غيابها عن الساحة في بعض أجزاء الجزيرة العربية سبباً في نشاط أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في إعادة كثير من الأمور المخالفة للدعوة، سواء كان ذلك في الأحساء أو عسير أو حتى في الحجاز.

ففي الأحساء كان لفترة الحكم العثماني من عام ١٢٨٨هـ إلى ١٣٣١هـ دور في ظهور بعض المظاهر في المنطقة البعيدة عن الدعوة السلفية، فظهرت بعض البدع والشركيات التي حاربتها الدعوة قبل ذلك، وخاصة بدع القبور.

ولعل مما يصور حالة الأحساء الدينية في فترة الحكم العثماني قصيدة الشيخ سليمان بن سحمان(2)، المتوفى عام ١٣٤٩هـ يهنئ فيها الملك عبدالعزيز بعد نجاحه بضم

(١) انظر: داعية التوحيد محمد بن عبدالوهاب، عبدالعزيز سيد الأهل، ط١٣٩٤هـ، ص(١٣٧-١٣٨).

(٢) هو الشيخ سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مسفر الخثعمي التبالي العسيري النجدي، ولد في قرية السقا بعسير عام ١٢٦٨هـ، وانتقل مع والده إلى الرياض أيام فيصل بن تركي فتلقى العلم هناك، وتولى بعض المناصب،ثم تركها، وتفرغ للتصنيف والتعليم، له مؤلفات عديدة في التوحيد وغيره، وأغلبها ردود ناصر فيها دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وله ديوان شعر، كف بصره في آخر حياته، وتوفي في الرياض عام ١٣٤٩هـ.

انظر: الأعلام، الزركلي (٣/ ١٢٦). مشاهير علماء نجد، عبدالرحمن آل الشيخ، ص(٢٩٠-٣٢٢).

الأحساء عام ١٣٣١هـ، وهي المعركة التي شارك في فتحها الشيخ فيصل المبارك وهو في التاسعة عشر من عمره.

يقول الشيخ سليمان في قصيدته[١]:

بهجر أضاء الفجر واستعلق الرشد	وباء على أطامها الطالع السعد
وقد كان أهلها بأسوأ حالة	وقد فتحت للكفر أعنيه الرمد
وكانت قضاة السوء تصرخ جهرة	بتمجيد عباد القبور وهم ضد
وتمجيد ضباطٍ لهم وعساكر	فبعداً لهم وسحقاً لمن ودوا
وقد أظهر الأرفاض منهم شعارهم	ومددنا يداً نحو العلا وبها امتد
وفيها الخنا والخمر والزمر ظاهر	وما ليس محصوراً وما ليس له عد
فناء بها سعد السعود فأسفرت	بآل سعود هجر وافتخرت نجد

أما في عسير وتهامة فالواقع أن الحالة الدينية قبل ضم الملك عبدالعزيز لها لاتختلف عن أية حالة دينية لمنطقة يقل فيها الدعاة المصلحون.

فقد كانت تقام شرائع الإسلام الظاهرة، لكن يشوبها بعض البدع المتوارثة والأمور الشركية، مثل: تقديس الأولياء والتبرك بالقبور، وإتيان السحرة والكهان وتصديقهم، مع بعض البدع الأخرى كبدعة الاحتفال بالختان، واختلاط الرجال بالنساء في المناسبات[٢].

أما في الحجاز، فعلى الرغم من وجود الحرمين الشريفين إلا أنها لم تكن تختلف عن غيرها من المناطق في حالتها الدينية إن لم تكن أشد، وخاصة فيما يتعلق بمسألة بدع القبور.

---

(١) تذكرة أولي النهى والعرفان، إبراهيم بن عبيد، (٢/ ١٤٥).

(٢) انظر: الشيخ عبدالله القرعاوي ودعوته في جنوب المملكة العربية السعودية، موسى بن حاسر السهلي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ص(٢٢).

فقد كانت تنتشر في الحجاز كثير من القبور المقام عليها القباب أو المساجد، والتي كان عامة الناس يأتونها فيدعونها من دون الله، سواء كان ذلك في مكة أو المدينة أو جدة أو الطائف، وكثير من هذه القبور لبعض الصحابة والتابعين، بل إن قبر الرسول ﷺ في المدينة لم يسلم من بدع القبوريين، وكذلك قبور الصحابة في البقيع، وقبور شهداء أحد، وقبر عبدالله بن عباس في الطائف، وقبر خديجة وأبو طالب وعبدالمطلب ﷺ في مكة، وقبر من يزعمون أنها (حواء) أم البشر في جدة، وهكذا انتشرت بدع القبوريين، لما تجده من التشجيع من السلطة الحاكمة سواء في فترة الحكم العثماني أو حكم الأشراف[1] .

كما كان يوجد بدعة (المحمل) وهو جمل عليه هودج يحمل كسوة الكعبة ويزين بأنواع الزينة، ويجعلونه في مقدمة ركب قافلة الحج، ويأتي في موكب من الطبول والزمور من مصر إلى مكة، وقد أصبح مقدساً عند عامة الناس حيث يتبركون به[2]، وتاريخ المحمل يعود إلى القرن السابع الهجري منذ عام ٦٤٥هـ، وبعدها أصبح يسير سنوياً إلى مكة[3].

وأما في الجوف فقد انتشرت أفكار الشرك والفساد التي أصابت المجتمع التركي وخاصة عندما بدأ يتشبه بالغرب في حياته ولباسه وعاداته، فشاعت بينهم البدع والمعتقدات الباطلة[4].

وقد ازداد ارتباط الجوف بنجد في بداية الدولة السعودية الأولى عندما بدأ التوسع إليها في عام ١٢٠١هـ، بهدف الدعوة إلى التوحيد وإلغاء البدع وبذلك ساهمت الدولة في صياغة عقيدتهم من شوائب الشرك والبدع.

---

(١) انظر: من شيم الملك عبدالعزيز، فهد المارك، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ، (٣/ ٣٠٧).

(٢) انظر: تاريخ البلاد السعودية، منير العجلاني، ط١، بيروت، (١/ ٢٩٤-٢٩٥).

(٣) ماضي الحجاز وحاضره، حسين نصيف، ص(٩٣).

(٤) انظر: هدية الأصحاب في جواهر أنساب منطقة الجوف، عبدالرحمن بن عطا الشايع، المطابع الأهلية، للأوفست، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، (١/ ٢٦٦).

ولكن لما ضعف أمر الحكم السعودي بعد احتلال إبراهيم باشا ابن محمد علي الدرعية استولى سطام الشعلان على منطقة الجوف مدعوماً من العثمانيين، وعادت بعد ذلك الجوف إلى الجهل والشرك والضلال[1].

وأخيراً في بلاد نجد، التي هي مسقط رأس الشيخ فيصل رحمه الله ومحل نشأته، وقبل ذلك هي منبع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فقد تركت الدعوة فيها أثراً بارزاً عند الناس عامتهم وخاصتهم، فظهر عليهم تمسكهم بالتوحيد وبعدهم عن الشركيات والبدع، حتى في الفترات التي ضعفت فيها سلطة الدولة السعودية، ويظهر ذلك الأثر في تمسك أهل نجد بما نادت به دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من أمور ذات صلة بالعقيدة كرفض التوسل بالصالحين، ونبذ بدع القبوريين عموماً، كما كانوا ملتزمين بما نادت به الدعوة من أمور تتعلق بتطبيق الدين عملياً كصلاة الجماعة في المساجد ومعاقبة من لا يحضرها، وإظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وبلغ من سلفية أهل نجد أن علماؤهم كانوا يكرهون دراسة المنطق والفلسفة، ويركزون عنايتهم على علم التوحيد وغيره من العلوم الشرعية، وتقل عنايتهم بالعلوم الأخرى[2].

وبعد هذا الاستعراض الشامل للحالة الدينية التي كانت عليها البلاد قبل توحيدها والتي تمثل الفترة التي نشأ فيها الشيخ فيصل رحمه الله وطلبه العلم خلالها، فإنه يجدر بنا الآن أن نقف على الحالة الدينية للبلاد بعد توحيدها، لما في ذلك من أثر كبير على حياة الشيخ فيصل رحمه الله العلمية والعملية.

-فبعد توحيد البلاد:

نعمت المملكة العربية السعودية بالوحدة السياسية -كما سبق أن مر معنا- ونعمت

(١) انظر: مقدمة كتاب توفيق الرحمن، بقلم: عبدالعزيز الزير، ص(٢١).

(٢) انظر: الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية، محمد السلمان،الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ص(٣٠٢).

أيضاً بتطبيق حدود شريعة الله في أرضها وعلى شعبها.

بعد أن تبنى الملك عبدالعزيز دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، كما تبناها أسلافه من آل سعود في الدولتين السعوديتين الأولى والثانية، فقضى على وثنية القبور، وعلى البدع والخرافات في أرجاء مملكته المترامية الأطراف.

وقد سعى الملك عبدالعزيز إلى توجيه عدد من علماء نجد إلى كافة المناطق من أجل وعظ الناس وإرشادهم إلى الإسلام الصحيح والدين الحق، ومن العلماء المنتدبين: الشيخ فيصل المبارك فقد انتدبه الملك ضمن وفد يضم كبار المشايخ إلى الجنوب لتعليم الناس أصول الإسلام وحقيقة ما دعا إليه الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وهذا الوفد كان برئاسة الشيخ عبدالله بن راشد بن جلعود[(١)] في منتصف عام ١٣٣٨هـ[(٢)].

ثم أرسل إليهم الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ[(٣)] عام ١٣٣٩هـ ثم تلاه

---

(١) هو عبدالله بن راشد بن الجلعود، ولد في القصب عام ١٢٧٩هـ، ونشأ نشأة صالحة فقرأ القرآن وحفظه، ارتحل مع أبيه إلى روضة سدير واستوطنها، وأخذ عن علمائها أصول الدين وفروعه، والحديث والتفسير، ثم رحل إلى الرياض عام ١٣١٨هـ للتزود من العلم، وقد رشح للقضاء مراراً فامتنع، توفي سنة ١٣٣٩هـ.

انظر: روضة الناظرين، القاضي، (١/ ٤٠٥). علماء نجد، البسام، (٤/ ٤١٥-٤١٧).

(٢) انظر: مشاهير علماء نجد، عبدالرحمن آل الشيخ، ص(٣٩٩). روضة الناظرين، القاضي، (٢/ ١٤٩). علماء نجد، البسام، (٥/ ٣٩٦).

(٣) هو محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، ولد في الرياض عام ١٨٨٢هـ، درس على والده وعلى أخيه الشيخ عبدالله وغيرهما، عين قاضياً في القويعية ثم شقراء وبعث للدعوة إلى الله في الجنوب، ثم تولى القضاء في الرياض، أخذ عنه العلم خلق كثير منهم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، ومن أحفاده سماحة المفتي العام الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ، توفي المترجم له في الرياض عام ١٣٦٧هـ.

انظر: الأعلام، الزركلي، (٦/ ٢١٨). مشاهير علماء نجد، عبدالرحمن آل الشيخ، ص(١١٧). روضة الناظرين، القاضي، (٢/ ٢٨٦).

الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي[1] عام ١٣٥٨هـ، الذي كان له نشاط ملموس في نشر العقيدة السلفية في بعض المناطق[2].

وبعد ضم الملك عبدالعزيز الحجاز منع مجيء المحمل منذ عام ١٣٤٥هـ، وهدمت القباب المقامة على القبور، فقضى على بدع القبوريين، وكذلك بدع الطرق الصوفية[3]، وعادت السلفية هي الواجهة الحقيقية للحجاز كسائر مناطق المملكة وزالت عنها جميع المعتقدات والمظاهر الفاسدة.

وأصبح المجتمع السعودي مجتمعاً معتز بإسلامه ولا يفوته دعوة غيره من غير المسلمين بالدخول في الإسلام، وأصبح تحكيم الشريعة فيهم دماً يجري في عروقهم.



(١) هو عبدالله بن محمد بن حمد النجيدي، والقرعاوي لقب لجد جده، ولد في عنيزة عام (١٣١٥هـ)، سافر لطلب العلم في البحرين وعمان وقطر والعراق والشام ومصر والهند، ودرس على يد الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وسمع في مجلس الشيخ عن الجهل المنتشر في منطقة جازان، فرغب في الذهاب إليها للدعوة إلى الله، فاستشار شيخه، فأشار عليه بذلك ودعى له، فاتجه إلى جازان وأخذ يدعو الناس فيها إلى العقيدة الصافية، وجاوزت دعوته جازان إلى أبها ونجران، وغامد وزهران والليث، ونفع الله به خلقاً كثيراً، توفي بالرياض عام ١٣٨٩هـ.

انظر: الأعلام، الزركلي (٤/ ١٣٥). مشاهير علماء نجد، عبدالرحمن آل الشيخ، ص(٤٢٠). علماء آل سليم، العمري، (٢/ ٣٧٠). روضة الناظرين، القاضي (٢/ ٤١). علماء نجد، خلال ثمانية قرون، البسام، (٤/ ٣٩٨-٤٠٩).

(٢) انظر: الهدية السنية، والتحفة الوهابية، سليمان بن سحمان، علق عليه: محمد رشيد رضا، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، عام ١٣٩٣هـ ص(٨٥).

(٣) انظر: الوجيز، الزركلي، ص(١٢٦). جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبه، ص(٣٢٦). تذكرة أولي النهى والعرفان، إبراهيم بن عبيد، (٣/ ١٦٦).

المطلب الثاني: الحالة الدينية للبلاد في بعض مظاهر الإسلام العملية

تمهيـــــد:

لما كانت المملكة العربية السعودية تحوي مناطق متعددة، ويوجد فيها غير واحد من المذاهب الفقهية المعروفة (المالكية والحنفية والشافعية والحنبلية)، فمن الطبيعي أن يحصل اختلاف فيما بينها في بعض المسائل الشرعية الفرعية بعد اتحادها في أصول الدين -كما سبق-، ومع ذلك وجدت اختلافات في بعض هذه المظاهر الإسلامية العملية والتي حرص الملك عبدالعزيز على القضاء على الاختلاف حولها، وتوجيه العلماء إلى الاتفاق والوحدة فيها، لأن في ذلك وحدة لرأي الأمة وعقيدتها، ولعل من أهم هذه المظاهر ثلاثة أمور مهمة هي: القضاء، والصلاة في المسجد الحرام بمكة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفيما يلي بيان كل منها:

١-القضاء:

لقد كان القضاء في الحجاز وعسير والأحساء قبل العهد السعودي على أحد المذاهب الأربعة (المالكية والحنفية والشافعية والحنبلية)، وقد ناله شيء من التنظيم فيما يتعلق بترتيب المحاكم وسير الإجراءات فيها متأثراً بنظام القضاء العثماني كثيراً مع ما فيه من رتابة وبطء وضعف ضمائر بعض القائمين عليه[1].

ولما جاء الملك عبدالعزيز لم يقم بالتغيير المفاجئ بل التغيير التدريجي لكن حسب أحكام الشريعة الإسلامية[2].

وتم توحيد القضاء على مذهب الإمام أحمد دفعاً لتضارب الأحكام وكان القضاء

---

(١) انظر: جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبة، ص(١٥٢).

(٢) انظر: شبه الجزيرة، الزركلي، (٢/ ٤٣٢-٤٣٣).

في الماضي تغلب عليه البساطة والبعد عن التعقيد والروتين وقلة المشاكل بين الناس، وكان ذلك راجعاً إلى عدة أمور منها: رسوخ الإيمان في قلوب الناس، وحسن نيتهم، والاقتناع بالحق الذي حصل عليه، والصدق في القول، ووجود الحزم من القاضي في تنفيذ الأحكام الشرعية.

أضف إلى ذلك وجود بعض الشيم والمروءة العربية التي تمنع الفرد من الإدعاء على الآخرين في أمور تافهه، كما أن بعض الخلافات تحل بواسطة مصلحين دون الرجوع للقاضي[1].

وقد استمر العمل بالقضاء على مذهب الإمام أحمد -كما سبق- حتى في المناطق التي يوجد بها مذاهب أخرى كالمالكية في الأحساء والشافعية في عسير وتهامة، وكان القضاة النجديون منتشرين في أغلب مناطق المملكة، وذلك حرصاً على وحدة الأمة في كل أمورها.

وكان تعيين القضاة يتم رسمياً من الحكومة وليس هناك تساهل في من حاول تعيين قاضي بشكل غير رسمي من الحكومة لأن ذلك له صلة كبيرة بالوحدة السياسية للدولة[2].

ومن أوائل القضاة الذين تم تعيينهم رسمياً من قبل الملك عبدالعزيز هو الشيخ فيصل رحمه الله فقد تم تعيينه في مناطق عديدة من البلاد كان آخرها منطقة الجوف -وسيأتي ذكر ذلك في الباب الثالث-.

كما ضمنت الدولة المصادر التي يرجع إليها القضاة في أحكامهم وهي:

١-شرح منتهى الإرادات: المتن للشيخ الفتوحي (ت ٩٧٢هـ) والشرح للشيخ البهوتي (ت ١٠٥١هـ).

---

(١) انظر: ظاهرة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز، عبدالعزيز الأحيدب، ص(١٧٤-١٧٥).

(٢) انظر: تاريخ المملكة العربية السعودية، العثيمين، (٢/ ٣٠٩).

٢-شرح الإقناع: المتن للشيخ الحجاوي (ت ٩٤٨هـ) والشرح للبهوتي.

٣-شرح زاد المستقنع : المتن للحجاوي وشرحه المسمى الروض للبهوتي.

٤-شرح دليل الطالب: المتن للشيخ مرعي بن يوسف (ت ١٠٣٢هـ) وشرحه المسمى منار السبيل للشيخ إبراهيم بن ضويان (ت ١٣٥٣هـ).

٥-المغني للشيخ عبدالله بن قدامة (ت ٦٢٠هـ) وشرحه الكبير للشيخ عبدالرحمن بن قدامة (ت ٦٨٢هـ) [(١)].

وهكذا توحد القضاء بعد الانشطار في المذهب الفقهي بين مناطق المملكة، فكان من إيجابيات ذلك وجود الاتصالات العلمية والمناقشات والمذكرات بين القضاة مع اختلاف مناطقهم.

٢-الصلاة في المسجد الحرام بمكة:

لقد كان في الحجاز أتباع للمذاهب الأربعة،ففي بعض بوادي الحجاز كان يكثر أتباع المذهب الشافعي، وفي قبيلة حرب كان يكثر أتباع أبو حنيفة، وكذلك في داخل المدن، كما يوجد أتباع للمذهبيين المالكي والحنبلي؛ ولهذا وجد في الحرم المكي مقامات أربعة للمذاهب الأربعة، فكانت الصلاة تقام في أوقاتها في هذه المقامات على المذاهب الأربعة، خلف أربعة أئمة، فكان الاختلاف بينهم واضحاً، وكأن الإسلام أربع ديانات.

ولهذا حينما دخل الملك عبدالعزيز مكة عام ١٣٤٣هـ أمر بإبطال هذه العادة وأصبح الإمام في الحرم المكي واحداً يتبعه المصلون كلهم[(٢)].

٣-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مبادئ دعوة الشيخ محمد بن

(١) انظر: شبه الجزيرة، الزركلي، (٢/ ٤٣٣).

(٢) انظر: من شيم الملك عبدالعزيز،فهد المارك، (٣/ ٣٠٧). قلب جزيرة العرب، فؤاد حمزة، مطبعة النصر، الرياض، طبعة عام ١٣٨٨هـ، ص(١٠٥).

عبدالوهاب، فكان هذا المبدأ مما ميزها عن الدعوات الإصلاحية الأخرى، لأنه عبارة عن تطبيق عملي لمبادئ الدعوة، وبهذا لا توجد فجوة بين المجال النظري للدعوة وبين التطبيق العملي.

وهو مبدأ وعمل لم تبتكره الدعوة، وإنما هو إرث وتقليد قديم عرف باسم (الحسبة) [1]، وفوق ذلك فهو تطبيق لدعوة القرآن الكريم والسنة النبوية إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [2]، وقال رسول الله ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) [3].

وقد كان نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينصب على اهتمام القائمين بأمور العبادات والأخلاق العامة عموماً، فيوجهوا الناس إلى حضور صلاة الجمعة والجماعة، ويمنعونهم من الإفطار في رمضان والمجاهرة به .

كما يحافظون على حماية المجتمع من المفاسد كشرب الخمور، وأنواع اللهو والفساد والجهر بالمعاصي بشكل عام[4].

وحينما دخلت جيوش الدولة السعودية الأولى مكة عام ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م كان أول ما دعت إليه الأهالي إلى إخلاص التوحيد لله تعالى أولاً، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطبيقه عملياً ثانياً.

وقد وافق علماء مكة حينذاك على ذلك، وأقروا بأهميته، وقد ذكر ذلك الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب[5] في رسالته إلى أهل مكة في محرم ١٢١٨هـ[1].

---

(١) انظر: تاريخ البلاد السعودية، منير العجلاني، (١/ ٢٨١-٢٨٢).

(٢) سورة آل عمران: آية (١١٠).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، (ح/ ٤٩).

(٤) انظر: عنوان المجد، عثمان بن بشر، (١/ ١٩١).

(٥) هو الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب التميمي النجدي، ولد عام (١١٠٥هـ)، طلب العلم على عدد =

وبقي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوياً عند أئمة الدولة السعودية الأولى والثانية والثالثة، وحينما دخل الملك عبدالعزيز الحجاز أصدر أول هيئة رسمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحجاز، كما كان في نجد والأحساء، جعل مهمتها تتبع الأمور من جهة المعاملات والعادات، فما وافق الشرع يقر وما خالفه يزال، وحث الناس على أداء الصلوات الخمس في المساجد.

ولقد عمم الملك عبدالعزيز نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع مناطق المملكة، فصار له نظام في كل منطقة، بل في كل مدينة وقرية، تحت إشراف قاض البلد وأميرها، سواء في نجد أو الأحساء أو عسير أو باقي مدن الحجاز.

وفي عصرنا الحاضر لازال نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائماً في مناطق المملكة ومدنها وقراها، وله إدارة مستقلة تشرف عليه باسم (الرئاسة العامة لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) كما أن لها نظاماً خاصاً وميزانية مالية خاصة بها.

وبقي هذا النظام علامة إسلامية مميزة لهذه البلاد ودلالة على وحدتها الدينية، كما كان في الدولتين السعوديتين الأولى والثانية[٢].

والنتيجة:

بعد هذه الجولة في عصر الشيخ فيصل رحمه الله قد اتضح لنا منهجه وفكره وبانت لنا معالم دعوته رحمه الله من خلال ما يلي:

١-معاصرة الشيخ رحمه الله لقيام الدولة السعودية الثالثة، ومشاركته في توحيدها، جعلته حريصاً على جمع كلمة المسلمين، ومحاربة كل أسباب الفرقة والاختلاف .

٢-نشأته في مجتمع موحد، يقوم على منهج السلف، مما جعله يسير على ذات المنهج

من المشائخ، توفي عام (١١٧٥هـ). انظر: علماء نجد، البسام، (١/ ٦٢٧-٦٢٨).

(١) انظر: الهدية السنية والتحفة الوهابية، سليمان بن سحمان، ص(٣٦).

(٢) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن بشر، (٢/ ٨٢-١٣٦).

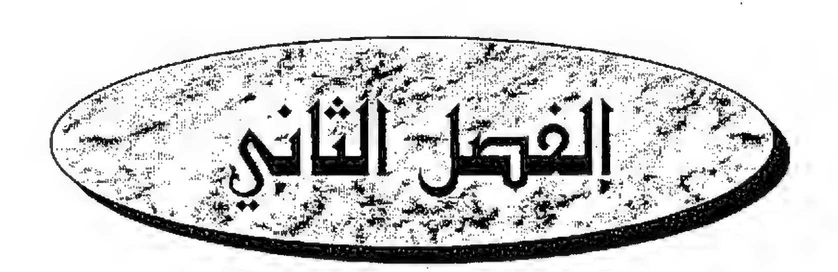
علماً واعتقاداً، وقولاً وعملاً، وأدباً وسلوكاً .

٣-تلقيه العلم، على يد علماء عصره، فتجلت منزلته العلمية، ونبغ في فنون عديدة كما سيظهر ذلك جلياً في ترجمته .

٤-أن الشيخ فيصل رحمه الله قد نشأ وتعلم في بيئة تمتاز بصفاء العقيدة، وخلوها من شوائب الشرك والبدع، وتمسكها بمنهج السلف الصالح، مما كان له أعظم الأثر في رسم منهج الشيخ رحمه الله فيما بعد، فكان سلفي العقيدة يقول بما قال به الصحابة رضي الله عنهم والتابعون والأئمة المشهورون من السلف الصالح.

كما أنه ساهم رحمه الله في الجهات الشرعية الموكلة إليه من قبل ولاة الأمر كالقضاء والافتاء، والإمامة والخطابة وغيرها، ولامس تلك التطورات الحاصلة فيها والموافقة للشريعة الإسلامية.





ترجمة حياة الشيخ فيصل

وفيه مبحثـــان : –

- المبحث الأول: حياته الشخصية.
- المبحث الثاني: حياته العلمية والعملية.

* *　　* *　　* *



المبحث الأول

حياتـــه الشخصيـــة

<u>وفيـه ستـة مطالـب</u> : -

- المطلب الأول: اسمه ونسبه وأسرته.
- المطلب الثاني: مولده ونشأته.
- المطلب الثالث: صفاته.
- المطلب الرابع: وفاته.
- المطلب الخامس: عقبه.
- المطلب السادس: رثاؤه.

* * * * * *

المطلب الأول: اسمه ونسبه وأسرته

أولاً: اسمه ونسبه:

هو فيصل بن عبدالعزيز بن فيصل بن حمد[1] بن مبارك بن عبدالرحمن بن حسن بن عبدالرحمن بن عبدالله بن حسن بن راشد بن محمد بن عبدالله آل حمد الربَّاعي الحسني البشري العنزي الوائلي.

ويرجع نسبه إلى آل أبي رباع من آل بشر من عنزة بن أسد بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وعدنان من ذرية إسماعيل عليه السلام.

وكانت قبيلة آل أبي رباع يسكنون أشيقر في القرن السادس ثم انتقلوا في أول القرن السادس إلى التويم ثم انقلت عشيرة آل حمد إلى حريملاء.

وقد كانت حريملاء لآل أبي ريشة وهي أسرة من الموالي، ثم ضعف أمرهم وذهبوا واستولى عليها ابن معمر، ثم قدم راشد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن مدلج بن حمد بن رباع آل أبو رباع وابن عمه علي بن سليمان بن حمد من التويم بعد أن ضاقت بهم

---

(١) ورد ذكره باسم محمد في كتاب مشاهير علماء نجد، عبدالرحمن آل الشيخ، ص(٣٩٨). وكذا ذكر في كتاب « روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين »، القاضي، (٢/ ١٤٧). وكذلك في كتاب « علماء نجد خلال ثمانية قرون »، عبدالله البسام، (٥/ ٣٩٢). وتبعهم صاحب كتاب « العلامة المحقق والسلفي المدقق »، فيصل بن عبدالعزيز البديوي، ص(١٠). وهذا خطأ والصواب ما أثبتناه، انظر:

-تذكرة أولي النهي والعرفان، إبراهيم بن عبيد، حوادث سنة ١٣٧٦هـ، (٥/ ١٦٦).

-مقدمة كتاب الشيخ المجموعة الجليلة، بقلم: عبدالمحسن أبابطين، دار العربية للنشر، بيروت، ص(٣).

-مقدمة كتاب الشيخ « توفيق الرحمن »، بقلم: عبدالعزيز الزير، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ص(١٤).

-المتدارك من تاريخ الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك، محمد حسن المبارك، ص(١٨).

-معالم الوسطية والتيسير والاعتدال، محمد بن حسن المبارك، طبع فرع وزارة الشؤون الإسلامية بمنطقة الجوف، ١٤٢٧هـ، ص(١٣).

واشتروا حوطة حريملاء من أمير العيينة حمد بن عبدالله بن معمر وذلك سنة ١٠٤٥هـ، وانتقل كثير من أبناء عمهم وهم آل مبارك، وسويد وحسن إبنا راشد آل حمد وآل عدوان وآل بكور(١).

ثانياً: أسرته.

ينتمي الشيخ فيصل إلى أسرة آل مبارك من آل راشد، وآل راشد مع بني عمهم من آل حمد الرباعيين الوائليين هم الذين أنشأوا حريملاء عام ١٠٤٥هـ -كما سبق- ثم استمرت أمارة حريملاء في آل راشد، واتصلت منذ عام ١٢٣٤هـ في فرع آل مبارك من آل راشد إلى عام ١٣٥٧هت، حيث انتقلت بعد ذلك أسرة آل مبارك إلى الرياض(٢).

وتعتبر أسرة آل راشد ومنهم آل مبارك من الأسر العلمية التي نبغ منها كثير من العلماء المبرزين، والقضاة المشهورين الذين نجد تراجمهم في تواريخ علماء نجد(٣).

وسنأتي في هذه العجالة إلى تراجم بعض أفراد أسرته ممن عني بالعلم والتعليم.

١-الشيخ ناصر بن محمد الناصر (جد الشيخ فيصل لأمه):

هو العالم الجليل ناصر بن محمد بن ناصر بن حمد بن محمد بن سليمان ابن حسن بن راشد، ويلتقي مع الشيخ فيصل في حسن بن راشد، كان عالماً فذاً، وفارساً شجاعاً، وكان إماماً وخطيباً لجامع حريملاء.

طلب العلم على يد الشيخ حمد بن عبدالعزيز قاضي المحمل والشيخ عبد العزيز بن

---

(١) انظر: علماء نجد، البسام، (٥/ ٣٩٢-٣٩٣). مقدمة كتاب « مفاتيح العربية على متن الآجرومية »، بقلم عبدالعزيز بن سعد الدغيثر، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، ص(٣٦-٣٧).

(٢) انظر: المتدارك من تاريخ الشيخ فيصل المبارك، محمد المبارك، ص(١٨).

(٣) يقول القاضي في كتابه « روضة الناظرين » عند حديثه عن أسرة الشيخ فيصل رحمه الله: « ومن هذه أيضاً علماء وقضاة وأمراء وأعيان طار صيتهم »، (٢/ ١٤٧). ويقول الشيخ عبدالله البسام: « وكان من آل راشد وآل حمد علماء وقضاة وأمراء وأعيان في نجد وفي الزبير لا يتسع المكان لذكرهم »، علماء نجد، (٥/ ٣٩٤).

حسن اليحي، وقرا عليه كثير من طلبة العلم في مسجد ابن غديِّر، منهم الشيخ محمد بن ناصر المبارك، والشيخ محمد بن فيصل المبارك، وسبطه[1] الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك.

والشيخ عبدالرحمن بن خريف وأخوه محمد والشيخ علي بن داود والشيخ ناصر بن مقرن، والشيخ محمد بن رشيدان، والشيخ محمد الجنوبي، والشيخ عبدالعزيز بن سودة والشيخ عبدالعزيز بن هديان، والشيخ عبدالله ابن دخيل، توفي الشيخ ناصر عام ١٣٣٦هـ عن عمر ينوف على خمسة وتسعين عاماً رحمه الله.

وقد خلف الشيخ ناصر ابنين صالحين هما الشيخ عبدالعزيز بن ناصر الذي تولى إمامة وخطابة جامع حريملاء ورئاسة الأمر بالمعروف حتى توفي عام ١٣٩٧هـ رحمه الله، والابن الثاني الشيخ عبدالرحمن بن ناصر تولى إمامة عدة مساجد كان آخرها مسجد (موافق) وصار عضواً في هيئة الأمر بالمعروف في حريملاء توفي رحمه الله في الرياض عام ١٤١٩هـ[2].

٢-الشيخ عبدالعزيز بن فيصل آل مبارك (والد الشيخ فيصل):

عبدالعزيز بن فيصل بن حمد بن مبارك، عالم جليل، من الشجعان المعروفين، ولد عام ١٢٧٧هـ، فحفظ القرآن وطلب العلم على يد الشيخ ناصر بن محمد الناصر في حريملاء، وتزوج من ابنته، وطلب العلم في الدرعية على يد الشيخ ابن فارس مع أخيه العلامة محمد بن فيصل، فكانوا يذهبون إلى الدرعية عصر كل جمعة فلا يرجعون إلا من الخميس القادم، وكان رحمه الله محبوباً عند الجميع، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، قتل في

---

(١) السبط هو: ابن البنت . فأم الشيخ فيصل هي ابنة الشيخ ناصر بن محمد رحمهم الله حفظت القرآن على يد أبيها، ولازمت العبادة وقراءة القرآن إلى أن توفيت في ١٧ رمضان من عام ١٣٩٢هـ.

انظر: المتدارك، محمد بن حسن، ص(٨).

(٢) انظر: الحالة العلمية في حريملاء منذ عهد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، د/ عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيعة، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ، ص(٤٥).

وقعة البكيرية عام ١٣٢٢هـ، تحت لواء الملك عبدالعزيز رحمهما الله وقد ناهز الخمسة والأربعين عاماً[١].

وللشيخ فيصل شقيقان هما الشيخ الفاضل عبدالله، وقد طلب العلم على يد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، وغيره من العلماء وتدرج في وظائف الدولة، فكان محامياً لأملاك الدولة، توفي رحمه الله في ذي الحجة من عام ١٣٩٥هـ.

وكذلك الشيخ الفاضل عبدالعزيز بن عبدالعزيز، وكان حافظاً للقرآن،وقد طلب العلم مع شقيقيه فيصل وعبدالله على يد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف وكذلك طلب العلم على الشيخ إبراهيم بن سليمان الراشد، توفي رحمه الله في رجب من عام ١٣٩٠هـ[٢].

٣-الشيخ محمد بن فيصل بن حمد آل مبارك (عم الشيخ فيصل):

هو العالم الجليل والمحقق المدقق الشيخ محمد بن فيصل بن حمد ابن مبارك، ولد في حريملاء سنة ١٢٧٤هـ، في بيت شرف ورئاسة ودين، ورباه والده فيصل بن حمد أحسن تربية، وقد كان الشيخ فيصل (والد محمد) أميراً لبلدة حريملاء، وغزا مع جيش ومعسكر عبدالله الفيصل في حربه مع أخيه سعود فقتل في غزوة طلال عام ١٢٩٠هـ، وكان أميراً شجاعاً باسلاً وهو عميد أسرة آل مبارك، فخلفه على إمارة حريملاء أخوه علي بن حمد (عم محمد)، فربى ابن أخيه « محمد » تربية صالحة، فقد كان يحثه على طلب العلم والمثابرة عليه، فشرع في طلبه بهمة ونشاط[٣]. فأخذ العلم على يد علماء عصره، وكان من أبرز مشائخه الشيخ عبدالعزيز بن حسن اليحي (حصام) قاضي المحمل والشعيب وما حولها[٤].

(١) انظر: المتدارك، محمد المبارك، ص(٩).

(٢) المرجع السابق، ص(١٠).

(٣) انظر: روضة الناظرين، القاضي، (٢/ ٢٥٢).

(٤) انظر: علماء نجد، البسام، (٦/ ٣٥٦).

وقرأ على عالم حريملاء المحقق المحدث محمد بن ناصر المبارك ولازمه[1]، كما قرأ على العلامة حمد بن عبدالعزيز، قاضي المحمل والشعيب، لازم هؤلاء في أصول الدين وفروعه وفي الحديث والتفسير[2].

ثم سمت به همته للتزود من العلم والاستفادة فقرأ على علماء الرياض، ورحل إليها مع آل مبارك الذين استدعاهم الملك عبدالعزيز بعد استيلائه عليها، فلازم علماءها ومن أبرز مشائخه العلامة سعد بن حمد بن عتيق في الفقه والحديث والمصطلح،والشيخ حمد بن فارس في علوم العربية كلها، والشيخ عبدالله بن عبداللطيف في أصول الدين وفروعه والحديث، لازم حلقاتهم ليلاً ونهاراً، وقد وهبه الله فهماً ثاقباً وذكاء متوقداً، فمكث في الرياض حوالي خمس سنين ينهل من مورد عذب صاف في العقيدة[3].

وكان شجاعاً باسلاً يحب ركوب الخيل، فغزا مع الملك عبدالعزيز تسع غزوات، كان هو مستشاره وقارئه وإمامه ومفتي الجيش، وكان لا يفارقه لا حضراً ولا سفراً مدة مكثه في الرياض.

وكان جامعاً بين العلوم الدينية والسياسية ورجاحة العقل، فعينه الملك عبدالعزيز أميراً على حريملاء إبان إمارة عمه علي وذلك في أواخر سنة ١٣٢٤هـ، ثم أميراً على الأفلاج سنتين فساسهم بعدالته ورجاحة عقله[4].

ثم عاد من الأفلاج إلى حريملاء، فجلس لطلبة العلم، وكان حسن التعليم، فالتف إلى حلقته طلبة كثيرون للانتفاع بعلومه الجمة، وقد تخرج من حلقته كثير من طلبة العلم كان من أبرزهم شيخنا الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك قاضي الجوف، وعبدالله بن رشيدان، والقاضي محمد الجنوبي، والقاضي عبدالعزيز بن سودة، وإبراهيم بن سليمان

---

(١) انظر: علماء نجد، البسام، (٦/ ٣٥٦). الحالة العلمية في حريملاء، الربيعة، ص(٣٩).

(٢) انظر: روضة الناظرين، القاضي، (٢/ ٢٥٢). الحالة العلمية في حريملاء، الربيعة، ص(٣٩).

(٣) انظر: علماء نجد، البسام، (٦/ ٣٥٧).

(٤) انظر: المتدارك، محمد المبارك، ص(١٣).

قاضي الرياض ووادي الدواسر[1]، وظل إماماً وخطيباً حوالي ربع قرن حتى وافاه أجله المحتوم في الخامس من جمادي الأولى عام ١٣٦٥هـ في حريملاء، وعمره قد جاوز التسعين عاماً[2] وخلف ذرية مباركة منهم الشيخ فيصل[3]، والشيخ سعد[4] والشيخ عبدالله عميد أسرة آل مبارك[5]، والشيخ عبدالعزيز، وكان قاضياً في عدة جهات[6].



(١) انظر: علماء نجد، البسام، (٦/ ٣٥٧-٣٥٨).

(٢) انظر: روضة الناظرين، القاضي، (٢/ ٢٢٥). علماء نجد، البسام، (٦/ ٣٥٨). الحالة العلمية في حريملاء الربيعة، ص(٤٠).

(٣) الشيخ فيصل بن محمد المبارك هو أحد تلامذه شيخنا الشيخ فيصل ﷺ ولد في حريملاء عام (١٣١٩هـ) وعمل في جباية الزكاة عام (١٣٣٧هـ) وتولى الإمامة والإرشاد بإحدى الهجر الجنوبية، ثم عمل قاضياً مساعداً لوالده في الشارقة، كما عمل في التدريس بمدرسة الفلاح بجدة، وعين رئيساً لهيئة الحسبة في جدة عام (١٣٥٧هـ)، ثم مفتشاً إدارياً بمنطقة جازان وأبها، ثم عاد مرة ثانية لهيئة الحسبة، وعمل مستشاراً للمحكمة التجارية في جدة وعضو بالغرف التجارية، وعضو بمجلس الشورى إلى أن توفي عام (١٣٩٩هـ).

انظر: علماء نجد، البسام، (٥/ ٤٠٣-٤٠٤). روضة الناظرين، القاضي، (٢/ ٥٠).

(٤) الشيخ سعد بن محمد بن فيصل المبارك، هو أحد تلاميذ الشيخ فيصل ﷺ ولد في حريملاء عام (١٣٣٠هـ) عمل قاضياً في كل من مرات، ثم شقراء، ثم وادي الدواسر، ثم قرية، ثم الرياض.

انظر: علماء نجد، البسام، (٢/ ٢٤٠-٢٤١). روضة الناظرين، القاضي، (١/ ١٢١-١٢٣).

(٥) انظر: المتدارك، محمد المبارك، ص(١٧).

(٦) انظر: علماء نجد، البسام، (٦/ ٣٥٦). المتدارك، محمد المبارك، ص(١٧).

المطلب الثاني: مولده ونشأته

ولد الشيخ فيصل في بلدة حريملاء عاصمة بلدان الشعيب[1] سنة ١٣١٣هـ، وانتقل مع بعض أقاربه إلى الرياض وله من العمر سبع سنين سنة ١٣٢٠هـ، وبعد سنتين من انتقالهم غزا أبوه مع الملك عبدالعزيز في وقعة البكيرية سنة ١٣٢٢هـ فقتل فيها، فكفله عمه الشيخ محمد بن فيصل وكان رجلاً صالحاً فربّاه أحسن تربية، ولم يعرف اللهو منذ صغره، بل نشأ نشأة جاده، فكان له بمثابة الأب الصالح للإبن الصالح[2].

فقرأ القرآن وحفظه في حريملاء وهو في السابعة من عمره على الشيخ علي بن داود، وختمه وجوّده في الرياض على الشيخ المقرئ عبد العزيز الخيال.

وعاد الشيخ فيصل مع أسرته إلى حريملاء في أواخر عام ١٣٢٤هـ فقرأ على جده الشيخ العالم ناصر بن محمد بن ناصر الراشد ولازمه، وقرأ علم الحديث ورجاله على عمه محمد الفيصل المبارك العالم المشهور وعلى قاضي بلدان المحمل الشيخ عبدالله بن حمد الحجازي، وعلى الشيخ عبدالله بن فيصل الدوسري في الأصول والفروع والحديث والتفسير مده، وعلى الشيخ المحدث محمد بن ناصر المبارك آل حمد[3].

ثم عاد إلى الرياض فلازم الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، وانضم رحمه الله إلى القوات السعودية التي افتتحت الأحساء سنة ١٣٣١هـ، وهنالك قرأ على شيخه

---

(١) في كتاب « علماء نجد خلال ثمانية قرون »، البسام (٥/ ٣٩٤). وكتاب « روضة الناظرين »، القاضي، (٢/ ١٤٧): أن الشيخ ولد في بلدة عشيرته -حريملاء- عاصمة بلدان المحمل. وتبعهما صاحب كتاب العلامة المحقق ، فيصل البديوي، ص(١٠). وهو خطأ والصواب أن حريملاء هي عاصمة بلدان الشعيب، أما بلدان المحمل فعاصمتها ثادق.

(٢) انظر: مقدمة توفيق الرحمن، بقلم عبدالعزيز الزير، ص(١٤).

(٣) انظر: مشاهير علماء نجد، عبدالرحمن آل الشيخ، ص(١٤٧-١٤٨). علماء نجد، البسام، (٥/ ٣٩٤-٣٩٥). روضة الناظرين، القاضي، (٢/ ١٤٧-١٤٨).

عيسى بن عكّاس وعلى عبدالعزيز بن بشر قاضي الأحساء ولازمهما[1].

ثم شارك الشيخ في معركة جراب عام ١٣٣٣هـ، وبعدها أقام في المجمعة لملازمة قاضيها العلامة عبدالله العنقري والشيخ عبدالرحمن بن داود، والذي قرأ عليه الأصول والفروع والحديث ومصطلحه[2].

ثم عاد إلى الرياض عام ١٣٣٣هـ للتزود من العلم والاستفادة فقرأ على علمائها، ومن أبرز مشائخه العلامة عبدالله بن عبداللطيف، وحمد بن فارس، وسعد بن حمدان بن عتيق، والشيخ محمد بن عبداللطيف، ثم عاد إلى حريملاء فلازم مشائخه فيها[3].

وأجيز بالرواية من الشيخ العنقري، والشيخ سعد بن عتيق،وكان مولعاً بالحديث ومصطلحه، كما أكب على كتب فقهاء الحنابلة حتى نبغ فيها وأدركها إدراكاً أهّله للقضاء.

ثم عاد إلى الرياض ولازم مشائخه الذين وكانوا معجبين بفرط ذكائه ونبله، فأقبل على علوم العربية إقبالاً تاماً، وكان شيخه فيها حمد بن فارس، وتبحر في علم الفرائض على الشيخ عبدالله بن راشد بن جلعود، وكان شيخه سعد بن عتيق يوصيه بلزوم الصحيحين[4]. فالتف عليه الطلبة، وكان حسن التعليم، واسع الإطلاع، قوي الحفظ والبديهة لا يسأم المطالعة.

ثم رحل إلى قطر عام ١٣٣٨هـ ولازم العلامة الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع

---

(١) انظر: المتدارك محمد المبارك ص(٢١). مقدمة توفيق الرحمن، الزير، (١/ ١٦-١٧).

(٢) معالم الوسطية والاعتدال في سيرة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك، محمد بن حسن آل مبارك، ص(١٤).

(٣) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، البسام، (٥/ ٣٩٥).

(٤) انظر: مقدمة كتاب «تجارة المؤمنين في المرابحة مع رب العالمين»، بقلم تلميذه الشيخ عبدالرحمن بن عطا الشايع الكريع، ط٢، ١٤٠٤هـ، ص(٥-٦). العلامة المحقق، البديوي، ص(١٢). المتدارك، محمد المبارك، ص(٢١-٢٢).

مدة[1]، ورحل إلى دبي فقرأ على علمائها، ثم عاد إلى الرياض فلازم شيخه عبـدالعزيز بـن بشر والشيخ إبراهيم آل الشيخ والشيخ عبدالعزيز النمـر، ونبـغ في فنـون عديـدة وشرع بعدها في التأليف[2].



(١) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، البسام، (٥/ ٣٩٥). مقدمة توفيق الرحمن، بقلم: عبـدالعزيز الزيـر، (١٧).

(٢) انظر: المتدارك، محمد المبارك، ص(٢٢).

المطلب الثالث: صفاته

أولاً: صفاته الخَلْقية.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ رُبْعَةً [1] من الرجال، أبيض مشرباً بحمرة، مستدير الوجه أصبحه، حسن المنظر، حسن العينين إلا أنه يغضيها، فيظن من لا يعرفه أنه لا يرى، متوسط اللحية أسودها، ولما ألمّ الشيب بعارضيه في أواخر عمره خضَّب بالحناء، وكان يلبس العمامة فتزيده هيبة وبهاءً، ولذلك قال تلميذه الشيخ إسماعيل البلال: « عمامته البيضاء كأنها تاج على رأسه » [2].

ثانياً: صفاته الخُلُقية:

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ كريماً جواداً، لين العريكة، يتكلم معه الصغير والكبير، دمث الخلق، قوياً في الحق، عفيفاً، نزيهاً، بعيداً عن الشبهات نسأل الله أن يسكنه فسيح جناته [3].

وكان حليماً متأنياً لا يغضب إلاّ لله عَزَّ وَجَلَّ، وكان زاهداً في حطام الدنيا، راغباً في الدار الآخرة، صموتاً قليل الكلام إلاّ فيما ينفع، فإذا تكلم في مسالة أبلغ وأسمع، ووّد سامعه لو أطال، وكان حسن السياسة في تصريف شؤون القضاء، وصولاً لرحمه، باراً بوالديه، عطوفاً على الفقراء رحيماً بهم [4].

قال الشيخ عبدالمحسن أبا بطين عن الشيخ رحمهما الله: « له المكان اللامع في الأخلاق الفاضلة، مجالسه كلها أو جلها بحوث علمية واجتماعية، ولا يميل إلى الهزل

---

(١) ربعة: هو المتوسط في الطول، ليس بالطويل ولا بالقصير.

انظر: لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ، (٨/ ١٠٧).

(٢) المتدارك، محمد المبارك، ص(٢٣). معالم الوسطية والتيسير والاعتدال، للمؤلف نفسه، ص(١٥).

(٣) انظر: علماء نجد، البسام، (٥/ ٣٩٩).

(٤) انظر: مقدمة كتاب « مفاتيح العربية على متن الأجرومية »، بقلم: عبدالعزيز سعد الدغثير، ص(٣٩).

أبداً، متواضع جداً، ويكلم الصغير والكبير، والغني والفقير، ويتكلم مع كل بما يناسبه يحب مواساة الفقير من جيبه، سمح، ذو ميزة من الأدب والعفة والنزاهة منذ نشأ وترعرع، محبوب يستميل القلوب إلى محبته، وفي سفره يشاطر أصحابه الأعمال، له لسان ناطق، وفكر ثاقب »[(١)].

واتسمت شخصية الشيخ رحمه الله بالهيبة والوقار والتأثير الكبير على من حولها فكان يستميل القلوب إلى محبته، أوضح ذلك أحد تلاميذه الشيخ ناصر بن حمد الراشد، حيث قال: « إنه من أبرز الشخصيات في عصرنا في تأثيره ونفعه، وإفادته لتلاميذه، وهو ممن لا تأخذه في الله لومة لائم، وهو محل تقدير الكبار وعلماء عصره، وشخصيته قوية محبوبة محترمة، يدرك هذا كل من التقى به »[(٢)].

ويتحدث عن صفاته أيضاً، تلميذه عارف المسعر. فيقول: « كان قليل المزاح، لم يقرض الشعر، على اتصال طيب بجيرانه وتلاميذه، خصص قبيل العصر من كل يوم وقتاً لزيارتهم، كان بعيداً عن الشبهات، لا يجلس في الأسواق والمحلات العامة، اتصف بالورع والزهد، كما اتصف بالحلم والتواضع »[(٣)].

ومما يدل على زهده وورعه ما وصفه به أحد تلاميذه وهو الشيخ حمود البليهد قاضي دومة الجندل قائلاً: « كان زاهداً في الدنيا لا يعرف من الدين شيئاً، ولا يملك

---

(١) مقدمة كتاب « المجموعة الجليلة » ، بقلم الشيخ عبدالمحسن أبا بطين، ص(٥) حيث ترجم للشيخ ثم عرض هذه الترجمة على الشيخ فيصل، وعندما قرأها فاضت عيناه وبكى، وهذا من باب التواضع فكتب بيده الكريمة: « اللهم اجعلني أحسن مما يظنون وأبرأ إليك مما يقولون ». انظر: كذلك مقدمة كتاب الشيخ: مختصر الكلام على بلوغ المرام، بقلم مصلح الرغيلان، ط١، ١٤١٩هـ، دار أشبيليا، الرياض، ص(٨). العلامة المحقق، فيصل البديوي، ص(٢٠). المتدارك، محمد المبارك، ص(٢٣-٢٤). معالم الوسطية، محمد المبارك، ص(١٦-١٧).

(٢) انظر: آداب العالم والمتعلم كما بينتها السنة، الجوهرة بنت حمد المبارك، رسالة ماجستير مكتوبة بالآلة الكاتبة، عام ١٤٠٥هـ، ص(١٩٦).

(٣) المرجع السابق، ص(١٩٦).

حتى البيت الذي يسكنه، وليس له همٌّ إلا الدار الآخرة وما يصلح المسلمين، كان حسن النية، حسن المقصد، كريماً جواداً، وكان يحب الستر على المسلمين، ويود الخير لكل مسلم، متواضعاً لين الجانب »[1]، وكان رحمه الله قد أناب وكيله في استلام راتبه الشهري، فيستلمه ويشتري حاجات منزل الشيخ، ويصرف الباقي في حاجات الأرامل والمعوزين والمحتاجين[2].

وكان يجري على طلبة العلم مكافآت شهرية يقتطعها من راتبه الخاص، فلما علمت الحكومة الرشيدة -أيدها الله- أقرت هذه الجراية على حساب الدولة[3].

ولما زار الملك سعود رحمه الله الجوف إثر تولية الملك عام ١٣٧٣هـ، أهدى الشيخ مبلغاً مالياً ليتخذ له داراً حسنة، فآثر الشيخ أن يبني بها مسجداً رحمه الله، ولما أحس الملك رحمه الله بمتطلبات الشيخ وما يعانيه من شدة الصرف والبذل زاد راتبه من خمسمائة إلى ألف ريال[4].

ومما اتفق إثر هذه الزيارة الملكية الميمونة أن الشيخ أمر بشراء ناقتين ليضيف بهما الملك سعود رحمه الله الذي كان على عجلة من أمره فاعتذر عن البقاء، فأمر الشيخ ببيعهما فبيعتا بزيادة ستين ريالاً عن مشتراهما، ولما أُخبر الشيخ بذلك أمر برد الزيادة على المشتري.

وقد خرج من الدنيا رحمه الله ولم يترك ديناراً ولا درهماً، ولم يملك مسكناً له في البلاد التي انتقل إليها، بل تبرع ببيته في حريملاء قبيل وفاته ليكون مكتبة لطلبة العلم، فهو مكتبة حريملاء العامة[5].

---

(١) العلامة المحقق والسلفي المدقق، البديوي، ص(٢٠).

(٢) انظر: مقدمة توفيق الرحمن، بقلم عبدالعزيز الزير، ص(١٩).

(٣) انظر: معالم الوسطية، محمد المبارك، ص(١٧).

(٤) انظر: المتدارك، محمد المبارك، ص(٢٥-٢٦).

(٥) انظر: معالم الوسطية، محمد المبارك، ص(١٨).

وكان جُلُّ وقته رحمه الله إما في صلاة، وعبادة، وخلوة مع ربه عز وجل يستغفر فيها ذنوبه، ويسأله فيها من خيري الدنيا والآخرة، وإما مع تلاميذه ليعلمهم أمور دينهم ودنياهم، وإما مع عامة الناس لإصلاح ذات بينهم، وما يقع بينهم من اختلاف، والفصل بينهم بحكم الله عز وجل، وإما مع أهل بيته لينظر في شؤونهم وما يحتاجونه، وإما في مكتبة بيته ليستزيد ويكتب، ويؤلف[1].

وذُكر من ورعه رحمه الله أنه سافر ذات مرة إلى مصر لأجل العلاج، وكان في نفسه شيء من حكمه في إحدى القضايا، فكتب إلى وكيله الشيخ عبدالله آل عبدالوهاب بأن يحضر الخصمين ويقل لهما: إن رضيتما بحكم الشيخ فيصل فالحمد لله، وإن لم ترضيا به، فإن الشيخ فيصل قد وكلني بنقضه، والحكم فيه بحكمي، فقالا: بل رضينا بحكم الشيخ[2].

والحاصل : أن الشيخ فيصل رحمه الله قد وفقه الله لاتباع منهج السلف فيما يتعلق بالالتزام بمعالي الأخلاق والترفع عن سفاسفها، فمنهج السلف منهج متكامل يشمل العقيدة والعبادة والأخلاق، وبقدر ما يحصل النقص في جانب يكون النقص في الالتزام بهذا المنهج العظيم.



(١) انظر: المتدارك، محمد المبارك، ص(٤٢-٤٤).

(٢) مقدمة توفيق الرحمن ، بقلم د/ عبدالعزيز الزير، ص(١٩).

المطلب الرابع: وفاته

اختلف المترجمون في تحديد اليوم والسنة التي توفي فيها الشيخ رحمه الله:

فذكر الشيخ عبدالله البسام في كتابه « علماء نجد » أن الشيخ توفي في فجر يوم الجمعة في السادس عشرة من ذي القعدة سنة ١٣٧٣هـ[١].

وذكر الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ في كتابه « مشاهير علماء نجد » أن الشيخ توفي فجر يوم الجمعة ستة عشر ذي القعدة سنة ١٣٧٧هـ[٢].

وذكر الشيخ محمد بن عثمان القاضي في كتابه « روضة الناظرين » أن الشيخ توفي فجر يوم الجمعة الموافق عشرة من ذي القعدة عام ١٣٧٧هـ[٣].

وذُكر في الترجمة الموجودة في بداية كتاب الشيخ فيصل « المجموعة الجليلة » أن الشيخ توفي في ليلة الإثنين السابع عشر من ذي القعدة عام ١٣٧٧هـ[٤].

والصحيح أن الشيخ فيصل رحمه الله توفي في الثلث الأخير من ليلة الجمعة الموافق السادس عشر من ذي القعدة عام ١٣٧٦هـ[٥]، في مدينة (سكاكا) من منطقة الجوف شمال المملكة العربية السعودية ودفن فيها.

وكان عمره رحمه الله ثلاثة وستون عاماً قضاها في الدعوة إلى الله، وفي العلم والتعليم والتصنيف.

---

(١) انظر: (٥/ ٤٠٢).

(٢) انظر: ص(٤٠١).

(٣) انظر: (٢/ ١٥٠).

(٤) انظر: ص(٥).

(٥) لأن يوم الجمعة الموفق ١٦ من ذي القعدة يكون سنة ١٣٧٦هـ.

انظر: الأعلام، الزركلي، (٥/ ١٦٧). العلامة المحقق، فيصل البديوي، ص(٣٠). مقدمة كتاب الشيخ فيصل «توفيق الرحمن » بقلم عبدالعزيز الزير عن تلميذ الشيخ ووكيله، الشيخ عبدالله بن عبدالوهاب، ص(٣٤). المتدارك، محمد المبارك، ص(٦١).

وأوصى الشيخ في مرضه الأخير بأن تستمر مدرسته الخاصة بتحفيظ القرآن الكريم، واستمرت حتى يومنا هذا، وأطلق عليها حديثاً اسم الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، وتجرى بها مسابقة سنوية للطلبة في شهر رمضان المبارك تحت رعاية إمارة منطقة الجوف[1].

كما تابع طلبته رحمه الله عقد المجالس العلمية في المساجد، وكان ممن جلس للتدريس في جامع الشيخ فيصل في سكاكا، الشيخ حمود البليهد والشيخ عبدالله حمود، والشيخ عبدالعزيز العقل، والشيخ إسماعيل بن بلال الدرعان رحمهم الله جميعاً.

ولا يزال أهل منطقة الجوف يكنون الحب والتقدير للشيخ فيصل رحمه الله ولكل من يمت له بصلة، سواء كان من أقاربه، أو تلامذته، مما يدل على كرم أرومة هؤلاء القوم، ونفاسة معدنهم، فإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل.

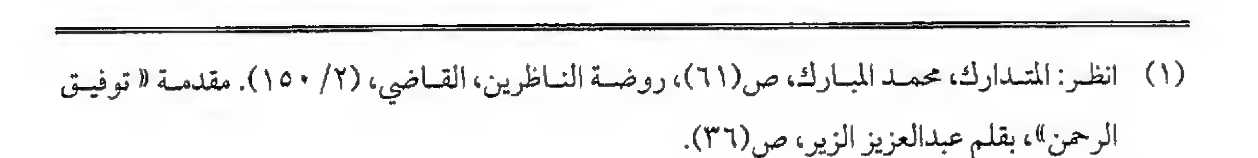


(١) انظر: العلامة المحقق، فيصل البديوي، ص(٣٠).

المطلب الخامس: عقبه

تزوج الشيخ رحمه الله ثلاثة عشر مرة، ولم يخلف أبناء ذكوراً، وإن كان قد ولد له ثمانية أولاد، إلا أنهم توفوا قبل سن التمييز -لا حُرم أجرهم-.

وقد خلف ستاً من البنات الصالحات، ومما يشكر لهن تبرعهن بمنزل الشيخ في الجوف الذي منحته الدولة لهن بعد وفاة الشيخ لصالح جمعية تحفيظ القرآن -فجزاهن الله خيراً-[1].



(١) انظر: المتدارك، محمد المبارك، ص(٦١)، روضة الناظرين، القاضي، (٢/ ١٥٠). مقدمة «توفيق الرحمن»، بقلم عبدالعزيز الزير، ص(٣٦).

المطلب السادس: رثاؤه

لقد رُثي الشيخ فيصل رحمه الله بمراث عديدة [1].

وكان ممن رثاه أخوه الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز رحمه الله بقصيدة منها:

فمن مبلغ آل مبارك كلهم ... عزاءاً فنور العلم بالجوف أظلم

شيوخاً وشباناً صغاراً ونسوة ... دموعاً لها العينان زاد قذاهما

ليبكوا فقيداً نازحاً عن ديارهم ... وهيهات لا يجدي البكا والتندما

فوا فيصلاً لم يخزكم يوم محفل ... وحمال أثقال وكاسب معدماً

وما فيصل نعيي له نعي هالك ... ولكنه بنيان رشد تحطما

فما نطق الفحشاء مذ كان ناشئاً ... ولا جشم الأهوال إلا مجشما

فمجلسه المعمور بالذكر موحش ... كأن لم يكن بالأمس فيه معلماً

وأهلوه يندبن المعالي بواكيا ... يرجعن أشجاناً وما قلن مأثماً [2]

رثاه ابن عمه الشيخ الأديب فيصل بن محمد آل مبارك رحمه الله بقصيدة، قال في مطلعها:

على النفس الزكية يا ربوعي ... أفيضي ما خبأت من الدموع

وبكّي ما أردت أن تبكّي ... وزيدي في الأنيق بلا هجوع

لقد خطف المنون كريم قوم ... تقر له البرية بالخضوع

فلا عجب بكيتك يا ابن عمي ... فحزنك قد تغلغل في ضلوعي [3].

---

(١) انظر: الأعلام، الزركلي، (٥/ ١٦٨). روضة الناظرين، القاضي، (٢/ ١٥٠). المتدارك، محمد المبارك، ص(٦١). معالم الوسطية، محمد المبارك، ص(٩٩).

(٢) المتدارك، محمد المبارك، ص(٦٢). معالم الوسطية، المؤلف نفسه، ص(٩٩-١٠٠).

(٣) المتدارك، محمد المبارك، ص(٦٣). معالم الوسطية، المؤلف نفسه، ص(١٠١).

ورثاه الشيخ حمد المفدى في قصيدة يقول فيها:

صبر جميل على الأرزاء يا زمن ... فاصبر تجد عن قليل ركب من ظعنوا
في جنة الخلد والولدان تخدمهم ... فوق الأسرة لا خوف ولا حزن
حث المطي ولا تلوي على أحد ... نحو الأحبة لا يحلو لك الوسن
هم سايروا النجم في جنح الظلام وقد ... ساروا إلى وطن يا حبذا الوطن
والناس في نومهم سكرى وما علموا ... أن الجبال مشت إذ قادها الرسن
أحد تحطم بلا ذهلان في ذهل ... والطير في حزن والأسد والبدن
والأرض مظلمة والشمس طالعة ... لما تعاظم في أرجائها الحزن
من فقد فيصلها بحر العلوم ومن ... للدين داعية لم يعله الوهن
فسل تلامذة للشيخ غادرهم ... وسل مواطنة بالجوف قد سكنوا
هل كان فيصلهم مثل الألي نصبوا ... لحل مشكلة أم أنهم غبنوا
ما الشيخ فيصل والاشعار شاهدة ... إلا الأديب الفقيه العالم الفطن
هذه مآثره تحكي فضائله ... في كل ملزمة فمن له ثمن
في كل ناحية أرسى قواعده ... للفصل بين خصوم نالها فتن
بالحق يصدرهم بالنقل يقنعهم ... بالزاد يشبعهم وما به طعنوا
ثم الصلاة على من جاء يرشدنا ... والآل والصحب والشيخ الذي دفنوا
ما افتر ثغر وما ناحت مطوقة ... مدى الزمان على الأغصان فاشتجنوا[1]

رحم الله الشيخ فيصل الذي فقد الناس بموته الشيخ العالم، والقاضي العادل، والفارس الشهم فرحمه الله رحمة واسعة هو وجميع المسلمين.

(١) المتدارك، محمد المبارك، ص(٦٤-٦٦). معالم الوسطية، للمؤلف نفسه، ص(١٠١-١٠٣).



حياته العلمية والعملية

وفيـــه أربعـــة مطالـــب : –

- المطلب الأول: شيوخه.
- المطلب الثاني: مكانته العلمية، وإجازاته.
- المطلب الثالث: تلاميذه.
- المطلب الرابع: أعماله.

* *   * *   * *

المطلب الأول: شيوخه

لقد وصفت المراجع العلمية الشيخ فيصل بأنه العالم الجليل والفقيه المحقق، والعلامة المدقق، المفسر، الأصولي، الفرضي، النحوي، وتتجلى منزلة الشيخ فيصل العلمية في كثرة وشأن مشايخه الذين تلقى العلم على أيديهم، حيث إنه قرأ على أساطين العلم في ذلك الوقت، بل كاد أن يستوعبهم فكان حريصاً على انتهاز واستغلال كل الفرص للأخذ من العلماء والدراسة على أيديهم، حتى صار له شيوخ في كل مصر.

أولاً: شيوخه في حريملاء:

١-الشيخ علي بن إبراهيم بن داود: ولد الشيخ في حريملاء،وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ودرس القرآن الكريم تلاوة وحفظاً، ثم اتجه لطلب العلم والمعرفة حيث درس على عدد من العلماء.

تقلب في العديد من الأعمال القضائية من بينها تولي القضاء في تربة في عام ١٣٤٥هـ[١].

وقد قرأ عليه الشيخ فيصل القرآن الكريم وحفظه، واستمر في القراءة عليه حتى عام ١٣٢٠هـ[٢].

٢-جده لأمه الشيخ ناصر بن محمد الراشد رحمه الله[٣]: وقد قرأ عليه الشيخ فيصل في علم الحديث والأصول الثلاثة وسيرة النبي ﷺ[٤].

---

(١) انظر: علماء نجد، البسام، (٥/ ١٨٥-١٨٦). الحالة العلمية في حريملاء منذ عهد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيعة، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ص(٣١-٣٢).

(٢) انظر: معالم الوسطية، محمد المبارك، ص(٢١).

(٣) تقدمت ترجمته، ص(٨٢-٨٣) .

(٤) انظر: المتدارك، محمد المبارك، ص(٢٧). معالم الوسطية، للمؤلف نفسه، ص(٢١).

٣-عمه الشيخ محمد بن فيصل المبارك رحمه الله[١]: قرأ عليه الشيخ فيصل علم الحديث ورجاله[٢].

٤-الشيخ محمد بن ناصر المبارك آل حمد رحمه الله: ولد في حريملاء ١٢٨٥هـ.

حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة في كتَّاب بلده، ثم تلقى العلم على علماء حريملاء والمحمل، ثم رحل إلى الهند، وقرأ على علماء الحديث فيها ثم عرج أثناء رجوعه على الخليج العربي، ونهل من علمائه، ثم رجع إلى حريملاء وعمل بالتدريس، ورشح للقضاء مراراً فامتنع تورعاً[٣].

وقد قرأ عليه الشيخ فيصل علم الحديث ورجاله، وفي الأصول الثلاثة[٤].

٥-الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الخيال رحمه الله ولد في الرياض سنة ١٢٨٥هـ تلقى تعليمه في الكتاتيب في الرياض فحفظ القرآن، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة ورحل مع أسرته إلى الدرعية، ومكث فيها زمناً وهو يطلب العلم على مشايخها، عاد إلى الرياض واستقر بها، وإليه تنسب مدرسة ابن خيال في ا لرياض، عمل معلماً للقرآن حتى وفاته عام ١٣٦٠هـ[٥].

وقد ختم الشيخ فيصل عليه القرآن الكريم وجوَّده، وحفظه عن ظهر قلب أثناء دراسة الشيخ عبدالعزيز في حريملاء منذ عام ١٣٢٤هـ إلى عام ١٣٣٠هـ[٦].

٦-الشيخ عبدالله بن محمد الحجازي رحمه الله: ولد في الحجاز ثم رحل إلى الرياض وقرأ القرآن وحفظه وشرع في طلب العلم، فقرأ على علماء الرياض أصول الدين

(١) تقدمت ترجمته، ص(٨٤-٨٦) .

(٢) انظر: معالم الوسطية، محمد المبارك، ص(٢١).

(٣) انظر: علماء نجد، البسام، (٦/ ٤٠٧).

(٤) انظر: معالم الوسطية، محمد المبارك، ص(٢١-٢٢).

(٥) انظر: موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية، (٤/ ٣٠٨).

(٦) انظر: معالم الوسطية، محمد المبارك، ص(٢١).

وفروعه والحديث والمصطلح والتفسير، كما قرأ علوم العربية، ثم رحل إلى الحجاز فقرأ على علماء المسجد الحرام، وأكب على كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم وعاد إلى الرياض وجلس للطلبة فكان حسن التعليم، وتعين قاضياً في بلدان المحمل حتى توفي في عام ١٣٣٨هـ[1].

وقد قرأ عليه الشيخ فيصل في الأصول والفروع والحديث والتفسير[2].

٧-الشيخ عبدالله بن فيصل بن سلطان الدوسري رحمه الله اتجه إلى طلب العلم بهمة عالية فسافر إلى الرياض وبها كبار علماء نجد في زمنه وتلقى عليهم علوم التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصولها والفرائض والنحو حتى بلغ منزلة العلماء وصار من أعيانهم.

عمل قاضياً في بلدان المحمل والشعيب، وكان مقر إقامته في بلدة حريملاء وله مجالس لتدريس الطلبة، وتخرج على يديه العديد من المشاهير[3].

ثانياً: شيوخه في الرياض:

١-الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ رحمه الله: ولد هذا العالم الجليل في الأحساء سنة ١٢٦٥هـ، ونشأ نشأة صالحة، فقرأ القرآن حتى حفظه وقرأ في الأصول، والفروع، والحديث، والتفسير، وعلوم العربية.

ثم سافر إلى الأفلاج ولازم العلامة حمد بن عتيق ثم رجع إلى الرياض وأخذ من علمائها.

---

(١) انظر: روضة الناظرين، القاضي، (١/ ٤١٧). علماء نجد، البسام، (٤/ ٨٠-٨٢).

(٢) انظر: المتدارك، محمد المبارك، ص(٢٨).

(٣) انظر: روضة الناظرين، القاضي، (١/ ٣٨٢). علماء نجد، البسام، (٤/ ٣٧٨-٣٨٠). تاريخ قضاة حريملاء، د/ إبراهيم بن عبدالله آل إبراهيم، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ، ص(٢٨).

انتهى التدريس والإفتاء إليه في الرياض توفي سنة ١٣٣٩هـ[١].

وقد قرأ عليه الشيخ فيصل كتاب التوحيد، العقيدة الواسطية، شرح العقيدة الطحاوية[٢].

٢-الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ رحمه الله[٣]: وقد أخذ عنه الشيخ فيصل علوم العقيدة[٤].

٣-الشيخ سعد بن حمد بن عتيق رحمه الله: ولد في الأفلاج ١٢٧٩هـ نشأ نشأة حسنة، حفظ القرآن الكريم، سافر إلى الرياض، ولازم علمائها، ثم سافر إلى الهند للتزود من العلم عام ١٢٩٩هـ، فقرأ على علمائها الحديث ومصطلحه والتفسير.

ثم سافر إلى مكة، فحج وجاور البيت الحرام وقرأ على علماء المسجد الحرام.

تولى القضاء في الأفلاج، ثم الرياض، وعُيِّن إماماً للجامع الكبير.

كان شاعراً بارعاً نظم زاد المستقنع، وله مخطوطات نفيسة، مرض في آخر حياته وتوفي سنة ١٣٤٩هـ في الرياض[٥].

وأخذ عنه الشيخ فيصل الحديث والتفسير والفروع[٦].

٤-الشيخ حمد بن فارس رحمه الله: ولد في الرياض سنة ١٢٦٣هـ ونشأ في بيت علم ودين فقرأ القرآن وحفظه على أبيه كما قرأ على أعيان علماء الرياض، مبادئ العلوم كلها .

(١) انظر: مشاهير علماء نجد، عبدالرحمن آل الشيخ، ص(١٠١-١٠٩). روضة الناظرين، القاضي، (١/ ٣٩٠-٣٩١). علماء نجد، البسام، (١/ ٢١٥).

(٢) انظر: العلامة المحقق، البديوي، ص(١٢).

(٣) سبقت ترجمته، ص(٧١) .

(٤) انظر: المتدارك، محمد المبارك، ص(٢٩).

(٥) انظر: روضة الناظرين، القاضي، (١/ ١١٦-١٢١). علماء نجد، البسام، (٢/ ٢٢٠-٢٢٧). مشاهير علماء نجد، عبدالرحمن آل الشيخ، ص (٢١٣) .

(٦) انظر: المتدارك، محمد المبارك، ص(٢٩) .

سافر إلى بلدان عديدة لطلب العلم، ونبغ في فنون عديدة من العلوم الشرعية، وفي علوم العربية بوجه خاص.

تولى جباية المال وحفظه، ثم حفظ أوقاف آل سعود، وله رسائل كثيرة وردود منها: رده على أهل الكلام. كان حسن التعليم ويسمى في النحو سيبويه زمانه. توالت عليه الأمراض إلى أن توفي في الرياض سنة ١٣٤٥هـ[1].

وقد أخذ عنه الشيخ فيصل الفقه، والنحو، وعلوم العربية[2].

٥-الشيخ عبدالله بن راشد الجلعود رحمه الله[3]: وقد أخذ عنه الشيخ فيصل علم الفرائض وعلم الفقه[4].

٦-الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله: ولد في الرياض سنة ١٣١١هـ، ونشأ في بيت علم وشرف ودين، فقرأ القرآن وحفظه، ثم أخذ العلم على يد علماء ومشايخ الرياض، فأخذ عنهم الفقه، والحديث، ومصطلحه، والفرائض، وعلوم العربية.

وفي عام ١٣٣٩هـ تولى إمامة مسجد دخنة والخطابة في الجامع الكبير، وصلاة الجمعة والتدريس.

وفي عام ١٣٧٤هـ أنشئت دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية، فعيِّن رئيساً لها.

وفي عام ١٣٧٦هـ أنشئت رئاسة القضاء فصار رئيساً للمناطق كلها إلا الحجاز.

وفي عام ١٣٧٨هـ ضمت إليه الحجاز فصار رئيس القضاة في المملكة ومفتيها، وأصبح رئيساً لكلية اللغة العربية والشريعة بالرياض عام ١٣٧٤هـ ورئيساً للجامعة

---

(١) انظر: روضة الناظرين، القاضي، (١/ ٩٨). علماء نجد، البسام، (٢/ ٩٧-١٠٢).

(٢) انظر: المتدارك، محمد المبارك، ص(٢٩).

(٣) سبقت ترجمته، ص(٧١).

(٤) انظر: معالم الوسطية، محمد المبارك، ص(٢٣).

الإسلامية، ومشرفاً على رئاسة تعليم البنات مرض في آخر حياته، ثم توفي سنة ١٣٨٩هـ وعمره ٧٨ عاماً[١].

وقد أخذ عنه الشيخ فيصل الفقه والعقيدة[٢].

ثالثاً: شيوخه في المجمعة:

١-الشيخ عبدالرحمن بن داود رحمه الله: ولد في الرياض سنة ١٣٠٠هـ، حفظ القرآن الكريم، وتلقى العلم على مشايخ الرياض، ثم سافر إلى مكة ودرس على علمائها[٣].

وقد لازمه الشيخ فيصل في المجمعة عام ١٣٣٣هـ، وأخذ عنه الأصول والفروع، وعلوم الحديث، ومصطلحه[٤].

٢-الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري رحمه الله: ولد في ثرمداء بالوشم عام (١٢٩٠هـ) حفظ القرآن الكريم، وتلقى مبادئ العلوم على يد علماء بلده، ثم اتجه إلى الرياض وأخذ عن علمائها التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، واللغة العربية.

عمل إماماً ومدرساً في جامع ثرمداء، كما أسندت إليه مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإجراء عقود الأنكحة، ثم عين قاضياً في إقليم سدير.

وفي عام ١٣٤٠هـ بعثه الملك عبدالعزيز إلى هجرة الأرطاوية، وتفرغ في نهاية عمره للتدريس والتأليف، وخلف وراءه مكتبة من نفائس المكتبات، ومن مؤلفاته: حاشية على الروض المربع، وتعليقات على نونية ابن القيم.

توفي في المجمعة سنة ١٣٧٣هـ[٥].

---

(١) انظر: روضة الناظرين، القاضي، (٢/ ٣٣٥-٣٤١). علماء نجد، البسام (١/ ٢٤٢-٢٦٣).

(٢) انظر: معالم الوسطية، محمد المبارك، ص(٢٣).

(٣) انظر: علماء نجد، البسام، (٣/ ١٥٧-١٦٢).

(٤) انظر: المتدارك، محمد المبارك، ص(٢٩).

(٥) انظر: مشاهير علماء نجد، عبدالرحمن آل الشيخ، (٣/ ٣٨١-٣٨٣). علماء نجد، البسام، (٤/ ٢٦٥- =

وقد أخذ عنه الشيخ فيصل بعد معركة جراب الأصول والفروع وعلوم الحديث ومصطلحه وغيره من فنون العلم وذلك في عام ١٣٣٣هـ[١].

رابعاً: شيوخه في الجنوب:

١-الشيخ ناصر بن جار الله رحمه الله: ولد في بلدة ثادق من بلدان المحمل عام (١٣١٥هـ) ونشأ بها نشأة حسنة، وقرأ فيها القرآن وشيئاً من العلم في الرياض، فقرأ على علمائها، وأشهرهم الشيخ عبدالله بن عبداللطيف.

تولى القضاء في مدينة أبها وتوابعها، ثم نقل إلى قضاء تربة، وبقي في قضائها حتى توفي عام (١٣٥٦هـ)[٢].

وقد أخذ عنه الشيخ فيصل عام ١٣٣٨هـ[٣].

خامساً: شيوخه في الأحساء:

١-عيسى بن عكاس رحمه الله: ولد في الأحساء عام (١٢٦٨هـ) ونشأ بها، حفظ القرآن، ثم اشتغل بالقراءة على شيوخ الأحساء، ثم حج وجاور المسجد الحرام وقرأ على علمائها، ثم سافر إلى قطر لنشر عقيدة السلف، ثم رجع إلى الأحساء واستمر بالتدريس.

وقد عينه الملك عبدالعزيز قاضياً للأحساء عام (١٣٣٤هـ) واستمر في القضاء حتى توفي عام (١٣٣٨هـ)[٤].

وقد أخذ عنه الشيخ فيصل العلم إثر فتح الأحساء، منذ عام (١٣٣١هـ) إلى أول عام

=

٢٧٩).

(١) المتدارك، محمد المبارك، ص(٢٩).

(٢) انظر: علماء نجد، البسام، (٦/ ٤٥١).

(٣) انظر: معالم الوسطية، محمد المبارك، ص(٢١).

(٤) انظر: مشاهير علماء نجد، عبدالرحمن آل الشيخ، ص(١٩١-١٩٤). روضة الناظرين، القاضي، (٢/ ١٣٣-١٣٥).

(١٣٣٣هـ)[1].

٢-الشيخ عبدالعزيز بن بشر رحمه الله: ولد في الرياض سنة ١٢٧٥هـ، حفظ القرآن الكريم وقرأ على علماء الرياض، فأخذ عنهم أصول الدين وفروعه والحديث، والتفسير، والعربية، فنبغ في هذه الفنون، وأولع بكتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم.

ولاه الملك عبدالعزيز القضاء في بريدة ثم الأحساء، ثم الرياض، وله حاشية على مختصر المقنع.

مرض في آخر حياته حتى توفي في الرياض سنة ١٣٥٩هـ[2].

وقد أخذ عنه الشيخ فيصل عام ١٣٤١هـ[3].

سادساً: شيوخه في القصيم:

١-الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله: ولد في عنيزة سنة ١٣٠٧هـ.

نشأ يتيم الأبوين، فقام أخوه الأكبر حمد بتربيته ورعايته، فنشأ نشأة صالحة كريمة، فحفظ القرآن، وقرأ علم الحديث، والمصطلح، والأصول، والفروع، والتفسير.

رشح للقضاء في عنيزة فامتنع، وقد تولى إمامة وخطابة الجامع الكبير بعنيزة.

مرض آخر حياته ثم توفي سنة ١٣٧٣هـ[4].

وقد اجتمع الشيخ فيصل بالشيخ بن سعدي واستفاد منه، وكانت بينهما مراسلات علمية، كان الشيخ فيصل يوجه فيها الأسئلة العلمية والشيخ بن سعدي يجيب عليها[5].

---

(١) انظر: المتدارك، محمد المبارك، ص(٢٨).

(٢) انظر: روضة الناظرين، القاضي، (١/ ٣٠٨-٣١٢). علماء نجد، البسام، (٣/ ٤٢١-٤٢٧).

(٣) انظر: معالم الوسطية، محمد المبارك، ص(٢٤).

(٤) انظر: الأعلام، الزركلي، (٣/ ٣٤٠). روضة الناظرين، القاضي، (١/ ٢٢٠). مشاهير علماء نجد، عبدالرحمن آل الشيخ، ص(٣٩٢).

(٥) انظر: المراسلات العلمية بينهما بالتفصيل في الباب الثالث، الفصل الثالث، المبحث السادس من هذا =

سابعاً: شيوخه في قطر:

١-الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع رحمه الله: ولد في عنيزة عام ١٣٠٠هـ، وكان والده قاضي عنيزة فتعلم فيها، ثم سافر إلى العراق ومصر والشام ودرس على علمائها، تولى مناصب عديدة منها رئاسة هيئة التمييز وهيئة الأمر بالمعروف عام ١٣٧٤هـ، ثم تولى الإشراف على التعليم في دولة قطر، حتى توفي عام ١٣٨٥هـ، وقد خلف كثيراً من المؤلفات منها: الكواكب الدرية على الدرة المضيئة، الأجوبة المحمدية[1].

وقد قرأ عليه الشيخ فيصل الحديث وعلومه، وسائر الفنون، وقد كان الشيخ فيصل ينوي الرحلة للهند لدراسة علم الحديث، فلما لقي الشيخ المانع وجده متضلعاً في هذا العلم فآثر ملازمته[2].

البحث.

(١) انظر: روضة الناظرين، القاضي، (٢/ ٢٣٩). علماء نجد، البسام، (٦/ ١٠٠-١٠٣).

(٢) مقدمة توفيق الرحمن، عبدالعزيز الزير، ص(١٧). معالم الوسطية، محمد المبارك، ص(٢٠).

المطلب الثاني: مكانته العلمية، وإجازاته

أولاً: مكانته العلمية:

تصف المراجع العلمية الشيخ فيصل بأنه العالم الجليل والفقيه المحقق، والعلامة المدقق، وتتجلى منزلة الشيخ فيصل العلمية في كثرة وشأن مشائخه الذين تلقى العلم على أيديهم، حيث إنه قرأ على أساطين العلم في ذلك الوقت، بل كاد أن يستوعبهم(١).

فقد أخذ عن عالم عصره وفريد دهره الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، وأخذ الفرائض عن أفرض أهل زمانه الشيخ عبدالله بن راشد الجلعود، وأخذ النحو عن سيبويه عصره الشيخ حمد بن فارس.

وأخذ علم الحديث عن محدث الديار النجدية الشيخ المحدث سعد بن حمد بن عتيق، وكذلك عن الشيخ المحدث محمد بن ناصر المبارك، وكذلك عن عمه الشيخ محمد بن فيصل المبارك، وقد أجازه هؤلاء الثلاثة بمروياتهم(٢).ونظراً لكثرة عدد مشايخه رحمهم الله وإياهم فقد تعذَّر استيعابهم جميعاً، فقد فات مثلاً معرفة مشايخه في رحلته لدبي التي تذكرها المراجع دون تحديد لأشخاص هؤلاء المشايخ(٣).

ومما يدل على علو كعب الشيخ فيصل في العلوم الشرعية أن الشيخ عبدالعزيز النمر أجازه إجازة الفتوى عام ١٣٣٣هـ وكان الشيخ فيصل حينذاك في العشرين من عمره(٤).

---

(١) انظر: مشاهير علماء نجد، عبدالرحمن آل الشيخ، ص(٣٩٨). وروضة الناظرين، القاضي، (٢/ ١٤٧). المتدارك، محمد المبارك، ص(٢٦).

(٢) انظر: معالم الوسطية، محمد المبارك، ص(١٩).

(٣) من المراجع التي ذكرت رحلة الشيخ إلى دبي ولم تشر إلى أسماء المشايخ الذين درس عليهم، روضة الناظرين، القاضي، (٢/ ١٤٨). المتدارك، محمد المبارك، ص(٣٠).

(٤) انظر: معالم الوسطية، محمد المبارك، ص(١٩).

وتتجلى مكانته العلمية أيضاً، في آثاره الجليلة والكثيرة التي سطرها، فقد صار لها رواج في جميع أقطار المملكة العربية السعودية[1].

وقد كان الشيخ ﷺ محل تقدير وإعجاب الكثير من أهل العلم، فقد كان الشيخ محمد بن إبراهيم دائم الثناء عليه، ويذكر إخلاصه وزهده وتأثيره في البلدان التي ينصب فيها، ويذكر من آثاره: زهده وتأثيره في الجوف[2].

وخلال وجوده في قطر سعى في إنشاء وقف على طلبة العلم في حريملاء في وقت كان عصيباً في نجد، فتم ذلك على يد الشيخ قاسم بن ثاني شيخ قطر، وجعل الناظر عليه قاضي حريملاء، فاستفاد منه طلبة العلم، وكان لذلك أطيب الأثر في نفوسهم[3].

وقد ترجم الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف للشيخ فيصل المبارك في كتابه: «مشاهير علماء نجد» والذي اقتصر فيه على كبار علماء نجد ترجمة حافلة تليق بمكانته العلمية[4].

ثانياً: إجازاته العلمية:

اجتمع للشيخ فيصل ﷺ إجازات علمية من كثير من العلماء في مختلف الفنون، أشارت المراجع إلى بعض منها، مثل:

١ -أجازه الشيخ سعد بن حمد بن عتيق ﷺ محدث الديار النجدية بما يرويه عن مشايخه من كتب العلم فمن ذلك:

---

(١) انظر: مقدمة كتاب الشيخ « المجموعة الجليلة » بقلم الشيخ عبدالمحسن ابا بطين، دار العربية، بيروت، ص(٤).

(٢) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، ربيع الأول ١٤١٨هـ، العدد (٥١)، بحث للشيخ محمد بن سعد الشويعر، بعنوان الشيخ محمد بن إبراهيم عالم الديار السعودية وفقيهاً، ص(٣٤١) بحرفه.

(٣) انظر: معالم الوسطية، محمد المبارك، ص(٢٠).

(٤) انظر: مشاهير علماء نجد، عبدالرحمن آل الشيخ، ص(٤٠٠).

أ-أجازه الشيخ سعد بتدريس أمهات كتب الحديث كالصحيحين والسنن الأربعة ومسند أحمد وموطأ مالك وغيرها من كتب السنة.

ب-كما أجازه في أمهات كتب الفقه على مذهب الإمام أحمد.

جـ-وأجازه إجازة خاصة في علم التفسير.

د-وأجازه كذلك بمصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم[1].

٢-وقد أجازه الشيخ عبدالله العنقري رحمه الله عام ١٣٣٣هـ بجميع مروياته من كتب الحديث والتفسير والفقه، وغيرها من الكتب المصنفة، وأجازه بالرواية لمذهب الإمام أحمد، وبالرواية لمصنفات الإمام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله.

وقد أجازه الشيخ العنقري أيضاً بجميع ما أجازه به الشيخ ابن عتيق رحمه الله وبجميع ما أجازه أيضاً شيخه عبدالستار ابن عبدالوهاب الصديقي، وبجميع ما أجازه به مشايخه، وتلقاه عنهم رواية، وهم: الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، والشيخ حسن ين حسين بن علي آل الشيخ والشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ والشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود والشيخ حمد بن فارس رحمهم الله[2].

٣-وفي نفس العام أجازه الشيخ عبدالعزيز النمر رحمه الله إجازة الفتوى، وكان إذ ذاك في العشرين من عمره[3] -كما أشرنا سابقاً-.



(١) انظر: معالم الوسطية، محمد المبارك، ص(٢٥) وانظر: مقدمة توفيق الرحمن، بقلم عبدالعزيز الزير، ص(١٧)، العلامة المحقق، البديوي، ص(١٢).

(٢) انظر: معالم الوسطية، محمد المبارك، ص(٢٥). وانظر: مقدمة توفيق الرحمن بقلم عبدالعزيز الزير، ص(١٧)، العلامة المحقق، البديوي، ص(١٢).

(٣) انظر: معالم الوسطية، محمد المبارك، ص(٢٦).

المطلب الثالث: تلاميذه

لقد اجتمع حول الشيخ فيصل رحمه الله عدد كبير من التلاميذ وطلبة العلم، وذلك لغزارة علمه وحسن تعليمه؛ فقد وفد إليه طلاب العلم من شتى البلاد.

ويلاحظ أن تلامذة الشيخ وبالأخص في الجوف لم يدرسوا إلا على يده، ومع ذلك تعين الكثير منهم بإجازات خطية من الشيخ قضاة في البلدان، وذلك لإقبال أهل تلك الجهة على العلم، وملازمتهم للشيخ مدة أربع عشرة سنة، ولحسن ثقة الدولة في الشيخ رحمه الله وتلامذته(١).

وسأذكر هنا بعض تلاميذ الشيخ رحمه الله، وهم(٢):

١-الشيخ إبراهيم بن خليف بن مسلم: من مواليد الجوف عام ١٣٥٠هـ، عمل معلماً، ثم مفتشاً مركزياً بالجوف، وفي سنة ١٣٧٨هـ تولى إدارة مكتب الإشراف على التعليم بالجوف، ثم نقل إلى البلدية مديراً، ثم مديراً عاماً لمكتب التخطيط، كما اشتغل بالإمامة والخطابة(٣).

٢-الشيخ إبراهيم بن سليمان الراشد رحمه الله: ولد في حريملاء عام ١٣١٨هـ عمل قاضياً في الشعيب والمحمل عام (١٣٤٩هـ) ثم قاضياً في الرياض عام ١٣٥٥هـ، ثم في عام ١٣٥٦هـ عينه الملك قاضياً للخرمة، ثم قاضياً في الأفلاج، ثم قاضياً في الرياض، ثم رئيساً للمحكمة الكبرى في الرياض، ثم إماماً للجامع الكبير بالرياض، واشتغل بالتدريس في الجامع، ثم عين قاضياً في وادي الدواسر إلى أن توفي عام ١٣٧١هـ(٤).

٣-الشيخ إسماعيل بن بلال الدرعان: ولد في الجوف عام ١٣٥٢هـ، تلقى تعليمه في الكتاتيب عند الشيخ فيصل، ونال إجازة منه سنة ١٣٧٦هـ.

---

(١) انظر: المتدارك، محمد المبارك، ص(٦٠).

(٢) الترتيب حسب الحروف الهجائية بصرف النظر عن العلم والشهرة، وكثرة الأخذ عن الشيخ.

(٣) انظر: علماء نجد، البسام، (٥/ ٤٠٠). موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية، (٤/ ١٦).

(٤) انظر: علماء نجد، البسام، (١/ ٣٠٦-٣١٠). روضة الناظرين، القاضي، (١/ ٥٢-٥٣).

عمل بالتدريس في حلقات المساجد فدرَّس القرآن والتجويد، وفي عام ١٣٧٦هـ عين معلماً في دار التربية للأيتام بالجوف. كما تم تعيينه كاتب ضبط ثم كاتب عدل في محكمة الجوف[(١)].

٤-الشيخ حمود بن مترك البليهد: كان مدرساً في جامع الشيخ فيصل، ثم انتقل إلى السلك القضائي فعمل مساعداً لرئيس محاكم الجوف، ثم قاضياً في المحكمة المستعجلة بسكاكا، بالإضافة إلى إمامته لجامع الشعيب[(٢)].

٥-الشيخ عارف بن مفضي المسعر: عمل معلماً للمرحلة الابتدائية عام ١٣٧٤هـ، ثم رئيس قسم الأرشيف بوزارة المعارف عام ١٣٨٥هـ، وعين مفتشاً في إدارة التعليم بالجوف عام ١٣٩٠هـ، وفي عام ١٣٩٣هـ كما عين مديراً عاماً بمنطقة الجوف.

ومن آثاره: التوجيه الإسلامي للنشء في فلسفة الغزالي، هذه بلادنا (الجوف)، التوجيه التربوي أهدافه وطموحه[(٣)].

٦-الشيخ عبدالرحمن بن سعد بن يحي رحمه الله: ولد في الملهم سنة ١٣٢٥هـ. عمل قاضياً في الزلفى، ثم قاضياً في حريملاء عام ١٣٦١هـ، وكان إمام وخطيب جامعها.

ثم عين قاضياً في محكمة الرياض، ثم رئيساً لمحكمة الرياض حتى وفاته عام ١٣٩٢هـ[(٤)].

٧-الشيخ عبدالعزيز بن صالح الفوزان رحمه الله: من مواليد بريدة عام ١٣٣٣هـ. عمل قاضياً في دومة الجندل عام ١٣٥٨هـ، ثم قاضياً في صبياء، كما عين رئيساً لمحكمة

(١) انظر: علماء نجد، البسام، (٥/ ٤٠١). معالم الوسطية، محمد المبارك، ص(٩٧). موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية، (٤/ ٨٦).

(٢) انظر: علماء نجد، البسام، (٥/ ٣٩٩). المتدارك، محمد المبارك، ص(٥٧).

(٣) انظر: علماء نجد، البسام ،(٥/ ٤٠٠). موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية، (٤/ ٢٣٥-٢٣٦).

(٤) انظر: روضة الناظرين، القاضي، (١/ ٢٣٧-٢٣٩).

جازان، ثم أصبح مساعداً لرئيس المحكمة الكبرى في الطائف عام ١٣٧٤هـ، وعضو في محكمة تمييز الأحكام الشرعية في مكة المكرمة بدرجة قاضي تمييز من عام ١٣٨٠هـ إلى أن توفي في عام ١٣٩٦هـ[(١)].

٨-الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز آل عبدالوهاب: من أهل حريملاء وهو أكثر طلاب الشيخ ملازمة له، وأخذاً عنه، فلازمه وعمره ١٧ عاماً، وذلك في عام ١٣٤٨هـ، وعمل بسلك القضاء اعتباراً من عام ١٣٧٧هـ، فتولى القضاء في ظهران الجنوب، ثم في القريات، ثم تدرج في سلم القضاء حتى وصل إلى درجة وكيل محكمة (أ) عام ١٣٩٣هـ بعد تزكيته من قبل أعضاء مجلس القضاء الأعلى بالإجماع، ثم عمل قاضياً بالمحكمة المستعجلة بالخبر بعد استحداثها في عام ١٣٩٤هـ[(٢)].

٩-الشيخ محمد بن مهيزع رحمه الله: ولد في حريملاء عام ١٣٢٥هـ. عين قاضياً في عدة قرى إلى أن تم تعيينه قاضياً في المحكمة الكبرى في الرياض، ثم أحيل إلى التقاعد برغبة منه وطلب، توفي عام ١٤٠٤هـ[(٣)].

١٠-الشيخ ناصر بن حمد الراشد رحمه الله: ولد في حريملاء عام ١٣٤٠هـ، عمل قاضياً في المويه في عهد الملك عبدالعزيز، ثم رئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكة المكرمة، ثم رئيساً لمحاكم منطقة عسير، وبعدها في رئاسة القضاء بمكة المكرمة.

وفي عام (١٣٨٠هـ) صدر قرار تعيينه رئيساً لتعليم البنات، ثم تقلد رئاسة شؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، وفي عام ١٤١٢هـ صدر الأمر الملكي بتعيينه رئيساً لديوان المظالم.

---

(١) انظر: روضة الناظرين، القاضي، (١/ ٣٠١)، علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم، صالح بن سليمان العمري، مطابع الإشعاع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ (٢/ ٣١٤). علماء نجد، البسام، (٣/ ٣٧٦-٣٧٨).

(٢) انظر: مقدمة توفيق الرحمن، بقلم عبدالعزيز الزير، ص(٢٣). علماء نجد، البسام، (٥/ ٣٩٩).

(٣) انظر: علماء نجد، البسام، (٦/ ١١٧-١١٨). الحالة العلمية في حريملاء، الربيعة، ص(٣٨).

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ يوم الاثنين ٢/ ١٠/ ١٤٢٢هـ، عن عمر يناهز الثمانين عاماً[1].



(١) انظر: الحالة العلمية في حريملاء، الربيعة، ص(٤٣-٤٤). موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية، (٥/ ٣١٠). موسوعة أسبار، رقم (١١٦٩).

المطلب الرابع: أعماله

لقد كانت حياة الشيخ فيصل رحمه الله كلها بذلاً وعطاء ومسارعة إلى الخير في كل الأوقات، وفي شتى المجالات، وخاصة فيما يتعلق بالقضاء والإصلاح بين الناس، فقد نذر نفسه للقيام بحقوق الله، ثم حقوق خلقه على أكمل وجه.

ويظهر لنا ذلك في أعماله العظيمة التي قام بها، والتي نلخصها فيما يلي:

١-شارك مع الملك عبدالعزيز في عدة غزوات أبلى فيهن بلاءً حسناً وكان شجاعاً باسلاً، كما شارك في الفتوحات السعودية مبكراً، فحضر فتح الأحساء عام ١٣٣١هـ وهو في التاسعة عشرة من عمره، وحضر غزوة (جراب) [(١)] أول عام ١٣٣٣هـ[(٢)].

٢-ولما كان في الخامسة والعشرين من عمره انتدبته الدولة في منتصف عام ١٣٣٨هـ وأرسلته ضمن وفد يضمُّ خمسة من كبار المشايخ يعلمونهم أصول الإسلام وشرائع الدين، وحقيقة ما دعت إليه الأنبياء والمرسلين، برئاسة الشيخ عبدالله بن راشد بن جلعود[(٣)]، وبقية الوفد هم: الشيخ ناصر الجار الله، والشيخ ناصر بن عبدالعزيز بن حسن، والشيخ حمد بن عبدالعزيز بن الشيخ[(٤)].

٣-وفي عام ١٣٤٠هـ شارك الشيخ في فتح حائل مع عمه الشيخ محمد الفيصل،

---

(١) جُراب بضم الجيم: هو منهل معروف، شرق الزلفي وشمال الأرطاوية، وكانت عنده معارك عظيمة في القرن الثاني عشر والرابع عشر وهو يحمل هذا الاسم إلى الآن. انظر: بلاد العرب، الحسن الأصفهاني، تحقيق: حمد الجاسر وصالح العلي، دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٨هـ، ص(٢٦٥). شبه الجزيرة، الزركلي، (١/ ٢٢١-٢٢٢).

(٢) انظر: مشاهير علماء نجد، عبدالرحمن آل الشيخ، ص(٣٩٩). روضة الناظرين، محمد القاضي، (٢/ ١٤٩). علماء نجد، البسام، (٥/ ٣٩٦).

(٣) صورة الخطاب الموجه من الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود إلى الشيخ الجلعود أدرجها الشيخ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري في كتابه (لسراة الليل هتف الصباح)، ص(٤١٦).

(٤) انظر: تاريخ عسير، هاشم النعمي، ص(٣٥٤). علماء نجد، البسام، (٥/ ٣٩٦).

الذي كان قاضي الجيش[1].

٤-وفي شوال من عام ١٣٤٠هـ، وخلال وجوده في أبها، وإثر مناوشات جرت بين بعض الأهالي، تحصنت الحامية السعودية في قصر (شدا) وكان مع الشيخ شيخه ناصر بن عبدالعزيز اليحي، والشيخ حمد بن عبدالعزيز بن الشيخ من أهل ثادق، وحوصروا حتى فقدوا الماء، فاستسقى الشيخ فيصل بالناس، فما انفتل من مصلاّة حتى أنشأ الله ﷻ سحابةً، فصارت مثل الترس على القلعة فأمطرتهم، ففتَّ ذلك في عزم المحاصرين فانصرفوا[2].

٥-ثم عيّنه الإمام عبدالعزيز رحمه الله بعد ذلك قاضياً في (الصُبيخة) قرب (تثليث) عام ١٣٤٢هـ تقريباً، وجلس بها مدّةً وجيزة.

٦-وفي عام ١٣٤٣هـ عين قاضياً في (أبها) وجلس بها مدة وجيزة، وفي إحدى الغزوات في ذلك الوقت، أضاع دليل الجيش طريق الماء فوضعت ناقة الشيخ أنفها على الأرض، فأمرهم الشيخ باتباعها، فبعد مسيرة يوم أوردتهم الغدير وكانوا قبلُ قد أيقنوا بالهلكة[3].

٧-ثم عيّنه الملك قاضياً في (قرية) العليا عام ١٣٤٥هـ، إلى أوائل عام ١٣٤٧هـ، وفي تلك السنة يسر الله له حج بيته الحرام فأقام في مكة المكرمة شهرين.

٨-ثم عاد إلى (الصبيخة) قاضياً بطلبٍ من أهلها، في عام ١٣٤٧هـ.

٩-ثم عين قاضياً في (تربة) عام ١٣٤٩هـ، فأقام بها سنتين.

١٠-ثم عين بعد ذلك قاضياً في (أبها) في آخر عام ١٣٥١هـ بطلب من أهلها

---

(١) المتدارك، محمد المبارك، ص(٣٤).

(٢) انظر: تاريخ عسير، هاشم النعيمي، ص(٣٦٣). المتدارك، محمد المبارك، ص(٣٥-٣٦).

(٣) المتدارك، محمد المبارك، ص(٣٥).

وذلك للمرة الثانية[1].

١١-وساهم في ذلك الوقت حين كان قاضياً في أبها مع الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي في تجديد عهد أهل نجران[2]، وأقام بأبها مدة سنتين إلى جمادى الأولى من عام ١٣٥٣هـ.

١٢-ثم عيّن في (القنفذة) عام ١٣٥٣هـ فأقام قرابة السنة[3].

١٣-ثم قاضياً في (الخرمة) عام ١٣٥٤هـ، فلم يمكث بها إلا قرابة الستة أشهر[4].

١٤-ثم رجع إلى حريملاء فأقام بها أربعة أشهر يدرِّس في مسجد (موافق) فاجتمع عليه الطلبة، وكثروا جداً[5].

١٥-وخلال إقامته في حريملاء ترأس قافلة للحج، وقد حصل خلال رحلة الحج مناوشات بين بعض الحجيج من مناطق مختلفة عند ماءٍ يقال له (سجا) إثر خلاف على ورود الماء، فأصلح الشيخ بين الفريقين وتحمّل خمسة عشر ألف دية القتلى، وقد دفعها فيما بعد الأمير الفارس الأريحي محمد بن عبدالرحمن رحمه الله وكان صديقاً خاصاً له[6].

١٦-ثم عُيِّن في (رنية) عام ١٣٥٥هـ ومكث بها ست سنوات، أي إلى جمادى الآخرة من عام ١٣٦١هـ[7].

١٧-ثم عُيِّن في (ضرما) فسار إليها من حريملاء في غرة رمضان من عام

(١) انظر: المتدارك، محمد المبارك، ص(٣٦).

(٢) انظر: مخطوط (العقد الممتاز في أخبار تهامة والحجاز)، مقبل الذكير، ورقة ١٧. مخطوط (عنوان السعد والمجد)، عبدالرحمن الناصر، ورقة ٢٩٥ وفيه نص المعاهدة حيث يتصدر الشيخ قائمة شهود العهد.

(٣) انظر: المتدارك، محمد المبارك، ص(٣٦). مقدمة توفيق الرحمن، بقلم عبدالعزيز الزير، ص(٢٠).

(٤) انظر: المتدارك، محمد المبارك، ص(٣٦-٣٧). مقدمة توفيق الرحمن، بقلم عبدالعزيز الزير، ص(٢٠).

(٥) انظر: آداب العالم والمتعلم، الجوهرة المبارك، ص(٢٠٠). المتدارك، محمد المبارك، ص(٣٧).

(٦) انظر: المتدارك، محمد المبارك، ص(٣٧).

(٧) انظر: المرجع السابق، ص(٣٧). مقدمة توفيق الرحمن، الزير، ص(٢٠).

١٣٦١هـ فمكث بها قرابة عام واحد، وفي مدة قضائه هنالك، وإثر مشاحنة حصلت بين أهل البلد كما هو الحال في كثير من القرى بعد نزول الأمطار قسم الشيخ لأهل البلد المسايل، فلا يزالون يعملون بها إلى اليوم ويدعون للشيخ رحمه الله (١).

١٨-ثم عُيّن قاضياً في الجوف فسار إليها من حريملاء في غرة رمضان من عام ١٣٦٢هـ، فأقام بها إلى أن توفي رحمه الله عام ١٣٧٦هـ(٢).

١٩-وزار الشيخ رحمه الله الرياض عام ١٣٦٩هـ حيث كانت أسرته قد انتقلت قبل ذلك بأربع سنين، ثم قدم إلى حريملاء لحضور زواج بعض أقاربه، وفي الطريق إليها أتاهم مخبر بغرق إحدى قرى الشعيب وسقوط بيوتها إثر بَرَد عظيم وقع عليها، وحصار أهل البلد في الجبال، فكلّف الشيخ بعض تجار حريملاء بإحضار كل ما يقدرون عليه من القوت لنجدة أهل البلدة، وتحمّل هو وابن عمه علي بن حمد رحمه الله نفقة ذلك، إلى أن بلغ خبرهم الدولة -حفظهم الله- والتي تكفلت بإرسال القوت والدواء إلى أهل القرية، ثم تعويضهم عما لحقهم من الهدم(٣).

٢٠-وكان الشيخ رحمه الله في كل بلد من هذه البلاد يدعو إلى التوحيد وإلى الالتزام بشرع الله وحده، وكان أول ما يبتدئ في تعليمهم كتاب الله ثم عقيدة أهل السنة وذلك من خلال كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكشف الشبهات، والأصول الثلاثة والقواعد الأربعة، وغيرها من كتب العقيدة وكتب أهل العلم(٤).

٢١-وعمل في سلك القضاء زمناً طويلاً، كان فيه مثالاً للعدالة والنزاهة، محمود السيرة ، ولا تزال ذكراه بين المدن التي تولى القضاء فيها سمراً للمتحدثين بثناء عطر، وله صيت ذائع، كما جلس للطلبة في جميع المدن التي تولى القضاء فيها، وتقلد إمامة وخطابة

(١) المتدارك، محمد المبارك، ص(٣٧-٣٨).

(٢) المرجع نفسه، ص(٣٨). مقدمة توفيق الرحمن، الزير، ص(٢١).

(٣) المتدارك، محمد المبارك،ص(٣٨).

(٤) مقدمة توفيق الرحمن، الزير، ص(٢١).

الجوامع فيهن، وله تلامذة كثر لا حصر لعددهم في (الجوف) وغيره[1]، وكان رحمه الله خير داعية إلى الله عز وجل في كل بلدة نزلها، وله في كل بلد حلَّ فيه آثار طيبة وذكرى عطرة، ولا سيما في منطقة الجوف التي أحبها وأحبته.

والحاصل:

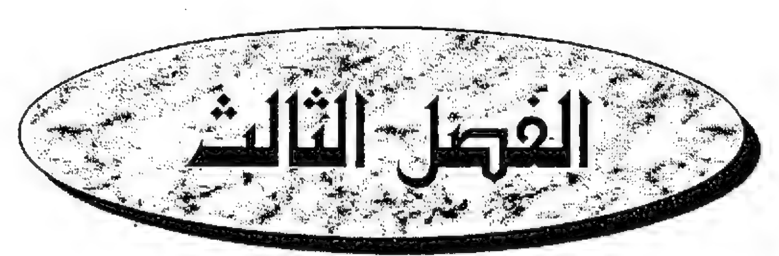
أن نشأة الشيخ وسيرته رحمه الله هي السر وراء نجاح دعوته وقبولها؛ فقد كان لتربيته الصالحة، ولحرصه على العلم تعلماً وتعليماً أثراً كبيراً في حياته.

فكان يعلم الناس ويدعوهم لأجل الله طالباً رضاه عازفاً عما سواه، فسد بذلك المنافذ على الحاقدين، وفتح أبواب الهدى للطالبين، وما ذلك إلا بصدق اللهجة، ونقاء السريرة، وتحري مواطن رضى الرب تبارك وتعالى.

وهذا مما يثير في النفس حب الله ورسوله والإيمان العميق، ويجعل الشيخ رحمه الله نبراساً يقتدي به، ويقتفى أثره.

---

(١) انظر: روضة الناظرين، القاضي، ص(١٤٩). علماء نجد، البسام، (٥/ ٣٩٦). وفي مقدمات كتبه بقلم تلميذه الشيخ عبدالرحمن الشايع الكريع، والشيخ عبدالمحسن أبا بطين.



منهج الشيخ فيصل

في تقرير مسائل الاعتقاد

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث : -

- **المبحث الأول**: الإيمان والتسليم لنصوص الوحيين.
- **المبحث الثاني**: حجية فهم السلف الصالح.
- **المبحث الثالث**: الإيمان بالنصوص على ظاهرها.

* *   * *   * *

تمهيـــــــد

لقد كان الشيخ فيصل رحمه الله أحد أئمة الدعوة السلفية الذين دعوا إلى التـزام الـدليل، وإلى اعتقاد السلف الصالح جملة وتفصيلاً، سواء فيما يختص بتوحيد الربوبية، أو توحيـد الألوهية أو توحيد الأسماء والصفات، أو إثبات مسائل الغيبيات ومشاهد الآخرة، ومـا يجري مجراها مما أجمع عليه اعتقاد أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان.

وحسبنا أن ننظر في مصنفاته التـي خلفهـا، وفي كلماتـه التـي نـشرها بـين النـاس، لنستبصر منهجه الذي كان عليه، والذي طالما دعا إليه.

ذلك المنهج السوي هو منهج الـسلف الـصالح رحمهـم الله أجمعـين، ومـن تـبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فالمنهج السلفي ليس رسماً يخط، ولا شعاراً يُطلق، بل هو سـبيل يـسلك، واعتقـاد يُلتزم، وطريقة يهتدى بها.

وهذا المنهج الذي انتهجه الشيخ رحمه الله قائم على أساس تقديم النقل على العقـل في مسائل الدين جميعاً، والاحتجاج بفهم السلف الصالح للنصوص الشرعية وأن الأصـل هو حمل أدلة الكتاب والسنة على ظاهرها لأنه هو المعنى الذي أراد الله منا فهمه والإيمان به.

هذا ويمكن بيان منهج الشيخ فيصل في الاستدلال من خلال المباحث التالية:





المبحث الأول

الإيمان والتسليم لنصوص الوحيين

<u>وفيـــه مطلبـــــان</u> : -

۞ المطلب الأول: موقفه من الاستدلال السمعي بالقرآن على العقائد.

۞ المطلب الثاني: موقفه من الاستدلال السمعي بالسنة على العقائد.

* *　　* *　　* *

المبحث الأول: الإيمان والتسليم لنصوص الوحيين:

أهل السنة والجماعة أغناهم الله بالكتاب والسنة عن ضلالات أهل الأرض، فهم ينهلون من هذا المنهل العذب عقائدهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وسلوكهم، وأخلاقهم، فكل ما وافق الكتاب والسنة قبلوه وأثبتوه، وكل ما خالفهما ردوه على قائله كائناً من كان.

بخلاف أهل البدعة والضلالة الذين أعرضوا عن هذين المصدرين، سواء كانوا من الصوفية الذين أخذوا دينهم عن طريق الرؤى والأحلام، والمكاشفات والذوق والوجد، أو من الرافضة الذين أخذوه فيما يزعمون عن أئمتهم الذين ادعوا لهم العصمة، وأئمتهم المهتدون كعلي والحسن والحسين ﷺ براء منهم، أو من أهل الكلام الذين ألهوا العقل، وجعلوه حاكماً على نصوص الوحي، أو من الذين أخذوا بالنظريات الغربية التي تخالف الإسلام جملة وتفصيلاً كبعض نظريات علم النفس، وعلم الاجتماع[1].

وقد أشار الشيخ فيصل رحمه الله إلى أن العلم النافع لا يوجد إلا في الكتاب والسنة، فقال: « والعلم النافع هو: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. قال النبي عليه الصلاة والسلام: (العلم ثلاثة: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة، وما كان سوى ذلك فهو فضل)[2].

قال بعض أهل العلم:

العلم قال الله قال رسولــــــــه	قال الصحابة هم أولوا العرفان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة	بين الرسول وبين رأي فلان »[3]

---

(١) انظر: حصوننا مهددة من داخلها، د/ محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، الطبعة العاشرة، ١٤٠٦هـ، ص(١٥-٣٩).

(٢) أخرجه أبو داود، باب ما جاء في تعليم الفرائض، (ح / ٢٨٨٥). وابن ماجه، باب اجتناب الرأي والقياس، (ح / ٥٤) وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود، (ح/ ٤٩٦)، (١٠/ ٩٢). وفي مشكاة المصابيح، (ح/ ٢٣٩)، (١/ ٥١).

(٣) وصية جامعة، ص(٥٢).

فكل ما أمر به الشارع أو نهى عنه، أو دل عليه وأخبر به، فحقه التصديق والتسليم مع الإجلال والتعظيم، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [1]، يقول الشيخ رحمه الله في تفسير هذه الآية: « قال ابن كثير: فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد ههنا ولا رأي ولا قول، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [2]. وفي الحديث: (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) [3]، ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [4]، وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [5] » [6].

إن في التزام هذه القاعدة إثبات عصمة المرسلين، وتحقيق متابعة الرسول فيما أخبر وأمر، ومجانبة مسالك المغضوب عليهم والضالين الذين ردوا على أنبيائهم، وحصول رتبة الراسخين والنجاة من مذاهب المبتدعين، ودفع توهم التعارض بين النقل والعقل.

ولذا فإنه يستحسن بنا أن نذكر بعض الأمثلة الدالة على التزام الشيخ فيصل رحمه الله لهذه القاعدة العظيمة في الاستدلال على العقائد، من خلال المطالب التالية..



(١) سورة الأحزاب: آية (٣٦).

(٢) سورة النساء: آية (٦٥).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم، (١/ ٤٦). والبغوي في شرح السنة، (١/ ٢١٣). وضعفه ابن رجب في جامع العلوم والحكم، (٢/ ٣٩٤). وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح، (ح/ ١٦٧)، (١/ ٥٩).

(٤) سورة الأحزاب: آية (٣٦).

(٥) سورة النور: آية (٦٣).

(٦) توفيق الرحمن، (٣/ ٥٠١-٥٠٢).

المطلب الأول: موقفه من الاستدلال السمعي بالقرآن على العقائد

لقد استدل الشيخ فيصل بالقرآن على مسائل الاعتقاد، متبعاً منهج السلف رحمهم الله في مواضع متعددة من كتبه، منها على سبيل المثال:

١-إثبات صفة المعية لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته: فقد ذكر ﵀ جملة من الآيات القرآنية الدالة على إثبات هذه الصفة لله تعالى فقال: « وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾[1] أي: معهم بتأييده ونصره ومعونته، وهذه معية خاصة، كقوله: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾[2]، وقوله لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾[3]، وقول النبي ﷺ للصديق وهما في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾[4]. أما المعية العامة فبالسمع والبصر والعلم، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾[5].

وكقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ﴾[6]، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾[7] »[8].

---

(١) سورة النحل: آية (١٢٨).

(٢) سورة الأنفال: آية (١٢).

(٣) سورة طه: آية (٤٦).

(٤) سورة التوبة: آية (٤٠).

(٥) سورة الحديد: آية (٤).

(٦) سورة المجادلة: آية (٧).

(٧) سورة يونس: آية (٦١).

(٨) التعليقات السنية، ص(٧٧-٧٨).

٢-كما استدل الشيخ رحمه الله على وجوب إخلاص الدعاء لله في توحيد الألوهية بآيات القرآن الكريم، فقال: « قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ۝﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ۝﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝﴾ [3].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ۝﴾ [4]، وقال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ۝ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [5]، فمن دعا مع الله غيره ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجراً أو حجراً أو شمساً أو قمراً فقد أشرك في عبادة الله غيره، وطلب منه ما ليس له، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ۝﴾ [6] » [7].



(١) سورة فاطر: الآيتان (١٣-١٤).

(٢) سورة سبأ: الآيتان (٤٠-٤١).

(٣) سورة آل عمران: آية (٨٠).

(٤) سورة الإسراء: الآيتان (٥٦-٥٧).

(٥) سورة الفرقان: الآيتان (١٧-١٨).

(٦) سورة الجن: آية (١٨).

(٧) القصد السديد، ص(٧٧-٧٨).

المطلب الثاني: موقفه من الاستدلال السمعي بالسنة على العقائد

إن من المعلوم عند أهل السنة والجماعة بأن ما صح وثبت من سنة الرسول ﷺ فهو شرع للمسلمين يجب قبوله وإن كان آحاداً؛ لأنها مطابقة لكتاب الله أعظم من مطابقة البيان للسان [(١)].

فالسنة مع كتاب الله على أقسام، كما ذكر الشيخ فيصل بما نقله عن شيخ الإسلام فقال: « فالسنة تفسر القرآن، وتبينه، وتدل عليه، وتعبر عنه » [(٢)].

وعليه فإن السنة لا تعارض القرآن بوجه ما، ومن قال بتعارضهما فإن ذلك يرد سنن رسول الله ﷺ ويبطلها، بل ويؤدي ذلك بالإنسان إلى الانحراف عن منهج الإسلام الذي بناه رسول الله ﷺ كما حصل من بعض الفرق.

وقد وافق الشيخ فيصل رحمه الله منهج السلف في وجوب الاستدلال بالسنة على مسائل الاعتقاد، ومنها ما يلي:

١-صفات الله تعالى الثابتة في السنة:

يقول الشيخ فيصل بما نقله عن شيخ الإسلام في أحاديث الصفات: « وما وصف الرسول به ربه عز وجل من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول؛ وجب الإيمان بها كذلك:

مثل قوله ﷺ: (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا كل حين يبقى الثلث الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له) متفق عليه[(٣)].

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن القيم، تحقيق: د/ علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعةالثالثة، ١٤١٨هـ، (٣/ ٩٥٣).

(٢) التعليقات السنية، ص(١٠١). العقيدة الواسطية، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد بن عبدالعزيز المانع، الرئاسة العامة لإدارة البحوث والإفتاء، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ، ص(١٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الكسوف، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، (ح / ١٠٩٤). ومسلم، كتاب

وقوله ﷺ: (لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته) متفق عليه[1].

وقوله ﷺ: (يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخلان الجنة)[2] متفق عليه »[3].

٢-ثبوت رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة في السنة: يقول الشيخ فيصل فيما نقله عن ابن كثير في ثبوت الرؤية في السنة قال: « وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله ﷻ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح، من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها أو منعها، لحديث أبي سعيد وأبي هريرة في الصحيحين: أن أناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: « هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحابة؟ » قالوا: لا. قال: « فإنكم ترون ربكم كذلك »[4].

وفي الصحيحين عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: (جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتها وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله ﷻ إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن)[5][6].



صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، (ح / ٧٥٨).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، (ح / ٥٩٥٠). ومسلم، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، (ح/ ٢٧٤٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم، (ح / ٢٦٧١). ومسلم، كتاب الإمارة، باب بيان الرجلان يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، (ح / ١٨٩٠).

(٣) التعليقات السنية، ص(١٠١).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم (ح / ٦٢٠٤). ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، (ح / ١٨٢).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾، (ح / ٤٥٩٧). ومسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ، (ح / ١٨٠).

(٦) التعليقات السنية، ص(٩٧).



المبحث الثاني

حجية فهم السلف الصالح

* *   * *   * *

المبحث الثاني: حجية فهم السلف الصالح

السلف اسم يجمع الصحابة فمن بعدهم ممن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين[1]، وفي الصحيحين: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم..) [2].

وهذه الخيرية خيرية علم وإيمان وعمل، ولقد حكى ابن تيمية رحمه الله الإجماع على خيرية القرن الأول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة[3].

ولقد اعتصم أهل السنة والجماعة بحجية فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين فعصمهم هذا من التفرق والضلال، فقالوا بما قال به السلف، وسكتوا عما سكتوا عنه، ووسعهم ما وسع السلف.

أما أهل الضلال والابتداع فمذهبهم الطعن في الصحابة وتنكب طريق السلف، قال الإمام أحمد رحمه الله: « إذا رأيت الرجل يذكر أحداً من الصحابة بسوء، فاتهمه على الإسلام » [4].

وقال ابن رجب[5] رحمه الله: « فمن عرف قدر السلف، عرف أن سكوتهم عما سكتوا

---

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرق المرضية، محمد بن أحمد السفاريني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، (١/ ٢٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، (ح / ٢٥٠٨). ومسلم كتاب الفضائل، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، (ح / ٢٥٣٥).

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، مطابع الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ، (٤/ ١٥٧-١٥٨).

(٤) الصارم المسلول على شاتم الرسول، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: محمد الحلواني، محمد شودري، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، (٣/ ١٠٥٨).

(٥) هو عبدالرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي، ولد في بغداد سنة ٧٣٦هـ ونشأ وتوفي في دمشق سنة ٧٩٥هـ. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبدالحي ابن العماد الحنبلي، دار الآفاق الحديثة، بيروت، (٦/ ٣٣٩). الأعلام، الزركلي، (٣/ ٢٩٥).

عنه من ضروب الكلام، وكثرة الجدل والخصام، والزيادة في البيان على مقدار الحاجة، لم يكن عياً ولا جهلاً، ولا قصوراً، وإنما كان ورعاً وخشية لله، واشتغالاً عما لا ينفع بما ينفع»[1].

وهذا الأصل العظيم قد التزمه الشيخ فيصل رحمه الله في منهجه في مسائل الاعتقاد وفي غيرها؛ فيقول في مقدمة تفسيره: « وأكثر ما في هذا الكتاب نقلته من تفسير ابن جرير، وابن كثير، والبغوي رحمهم الله تعالى، فما كان بلفظه عزوته، وما تصرفت فيه لم أعزه »[2].

وقد استشهد رحمه الله بأقوال السلف في مواضع كثيرة، وخاصة فيما يتعلق بصفات الله تعالى وسيظهر لنا ذلك في ثنايا هذا البحث.

---

(١) فضل علم السلف على علم الخلف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: يحي مختار غزاوي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ص(٥٨).

(٢) توفيق الرحمن، (١/ ٥١).



المبحث الثالث

الإيمان بالنصوص على ظاهرها

* *   * *   * *

المبحث الثالث: الإيمان بالنصوص على ظاهرها

ويقصد بظاهر النصوص مدلولها المفهوم بمقتضى الخطاب العربي، لا ما يقابل النص عند متأخري الأصوليين، والظاهر عندهم ما احتمل معنى راجحاً وآخر مرجوحاً، والنص هو مالا يحتمل إلا معنى واحداً[1].

فالواجب في نصوص الوحي إجراؤها على ظاهرها المتبادر من كلام المتكلم، واعتقاد أن هذا المعنى هو مراد المتكلم، ونفيه يكون تكذيباً للمتكلم، أو اتهاماً له بعدم القدرة على البيان عما في نفسه، أو اتهاماً له بالتدليس وعدم النصح للمكلف، وكل ذلك ممتنع في حق الله تعالى وحق رسوله الأمين ﷺ.

وصرف الكلام عن ظاهره المتبادر -من غير دليل يوجبه أو يبين مراد المتكلم- تحكم غير مقبول سببه الجهل أو الهوى، وهذا وإن سماه المتأخرون تأويلاً[2] إلا أنه أقرب إلى التحريف منه إلى التأويل.

وقد التزم الشيخ فيصل بهذه القاعدة العظيمة في منهجه في تفسير آيات القرآن فقال: « لم أبين التفسير في بعض المواضع؛ لأنه يظهر للعالم من سياق الآيات وكلام العرب الموجودين، خصوصاً من نشأ في بلادهم، وتجول فيها، فإنه يكاد يفسر القرآن ولو لم يسمع الآثار ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞ﴾[3] »[4].

ثم يذكر رحمه الله بعض الأمثلة الدالة على وجوب التسليم بظاهر النصوص، ومنها قوله: « تجادل رجلان فيما يفعله الجهال عند القبور من دعاء الموتى، وطلب الحاجات منهم، فقال أحدهما: هذا شرك، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٣٣/ ١٧٥).

(٢) التأويل في اصطلاح الأصوليين: هو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه لدليل. انظر: التدمرية، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٠٥هـ، ص(٩١).

(٣) سورة النور: آية (٣٥).

(٤) توفيق الرحمن، (١/ ٥٧).

أَحَدًا ﴾[1]، فقال الآخر: ما يجوز لمثلي ومثلك أن يفسر القرآن. فسكت الرجل، وكان حليماً وهو في بيت الآخر، فخرجت عليهم جارية جميلة فقال: يا فلان من هذه؟ قال: بنتي، فقال: لو تزوجتها. فضحك به وقال: أتزوج بنتي! فقال الرجل: هل في ذلك بأس. فقال: ما تسمع قوله الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ﴾[2] فقال: إنك تقول ما يجوز لمثلي ومثلك أن يفسر القرآن »[3].

ثم يذكر رحمه الله الحاصل من ما ذكره في هذا الموضوع فيقول: « والمقصود أن من كان لسانه عربياً، وفطرته مستقيمة، يعرف معنى القرآن بمجرد سماعه »[4].

وسيظهر التزام الشيخ بهذه القاعدة في باب الصفات، فلزوم الإيمان بالنصوص على ظاهرها، ودفع التأويل بغير دليل هو منهج السلف رحمهم الله قال ابن تيمية: « إن الصحابة والتابعين لم يمتنع أحد منهم عن تفسير آية من كتاب الله، ولا قال هذه من المتشابه الذي لا يعلم معناه، ولا قال أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة المتبوعين: إن في القرآن، آيات لا يعلم معناها، ولا يفهمها رسول الله ﷺ، ولا أهل العلم والإيمان جميعهم، وإنما قد ينفون علم بعض ذلك عن بعض الناس، وهذا لا ريب فيه »[5].

والخلاصة: أن منهج الشيخ فيصل رحمه الله موافق لمنهج السلف في الضوابط المنهجية لتقرير مسائل الاعتقاد، وهي:

١-الإيمان والتسليم لنصوص الوحيين.

٢-حجية فهم السلف الصالح.

٣-الإيمان بالنصوص على ظاهرها.



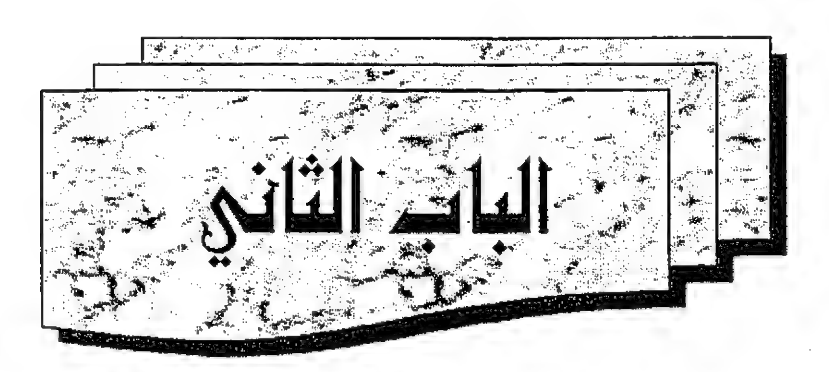
(١) سورة الجن: آية (١٨).

(٢) سورة النساء: آية (٢٣).

(٣) توفيق الرحمن، (١/ ٥٨-٥٩).

(٤) المرجع السابق، (١/ ٥٩).

(٥) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (١٣/ ٢٨٥).

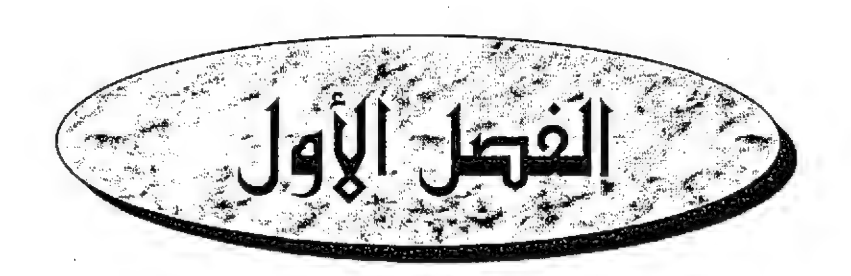


بيان جهود الشيخ فيصل في تقرير مسائل العقيدة

وفيه سبعة فصول : -

- **الفصل الأول:** تقرير الشيخ لمنهج السلف في حقيقة الإيمان.
- **الفصل الثاني:** الإيمان بالله تعالى.
- **الفصل الثالث:** الإيمان بالملائكة.
- **الفصل الرابع:** الإيمان بالكتب.
- **الفصل الخامس:** الإيمان بالرسل.
- **الفصل السادس:** الإيمان باليوم الآخر.
- **الفصل السابع:** الإيمان بالقضاء القدر.





تقرير الشيخ لمنهج السلف

في حقيقة الإيمان

وفيه تمهيد وخمسة مباحث : -

- المبحث الأول : تعريف الإيمان.
- المبحث الثاني : زيادة الإيمان ونقصانه.
- المبحث الثالث : التكفير.
- المبحث الرابع : حكم تارك جنس العمل.
- المبحث الخامس : ما يناقض الإيمان.

* * * * * *

تمهيـــــد:

تعد مسألة الإيمان من أهم مسائل العقيدة الإسلامية على الإطلاق، ولا ريب أن أول خلاف وقع في الأمة كان فيها، وكان هذا الخلاف محوراً رئيسياً تبلورت حوله آراء عدة فرق، وصار معلماً بارزاً لكل منها.

ومسألة الإيمان هي الأصل العظيم، الذي يخرج به الناس من الظلمات إلى النور، وبه يتميز السعداء من الأشقياء، وأولياء الله من أعدائه.

فالمؤمن يعيش في هذه الدنيا مطمئن البال، مرتاح الضمير؛ لأنه ينعم بنعمة الإيمان التي أمتن الله بها عليه، وامتن بها على من يشاء من عباده.

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

وقد أخبر الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه الكريم عن جزاء المؤمنين، وما أعده لهم في الآخرة من الطيبات مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ولكن الخلاف في هذه المسألة المهمة بين الفرق المحدثة على المسلمين قد أفسد كثيراً من معانيها العظيمة، وأحالوها في كثير من الأحيان إلى مجرد قضية عقلية باهتة، لا علاقة لها بالحياة، وعظم الخطب حين نادت بعض هذه الفرق بفصلها عن الحياة، وذلك يوم أصرت على إخراج العمل من الإيمان.

وإننا لنريد أن تعود هذه القضية الكبرى رائدة للقضايا الإسلامية المعاصرة، على منهج السلف، وأن تكون هي الأصل الأصيل الذي نعتمد عليه في بعث الأمة من جديد.

وقد تناول الشيخ فيصل رحمه الله تقرير حقيقة الإيمان وما يتعلق به من مسائل مهمة، كما سيأتي بيانه في المباحث التالية.





المبحث الأول

تعريف الإيمان

* *　* *　* *

المبحث الأول : تعريف الإيمان

الإيمان لغة :

يقول الأزهري[1] : « اتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق، قال تعالى حكاية عن أخوة يوسف : ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾[2] لم يختلف أهل التفسير أن معناه : وما أنت بمصدق لنا »[3].

ويقول الجوهري[4] في باب النون، فصل الألف، عن معنى كلمة أمن : «الأمان والأمانة بمعنى: وقد أمِنت فأنا آمن، وآمنت غيري، من الأمن والأمان، والإيمان : التصديق، والله تعالى المؤمن، لأنه آمن عباده من أن يظلمهم »[5].

ويقول الراغب الأصفهاني[6] : « آمن إنما يقال على وجهين : أحدهما : متعدياً

(١) هو : محمد أحمد الأزهري المعروف بالمتولي المصري شيخ القراء، له من التصانيف فتح المعطي وغنية المقرى في مقدمة ورش، توفي سنة ١٣١٣هـ.

انظر : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى الرومي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ، (٦/ ٣٩٤).

(٢) سورة يوسف: آية (١٧).

(٣) تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، تحقيق: د. أحمد البردوني، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (١٥/ ٥١٣).

(٤) هو : إسماعيل بن حماد الجوهري أبو النصر الفارابي، ابن أخت أبي إسحاق الفارابي وأصله من بلاد الترك، إمام في النحو واللغة والصرف، صنف الصحاح ثم اعتراه اختلاط ووسواس، قال عنه الذهبي : « وقع له في الصحاح أوهام عديدة » توفي سنة (٣٩٨هـ).

انظر : لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت،الطبعة الثالثة، (١/ ٤٠٠). البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، محمد الفيروزآبادي، تحقيق : محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ، (١/ ٦٧).

(٥) الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ (٥/ ٢٠٧١).

(٦) الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الإصفهاني، أو الأصبهاني، المعروف بالراغب، أديب من الحكماء =

بنفسه، يقال : آمنته، أي : جعلت له الأمن، ومنه قيل لله المؤمن. الثاني : غير متعد، ومعناه صار ذا أمن، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (١) قيل معناه : بمصدق لنا، إلا أن الإيمان هو التصديق الذي معه أمن » (٢).

وعلى هذا نجد أن من معاني هذه الكلمة في اللغة الأمن والتصديق.

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن هناك من يقول : إن معنى الإيمان الإقرار، وقد مال رحمه الله إلى هذا القول، حيث ذكر أن تفسير الإيمان بالإقرار أولى؛ لأنه يشتمل على التصديق وزيادة، قال رحمه الله : « فكان تفسيره بلفظ الإقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق، مع أن بينهما فرقاً » (٣).

الإيمان اصطلاحاً :

فقد تعددت الأقوال فيه :

١ . فأهل السنة والجماعة الذين هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة يقولون : الإيمان قول وعمل، فالقول يشمل قول القلب وقول اللسان، والعمل يشمل عمل القلب وعمل الجوارح، أو هو : اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح(٤).

العلماء، من كتبه الذريعة إلى مكارم الشريعة، توفي سنة (٥٠٢هـ).

انظر : الأعلام، الزركلي، (٢/ ٢٥٥).

(١) سورة يوسف: آية (١٧).

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٨١هـ، ص(٢٦).

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٧/ ٥٣٠-٥٣١).

(٤) انظر: الإيمان ، محمد بن إسحاق بن منده، تحقيق: د. علي بن محمد الفقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، (١/ ٣٣١). الشريعة ، محمد بن الحسين الآجري،تحقيق: د. عبدالله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، (٢/ ٦٣٦).

٢. وأما الخوارج[١] والمعتزلة[٢] فيقولون كظاهر قول السلف : الإيمان اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح.

غير أنهم يحبطون الإيمان بالكبيرة، ويكفرون صاحبها - كما فعلت الخوارج - أو ينزلونه في منزلة بين المنزلتين - كما فعلت المعتزلة، مع اتفاق الفريقين على خلود صاحبها في النار[٣].

وهناك المرجئة على اختلاف طوائفها التي اتفقت على إخراج الأعمال من مسمى الإيمان.

٢. وأما مرجئة الفقهاء[٤] فيقولون : الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان[١].

---

(١) الخوارج : هم من خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي - رضي الله عنهما - كما أجمعوا - عدا النجدات منهم -على تكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار إذا مات مصراً عليها، وتصل فرقهم إلى عشرين فرقة.

انظر : الفرق بين الفرق، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي الإسفرائيني، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد، دار المعرفة ، بيروت، ص(٧٣-٧٤). الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق : محمد سيد كيلاني، بيروت، (١/ ١١٤-١١٥).

(٢) المعتزلة : سموا بذلك لاعتزال واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد - من رؤسائهم - مجلس الحسن البصري، لقولها بأن الفاسق -مرتكب الكبيرة - لا مؤمن ولا كافر.

ويجمع المعتزلة القول بنفي الصفات عن الله، والقول بأن القرآن محدث، وأن الله لا يُرى في الآخرة، وأن الله ليس خالقاً لافعال العباد، ويُسمون أيضاً : القدرية والعدلية، وتصل فرقتهم إلى عشرين فرقة.

انظر : تلبيس إبليس، ابن الجوزي، إدارة الطبعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، ص(٨٣). الفرق بين الفرق، الاسفرائيني، ص(٢٠-٢١). الملل والنحل، الشهرستاني، (١/ ٤٣-٤٦).

(٣) انظر: الإيمان، ابن مندة (١/ ٣٣١). الملل والنحل، الشهرستاني، (١/ ١١٤). شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار المعتزلي، تحقيق: د. عبدالكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ ص(٦٦٦).

(٤) أصل الإرجاء التأخير، وسموا مرجئة ؛ لأنهم أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان، وقيل من اعطاء الرجاء =

٤. والكرامية[٢] يقولون: الإيمان قول باللسان[٣].

٥. والجهمية[٤] يقولون: الإيمان هو المعرفة فقط[٥].

حيث قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وقيل الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل النار أو من أهل الجنة، وقد ظهر الإرجاء عند الفقهاء في الكوفة وكان من أئمتهم حماد بن سليمان وأبو حنيفة، ولعل أبا حنيفة - رحمه الله قد رجع عن هذا القول كما في القصة التي ذكرها ابن أبي العز عن الطحاوي.

انظر: مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام، ابن تيمية، (١/ ٥٠٧). والفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ، (٢/ ١١٣). الملل والنحل، الشهرستاني، (١/ ١٨٦). شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤٠٨هـ، ص(٣٥١).

(١) انظر: الإيمان، ابن منده، (١/ ٣٣١). شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص(٣٣٣).

(٢) الكرامية: هم أتباع محمد بن كرام بن عراق بن ضربه السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥هـ، وهم يوافقون السلف في إثبات الصفات ولكنهم يبالغون في ذلك إلى حد التشبيه والتجسيم.

انظر: الفرق بين الفرق، الاسفرائيني، ص(٢١٥). ميزان الاعتدال، الذهبي، تحقيق: علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٨٢هـ، (٤/ ٢١-٢٢).

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص(٣٣٣). فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، (١/ ٤٦).

(٤) الجهمية: هم أتباع جهم بن صفوان: الذي قال: إن العبد مجبور على فعله ولا قدرة له ولا اختيار، ومن ضلالاته، إنكار الصفات، والقول بأن الجنة والنار تبيدان، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط والكفر هو الجهل به فقط.

انظر: الفرق بين الفرق، الاسفرائيني، ص(٢٠-٢١). الملل والنحل، الشهرستاني، (١/ ٤٣-٤٦). مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، (١/ ٢٣٥).

(٥) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص(٣٣٣). مقالات الإسلاميين، الأشعري، (١/ ١٣٢).

٦. والأشاعرة[١] والماتريدية[٢] يقولون : الإيمان هو التصديق[٣].

وقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله التعريف الاصطلاحي للإيمان وفق منهج السلف حيث قال : « الإيمان يطلق على جميع أمور الدين من اعتقاد القلب، وقول اللسان، وفعل الجوارح »[٤].

فالشيخ رحمه الله يبين أنه لا يحصل الإيمان الشرعي إلا بالقول والاعتقاد والعمل، ولا يكفي واحد من هذه الأمور، بل لابد من الاتيان بها جميعاً، وهذا ما اتفق عليه السلف.

ثم يبين رحمه الله بعد ذلك اختلاف المسلمين في هذا الأصل العظيم فيقول : « قال ابن حزم في كتاب « الملل والنحل »: فرق المقرين بملة الإسلام خمس : أهل السنة، ثم المعتزلة ومنهم القدرية، ثم المرجئة ومنهم الجهمية والكرامية، ثم الرافضة ومنهم الشيعة، ثم الخوارج ومنهم الأزارقة والإباضية، ثم افترقوا فرقاً كثيرة، فأكثر افتراق أهل السنة في الفروع، وأما في الاعتقاد ففي نبذ يسيرة وأما الباقون ففي مقالاتهم ما يخالف أهل السنة الخلاف البعيد والقريب.

فأقرب فرق المرجئة من قال : الإيمان التصديق بالقلب واللسان فقط، وليست العبادة من الإيمان، وأبعدهم الجهمية القائلون بأن الإيمان عقد القلب فقط، وأن أظهر

---

(١) الأشاعرة : هم المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري في مذهبه الثاني بعد رجوعه عن الاعتزال، وعامتهم يثبتون لله – تعالى – سبع صفات فقط، ويقولون بأن الإيمان هو التصديق.

انظر : الملل والنحل، الشهرستاني، (١/ ٩٤). مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٦/ ٥٥).

(٢) الماتريدية : نسبة إلى أبي منصور الماتريدي، وهم فرقة مصدرهم في تلقي الإلهيات والنبوات العقل، ولم يثبتوا إلّا ثمان صفات، ويرون أن الإيمان هو التصديق.

انظر : الماتريدية دراسة وتقويماً، أحمد الحربي، دار العاصمة، الرياض،الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ص(٧٩-١٨٥) .

(٣) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، يحي العمراني، تحقيق: سعود الخلف، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، (٣/ ٧٣٦). شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص(٣٣٣).

(٤) تطريز رياض الصالحين، ص (٤٣٨).

الكفر والتثليث بلسانه وعبدالوثن من غير تقية، والكرامية القائلون بأن الإيمان قول باللسان فقط وإن اعتقد الكفر بقلبه »[1].

كما أكد الشيخ رحمه الله أن الإيمان لا يحصل بمجرد النطق باللسان بل لابد فيه من الاعتقاد بالجنان، فيقول : « لا يكفي في الإيمان النطق من غير اعتقاد »[2].

ويقول رحمه الله في موضع آخر عند شرحه لحديث الرسول ﷺ : (ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار)[3].

قال رحمه الله « قول (صدقاً من قلبه) : هذا القيد لاخراج شهادة اللسان إذا لم يطابقها الجنان كالمنافقين »[4].

ففي قوله هذا رد على الكرامية الذين قالوا بأن الإيمان هو قول باللسان فقط.

وهي بدعة ابتدعوها مخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وقد انفردوا بها دون سائر مقالاتهم.

كما أكد رحمه الله أن الإنسان قد يخرج من الإيمان لكلمة قالها أو لعمل عمل به، حيث يقول رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[5]: « فيه بيان أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها أو عمل يعمل به »[6].

وهذا فيه رد على المرجئة الذين أخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان، وقد قال بها

(١) التعليقات السنية، ص(١٠٦).

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص(٢٨٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، (ح/ ١٢٨). ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، (ح/ ٣٢).

(٤) تطريز رياض الصالحين، ص (٢٨٢).

(٥) التوبة: آية (٦٥-٦٦).

(٦) القصد السديد، ص (٢٠٣).

طائفة من فقهاء الكوفة وعبادها، وكانت هذه البدعة عندهم لم تبرح الجانب النظري في حياتهم، أما الجانب العملي فلم يتأثر بها مطلقاً، حيث كانوا يوصون بالأعمال، وهم أنفسهم كانوا من أكثر الناس عبادة وعملاً، ولكن هذا القول كان بعد ذلك ذريعة إلى ظهور الفسق، وموطئاً لإرجاء الجهمية الغالي(١).

الخلاف في مسمى الإيمان :

لقد تقدم مذاهب الناس في الإيمان، وعلى العموم فالناس فيه فريقان :

الفريق الأول : الذي يجعلون الأعمال من مسمى الإيمان.

الفريق الثاني : الذين يخرجون الأعمال من مسمى الإيمان.

فأهل السنة والجماعة، ومعهم الخوارج والمعتزلة هم الفريق الأول.

وبقية الفرق وهم المرجئة من جهمية وكرامية وأشعرية وماتريدية ومرجئة الفقهاء هم الفريق الثاني.

إلا أن الخوارج والمعتزلة وإن وافقوا أهل السنة والجماعة في إدخال الأعمال في مسمى الإيمان، إلا أنهم خالفوهم في حكم مرتكب الكبيرة، حيث كفرته الخوارج وحكمت عليه المعتزلة بأنه في منزلة بين المنزلتين، مع اتفاق الطائفتين على خلوده في النار.

فالفرق بينهم وبين أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة أنهم سلبوه مطلق الإيمان، وأما أهل السنة فلم يسلبوه سوى الإيمان المطلق.

وفي هذا المعنى يقول الشيخ فيصل رحمه الله عند شرحه لحديث الرسول ﷺ : (قال الله تعالى : يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة) (٢)، قال رحمه الله : « في هذا الحديث : كثرة ثواب التوحيد، وسعة كرم الله

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٧/ ١٩٤-١٩٥).

(٢) أخرجه : الترمذي، كتاب الدعوات من رسول الله (ﷺ)، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده، (ح/ ٣٥٤٠)، وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. والإمام أحمد، (٥/ ١٥٤). وحسنه الألباني في صحيح الجامع، (ح/ ٧٩٩)، (٢/ ٧٩٩).

وجوده ورحمته، والرد على الخوارج الذين يكفرون المسلم بالذنوب، وعلى المعتزلة القائلين : بالمنزلة بين المنزلتين، وهي الفسوق، ويقولون : ليس بمؤمن ولا كافر ويخلد في النار، والصواب قول أهل السنة : أنه لا يسلب عنه اسم الإيمان، ولا يعطاه على الاطلاق، بل يقال : هو مؤمن عاص، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته وعلى هذا يدل الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[1] »[2].

وأما أهل الفريق الثاني فقد خالفوا أهل السنة والجماعة في الاسم، حيث جعلوا المرء مؤمناً ولولم يعمل شيئاً قط، فهم قد نازعوا في اسم الإيمان، ومن يستحقه.

وفي الرد عليهم يقول الشيخ فيصل رحمه الله عند شرحه لحديث الرسول ﷺ : (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة : فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)[3]، قال : «شعب الإيمان : هي الأعمال الشرعية، وهي تتفرع من أعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال البدن »[4].

فقد أكد الشيخ رحمه الله أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان وهي جزء منه.

وقد فهم السلف الصالح – رضوان الله عليهم – شبهات المخالفين في الإيمان، وعرفوا أصولهم الفاسدة – سواء كان القائلون بأن الأعمال من الإيمان أو الذين ينفونها من الإيمان – حيث تقوم على شبهتين :

الشبهة الأولى : اعتقادهم أن الإيمان شعبة واحدة وأنه كل لا يتجزأ، إما أن يوجد كله، وإما أن يذهب كله.

---

(١) النساء: آية (٤٨).

(٢) القصد السديد، ص(٣١-٣٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، (ح/ ٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، (ح/ ٣٥).

(٤) تطريز رياض الصالحين، ص (١٠٦).

الشبهة الثانية : أنه لا يجتمع في الإنسان إيمان وكفر[1].

وقد تصدى علماء السلف لهاتين الشبهتين بتفنيدها ثم الرد عليهما بردود قوية، وذلك بتحليل الخلاف في مناقشات واعتراضات وإلزامات، ومن أجل ذلك فقد كانت مناظراتهم مع المرجئة - على سبيل المثال - تنصب محطمة هذه الأصول الفاسدة، وكاشفة لهذه الشبهات الباطلة، وقد حصل ذلك من الإمام أحمد عندما بعث بجواب إلى أبي عبدالرحيم الجوزجاني[2] يتضمن ردوداً على المرجئة[3]، وكذلك الإمام أبي ثور[4] رحمه الله عندما رد على المرجئة[5]، فقد ناظروهم بما يدل على أن الإيمان ليس شيئاً واحداً.



(١) انظر : مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٧/ ٥١١-٥١٢).

(٢) هو : محمد بن أحمد أبو عبدالرحيم الجوزجاني نزيل نيسابور، ثقة فاضل، قال ابن حبان كان صديقاً لابن حنبل وكان صاحب سنة وخير، مات سنة (٢٤٥هـ).

انظر : تهذيب الكمال، يوسف أبو الحجاج المزي، تحقيق : د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٠هـ)، (٢٤/ ٣٤٣). تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ (١/ ٤٦٦) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٧/ ٣٩٠).

(٤) إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي أبو ثور الفقيه صاحب الشافعي، ثقة، قال عنه أحمد بن حنبل : «أعرفه بالسنة منذ خمسين عاماً» وله كتب مصنفة في الأحكام جمع فيها بين الحديث والفقه، مات سنة (٢٤٠هـ).

انظر : طبقات الشافعية، أبوبكر شهبة، تحقيق : د. الحافظ عبدالعليم خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ (١/ ٥٥-٥٦). تقريب التهذيب، ابن حجر، (١/ ٥٦).

(٥) انظر : مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٧/ ٣٨٩). وكلام أبي ثور رحمه الله في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، أبو القاسم اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ (٤/ ٨٤٩).



زيادة الإيمان ونقصانه

* *　　* *　　* *

المبحث الثاني : زيادة الإيمان ونقصانه

أهل السنة والجماعة يقولون : الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فهو يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي[1].

والخلاف في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه فرع عن الخلاف في تحديد معنى الإيمان الشرعي ؛ فمن قال من المبتدعة : أن الإيمان هو التصديق، ولم يدخل العمل، فقد قال بعدم زيادة الإيمان ونقصانه، ومن قال بقول أهل السنة والجماعة: أن الإيمان قول واعتقاد وعمل، قال بأنه يزيد وينقص.

وقد أوضح الشيخ فيصل رحمه الله هذه المسألة، وبين أن الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية[2] رحمه الله عندما قال : « من أصول أهل السنة والجماعة : أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية »[3].

واستشهد على ذلك بآيات من القرآن الكريم ؛ فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[4]: « أجابهم في قولهم، ماذا أراد الله بهذا مثلاً، فقال : يضل به كثيراً من الكفار، وذلك أنهم يكذبونه فيزدادون ضلالاً، ويهدي به كثيراً من المؤمنين، فيصدقونه فيزيدهم هدىً إلى هداهم، وإيماناً إلى إيمانهم »[5].

وقال رحمه الله في موضع آخر عند تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ

(١) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، (٥/ ٩٦٠). والشريعة، الآجري، (٢/ ٦٤١). فقد نسبوها إلى الإمام مالك، وسفيان بن عيينة، والأوزاعي.

(٢) العقيدة الواسطية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص(٣٩).

(٣) انظر : التعليقات السنية، ص(١١٧).

(٤) سورة البقرة: آية (٢٦).

(٥) انظر: رياض الصالحين، ص(٣٠٤).

وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[1]: «أي يزيدهم سماع القرآن إيماناً وخضوعاً لله عزوجل »[2].

وقال ﷺ أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠)﴾[3]: «يخبر تعالى عن المشركين أنهم ينكرون القرآن، ويستهزئون به، ولا يبكون، بخلاف المؤمنين، فإنهم إذا سمعوا القرآن زادهم إيماناً واقشعرت جلودهم، ولانت قلوبهم، وبكوا لما فيه من الوعد والوعيد»[4].

ولاشك أن ما ذهب إليه الشيخ فيصل ﷺ في زيادة الإيمان ونقصه هو امتداد لمنهج السلف.

يصور ذلك ابن جرير الطبري ﷺ بقوله إن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، جاء ذلك في بيان معتقده في الإيمان، واعتباره أن القول بزيادة الإيمان ونقصه أولى الأقوال بالصواب.

يقول ابن جرير في ذلك: « وأما القول في الإيمان هل هو قول وعمل؟ وهل يزيد وينقص أم لا زيادة فيه ولا نقصان؟ فإن الصواب فيه قول من قال: هو قول وعمل، يزيد وينقص، وبه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وعليه مضى أهل العلم والفضل »[5].

وكان محيي السنة وقامع البدعة الإمام أحمد بن حنبل ﷺ يذهب إلى أن: الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالقلب يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[6].

---

(١) سورة الإسراء: آية (١٠٩).

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص(٣٠٤).

(٣) سورة النجم: الآيتان (٥٩-٦٠).

(٤) تطريز رياض الصالحين، ص (٣٠٤).

(٥) الإمام ابن جرير الطبري ودفاعه عن عقيدة السلف، أحمد العوائشة، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ، ص(٥٩٠).

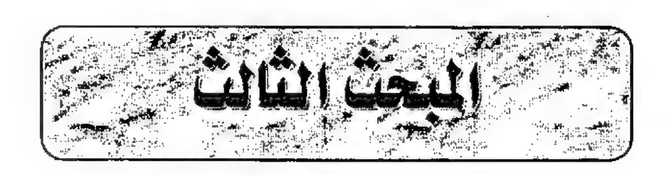
(٦) انظر: اعتقاد الإمام المبجل ابن حنبل (ذيل طبقات الحنابلة)، محمد بن أبي يعلى أبو الحسين، تحقيق: محمد =

وكذلك ابن تيمية ﷺ بين أن القول بزيادة الإيمان ونقصانه هو المأثور عن الصحابة والتابعين وجمهور السلف وهو مذهب المحدثين.

يقول: « والمأثور عن الصحابة والتابعين وجمهور السلف، وهو مذهب أهل الحديث، وهو المنسوب إلى أهل السنة، أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية »[1].

= حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، (١/ ٣٠١).

(١) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٧/ ٥٠٥).



الكبائـــــــــر

* * * * * *

المبحث الثالث: الكبائر

دلت النصوص من الكتاب والسنة على أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر.

أما في الكتاب: فمنها قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴾[3].

ومن السنة: حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إن اجتنبت الكبائر » وفي رواية: « مالم تغش الكبائر »[4].

وأوضح الشيخ فيصل رحمه الله انقسام الذنوب إلى صغائر وكبائر، وبين معنى الكبائر، فقال: « الذنوب: فيها صغائر وكبائر، فالكبيرة: ما توعد صاحبها بغضب أو لعنة أو نار»[5].

ثم ذكر رحمه الله أن الكبائر ليس لها حد معين، وأنه لا يمكن حصرها؛ فقال رحمه الله: «قال ابن عباس: هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع.

وفي رواية: هن إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار»[6].

---

(١) سورة النجم: آية (٣٢).

(٢) سورة النساء: آية (٣١).

(٣) سورة الشورى: آية (٣٧).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، (ح/ ٢٣٣).

(٥) تطريز رياض الصالحين، ص(٢٣٣).

(٦) توفيق الرحمن، (١/ ٥٢٥).

وقد ذكر ﷺ بعض الذنوب أنها من الكبائر عند شرحه لأحاديث الرسول ﷺ ففي الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ مر بقبرين، فقال : « إنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير.. الحديث »[1].

قال الشيخ ﷺ : « فيه : أن النميمة من الكبائر »[2].

وفي الحديث الذي رواه ابن مسعود ﷺ قال : « لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله : « فقالت له امرأة في ذلك، فقال : ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله ؟! فقال الله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[3] »[4].

قال الشيخ فيصل ﷺ : « فيه : أن هذه المذكورات من الكبائر »[5].

حكم مرتكب الكبيرة :

لقد سبق أن بينا رأي الشيخ ﷺ في مرتكب الكبيرة، وهو قول أهل السنة والجماعة كما ذكر ذلك ﷺ وذلك عند الحديث عن الخلاف في مسمى الإيمان بين أهل السنة ومخالفيهم[6].

وعقيدة أهل السنة والجماعة، أنهم لا يكفرون من ترك بعض الواجبات، أو فعل بعض المحرمات التي هي دون الشرك والكفر كما يفعله أهل الوعيد من الخوارج

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول، (ح/ ١٣٧٨). ومسلم، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول والاستبراء منه، (ح/ ٢٩٢).

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص(٨٤٩).

(٣) سورة الحشر: آية (٧).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب المتنمصات، (ح/ ٥٥٩٥). ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة، (ح/ ٢١٢٥).

(٥) تطريز رياض الصالحين، ص(٩٢٤).

(٦) انظر: المبحث الأول من هذا الفصل، ص(١٤١-١٤٨) .

والمعتزلة، ولا يعطونه الإيمان الكامل كما يفعله أهل الوعد من المرجئة، بل صاحب الكبيرة عندهم مؤمن بإيمانه ، فاسق بمعصيته، ناقص الإيمان، لا ينفون عنه مطلق الإيمان، ولا يثبتون له الإيمان الكامل، وهذا ما قرره الشيخ فيصل رحمه الله كما مر معنا.

وقد كان للوعيدية في قولهم شبهة هي من أكبر شبهاتهم ؛ ألا وهي وجود النص على تخليد أهل الكبائر في النار في بعض النصوص الشرعية، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [1][2].

قالوا : هذا دليل على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار[3].

وقد رد عليهم الشيخ فيصل رحمه الله بما نقله عن الشيخ ابن سعدي[4] رحمه الله حيث قال: «وأحسن ما يقال في ذكر الخلود على بعض الذنوب التي دون الشرك والكفر، أنها من باب ذكر السبب، وأنها سبب لخلود في النار لشفاعتها، وأنها بذاتها توجب الخلود إذا لم يمنع من الخلود مانع، ومعلوم بالضرورة من دين الإسلام، أن الإيمان مانع من الخلود، فتنزل هذه النصوص على الأصل المشهور، وهو أنه لا تتم الأحكام إلاَّ بوجوب شروطها وأسبابها وانتفاء موانعها، وهذا واضح ولله الحمد»[5].

وقال رحمه الله أيضاً عند شرحه لحديث الرسول ﷺ لمعاذ رضي الله عنه حيث قال : « ذاك جبريل أتاني فقال : من مات من أمتك لايشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت : وإن زنى وإن

---

(١) سورة النساء: آية (٩٣).

(٢) انظر بعض شبهاتهم الأخرى في المبحث الأول من هذا الفصل، ص(١٤٧-١٤٨).

(٣) انظر : الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو، محمد سرور بن نايف زين العابدين، دار الأرقم ، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، ص(١٦٧).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: زهري النجار، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ (١/ ٤٢١).

(٥) توفيق الرحمن، (١/ ٥٧٥).

سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق »[1].

يقول الشيخ رحمه الله: « وفيه البشارة بعدم خلود المسلم في النار وإن عمل الكبائر، فإن تاب منها في الدنيا لم يدخل النار إلاَّ تحلة القسم، وإن لم يتب فأمره إلى الله إن شاء غفر له وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[2] »[3].

وبهذا يتبين لنا أن الأدلة الشرعية لهؤلاء المخالفين، قد أخطأوا في فهمها، وغلطوا في الاستدلال بها، واشتبه الأمر عليهم بسببها.

والحاصل:

أن النصوص الواردة في الوعيد ليس المعنى منها أن العاصي خرج بالكلية من الإيمان، وصار كافراً - كما تقول الخوارج، أو في منزلة بين المنزلتين، كما قالت المعتزلة - ولكن المعنى أنه خرج من الإيمان المطلق الذي يتناول النبي ﷺ والمؤمنين معه، الذي يستحقون به الثواب بلا عقاب، وهذا الأصل العظيم قد أثبته الشيخ فيصل - كما سبق أن بينا - مقتدياً في ذلك بمنهج السلف في هذه القضية وغيرها؛ فهو متبع لطريقتهم غير مبتدع، وبما قالوا به يقول، وإلى ما ذهبوا إليه يذهب.



(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي (ﷺ) ما أحب أن لي مثل أحد ذهباً، (ح/ ٦٤٤٣). ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، (ح/ ٣٢).

(٢) سورة النساء: آية (١١٦).

(٣) تطريز رياض الصالحين، ص (٣١٦).



حكم ترك جنس العمل

* * * * * *

المبحث الرابع : حكم ترك جنس العمل

لقد سبق الحديث بأن من الأصول التي أجمع عليها أهل السنة والجماعة : أن الإيمان قول وعمل، وأنهما ركنان لايتم الإيمان إلاَّ بهما، ومقصود أهل السنة بالعمل هنا العمل الظاهر ، وهو مدار النزاع بين أهل السنة والمرجئة في الإيمان[1]، فقد زعمت المرجئة أن الإتيان بالركن الأول وهو القول كافٍ في تحقيق الإيمان، ويكون العمل بالنسبة للإيمان شرط كمال لاشرط صحة[2].

ونتيجة للخلاف بين أهل السنة والمرجئة في هذا الأصل فلابد أن يختلفوا في حكم من لم يحقق الالتزام الظاهر للعمل، فمن كان العمل عنده داخلاً في حقيقة الإيمان ومسماه (أهل السنة) كان الالتزام الظاهر بالعمل شرطاً في تحقيق أصل الدين والنجاة في الآخرة، وأما من كان العمل عنده ليس داخلاً في حقيقة الإيمان ومسماه (المرجئة) فقد التزم بالقول بأن من ترك العمل بالكلية ليس بكافر[3].

ونظراً لأهمية هذه القضية الخطيرة، فقد استحقت أن تفرد بمبحث خاص، تبرز فيها آراء الشيخ فيصل رحمه الله لأجل استنباط موافقته رحمه الله لمنهج السلف في هذه القضية.

فقد أورد الشيخ رحمه الله عدة صور لترك جنس العمل نقلاً عن عطاء الخرساني[4] عند شرحه لحديث ابن عمر عن النبي (عليه الصلاة والسلام) أنه قال : « بني الإسلام على خمس، شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة ن وإيتاء الزكاة، وحج

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٧/ ١٨٨-١٩٥).

(٢) انظر : تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، عبدالسلام اللقاني، مطبعة بولاق مصر، ١٢٩٦هـ ص(٤٧).

(٣) هذا الإشكال عند المرجئة مبني على عدم فهم قول السلف في العمل المشروط في أصل الدين، وأنه جنس العمل لا آحاد العمل، وإنما يعرف تركه في الظاهر من جهة الإصرار على ذلك.

(٤) هو عطاء بن أبي مسلم الخرساني البلخي، نزيل الشام، ولد سنة ٥٠هـ، وهو مولى المهلب بن ابي صفرة، قال عنه الدار قطني: ثقة في نفسه إلا أنه لم يلق ابن عباس، توفي سنة ١٣٥هـ.

انظر: تهذيب الكمال، المزي، (٢٠/ ١٠٦-١١٤).

البيت، وصوم رمضان »[١] فقد بين ﷺ أن الإيمان لا يتحقق إلا بتلك الأعمال، وأن من ترك أياً منها بالكلية فلن يقبل الله منه إيمانه، يقول ﷺ: « قال عطاء الخرساني: الدين خمس لا يقبل الله منهن شيئاً دون شيء: بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، والإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، وبالجنة والنار، والحياة بعد الموت، هذه واحدة.

والصلوات الخمس: عمود الدين، لا يقبل الله الإيمان إلا بالصلاة.

والزكاة: طهور من الذنوب، ولا يقبل الله الإيمان ولا الصلاة إلا بالزكاة، فمن فعل هؤلاء الثلاث ثم جاء رمضان فترك صيامه متعمداً لم يقبل الله منه الإيمان، ولا الصلاة ولا الزكاة.

فمن فعل هؤلاء الأربع ثم تيسر له الحج فلم يحج، ولم يوص بحجته، ولم يحج عنه بعض أهله، لم يقبل الله منه الأربع التي قبلها »[٢].

وهنا اتضح لنا أن الشيخ فيصل ﷺ يرى أن ترك جنس العمل كفر، بناءاً على القول بأن العمل هو ركن في الإيمان وشرط لصحته -كما هو مذهب أهل السنة والجماعة- وليس لكماله، كما حصل من بعض أهل العلم الذين يسلّمون بما أجمع عليه أهل السنة من أن الإيمان قول وعمل، ولكنهم يقولون مع ذلك إن العمل كمالي للإيمان، وليس ركناً ولا شرطاً في النجاة، فاتفقوا مع المرجئة في القول بأن تارك جنس العمل لا يكفر.

ولاشك أن هذا تناقض محض، فإما أن يكون العمل من الإيمان فيكون التارك للعمل ليس مؤمناً، وإما أن لا يكون العمل من الإيمان فيكون التارك للعمل مؤمناً.

ولهذا لزمهم التناقض في هذا الباب[٣].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم، (ح/ ٨). ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، (ح/ ١٦).

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص (٦٢٥).

(٣) انظر: ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة، عبدالله محمد القرني، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، ص(٢٠٤).

والحاصل :

أن كلام الشيخ فيصل رحمه الله في هذا الباب كان موافقاً لمذهب أهل السنة والجماعة وهو: التلازم بين القول بأن العمل من الإيمان، والقول بأن العمل ركن فيه، بحيث يكون التارك لجنس العمل ليس مؤمناً، بل هو كافر بالله باطناً وظاهراً، حتى لو أجريت عليه أحكام المسلمين الظاهرة، كما أجريت على المنافقين.

وفي بيان مدى موافقة الشيخ فيصل رحمه الله لمنهج السلف في هذا الأمر وحقيقة الفرق بين أهل السنة والمرجئة، يقول الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله : «يقولون (أي المرجئة) الإيمان قول، ونحن نقول الإيمان قول وعمل، والمرجئة أوجبوا الجنة لمن شهد أن لا إله إلا الله مصراً بقلبه على ترك الفرائض، وسموا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم، وليس بسواء، لأن ركوب المحارم من غير استحلال معصية، وترك الفرائض متعمداً من غير جهل ولا عذر هو كفر... »[1].

وقد كانت ساحة النزاع بين أهل السنة والمرجئة في هذا المقام هي قضية تارك الصلاة، والذي نعنيه هنا التارك للصلاة كسلاً وتهاوناً، أما التارك لها جحوداً وإنكاراً، فهو كافر لا خلاف في ذلك.

يقول الشيخ فيصل رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى : ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾[2]، يقول : « استنبط العلماء من هذه الآية أن من ترك الصلاة كسلاً قتل حداً إن لم يتب، وأما من جحد وجوبها فهو كافر بالكتاب والسنة، وحده القتل بإجماع العلماء »[3].

وقد ساق الشيخ رحمه الله عدداً من الأدلة التي تبين أهمية الصلاة وفي وجوب المحافظة

---

(١) السنة، عبدالله بن أحمد بن حنبل، تحقيق : محمد بن سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، (١/ ٣٤٧-٣٤٨).

(٢) سورة التوبة: آية (٥).

(٣) تطريز رياض الصالحين، ص (٦٢٤).

عليها وكفر تاركها[1]، ومن هذه الأدلة :

١) قال النبي ﷺ : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر »[2]. قال الشيخ فيصل رحمه الله : « وفي الحديث : تعظيم شأن الصلاة، وأن من تركها فهو كافر »[3].

٢) وقال بريدة رضي الله عنه: بكروا بصلاة العصر فإن النبي ﷺ قال : « من فاتته صلاة العصر فقد حبط عمله »[4].

٣) وقال النبي ﷺ : « الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله »[5].

٤) وقال النبي ﷺ : « بين الكفر والإيمان ترك الصلاة »[6].

قال الشيخ فيصل رحمه الله في معنى الحديث : « الصلاة : هي الحد الفاصل بين الإسلام والكفر »[7].

٥) ذكر النبي ﷺ الصلاة يوماً فقال : « من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم

---

(١) نصيحة جامعة ووصية نافعة، ص (١٦-١٧-١٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد، (٥/ ٣٤٦). والترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، (ح/ ٢٦٢١). والنسائي، كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، (١/ ٢٣١). وابن ماجه، كتاب الإقامة، باب ماجاء في ترك الصلاة، (ح/ ١٠٧٩). وقال الترمذي : « حسن صحيح غريب ». وصححه الحاكم (١/ ٦-٧). وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، (ح/ ٥٧٤)، (١/ ١٢٦) .

(٣) تطريز رياض الصالحين ، ص(٦٢٧).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب من ترك صلاة العصر، (ح/ ٥٥٣).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب إثر من فاتته العصر، (ح/ ٥٥٢). ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب التغليظ في تفويت صلاة العصر، (ح/ ٦٢٦).

(٦) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ماجاء في ترك الصلاة، (ح/ ٢٦١٨)، وقال : حديث حسن صحيح. وأخرجه مسلم بلفظ : (إن بين الرجل وبين الشرك ترك الصلاة)، كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر مع من ترك الصلاة، (ح/ ٨٢). وصححه الألباني في صحيح الجامع، (ح/ ٢٨٤٩)، (١/ ٥٤٨) .

(٧) تطريز رياض الصالحين، ص (٦٢٧).

القيامة مع فرعون وهامان وأبي بن خلف »[1].

وقال الشيخ فيصل رحمه الله عند شرحه لحديث عبدالله بن شقيق التابعي[2] المتفق على جلالته رحمه الله قال: « كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة » قال: « الحديث دليل على أن ترك الصلاة من موجبات الكفر، واختلف العلماء هل يجب القتل لترك صلاة واحدة أو أكثر، فالجمهور أنه يقتل لترك صلاة واحدة، قال أحمد ابن حنبل: إذا دعي إلى الصلاة فامتنع، وقال: لا أصلي حتى خرج وقتها، وجب قتله، وقال الشافعي: من ترك الصلاة كسلاً حتى أخرجها عن وقت الضرورة يقتل حداً، إن لم يتب »[3].

ومن مجموع هذه الأدلة التي ذكرها الشيخ فيصل رحمه الله وتعليقه على بعضها يظهر لنا جلياً موقف الشيخ رحمه الله من تارك الصلاة بالكلية وهو الحكم عليه بالكفر كفراً أكبر مخرج من الملة.

وما ذهب إليه الشيخ رحمه الله في كفر تارك الصلاة، قد قال به كثير من علماء السلف من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره، مما يدل على أن الشيخ فيصل رحمه الله قد سلك منهج سلف الأمة، واتبع طريقتهم، وسأذكر بعض أقوال العلماء المؤيده لما قاله رحمه الله فمنها قول الإمام محمد بن نصر المروزي[4] في كتابه: «تعظيم قدر الصلاة» فقد أورد

---

(١) أخرجه أحمد، (٢/ ١٦٩). والدارمي، (٢/ ٣٩٠). وصححه ابن حبان، (٤/ ٣٢٩). وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب، (١/ ٨٠).

(٢) هو عبدالله بن شقيق العقيلي البصري، كنيته أبو عبدالرحمن، سمع من عائشة، وقال: جاورت أبو هريرة، وقد روى عن عمر، مات سنة (١٠٨هـ).

انظر: صفة الصفوة، عبدالرحمن بن علي أبو الفرج، تحقيق: محمد فاخوري، د. محمد رواس قلعة جي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، (٣/ ٢١٣). رجال صحيح مسلم، أحمد بن علي الأصبهاني، تحقيق: عبدالله الليثي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، (١/ ٣٦٨).

(٣) تطريز رياض الصالحين، ص (٦٢٨).

(٤) هو محمد بن نصر المروزي، كان رأساً في الفقه والحديث والعبادة، ومن أعلم الناس بالاختلاف، ولم يكن =

رحمه الله الكثير من الآثار عن التابعين ومن بعدهم في تكفير تارك الصلاة، ومنها قوله: «سمعت إسحاق بن راهويه يقول: قد صح عن رسول الله ﷺ أن تارك الصلاة كافر، وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأن تارك الصلاة عمداً من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر»[1].

وفي نفس المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فأما من كان مصراً على تركها لا يصلي قط، ويموت على هذا الإصرار والترك، فهذا لا يكون مسلماً، ولكن أكثر الناس يصلون تارة، ويتركونها أخرى، فهؤلاء ليسوا محافظين عليها، وهؤلاء تحت الوعيد»[2].

وبذلك يتضح لنا أن المراد بتكفير تارك الصلاة، أي الذي يترك جنس الصلاة، لابمجرد ترك صلاة واحدة أو بعض الصلوات، فالذي يأتي ببعض الصلوات مع الالتزام بها في الجملة فليس بكافر بل هو تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، فهو داخل تحت الوعيد، وأصل هذا الرجل مسلم لأن الأصل بقاء الإسلام، فلا نخرجه منه إلا بيقين؛ لأن ما ثبت بيقين لا يرتفع إلا بيقين[3].



=

للشافعية في وقته مثله، توفي سنة (٢٩٤هـ).

انظر: العبر في خبر من غبر، شمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، (١/ ٤١٨). سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ، (١٢/ ٥١٦). البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، مكتبة المعارف، بيروت، (١١/ ٩٦).

(١) تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الولى، ١٤٠٦هـ، (ح/ ٩٩٠).

(٢) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٢٢/ ٤٩).

(٣) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به: د. سليمان أباالخيل، ود. خالد المشيقح، مؤسسة آسام، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، (٢/ ٢٦).



ما يناقـــض الإيمـــان

وفيــه تمهيد ومطلبـــان : –

۞ المطلب الأول : الكفــــــــر .

۞ المطلب الثاني : النفــــاق .

* *　　* *　　* *

تمهيـــــد

عندما تحدث العلماء في كتب الاعتقاد عن مسمى الإيمان وما يتعلق به، من حيث التعريف، وزيادته ونقصانه وغير ذلك، فإنهم في المقابل قد تحدثوا عن ما ينافي هذا الإيمان من كفر ونفاق وما يتعلق بهما من مسائل مهمة.

ومن العلماء الذين بينوا ذلك شيخنا الشيخ فيصل رحمه الله، فقد ذكر رحمه الله أن الناس على ثلاثة أصناف، حيث قال: « فصار الناس ثلاثة أقسام: مؤمنون وكفار ومنافقون، وكل سيجازى بعمله »[(١)].

وهذا التقسيم الذي ذكره الشيخ رحمه الله دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، بل هو من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[(٢)] رحمه الله.

وقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله هذا التقسيم عند تفسيره لأول سورة البقرة، التي أنزل الله فيها أربع آيات في المؤمنين، وآيتين في صفة الكافرين، وثلاث عشرة آية في المنافقين.

وقد أشار الشيخ فيصل رحمه الله إلى تعريف الكفر وأنواعه ومراتبه ثم تطرق رحمه الله لمسألة مهمة وخطيرة ألا وهي التكفير، فحذر من هذه الفتنة أشد تحذير.

وأشار كذلك إلى تعريف النفاق وأنواعه، ثم وضح حكم المنافقين في الدنيا والآخرة.

وأخيراً، فقد قرر الشيخ فيصل رحمه الله في هذا الباب أصلاً عظيماً قد قرره السلف الصالح قبله، وقد سار رحمه الله على منهجهم في هذا الباب وفي غيره من أبواب الاعتقاد، وهذا الأصل هو في وجوب التفريق بين أحكام الظاهر وأحكام الباطن عند الحكم على الناس في الحياة الدنيا بما فيهم المنافقين الذين التزموا بأعمال الإسلام الظاهرة دون الباطنة.



(١) توفيق الرحمن، (١/ ١٠٦).

(٢) انظر: شرح حديث جبريل، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: د. علي بن بخيت الزهراني، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ص(٢٩١).

المطلب الأول : الكفر

تعريف الكفر :

الكفر في اللغة : التغطية والستر، وأصل الكفر : تغطية الشيء تغطية تستهلكه، وقال الليث : يقال إنما سمي الكافر كافراً لأن الكفر غطى قلبه كله[1].

وبهذا التعريف اللغوي عرّف الشيخ فيصل رحمه الله الكفر، حيث قال : «الكفر : هو الستر والتغطية »[2].

والكفر في الشرع : ضد الإيمان، فإن الكفر عدم الإيمان بالله ورسله، سواء كان معه تكذيب، أو لم يكن معه تكذيب، بل مجرد شك وريب، أو إعراض، أو حسد، أو كبر، أو اتباع لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة، وإن كان المكذب أعظم كفراً من غيره[3].

* * * * *

أنواع الكفر :

أشار الشيخ فيصل رحمه الله إلى أنواع الكفر نقلاً عن البغوي[4] رحمه الله حيث قال: « والكفر على أربعة أنحاء : كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر عناد، وكفر نفاق »[5].

---

(١) انظر : لسان العرب، ابن منظور، (٥/ ١٤٤-١٥١).

(٢) توفيق الرحمن، (١/ ٥٣٥).

(٣) انظر : مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام، ابن تيمية، (١٢/ ٢٣٥).

(٤) هو الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي المفسر صاحب التصانيف الشهيرة منها: شرح السنة، ومعالم التنزيل، وكان يُلقب بمحيي السنة وركن الدين، وكان سيداً إماماً عالماً عاملاً زاهداً، له القدم الراسخ في التفسير والحديث والفقه توفي سنة (٥١٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٤/ ٤٣٩). العبر، الذهبي، (٢/ ٤٠٦).

(٥) توفيق الرحمن، (١/ ١٠٠). معالم التنزيل، البغوي، تحقيق: خالد عبدالرحمن، دار المعرفة، بيروت، (١/ ٤٨).

وممن أشار إلى أنواع الكفر ابن القيم رحمه الله فذكر أنها خمسة أنواع : تكذيب، وإباء واستكبار، إعراض، ونفاق[1].

وكذلك الشيخ حافظ الحكمي[2] فقد ذكر أنواع الكفر وطريق مضادتها للإيمان، فقال بعد أن ذكر أن الإيمان يكون بقول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح : « والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جداً، ليس هذا موضع بسطها، وإنما المقصود تقرير هذه الأمور من أصول الدين، فإذا حققت هذه الأمور الأربعة تحقيقاً بالغاً، وعرفت ما يراد بها معرفة تامة، وفهمت فهماً واضحاً، وأمعنت النظر في أضدادها ونواقضها تبين لك أن أنواع الكفر لا تخرج عن أربعة : كفر جهل وتكذيب، وكفر جحود، وكفر عناد واستكبار، وكفر نفاق، فأحدها يخرج من الملة بالكلية، وإن اجتمعت في شخص فظلمات بعضها فوق بعض، -والعياذ بالله من ذلك-، لأنها إما أن تنتفي هذه الأمور كلها - قول القلب، وعمله، وقول اللسان، وعمل الجوارح -، أو ينتفي بعضها فإن انتفت كلها اجتمع أنواع الكفر غير النفاق قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾[3] »[4].

ثم شرع الشيخ حافظ في بيان هذه الأنواع مستنداً إلى النصوص الشرعية فيقول :

---

(١) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ، (١/ ٣٣٧).

(٢) هو : العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، إمام وعالم سلفي، ولد سنة (١٣٤٢هـ) بقرية السلام بالقرب من جيزان، كان آية في الذكاء وفي سرعة الحفظ والفهم، توفي سنة (١٣٧٧هـ).

انظر الأعلام، الزركلي، (٢/ ١٥٩). والمستدرك على معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، ص(١٨٣).

(٣) سورة البقرة: الآيتان (٦-٧).

(٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول على علم الأصول في التوحيد، حافظ بن أحمد حكمي، اعتنى به: صلاح عويضة، أحمد القادري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ (١/ ١٨-١٩).

«وإن انتفى تصديق القلب مع عدم العلم بالحق فكفر الجهل والتكذيب، قال الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

وإن كتم الحق مع العلم بصدقه فكفر الجحود والكتمان، قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١٤٧)﴾[5].

وإذا انتفى عمل القلب، والنية، والإخلاص، والمحبة، والإذعان، مع انقياد الجوارح الظاهرة فكفر نفاق، سواء وجد التصديق المطلق، أو انتفى، وسواء انتفى بتكذيب أوشك، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨)﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)﴾[6].

وإن انتفى عمل القلب، وعمل الجوارح مع المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان فكفر عناد واستكبار: ككفر إبليس، وكفر غالب اليهود الذين شهدوا أن الرسول حق ولم يتبعوه أمثال حيي بن أخطب، وكعب الأشراف، وغيرهم، وكفر من ترك الصلاة عناداً واستكباراً»[7].

---

(١) سورة يونس: آية (٣٩).

(٢) سورة النمل: آية (٨٤).

(٣) سورة النمل: آية (١٤).

(٤) سورة البقرة: آية (٨٩).

(٥) سورة البقرة: آية (١٤٦-١٤٧).

(٦) سورة البقرة: آية (٨-٢٠).

(٧) معارج القبول، حافظ الحكمي، (٢/ ١٩).

وخلاصة القول :

أن الشيخ فيصل رحمه الله قد ذكر أنواع الكفر بصورة مجملة، وهذه الأنواع قد صرحت بها الأدلة في كتاب الله، وقد بينها السلف، وبذلك جاء تقرير الشيخ فيصل رحمه الله للمذهب الحق المستند إلى الدليل الصحيح في هذا الباب وغيره .

مراتب الكفر :

للكفر مرتبتان هما :

الكفر المخرج من الملة، المقابل للإيمان المجمل، والكفر الذي لا يخرج من الملة ويقابل الإيمان الواجب الذي هو زائد عن مرتبة الإيمان المجمل.

فكل ما ناقض أصل الدين الذي هو توحيد الله والالتزام بالشريعة إجمالاً فهو كفر أكبر.

وكل ما ثبت بنص أنه كفر، لكن دلت الدلائل على أنه ليس كفراً مخرجاً من الملة فهو كفر دون كفر، وكذا ما ورد فيه الوعيد بنحو ليس منا، أو تبرأ منه الرسول ﷺ، أو نفى عنه وصف الإيمان[1].

وقد أشار الشيخ فيصل رحمه الله إلى مراتب الكفر عند شرحه لحديث الرسول ﷺ الذي رواه زيد بن خالد[2] رضي الله عنه حيث قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال : «أصبح من عبادي مؤمن بي

(١) انظر: ضوابط التكفير، عبدالله القرني، ص(٢٦٣-٢٦٤).

(٢) هو زيد بن خالد الجهني، مختلف في كنيته قيل أبو زرعة وأبو عبدالرحمن وأبو طلحة، شهد الحديبية، وكان صاحب لواء جهينة يوم الفتح، توفي بالمدينة سنة (٦٨هـ) وعمره (٨٥سنة).

انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ (٢/٦٠٣). الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، تحقيق: علي محمد البجاوي دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، (٢/٥٤٩).

وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب »[1].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في المراد بالكفر الوارد في هذا الحديث: «قوله: « فذلك كافر بي »، أي: كفراً حقيقياً إن اعتقد أن النجم موجد للمطر حقيقة، وإلا فكافر للنعمة إن لم يعتقد ذلك، لأنه أسند ماالله لغيره »[2].

ومن الكفر الأصغر الحكم بغير الشريعة في قضية معينة لأصل الشهوة، وهذا هو تفسير ابن عباس رضي الله عنه، كما ذكر الشيخ فيصل رحمه الله حيث قال: « وعن طاوس عن ابن عباس ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[3].

قال: هي به كفر، وليس كفراً بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقال عطاء: كفر دون كفر »[4].

وأما رفض الشريعة بالكلية، وتحكيم القوانين الوضعية فهذا كفر أكبر وقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه أيضاً حيث قال: «وقال ابن عباس: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم فهو ظالم فاسق»[5].

وفي بيان حكم هذه المسألة يقول الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: « ونرى فرقاً بين شخص يضع قانوناً يخالف الشريعة ليحكم الناس به، وشخص آخر يحكم في قضية معينة بغير ما أنزل الله ؛ لأن من وضع قانوناً ليسير الناس عليه وهو يعلم مخالفته للشريعة، ولكنه أراد أن يكون الناس عليه فهذا كافر كفراً مخرجاً من الملة، ولكن من

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، (ح/ ٨٤٦). ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، (ح/ ٧٠).

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص (٩٧٥).

(٣) سورة المائدة: آية (٤٤).

(٤) توفيق الرحمن، (٢/ ٦٩).

(٥) توفيق الرحمن، (٢/ ٦٩).

حكم في مسألة معينة، يعلم فيها حكم الله، ولكن لهوى في نفسه، فهذا ظالم أو فاسق، وكفره – إن وصف بالكفر – فهو كفر دون كفر »[1].

التكفير :

من أصول أهل السنة والجماعة : أنهم لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه : ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[2]، وقال : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[3].

وهذه القاعدة العظيمة قد قررها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه العقيدة الواسطية ووافقه عليها شيخنا الشيخ فيصل – رحمه الله – في كتابه التعليقات السنية على العقيدة الواسطية[4]، وهذا يدل على أن الشيخ فيصل رحمه الله قد سلك منهج سلف هذه الأمة، واقتفى أثرهم، وقال بقولهم، واتبع طريقتهم.

وقد بين الشيخ فيصل رحمه الله بأن الواجب على كل مسلم ولاسيما أهل العلم التثبت في الأمور والحكم فيها على ضوء الكتاب والسنة وطريق سلف الأمة والحذر فيها من السبيل الوخيم الذي سلكه الكثير من الناس لاطلاق الأحكام وعدم التفصيل[5]،

---

(١) لقاء مفتوح رقم (٢٦)، ص(٣٢-٣٣). نقلاً عن كتاب ضوابط التكفير، عبدالله القرني، ص(٢٣٥-٢٣٦).

(٢) سورة البقرة: آية (١٧٨).

(٣) سورة الحجرات: الآيتان (٩-١٠).

(٤) انظر، ص (١١٧).

(٥) تكفير المعين لابد فيه من تحقق الشروط وانتفاء الموانع، ومن هذه الشروط :

أ: أن يكون العمل الذي وصف من أجله الشخص بالكفر مكفراً قامت الأدلة الصحيحة الصريحة على أنه مما يكفر به.

ب: أن لا يُكفَّر الشخص المعين إلا بعد إقامة الحجة عليه، كما قال تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء : ١٥].

=

فقد ذكر الشيخ ﷫ ذلك بما نقله عن ابن دقيق العيد[1] عند شرحه لحديث النبي ﷺ: «إذا قال الرجل لأخيه : يا كافر، فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال، وإلا رجعت عليه»[2] قال: « هذا وعيد عظيم لمن كفر أحداً من المسلمين وليس كذلك، وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين، ومن المنسوبين إلى السنة وأهل الحديث، لما اختلفوا في العقائد فغلظوا على مخالفيهم. وحكموا بكفرهم، والحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة إلا بإنكار متواتر من الشريعة عن صاحبها، فإنه حينئذ يكون مكذباً للشرع.. انتهى »[3].



جـ: أن لا يُستند في تكفير المعين إلى الظن، كما حدث في قصة أسامة بن زيد عندما قتل رجلاً بعدما قال : لا إله إلا الله، فظن أنه قالها تعوذاً.

انظر حول هذه الشروط : الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه، عبدالرزاق طاهر بن أحمد معاش، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ص(٧٠-٧١).

(١) هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري المنفلوطي المصري المالكي الشافعي، ولد في شعبان سنة (٦٢٥هـ)، وله تصانيف كثيرة منها: شرح عمدة الأحكام، والإلمام وغيرهما، كان من أذكياء زمانه، واسع العلم، ولي قضاء مصر، مات سنة (٧٠٢هـ).

انظر: طبقات الحفاظ، عبدالرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، (١/ ٥١٦). طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي السبكي، تحقيق: د. محمود الطناحي، د. عبدالفتاح الحلو، دار هجر، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، (٩/ ٢٠٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، (ح/ ٦١٠٤). ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال من قال لأخيه المسلم : يا كافر، (ح/ ٦٠).

(٣) تطريز رياض الصالحين، ص(٩٧٥).

المطلب الثاني : النفاق

تعريف النفاق :

لغة : قال الجوهري : « النفاق بالكسر فعل المنافق... والنافقاء : إحدى حجر اليربوع، يكتمها ويظهر غيرها »[1].

وذكر الفيروزآبادي[2] في القاموس المحيط مثل ذلك وزاد عليه قوله : « نافق في الدين : ستر كفره وأظهر إيمانه »[3].

وعلى هذا فالنفاق في اللغة : إظهار شيء، وإبطان شيء، أو بعبارة أخرى : إخفاء أمر، وإعلان ما يخالفه.

أما في الاصطلاح الشرعي :

فقد عرفه الشيخ فيصل رحمه الله بقوله : « النفاق هو إظهار الخير وإسرار الشر »[4].

ثم قال رحمه الله بعد ذلك : « قال ابن جريج : المنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه »[5].

والنفاق أمر قائم على الخداع والتضليل والمراوغة، قال الله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا

---

(١) الصحاح، الجوهري، (٤/ ١٥٦٠).

(٢) هو : محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي الفيروزآبادي، إمام عصره في اللغة، قدم الشام وسمع بها الحديث ثم القدس ومصر وجاور الحرمين، بلغت تصانيفه بضع وأربعون مصنفاً، ومن تصانيفه : «القاموس المحيط، وشوارق الأسرار في شرح مشارق الأنوار» وغيرهما توفي سنة (٨١٧هـ).

انظر : طبقات الشافعية، ابن شهبة، (٤/ ٦٣-٦٦).

(٣) القاموس المحيط، ص(١١٩٦).

(٤) محاسن الدين، ص (١٤٧).

(٥) تطريز رياض الصالحين، ص (٤٤٢).

أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله عند تفسيره لهذه الآيات: «هذه الآيات نزلت في المنافقين: عبدالله بن أبي وأصحابه وغيرهم ممن أظهر كلمة الإسلام واعتقد خلافها»[2].

ثم يقول رحمه الله: «يقول تعالى: يخادعون الله والذين آمنوا بإظهارهم الإيمان وإبطانهم الكفر، ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كنفعهم عند المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾[3]»[4].

ولذا كانت عاقبة المنافقين وعذابهم في الدنيا والآخرة، في الدنيا بفضيحتهم وفي الآخرة بالدرك الأسفل من النار، يقول الشيخ فيصل رحمه الله عن عقوبتهم: «وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾[5] أي: لأن وبال خداعهم راجع عليهم، بفضيحتهم في الدنيا وعقابهم في الآخرة ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي: لا يدرون أنهم يخدعون أنفسهم، وإن وبال خداعهم يعود عليهم»[6].

ويقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ ﴾[7]: «وعن مجاهد ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ ﴾ يقول: يقولون بينهم، ثم يقولون: عسى الله أن لا يفشي سرنا علينا. وقال قتادة[8]: كانت تسمى هذه السورة الفاضحة، فاضحة المنافقين»[1].

---

(١) سورة البقرة: الآيتان (٨-٩).

(٢) توفيق الرحمن، (١/ ١٠١).

(٣) سورة المجادلة: آية (١٨).

(٤) توفيق الرحمن، (١/ ١٠٢).

(٥) سورة البقرة: آية (٩).

(٦) المرجع السابق، (١/ ١٠٢).

(٧) سورة التوبة: آية (٦٤).

(٨) هو قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب البصري الأعمى، أحد علماء التابعين، كان محدثاً ومفسراً، =

ونقل الشيخ فيصل رحمه الله عن قتادة قوله في المنافقين : « قد والله رأيتموهم من خرجوا من الهدى إلى الضلال، ومن الجماعة إلى الفرقة، ومن الأمن إلى الخوف، ومن السنة إلى البدعة »[2].

أنواع النفاق :

النفاق نوعان :

الأول : نفاق اعتقادي : وهو النفاق الأكبر لتعلقه بأصل الإيمان والاعتقاد فيه، وصاحبه مخلد في النار.

الثاني : نفاق عملي : وهو النفاق الأصغر لتعلقه بالأعمال فقط دون الاعتقاد وهو من كبائر الذنوب.

وقد أشار الشيخ فيصل رحمه الله إلى نوعي النفاق بقوله : « النفاق هو إظهار الخير وإسرار الشر، وهو نوعان : اعتقادي وعملي، فالاعتقادي : هو النفاق الأكبر، وصاحبه مع الكفار مخلد معهم في النار. قال تعالى : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[3].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ

أثنى عليه كثير من العلماء، توفي بواسط سنة (١١٧هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٥/ ٢٦٩). البداية والنهاية، ابن كثير، (٩/ ٣١٦).

(١) توفيق الرحمن، (٢/ ٣٤٨).

(٢) المرجع السابق، (١/ ١٠٤).

(٣) سورة التوبة: الآيتان (٦٧-٦٨).

يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (1) إلى آخر الآيات.

والنفاق العملي: وهو النفاق الأصغر وهو من كبائر الذنوب »(2).

ويحذر الشيخ رحمه الله من الوقوع في النفاق بجميع أنواعه، عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾(3): « وقول الله تعالى: (ولئن سألتهم) أي: المنافقين، وفيه بيان أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها أو عمل يعمل به، ويفيد الخوف من النفاق الأكبر والأصغر، فإن الله تعالى - أثبت لهؤلاء، إيماناً قبل أن يقولوا ما قالوه.

وقال ابن أبي مليكة(4): أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه(5). نسأل الله السلامة والعفو والعافية في الدنيا والآخرة »(6).

---

(1) سورة النساء: آية (142).

(2) تطريز رياض الصالحين، ص(442).

(3) سورة التوبة: الآيتان (65-66).

(4) هو: عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة بن زهير بن عبدالله بن جدعان أبوبكر الأحول، وقيل: أبو محمد القرشي التيمي المكي الإمام الحجة الحافظ، كان عالماً مفتياً قاضياً لابن الزبير ومؤذناً له، من كبار التابعين، أدرك خلقاً من الصحابة، مات سنة (117هـ).

انظر: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، دار صادر، بيروت، (5/473). تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي، تحقيق: عبدالرحمن بن يحي المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1374هـ (1/101). تهذيب التهذيب، أحمد بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ، (5/268).

(5) رواه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة، رقم (688). والبخاري في كتاب الإيمان تعليقاً، (1/32).

(6) القصد السديد، ص(203).

حكم المنافقين :

كان النبي ﷺ يقبل علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله عزوجل، وعلى هذا فحكمهم في الدنيا : أن تجري عليهم أحكام الإسلام الظاهرة.

وأما حكمهم في الآخرة : فهم في الدرك الأسفل من النار، خالدين فيها وبئس المصير.

وقد بين الشيخ فيصل رحمه الله حكم المنافقين في الدنيا بما نقله عن الشوكاني[1] في شرحه لحديث رسول الله ﷺ عندما أتاه رجل من الأنصار يستأذنه في قتل رجل من المنافقين، فقال له رسول الله ﷺ : « أليس يشهد أن لا إله إلا الله ؟ » قال الأنصاري : بلى يا رسول الله، ولا شهادة له. قال : « أليس يشهد أن محمداً رسول الله ؟ » قال : بلى، ولا شهادة له. قال : « أليس يصلي ؟ » قال : بلى ولا صلاة له. فقال : « أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم »[2].

قال رحمه الله : « وفيه دلالة على أن الواجب المعاملة للناس بما يعرف من ظواهر أحوالهم من دون تفتيش، فإن ذلك مما لم يتعبدنا الله به، ولذلك قال : « إني لم أومر أن انقب عن قلوب الناس »[3]، وقال لأسامة لما قال له : « إنما قال ما قال يا رسول الله تقية»

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليماني، فقيه مفسر، ترك المذهب الزيدي، ونصر السنة وولي القضاء في صنعاء، ودرس بجامعها وأفتى، له مؤلفات كثيرة تدل على سعة علمه وجودة فهمه، ومنها: (شرح المنتقى) و(الدر النضيد في إخلاص التوحيد)، و(السيل الجرار على حدائق الأزهار) وغيرها كثير، وكان يرى حرمة التقليد فألف كتابه: (القول المفيد في حكم التقليد)، توفي سنة (١٢٥٠هـ). انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٤٨هـ (٢/ ١٣٣-١٣٩). الأعلام، الزركلي، (٦/ ٣٨) .

(٢) أخرجه النسائي، كتاب تحريم الدم، (ح/ ٣٩٨٢). وأحمد، (٥/ ٤٣٢). وابن حبان، (١٣/ ٣٠٩). والبيهقي في الكبرى، (٨/ ١٩٦). ومالك في الموطأ، (١/ ١٧١). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (ح/ ٤٠٩)، (١/ ٦٩٥) .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن، (ح/ ٤٠٩٤).
=

يعني الشهادة : « هل شققت عن قلبه » [1] واعتباره ﷺ لظواهر الأحوال كان ديدناً له وهجيراً في جميع أموره، منها قوله ﷺ لعمه العباس لما اعتذر له يوم بدر بأنه مكره، فقال له : « كان ظاهرك علينا » [2] وكذلك حديث « إنما أقضي بما أسمع، فمن قضيت له بشيء من مال أخيه فلا يأخذنه، إنما أقطع له قطعة من النار » [3] وكذلك حديث : « إنما نحكم بالظاهر » [4]، ومن أعظم اعتبارات الظاهر ما كان منه ﷺ مع المنافقين من التعاطي

ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، (ح/ ١٠٦٤).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، (ح/ ٩٦).

(٢) لم أعثر عليه بهذا اللفظ .

بل أخرج الطبري في تفسيره (١٠/ ٤٩) عن ابن عباس قال: قال العباس: « فيّ نزلت ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنفال:٦٧]، فأخبرت النبي ﷺ بإسلامي، وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي أخذ مني، فأبى، فأبدلني الله بها عشرين عبداً، كلهم تاجر، مالي في يديه » بإسناد حسن .

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، (ح/ ١٧١٣).

(٤) هذا الحديث لا أصل له، فقد اشتهر بين الأصوليين والفقهاء، ولا وجود له في كتب الحديث المشهورة ولا الأجزاء المنثورة، وقد جزم الحافظ العراقي بأنه لا أصل له، وأنكره المزي وغيره .

انظر: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، أبو الخير محمد بن عبدالرحمن السخاوي، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، (١/ ١٦٢).
كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ، (١/ ٢٢١) .

وقد ورد في السنة ما يؤدي معناه:

١- حديث ابن عباس في قصة الملاعنة: « لو كنت راجماً أحداً بغير بينة رجمتها » .

أخرجه البخاري، كتاب الطلاق، باب قول النبي ﷺ: « لو كنت راجماً بغير بينة »، (ح/ ٥٠٠٤). ومسلم، كتاب الطلاق، (ح/ ١٤٩٧) .

٢- قول عمر بن الخطاب ﷺ: « إن أناساً كانوا يُؤاخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه، وليس إلينا من =

والمعاملة بما يقتضيه ظاهر الحال »[1].

ويقول الشيخ رحمه الله عند شرحه لحديث الرسول ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)[2].

قال رحمه الله: « وفيه أن من أتى بالشهادتين والتزم أحكام الإسلام جرت عليه أحكام المسلمين سواء كان في الباطن كذلك أم لا، لأن الشريعة إنما تجري على الظواهر، ولا تنقر عما في القلوب »[3].

ويقول الشيخ فيصل رحمه الله في موضع آخر مبيناً سبب نزول قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾[4]: «قال ابن عباس: نزلت في المنافقين؛ يقول: مثلهم في نفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة، فاستدفأ ورأى ما حوله، فاتقى مما يخاف، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره، فبقي في ظلمة خائفاً متحيراً، فكذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أمنوا على أموالهم وأولادهم، وناكحوا المؤمنين، ووارثوهم، وقاسموهم الغنائم، فذلك نورهم، فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف»[5].

سريرته شيء. الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال: إن سريرته حسنة».

أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب الشهداء العدول، (ح/ ٢٤٩٨).

(١) بستان الأحبار، (١/ ١٤١-١٤٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم)، (ح/ ٢٥). ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، (ح/ ٢٢).

(٣) تطريز رياض الصالحين، ص (٦٨٠).

(٤) سورة البقرة: آية (١٧).

(٥) توفيق الرحمن، (١/ ١٠٥).

وقد كان السلف – رضوان الله عليهم – يفرقون بين الحكم الظاهر والحكم الباطن في الناس جميعاً بما فيهم المنافقين، فقد روى الخلال بسنده عن وكيع عن سفيان الثوري قال: «الناس عندنا مؤمنون في الأحكام والمواريث، نرجوا أن يكونوا كذلك، ولا ندري ما حالنا عندالله»(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في ذلك: «وبالجملة فأصل هذه المسائل أن تعلم أن الكفر نوعان: كفر ظاهر، وكفر نفاق، فإذا تكلم في أحكام الآخرة، كان حكم المنافق حكم الكفار، وأما في الدنيا، فقد تجري على المنافق أحكام المسلمين»(٢).

ويقول الحافظ ابن القيم ﷺ: «ولأن شرائع الإسلام على الأفعال الظاهرة، وأما حقائق الإيمان الباطنة، فتلك عليها شرائع الثواب والعقاب، فلله تعالى حكمان: حكم في الدنيا على الشرائع الظاهرة وأعمال الجوارح، وحكم في الآخرة على الظواهر والبواطن، ولهذا كان النبي ﷺ يقبل علانية المنافقين، ويكل أسرارهم إلى الله، فيناكحون، ويرثون ويورثون، ويعتد بصلاتهم في الدنيا، فلا يكون حكمهم حكم تارك الصلاة، إذ قد أتوا بصورتها الظاهرة، وأحكام الثواب والعقاب، ليست إلى البشر، بل إلى الله والله يتولاه في الدار الآخرة»(٣).

والنتيجة:

أن ما ذهب إليه الشيخ فيصل ﷺ في بيان حقيقة الإيمان، هو نفسه ما ذهب إليه السلف في هذا الباب، وذلك تقريراً لمنهجهم ودفاعاً عن عقيدتهم أمام أقوال المخالفين من الفرق التي حادت عن منهج السلف.

فقد أكد ﷺ على أن الإيمان قول وعمل، وأنه يزيد وينقص، وأن صاحب الكبيرة

---

(١) السنة، أبو بكر الخلال، تحقيق: د. عطية بن عتيق الزهراني، دار الراية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ص(٥٦٧).

(٢) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٧/ ٦٢٠-٦٢١).

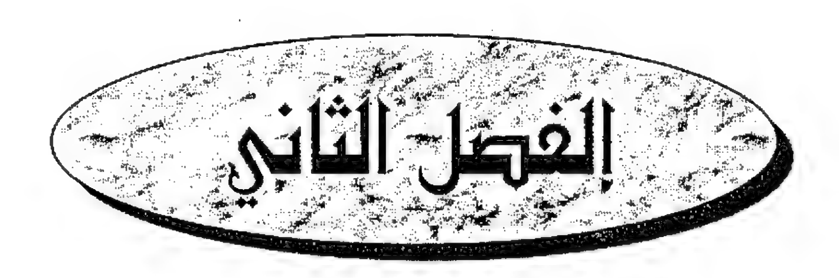
(٣) مدارج السالكين، ابن القيم، (١/ ٥٢٩).

في الدنيا مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وفي الآخرة تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وأن تارك جنس العمل كافر، وتارك الصلاة كافر.

وأخيراً ؛ بين الشيخ رحمه الله ما يناقض الإيمان من كفر ونفاق وما يتعلق بهما من أمور، مؤكداً رحمه الله على أصل عظيم في التعامل مع الناس في هذا الباب وغيره، وهو وجوب التفريق بين الحكم الظاهر والباطن عند الحكم عليهم.

وهذا الموقف الذي اختاره الشيخ فيصل رحمه الله ما هو إلا حرصاً منه على عقيدة السلف وشدة تمسكه بمنهجهم القويم بعيداً عن تعقيدات المتكلمين والمبتدعين.





الإيمان بالله تعالى

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث : -

- المبحث الأول : توحيد الربوبية.
- المبحث الثاني : توحيد الألوهية.
- المبحث الثالث : توحيد الأسماء والصفات.

* * * * * *

تمهيـــــــد :

الإيمان بالله تعالى هو الركن الأول من أركان الإيمان الستة.

فمعرفة الله وعبادته أشرف المطالب، وأعلى المقاصد، فشرف العلم من شرف المعلوم.

وقد عرَّف الله – تعالى – خلقه بأسمائه وصفاته، وأنه المتفرد بالربوبية والمستحق للألوهية وحده دون سواه.

وعلى هذا ؛ فإن الإيمان بالله لا يخرج عن نوعين :

الأول : توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

الثاني : توحيد في الطلب والقصد، وهو توحيد الإلهية والعبادة.

وقد قرر الشيخ فيصل رحمه الله هذا التقسيم حيث قال : « التوحيد نوعان : توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

وتوحيد في الطلب والقصد، وهو توحيد الإلهية والعبادة »[1].

وهذا التقسيم الذي ذكره الشيخ فيصل، قد ذكره بعض السلف من أمثال، الإمام ابن القيم الجوزية رحمه الله، حيث قال : « ثم التوحيد الذي دعت إليه رسل الله، ونزلت به كتبه نوعان : توحيد في الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقصد»[2].

وذكر هذا التقسيم أيضاً الإمام ابن أبي العز الحنفي[3].

---

(١) القصد السديد، ص(٢٣).

(٢) مدارج السالكين ، ابن القيم الجوزية، (٣/ ٤٤٩).

(٣) هو : صدر الدين محمد بن علاء الدين، علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الصالحي، ولد سنة (٧٣١هـ)، وولي قضاء دمشق ومصر، وتوفي سنة (٧٩٢هـ).

انظر : شذرات الذهب، ابن العماد، (٦/ ٣٢٦). كشف الظنون، حاجي خليفة، ص(١١٤٣). وقد أورد هذا التقسيم في شرحه للعقيدة الطحاوية، ص(٨٩).

وهناك من السلف من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام وهي :

الأول : توحيد الربوبية : وهو إفراد الله بأفعاله.

الثاني : توحيد الألوهية : وهو إفراد الله بأفعال العباد.

الثالث : توحيد الأسماء والصفات : وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تمثيل ولا تكييف.

وممن أورد هذا التقسيم، ابن مندة[1] في كتابه التوحيد[2]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[3]، وابن قيم الجوزية[4]، وابن أبي العز الحنفي[5].

والملاحظ أنه لا تعارض بين التقسيمين، فالتقسيم الأول إنما هو باعتبار ما يجب على الموحد فأحياناً يطلب منه مجرد العلم والمعرفة بعقيدة التوحيد، وأحياناً يطلب منه توجيه القصد والإرادة وإخلاص العبادة لله. أما التقسيم الثاني فهو باعتبار متعلقه، فيكون المراد منهما معنى واحد[6]، والمهم في هذا الموضوع أن علماء السلف جميعهم قد

---

(١) هو : الإمام الحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، محدث الإسلام، كان من أوسع العلماء رحلة وأكثرهم حديثاً وشيوخاً، توفي سنة (٣٩٥هـ).

انظر : سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١١/ ٧-١٠). البداية والنهاية، ابن كثير، (١١/ ٣٣٦).

(٢) انظر: مقدمة كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد، ابن مندة، تحقيق وتعليق: د. علي بن ناصر الفقيهي، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، مركز شؤون الدعوة بالجامعة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، ص(٣٣).

(٣) أورد شيخ الإسلام ابن تيمية هذا التقسيم في العقيدة التدمرية، ص(٤-٥).

(٤) أورد الإمام ابن القيم هذا التقسيم في مدارج السالكين، (١/ ٢٤-٢٥).

(٥) أورد هذا التقسيم في شرحه للعقيدة الطحاوية ، ص(٨٨).

(٦) انظر: دعوة التوحيد، د. محمد خليل هراس، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ص(١٣).

قرروا بأن توحيد الألوهية هو الغاية من خلق الخلق وفيه أصل النجاة من النار، بخلاف المتكلمين الذين جعلوا الغاية هي تحقيق الربوبية الذي أقر به المشركون وغيرهم.

هذا ويمكن بيان منهج الشيخ فيصل رحمه الله في تقرير أنواع التوحيد الذي لايتم إيمان العبد بالله إلا عند تحقيقها جميعاً، من خلال المباحث التالية..



المبحث الأول

توحيد الربوبية

وفيه ثلاثة مطالب : –

- المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية.
- المطلب الثاني: أدلة توحيد الربوبية.
- المطلب الثالث: استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية.

* *　　* *　　* *

المطلب الأول: تعريف الربوبية

أولاً: في اللغة:

الربوبية هي الاسم من المصدر (رب)، والرب: هو الله ﷻ، وهو رب كل شيء أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب ومالك الملوك والأملاك، ولا يقال الرب في غير الله إلا بالإضافة، فكل من ملك شيئاً فهو ربه أي صاحبه، يقال: هو رب الدابة ورب الدار وفلان رب البيت[1].

وقد عرّف الشيخ فيصل رحمه الله كلمة الرب بقوله: (الرب: هو المالك المتصرف)[2].

والحاصل: أن معنى الربوبية في اللغة هو: الملك والتصرف كما ذكره الشيخ رحمه الله وغيره.

ثانياً: في الشرع:

عرف الشيخ فيصل رحمه الله الربوبية بقوله: « وهو سبحانه فوق عرشه، رقيب على خلقه، مهيمن عليهم، مطلع عليهم إلى غير ذلك من معاني الربوبية »[3].

ويقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[4]. أي: « ربها ومالكها والمتصرف فيها،والحاكم الذي لا معقب لحكمه »[5].

والربوبية في الشرع يقصد بها الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو رب كل شيء وملكيه، والاعتقاد بأن الله هو الخالق، الرازق، المالك، المدبر، المحيي، المميت، الضار، النافع، المعطي، المانع، المتصرف في هذا الكون -وحده- بمشيئته المطلقة، وليس له

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (٥/ ٩٤).

(٢) توفيق الرحمن، (١/ ٨٤).

(٣) القصد السديد، ص(١١٠).

(٤) سورة الشورى: آية (٥٣).

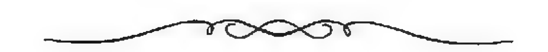
(٥) توفيق الرحمن، (٤/ ٢١).

شريك في شيء من هذه الأمور ويعبر عنه بقولهم: إفراد الله بأفعاله من الخلق والرزق...[1]، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[2]. قال الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير هذه الآية: قال ابن كثير: « أي الجميع تحت قهره وتسخيره ومشيئته، ولهذا قال منبهاً: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ أي: له الملك والتصرف »[3].

وممن عرّف الربوبية من السلف شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: « فتوحيد الربوبية أنه لا خالق إلا الله فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن »[4].

ويقول ابن القيم: « فهو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه لا يخرج شيء عن ربوبيته وكل من في السماوات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره »[5].

وعليه: فإن الشيخ رحمه الله قد وافق السلف في تعريف الربوبية شرعاً بأن الله هو الخالق المالك المتصرف.



(١) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، الشيخ محمد العثيمين، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، (١/ ٥-٧). عقيدة أهل السنة والجماعة على ضوء الكتاب والسنة، د/ سعيد مسفر القحطاني،دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ص(٧٨).

(٢) سورة الأعراف: آية (٥٤).

(٣) توفيق الرحمن، (٢/ ٢٢٣).

(٤) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (١/ ٣٣١).

(٥) مدارج السالكين، ابن القيم، (١/ ٣٤).

المطلب الثاني: أدلة الربوبية

هذا النوع من التوحيد هو الأساس بالنسبة لأنواع التوحيد الأخرى لأن الخالق المالك الرازق المتصرف هو الجدير وحده بالتوجه إليه بالعبادة، كما أنه هو الجدير وحده بأن يوصف بصفات الجلال والكمال وأن ينزه عن كل عيب ونقص.

والبراهين على توحيد الربوبية كثيرة لا يمكن حصرها إذ أن كل ما في الوجود دليل على الله ﷻ، ولكنني سأذكر بعض الدلائل التي ذكرها علماء أهل السنة والجماعة وتبعهم فيها الشيخ فيصل المبارك والتي وردت بها النصوص من الكتاب والسنة وهي:

أولاً: دليل الفطرة:

الفطرة هي مقتضى الخلقة التي خلق الله الناس عليها، وتستند معرفة حقيقة الفطرة إلى إدراك التوافق والتطابق بين حقيقتها النفسية وحقيقتها الشرعية، لأن العلم بالحقيقة النفسية للفطرة هو مقتضى العلم الضروري الذي يجده الإنسان من نفسه، دون الحاجة إلى النظر والاستدلال، وأما العلم بالحقيقة الشرعية للفطرة فهو مقتضى دلالة النصوص على فطرية معرفة الله وتوحيده.

وخلق الله وشرعه لا يمكن أن يتناقضا، لأن الخلق خلق الله، والدين دين الله، وكل ما شرعه الله فإنما هو لهداية الإنسان وصلاحه فلابد أن يوافق فطرته ولا يناقضها، ولهذا كان الأمر بعبادة الله وحده، وإخلاص الدين له أمراً بما يطابق الحقيقة النفسية للفطرة[1] كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾[2].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير هذه الآية: «أي أخلص دينك لله حنيفاً مائلاً إلى التوحيد مستقيماً عليه. قال ابن زيد[3] في قوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ قال:

(١) انظر: المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، د/ عبدالله القرني، دار عالم الكتب، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ص(٢١٦).

(٢) سورة الروم: آية (٣٠).

(٣) هو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم المدني، مولى عمربن الخطاب، له تفسير وكان كثير الحديث وضعيفٌ =

الإسلام منذ خلقهم الله من آدم جميعاً يقرون بذلك، وقرأ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ [1] قال: فهذا قول الله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [2] بعد. وعن يزيد بن أبي مريم [3] قال: مر عمر بمعاذ بن جبل فقال: ما قوام هذه الأمة؟ قال معاذ: ثلاث وهن المنجيات: الإخلاص وهو الفطرة ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ [4] والصلاة وهي الملة، والطاعة وهي العصمة، فقال عمر: صدقت) [5] » [6].

ويقول رحمه الله في معنى الفطرة الواردة في حديث الرسول ﷺ: (فإن مِتْ مِتَّ على الفطرة) [7]، قال: « أي: الدين » [8].

والشيخ رحمه الله في تفسيره للفطرة بالدين الإسلامي موافق للسلف في ذلك، قال ابن حجر في شرح الحديث: « وقوله: على الفطرة، أي على الدين القديم، ملة إبراهيم فإنه

= جداً، توفي سنة (١٨٢هـ). انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٥/ ٤١٣). طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الداودي، تحقيق: سليمان صالح، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، (١/ ١١).

(١) سورة الأعراف: آية (١٧٢).

(٢) سورة البقرة. آية (٢١٣).

(٣) هو يزيد بن أبي مريم الدمشقي، اسم أبيه ثابت الأنصاري، يُكنى بأبي عبدالله الدمشقي، كان إمام جامع دمشق زمن الوليد، ثقة، مات سنة ١٤٤هـ.

انظر: الكاشف، الذهبي، (٢/ ٣٨٩). تقريب التهذيب، ابن حجر، (١/ ٦٠٥).

(٤) سورة الروم: آية (٣٠).

(٥) أخرجه ابن جرير، (٢١/ ٤٠).

(٦) توفيق الرحمن، (٣/ ٤٤٠).

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب إذا بات طاهراً (ح/ ٥٩٥٢). ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقال عند النوم وأخذ المضجع، (ح/ ٢٧١٠).

(٨) تطريز رياض الصالحين، ص (٨٠٢).

عليه السلام أسلم واستسلم »[1].

فالنفوس البشرية فطرت على هذا النوع من التوحيد، لكن لما وردت عليها المؤثرات الخارجية من الشهوات والشبهات خالفت فطرتها السليمة التي جبلها الله عليها.

فالمشركين الذين بُعث الرسول ﷺ فيهم كانوا يقرون بهذا التوحيد ولا يشركون فيه أحداً، لكن لم ينفعهم الإقرار بالربوبية، حيث أنهم أشركوا في الألوهية.

قال الشيخ فيصل رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝﴾[2]: « قال ابن كثير: يقول تعالى: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره ﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ ليعترفن بأن الخالق لذلك هو الله وحده لا شريك له، وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الأصنام والأنداد »[3].

ويقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[4]، قال: « قال البغوي: ﴿قُل﴾ يا محمد مجيباً لهم ﴿لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا﴾ من الخلق ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ خالقها ومالكها ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ﴾ ولابد لهم من ذلك، لأنهم يقرون أنها مخلوقة، فقل لهم إذا أقروا بذلك ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمون أن من قدر على خلق الأرض ومن فيها ابتداءً يقدر على إحيائها بعد الموت »[5]

ولم ينكر هذا النوع من التوحيد إلا معاند ومكابر مستيقناً به في الباطن، فهذا فرعون مع غلوه في كفره ودعواه أقبح دعوى، ونطقه بالكلمة الشنعاء حكى الله سبحانه

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، (١١/ ١١١).

(٢) سورة الزخرف: آية (٩).

(٣) توفيق الرحمن، (٤/ ٢٥).

(٤) سورة المؤمنون: آية (٨٤).

(٥) توفيق الرحمن، (٣/ ٢١٠).

فيه على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[2].

قال الشيخ فيصل رحمه الله في معنى الآية: « أي: علموا في أنفسهم أنها حق من عند الله، ولكن جحدوها وعاندوها وكابروها ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ أي: ظلماً من أنفسهم سجية ملعونة (وعلواً) أي: استكباراً عن اتباع الحق »[3].

ونقل عن ابن جرير تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾[4] يقول: « وإني لأظن موسى كاذباً فيما يقول ويدعي من أن له رباً أرسله إلينا »[5].

والحاصل: أن الشيخ رحمه الله قد فسر الفطرة بأنها الإسلام وبذلك تكون دليلاً على ربوبية الله وحده وهذا هو مذهب السلف في دليل الفطرة.

ثانياً: دليل الخلق:

هذا الكون الفسيح وهذه العوالم الهائلة والأجرام الضخمة وتلك السماوات وما فيها من شمس، وقمر، ونجوم، وتعاقب بين الليل والنهار والأرض وما احتوته من المخلوقات البديعة والكائنات العجيبة، وهذا الإنسان وما فيه من الآيات، كل هذا وغيره يشهد أن لهذا الكون خالقاً أبدعه ومدبراً أحكم أمره وسيره والمتأمل في كتاب الله يجده مملوءاً بالآيات التي تدعو إلى النظر والتفكر في تلك الدلائل القطعية المبثوثة في الآفاق وفي الأنفس والتي تشهد بعظمة الخالق سبحانه وكمال قدرته وسعة علمه.

وقد أشار الشيخ فيصل رحمه الله إلى هذا المعنى عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ

---

(١) سورة الإسراء: آية (١٠٢).

(٢) سورة النمل: آية (١٤).

(٣) توفيق الرحمن، (٣/ ٣٢٣).

(٤) سورة غافر: آية (٣٧).

(٥) التعليقات السنية، ص (٧٣). توفيق الرحمن، (٣/ ٦٨٦).

﴿فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [1] قال: « أي ما فيهما من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته وتوحيده وحكمته » [2].

وفي موضع آخر ذكر رحمه الله أن معنى قول الحق تبارك وتعالى في آية الكرسي ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [3].

قال : « أي ملكاً وخلقاً » [4].

ودلالة الخلق هذه تقوم على مبدأ السببية، من جهة أن الحوادث المعلوم حدوثها بالضرورة لا يمكن أن يكون حدوثها ذاتياً ولا أن توجد بلا سبب، فلا بد لها من موجد وهو الله ﷻ، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [5].

فالمقصود بالآية الاستدلال بخلق الناس وعلمهم الضروري بحدوثهم أن الله هو الذي خلقهم، لأن خلقهم لا يمكن أن يكون من غير شيء، أي من غير خالق، كما لا يمكن أن يكونوا هم الذين خلقوا أنفسهم، فلزم ضرورة أن يكون الله هو الذي خلقهم[6]، وبهذا المعنى فسر الشيخ فيصل رحمه الله هذه الآية بقوله: « أوجدوا من غير موجد أم هم أوجدوا أنفسهم؟ أي لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خلقهم وأوجدهم. قال ابن كثير: وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله وهم يعلمون أن الخالق وحده لا شريك له» [7].

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٩١).

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص(٧٨٨).

(٣) سورة البقرة: آية (٢٥٥).

(٤) التعليقات السنية، ص(٢٩).

(٥) سورة الطور: آية (٣٥).

(٦) انظر:المعرفة في الإسلام، عبدالله القرني، ص(٥١٦).

(٧) توفيق الرحمن، (٤/ ١٦٦).

وقد بين رحمه الله معنى قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾[1].

فقال: «أي من الأنداد والأصنام والأوثان ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي مخلوقون مربوبون»[2].

وقد نقل رحمه الله عن ابن كثير في معنى العالم عند تفسيره قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾[3] قوله: « لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته، كما قال ابن المعتز[4]:

فيا عجباً كيف يعصي الإله — أم كيف يجحده الجاحد.

وفي كل شيء له آية — تدل على أنه واحد »[5].

ثالثاً:

دليل الإحكام والإتقان:

إن انتظام أمر العالم كله أدل دليل على أن المدبر له لابد أن يكون واحداً، لعدم إمكان تعدد الآلهة المدبرة للعالم مع تحقق الانتظام في المخلوقات، لأنه يلزم من تعدد الأرباب اختلاف إرادتهم في تدبير المخلوقات وهذا يستلزم فساد المخلوقات وعدم انتظامها، لكنها منتظمة ليس فيها فساد من هذا الوجه، فدل هذا على أن المدبر لها لابد أن يكون واحداً وهو الله تعالى.

---

(١) سورة الأعراف: آية (١٩١).

(٢) القصد السديد، ص(٨١). توفيق الرحمن، (٢/ ٢٧٧).

(٣) سورة الفاتحة: آية (١).

(٤) وهم ابن كثير وتبعه الشيخ فيصل رحمهما الله في نسبة البيتين لابن المعتز، والصحيح أنهما لأبي العتاهية. انظر: ديوان أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية، دار صادر، بيروت، ١٣٨٤هـ، ص(٧٣). وهذا مما يؤخذ على الشيخ رحمه الله في النقل من بعض الكتب دون الرجوع إلى مصادرها الأصلية فحصل بذلك بعض الأخطاء التي لا يقصدها الشيخ رحمه الله ومن ذلك تخريج بعض الأحاديث. انظر: توفيق الرحمن، (٣/ ٢٠-٢١).

(٥) توفيق الرحمن، (١/ ٨٤-٨٥).

وهذا الدليل العقلي هو الذي يسميه المتكلمون دليل التمانع، وهو في أصله صحيح إلا أنه لابد في مسائل الاعتقاد من الالتزام بدلالة النقل على الأدلة العقلية، لكونها هي الحجة على الناس، وهي التي يجب عليهم أن يسلموا بها.

ودلالة النصوص على هذا الدليل واستيفائها له أتم دلالة من الخوض مع المتكلمين فيما ذكروه من الاحتمالات والفروض[1].

ومن النصوص الدالة على هذا الأصل قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في معنى هذه الآية: « أي: تفرد بما خلقه فلم يرض أن يضاف خلقه وإنعامه إلى غيره، ومنع الإله الآخر عن الاستيلاء على ما خلق ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ أي: طلب بعضهم مغالبة بعض، كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم »[3].

ومن النصوص المتضمنة هذا الدليل قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[4].

وقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير هذه الآية قوله: « بالمغالبة والقهر ليزيلوا ملكه، كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض »[5].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، والمقصود هنا ذكر ما يدل على وجه دلالة إنعام الله على عباده، وموافقة ذلك لهم وللمخلوقات معهم تمام الموافقة، وأن ذلك لا يمكن أن يكون من غير موجد أو يكون هو مقتضى طبائع الأشياء، بل يدل بالضرورة على وجود الله وربوبيته ﷻ.

---

(١) انظر: المعرفة في الإسلام، عبدالله القرني، ص(٥١٧-٥٤٣).

(٢) سورة المؤمنون: آية (٩١).

(٣) توفيق الرحمن، (٣/ ٢١١).

(٤) سورة الإسراء: آية (٤٢)

(٥) توفيق الرحمن، (٢/ ٦٢١).

رابعاً:

دليل المعجزة:

المعجزة هي: الآيات الخارقة للسنن الجارية ومقدور الثقلين، تأييداً من الله تعالى لأنبيائه، وتصديقاً لهم في ادعائهم للنبوة وتمييزاً لهم عن المتنبئين الكذابين، وتكون مقرونة بالتحدي سالمة من المعارضة، وهي إما حسية كانقلاب العصا حية وخروج الناقة من الصخرة، أو معنوية تشاهد بالبصيرة كمعجزة القرآن الكريم وآية هود على قومه وهي الشهادة التي هي من أخفى آيات الرسل[1].

فدلالة المعجزة على وجود الله ﷻ وربوبيته سبحانه واضحة لأنها دلت على صدق الرسل، فهم لم يدعوا أن المعجزة من عندهم وإنما أخبروا أنها من عند الله وهذا يوجب الإيمان به ﷻ.

وقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله أن المعجزة دليل على ربوبية الله عند تفسير قوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩﴾[2].

« قال أبو العالية[3]: السلام لا يؤذيه بردها، ولولا أنه قال ﴿وَسَلَٰمًا﴾ لكان البرد أشد عليه من الحر، وقال كعب الأحبار[4]: ما أحرقت النار من إبراهيم إلاَّ وثاقه، وعن

---

(١) انظر: النبوات، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد عبدالرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ص(٣٠). لوامع الأنوار البهية، السفاريني، (٢/ ٢٩٠).

(٢) سورة الأنبياء: آية (٦٩).

(٣) هو رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي، المقرئ الحافظ المجود، أدرك زمن النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر، روى عن عمر وأبي بن كعب، وعنه عاصم الأحول وداود بن أبي هند، توفي سنة (٩٠هـ).

انظر: الكاشف، الذهبي، (١/ ٣٩٧). تهذيب التهذيب، ابن حجر، (٤/ ٢٨٤).

(٤) هو كعب بن مانع أبو إسحاق الحميري، أسلم زمن الصديق، وسمع عمر، سكن الشام، وكان من أوعية العلم ومن كبار علماء أهل الكتاب والسنة، توفي في خلافة عثمان.

انظر: تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي، تحقيق: عبدالرحمن بن يحي المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ، (١/ ٥٢). الكاشف، الذهبي، (٢/ ١٤٨).

أبي هريرة قال: إن أحسن شيء قاله أبو إبراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار، وجده ترشح جبينه فقال عند ذلك: نعم الرب ربك يا إبراهيم »[(١)].

وقد ذكر رحمه الله في معنى حروف الهجاء في أول بعض سور القرآن بقوله: « إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور، بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله؛ وإليه ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية »[(٢)].

واستدل الشيخ رحمه الله بمعجزة عصا موسى على وجود الله تعالى وربوبيته فقال: «أمره تعالى أن يلقى عصاه من يده ليظهر له دليلاً واضحاً على أنه الفاعل المختار القادر على كل شي »[(٣)].

وكذلك الحال في يد موسى، قال رحمه الله في هذه المعجزة: « وهذه آية أخرى ودليل باهر على قدرة الله الفاعل المختار، وصدق من جعل له معجزة »[(٤)].

وقد استدل علماء السلف على وجود الله سبحانه وربوبيته بالمعجزات التي أيد الله بها رسله لبيان صدقهم فيما أخبروا به وفيما دعوا إليه من عبادته وحده، وترك عبادة ما سواه[(٥)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « المعجزات يعلم بها صدق الرسول المتضمن إثبات مرسله لأنها دالة بنفسها على ثبوت الصانع المحدث لها »[(٦)].

والحاصل: أن الشيخ فيصل رحمه الله قد ذكر أقوى وأظهر الأدلة على ربوبية الله عز وجل وهي

---

(١) توفيق الرحمن، (٣/ ١٣٠).

(٢) المرجع السابق، (١/ ٩٧).

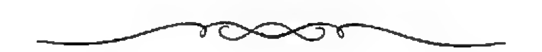
(٣) المرجع السابق، (٣/ ٣٢٢).

(٤) المرجع السابق، (٣/ ٣٢٢).

(٥) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر، تحقيق: مصطفى العلوي، ومحمد البكري، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، (٧/ ١٥٢).

(٦) درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، (٩/ ٤١).

الفطرة، ووجود الخلق، ثم إحكام الخلق وإتقانـه، وآخرهـا دلالـة المعجـزة، مـستنداً في إثبات ذلك على الأدلة الشرعية، وهو منهج السلف في إثبات العقائد.



المطلب الثالث: استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية

ومعنى ذلك أن من أقر بتوحيد الربوبية لله فاعترف بأنه لا خالق ولا رازق ولا مدبر للكون إلا الله ﷻ لزمه أن يقر بأنه لا يستحق العبادة بجميع أنواعها إلا الله سبحانه وهذا هو توحيد الألوهية -كما سيأتي ذكره- فإن الألوهية هي العبادة والإله معناه المعبود، وهو الغاية من خلق العباد، وترتيب الثواب والعقاب. وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية؛ إذ لا يمكن أن ينفك أحدهما عن الآخر إلا عند المكابرة والجحود والإنكار ولهذا فإنه كثيراً ما يحتج الله سبحانه على المشركين في توحيد الألوهية بما أقروا به من توحيد الربوبية وأمر رسوله بأن يحتج بهذه الطريقة عليهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٢٢﴾[1].

وقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير هذه الآية: « يقول تعالى: يا أيها الناس وحدوا ربكم الذي خلقكم، وخلق الذين من قبلكم لعلكم تتقون: لكي تنجوا من العذاب »[2].

ثم قال: « وقال ابن جرير: معنى ذلك، اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لتتقوه بطاعته، وتوحيده، وإفراده بالربوبية والعبادة، وقال ابن عباس: كل ما ورد في القرآن فمعناه التوحيد »[3].

ثم شرح الشيخ رحمه الله معنى كلمة الأنداد في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾، فقال: « الأنداد جمع ند وهو المثل والنظير، أي: لا تعبدوا معه غيره ﴿وَأَنتُمۡ

---

(١) سورة البقرة: الآيتان (٢١-٢٢).

(٢) توفيق الرحمن، (١/ ١٠٩).

(٣) المرجع السابق، (١/ ١٠٩).

تَعْلَمُونَ ﴾ أنه لا مثل له وأنه الخالق الرازق المستحق للعبادة دون سواه »[1].

وذكر رحمه الله التلازم بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية عند تفسيره قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ « أي: الذي له سلطان السماوات والأرض ينفذ في جميعها أمره وقضاؤه، ويمضي في كلها أحكامه، يقول: فحق على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته، ومن في سلطانه، ولا يعصوه. يقول: فلا تعصوا نذيري إليكم أيها الناس واتبعوه، واعملوا بما جاءكم من الحق »[2].

ثم نقل عن ابن جرير تفسير قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[3]، فقال: « يقول تعالى ذكره: وخلق الذي نزل على محمد الفرقان كل شيء، فالأشياء كلها خلقه وملكه، وعلى المماليك طاعة مالكهم وخدمة سيدهم دون غيره، يقول: وأنا خالقكم ومالكم فأخلصوا لي العبادة دون غيري »[4].

ونقل عنه أيضاً تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾[5] فقال: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿ وَقُلِ ﴾ يا محمد ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾، فيكون مربوباً لا رباً، لأن رب الأرباب لا ينبغي أن يكون له ولد »[6].

وقد نقل الشيخ فيصل رحمه الله عن ابن كثير في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ قال: « قال ابن كثير: في هذه الآية يأمر الله تعالى بعبادته وحده لا شريك له، فإنه الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الحالات »[7].

---

(١) التعليقات السنية، ص (٦٣).

(٢) القصد السديد، ص (١٩٣).

(٣) سورة الفرقان: آية (٢).

(٤) التعليقات السنية، ص (٦٤).

(٥) سورة الإسراء: آية (١١١).

(٦) التعليقات السنية، ص (٦٠).

(٧) القصد السديد، ص (٢٤).

كما ذكر الشيخ فيصل رحمه الله في معنى قول الرسول ﷺ : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) بعد أن يكبر ثلاثاً كلما صعد الثنايا أو هبط الأودية ونحوها في سفره ﷺ، فقال رحمه الله : « أي هو المتفرد في إلهيته وربوبيته،ولا يشبهه أحد » [1].

ولا شك أن ما ذكره الشيخ فيصل رحمه الله في استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية، قد أكده علماء السلف قبله، ومنهم الإمام ابن القيم رحمه الله حيث قال: « والإلهية التي دعت الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها هي العبادة،ومن لوازمها توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون فاحتج الله عليهم به؛ فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الإلهية » [2].

وحاصل ما ذكرناه هو أن الشيخ رحمه الله قد عرف الربوبية بأنها: إثبات أن الله هو الخالق المالك المتصرف وحده لا شريك له في ملكه، ثم تبين لنا أنه يركز على إثبات ربوبية الله -تعالى- عن طريق الأدلة الشرعية بعيداً كل البعد عن التعقيدات التي أتى بها المتكلمون والفلاسفة في إثبات هذا التوحيد الذي جعلوا منه الغاية من خلق الخلق، مع أن معرفته أمر فطري بحيث إذا لم تفسد هذه الفطرة فإنها تأخذ بيد الإنسان إلى التوحيد في الألوهية وهي العبادة، وقد رأينا أن الشيخ رحمه الله كثيراً ما يربط توحيد الربوبية في كتبه بتوحيد الألوهية، لاستلزام ذلك بينهما.

ولا يخفى على من له أدنى إلمام بمذهب السلف مدى موافقة الشيخ فيصل رحمه الله لهذا المنهج في إثبات توحيد الربوبية لله ﷻ .



(١) تطريز رياض الصالحين، ص(٥٧٢).

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم الجوزية، تحقيق: حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ، (٢/ ١٣٥) .



توحيد الألوهية

وفيه أربعة مطالب : -

◌ المطلب الأول : تعريف توحيد الألوهية.

◌ المطلب الثاني : كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

◌ المطلب الثالث : العبادة وأنواعها.

◌ المطلب الرابع : ما ينافي العبادة.

* *   * *   * *

المطلب الأول : تعريف الألوهية

١-في اللغة :

الألوهية هي العبادة[1]، واسم الجلالة (الله) أصله إلاه، على فعال بمعنى مفعول ؛ لأنه مألوه، أي معبود، كقولنا : إمام «فعال» بمعنى مفعول لأنه مؤتم بـه، فلـما دخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفاً، لكثرته في الكلام، ولو كانت عوضاً لما اجتمعت مع المعوض منه في قولهم : الإلـه[2].

٢-في الشرع :

إذا كان توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله سبحانه من الخلق والرزق والملك والتصرف، ونحو ذلك ؛ فتوحيد الألوهية هو إفراد الله بالعبادة، وهي أفعال العباد التي يفعلونها على وجه التقرب المشروع كالدعاء والنذر والخوف والرجاء والتوكل وغيرها.

يقول الشيخ رحمه الله في بيان معنى توحيد الألوهية في تفسير قوله تعالى : ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[3]: « قال ابن كثير رحمه الله في هذه الآية : يأمر الله عباده بعبادته وحده لاشريك له ؛ فإنه الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الحالات وهو المستحق منهم أن يوحدوه، ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته» [4].

وقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله أن معنى إله هو المعبود، وذلك عند تفسيره لقوله الله تعالى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[5]، فقال : « قال ابن جرير : لا إله سواه : لا معبود

---

(١) انظر : تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين أبي الفيض الزبيدي، تحقيق : علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ، (١٩/ ٦).

(٢) انظر : لسان العرب، ابن منظور، (١/ ١٨٨-١٩١). تاج العروس ، الزبيدي، (١٩/ ٦).

(٣) سورة النساء: آية (٣٦).

(٤) القصد السديد، ص (٢٤).

(٥) سورة البقرة: آية (٢٥٥).

سواه»[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في معنى الإله : « فالإله : هو الذي تألهه القلوب، عبادة واستعانة ومحبة وتعظيماً وخوفاً ورجاءاً وإجلالاً وإكراماً »[2].

وتوحيد الألوهية هو موضوع دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم، يقول ﷺ في تقرير ذلك بعد أن بين معنى (لا إله إلا الله) قال : « وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل ودل عليه الدليل »[3].

فالشيخ ﷺ اعتنى بهذا التوحيد شارحاً له على منهج السلف الصالح الذين فهموا دعوة الرسل وحقيقة التوحيد، وهي إفراد الله بجميع أنواع العبادة، والكفر بكل ما يعبد من دون الله.

والدليل على اتباع الشيخ منهج السلف واقتفاء أثرهم، هو اتفاق ما جاء عنده لبعض تعاريف السلف لهذا التوحيد ؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « فإن حقيقة التوحيد : أن تعبدالله وحده، فلا يدعى إلا هو، ولا يخشى إلا هو، ولا يتقى إلا هو، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له، لا لأحد من الخلق »[4].

ويقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب عن هذا التوحيد : « هو إفراد الله سبحانه بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده »[5].

---

(١) توفيق الرحمن، (١/ ٣٢٩).

(٢) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (١/ ٣٦٥). وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ص(٤٦١).

(٣) القصد السديد، ص (٢٩).

(٤) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق : محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، (٣/ ٤٩٠).

(٥) كشف الشبهات في التوحيد، محمد بن عبدالوهاب التميمي، دار القاسم ، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ص(٣).

وعليه :

فإن الشيخ فيصل رحمه الله قد وافق السلف في تعريف الألوهية وهو إفراد الله بالعبادة.

المطلب الثاني : كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)

أولاً : معناها :

(لا إله إلا الله) هي كلمة التوحيد وتدل على الألوهية بالمطابقة، فهي أساس الدين وقوامه، ودعوة جميع الأنبياء والمرسلين، من لدن نوح عليه السلام، وحتى نبينا محمد ﷺ[1].

وقد أوضح الشيخ رحمه الله ذلك في تفسيره لمعنى (لا إله إلا الله) فقال : « معنى لا إله إلا الله، أي لا معبود بحق في الوجود إلا الله وحده منفرداً في ذاته وأوصافه، لاشريك له في ربوبيته وإلهيته» [2].

وذكر ذلك أيضاً في موضع آخر بقوله : « لا إله إلا الله : أي لامعبود بحق إلا الله»[3]، وقد ذكر رحمه الله في معنى قول الله تعالى : ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [4]: « أي : أن تعبدوه وحده دون سواه، وهذا معنى لا إله إلا الله » [5].

وهذا هو التفسير الصحيح الذي فسرها به السلف الصالح رحمهم الله ؛ يقول الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب[6] -يرحمهم الله- : « ومعنى لا إله إلا

(١) انظر: العبودية، شيخ الإسلام ابن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٣٩٩هـ، ص(٥١). مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (١٤/ ١٧١).

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص (٥٣٩).

(٣) المرجع السابق، ص (٧٧٢).

(٤) سورة الإسراء: آية (٢٣).

(٥) القصد السديد، ص (٢٤).

(٦) هو الشيخ سليمان بن عبدالله بن الشيخ بن محمد بن عبدالوهاب، من أئمة الدعوة المجاهدين، ولد في الدرعية سنة (١٢٠٠هـ)، كان قاضياً على مكة المكرمة في عهد الدولة السعودية، مات مقتولاً في الدرعية عام (١٢٣٣هـ) عندما هاجمها إبراهيم باشا.

انظر: الأعلام، الزركلي، (٣/ ١٢٣). علماء نجد، البسام، (١/ ١٩٣).

الله : أي لا معبود بحق إلا إله واحد، وهو الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [1]، مع قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [2].

فصح أن معنى الإله : هو المعبود. ولهذا قال النبي ﷺ لكفار قريش : (قولوا لا إله إلا الله) قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [3]، وقال قوم هود : ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [4] وهو إنما دعاهم إلى (لا إله إلا الله). فهذا هو معنى : (لا إله إلا الله) وهو : عبادة الله، وترك عبادة ما سواه ؛ وهو الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله »[5].

ثانياً : أركانها :

اشتملت كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) على ركنين هما :

١) **النفي** : « لا إله » لنفى الألوهية بحق عن غير الله نفياً عاماً فإن « لا » هنا نافية للجنس، و «إله » نكره في سياق النفي فتفيد العموم، وبذلك يبطل الشرك بجميع أنواعه ويوجب الكفر بكل ما يعبد من دون الله.

٢) **الإثبات** : « إلا الله » الإثبات جميع أنواع العبادة لله وحده، لاشريك له، وحصرها فيه بأداة الحصر «إلا» [6].

---

(١) سورة الأنبياء: آية (٢٥).

(٢) سورة النحل: آية (٣٦).

(٣) سورة ص: آية (٥).

(٤) سورة الأعراف: آية (٧٠).

(٥) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، الشيخ سليمان بن عبدالله، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٠٨هـ، ص(٧٣).

(٦) انظر: العبودية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص(١٥٦). شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص(١٠٩-١١١).

وقد جاء معنى هذين الركنين في كثير من الآيات مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾[1]. فقوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ هو معنى الركن الأول (لا إله) أي النفي.

وقوله: ﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ هو معنى الركن الثاني (إلا الله) أي الإثبات.

وقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله هذين الركنين عند شرحه لحديث الرسول ﷺ: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)[2] قال الشيخ رحمه الله: «قوله من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أي: «من تكلم بلا إله إلا الله عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً فلابد في الشهادتين من العلم واليقين بمدلولها.

قوله: «وحده» تأكيد للإثبات.

«لا شريك له» تأكيد للنفي.

فدلت لا إله إلا الله على نفي الإلهية عن كل ما سوى الله كائن من كان، وإثباتها لله وحده دون كل ما سواه، وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل ودل عليه القرآن»[3].

والحاصل:

أن الشيخ فيصل رحمه الله يرى أن معنى «لا إله إلا الله» أي لا معبود بحق إلا الله، وهذا هو معنى توحيد الألوهية، ثم أكد على أن معناها لا يقتصر على النطق بها، بل يجب تحقيق لوازمها، مع ترك ما يناقضها، وهو في ذلك موافق لمنهج السلف.

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٥٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾، (ح/ ٣٢٥٢). ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، (ح/ ٢٨).

(٣) القصد السديد، ص (٢٨-٢٩).

ثالثاً: شروطها:

ذكر الشيخ فيصل رحمه الله شروط لا إله إلا الله السبعة نقلاً عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن[1] رحمه الله من كتابه فتح المجيد[2] بقوله: « لابد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها:

أحدها: العلم المنافي للجهل.

الثاني: اليقين المنافي للشك.

الثالث: القبول المنافي للرد.

الرابع: الانقياد المنافي للترك.

الخامس: الإخلاص المنافي للشرك.

السادس: الصدق المنافي للكذب.

السابع: المحبة المنافية لضدها.

وفيه دليل على أن التوحيد الذي هو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه- هو أول واجب »[3].

ثم قال رحمه الله بعد ذلك: « وقد جمع بعضهم هذه الشروط فقال:

(١) هو عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، ولد في الدرعية سنة (١١٩٣هـ)، انتقل إلى مصر وأخذ عن علمائها، ثم عاد إلى الرياض عام (١٢٤١هـ) فباشر أعماله، واشتغل بالتدريس والوعظ والتأليف إلى أن توفي في الرياض عام (١٢٨٥هـ).

انظر: علماء نجد، البسام، (١/ ١٨٠-٢٠١).

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، علق عليه: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، مكتبة دار السلام، الرياض، مكتبة دار الفيحاء، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ص(٧٣).

(٣) القصد السديد، ص (٤٧).

إعلم وأيقن وانقد واقبل أحب وأخلص وأصدقن حكمك »[(١)].

رابعاً: فضلها:

كلمة التوحيد هي كلمة الإخلاص، وهي كلمة التقوى وهي العروة الوثقى، وهي أساس الدين وقوامه، وما بعدها تبع لها، وهي أعلى شعب الإيمان، كما ورد في الحديث قوله ﷺ: « الإيمان بضع وسبعون شعبة: فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى، والحياء شعبة من الإيمان »[(٢)].

وقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله فضل هذه الكلمة بقوله: « وتوحيد الله هو أفضل الأعمال، فمن قال لا إله إلا الله إلا الله بإخلاص ويقين وعمل بمقتضاها ولوازمها وحقوقها واستقام على ذلك فهو من الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝﴾[(٣)] »[(٤)].

وقال رحمه الله في موضع آخر: « فضل كلمة التوحيد وأن من قالها عند موته دخل الجنة »[(٥)]،وقال أيضاً: « أن من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة »[(٦)]، وفي موضع آخر قال: « لا إله إلا الله هي أفضل ما قاله النبيون،وهي كلمة التوحيد والإخلاص، وقيل: هي اسم الله الأعظم »[(٧)].



(١) القصد السديد، ص(٤٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان بلفظ: « بضع وستون شعبة »، (ح/ ٩). ومسلم، كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء، (ح/ ٣٥-٥٨) واللفظ له.

(٣) سورة الأحقاف: الآيتان (١٣-١٤).

(٤) القصد السديد ، ص(٣١).

(٥) تطريز رياض الصالحين، ص(٥٤٢).

(٦) المرجع السابق، ص (٤٥٧).

(٧) المرجع السابق، ص (٧٨٥).

المطلب الثالث: العبادة وأنواعها

تعريف العبادة:

العبادة في اللغة: مشتقة من التعبد،وهو التذلل والخضوع[1]، يقال: طريق معبد، أي: مذلل قد وطئته الأقدام[2].

أما العبادة في الشرع:

فقد قال الشيخ فيصل رحمه الله في تعريفها: « العبادة هي طاعة الله بامتثال أمره واجتناب نهيه» [3].

ونقل رحمه الله عن البغوي تعريف العبادة فقال: « والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع، وسمي العبد عبداً لذلته وانقياده » [4].

وقد وافق السلف رحمهم الله في تعريفها، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقد عرفها بأنها: « اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة»[5].

ومناط العبادة هي غاية الحب مع غاية الذل، ولا تنفع العبادة بواحد من هذين دون الآخر، فالسائر إلى الله يقوده الحب والتعظيم والذل، قال أحد السلف: « من عبدالله بالحب وحده فهو زنديق،ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجيء ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف فهو مؤمن موحد » [6].

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (٣/ ٢٧١).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص(٣١٩).

(٣) القصد السديد ، ص(٢٣).

(٤) توفيق الرحمن، (١/ ٨٧).

(٥) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (١٠/ ١٤٩).

(٦) معارج القبول، حافظ الحكمي، (٢/ ٤٣٧).

أنواع العبادة:

العبادة لها أنواع كثيرة، فهي تشمل كل أنواع الطاعات الظاهرة على اللسان والجوارح والصادرة من القلب كالذكر والتسبيح والتهليل وتلاوة القرآن، والصلاة والزكاة والصيام، والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإحسان إلى الأقارب واليتامى والمساكين وابن السبيل، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، الصبر لحكمه، والرضى بقضائه والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه.

وباستقراء أصول الشريعة نعلم أن العبادات التي أوجبها الله، أو أحبها توقيفية بمعنى أنه لا يشرع شيء منها إلاَّ بدليل من الكتاب أو السنة وما لم يشرع يعتبر بدعة مردودة -كما قال النبي ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) [1] أي مردود عليه عمله لا يقبل منه، بل يأثم عليه، لأنه معصية وليس طاعة.

وأما العادات التي اعتاد الناس على فعلها مما يحتاجون إليه، فالأصل فيها العفو، فلا يحظر منها إلاَّ ما حرمه الله سبحانه وتعالى[2].

وهذا التقسيم في الحظر والإباحة لا يخرج شيئاً من أفعال الإنسان العادية من دائرة العبادة لله، ولكن ذلك يختلف في درجته ما بين عبادة محضة وعادة مشوبة بالعبادة، وعادة تتحول بالنية والقصد إلى عبادة.

كما قال ابن حجر: «... المباحات يؤجر عليها بالنية إذا صارت وسائل للمقاصد الواجبة، أو المندوبة أو تكميلاً لشيء منها» [3].

وهنا سأذكر بعض ما تطرق إليه الشيخ فيصل رحمه الله من أنواع العبادة

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، (ح/ ١٧١٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٢٩/ ١٦-١٧).

(٣) فتح الباري، ابن حجر، (١٢/ ٢٧٥).

١ -الدعاء:

وهو افتقار وتذلل،وطلب ممن يملك النفع والضر في جلب خير، أو دفع شر.

وهو من أعظم أنواع العبادة؛ قال رسول الله ﷺ: (الدعاء هو العبادة، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝﴾ [1])[2].

قال الشيخ رحمه الله عند تفسيره هذه الآية: « عن ابن عباس قوله ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ يقول: وحدوني أغفر لكم » [3].

وقال في موضع آخر: « قال البغوي: أي اعبدوني دون غيري أجبكم وأثبكم واغفر لكم، فلما عبر عن العبادة بالدعاء، جعل الإثابة استجابة » [4].

وقال أيضاً: « الدعاء هو خالص العبادة، كما في حديث أنس عن الترمذي أن النبي ﷺ قال: (الدعاء مخ العبادة) [5] والمعنى أن العبادة لا تقوم إلاَّ بالدعاء كما أن الإنسان لا يقوم إلا بالمخ. قال القاضي عياض: أي: هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة، لدلالته على الإقبال على الله والإعراض عما سواه » [6].

وأوضح الشيخ رحمه الله أن إخفاء الدعاء أعظم من الجهر به ورفع الصوت لأن ذلك

---

(١) سورة غافر: آية (٦٠).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الدعاء (ح/ ٣٣٧٢).، وقال: « هذا حديث حسن صحيح ».وصححه الألباني في صحيح الجامع (ح/ ٣٤٠٧)، (١/ ٦٤١).

(٣) توفيق الرحمن، (٣/ ٦٩٣).

(٤) تطريز رياض الصالحين، ص(٨٠٤).

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الدعاء، (ح/ ٣٣٧١)، وقال: هذا الحديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة.وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، (ح/ ٣٠٠٣)، (٣/ ١٥٨)، وفي مشكاة المصابيح، (ح/ ٢٢٣١)، (٢/ ٣).

(٦) تطريز رياض الصالحين،ص(٨٠٦).

أقرب إلى الإخلاص، وابعد عن الرياء فيكون أحرى بالإجابة، فقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [1]: « قال ابن جريج[2]: يكره رفع الصوت والصياح بالدعاء، ويأمر بالتضرع والاستكانة » [3].

وقال رحمه الله في موضع آخر: « قال ابن جرير: ﴿ تَضَرُّعٗا ﴾ تذللاً واستكانة لطاعته ﴿ وَخُفۡيَةًۚ ﴾ يقال: بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته، فيما بينكم وبينه لا جهاداً ومراآة » [4].

وذكر الشيخ أيضاً النهي عن التعدي في الدعاء بأن يطلب من الله ما ليس فيه مصلحة للسائل خوفاً أن يكون مما لا يرضاه الله ولا يحبه، فيقع السائل في المحظور.

يقول رحمه الله عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝﴾ [5]: « عن ابن عباس قال: السر أنه لا يحب المعتدين في الدعاء وغيره» [6].

٢-التوكل:

هو الثقة بالله، والاعتماد عليه، والاستعانة به مع الأخذ بالأسباب.

وهو من أعظم العبادات ولا يتم إيمان العبد إلّا به، قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ

---

(١) سورة الأعراف: آية(٥٥).

(٢) هو عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج الأموي المكي، أول من دون العلم بمكة، ولد سنة (٨٠هـ) وتوفي سنة (١٥٠هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٦/ ٣٢٥). البداية والنهاية، ابن كثير (١٠/ ١١٠).

(٣) توفيق الرحمن، (٢/ ٢٢٣).

(٤) تطريز رياض الصالحين، ص(٨٠٤).

(٥) سورة الأعراف: آية(٥٥).

(٦) توفيق الرحمن، (٢/ ٢٢٣).

عَلَيْهِ ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2]، ونقل الشيخ رحمه الله عن سعيد بن جبير قوله: « التوكل جماع الإيمان »[3] وعرفه الشيخ فيصل رحمه الله بقوله: « هو الاعتماد على الله ﷻ في استجلاب المصالح ودفع المضار »[4].

قال الشيخ رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[5] « أي: لا نعبدالا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فالأول: تبرؤ من الشرك، والثاني: تبرؤ من الحول والقوة، وتفويض إلى الله ﷻ، وهذا كثير في القرآن، قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[7] وقال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[8] »[9].

ويذكر الشيخ رحمه الله أن التوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب فيقول: « واعلم أن التوكل لا ينافي السعي في الأسباب فإن الطير تغدوا في طلب رزقها، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[10].

---

(١) سورة هود: آية(١٢٣).

(٢) سورة المائدة: آية (٢٣).

(٣) تطريز رياض الصالحين، ص(٧٣).

(٤) تطريز رياض الصالحين، ص(٧٣).

(٥) سورة الفاتحة: آية (٥).

(٦) سورة هود: آية (١٢٣).

(٧) سورة الأحزاب: آية (٣).

(٨) سورة المزمل: آية (٩).

(٩) توفيق الرحمن، (١/ ٨٧) .

(١٠) سورة هود: آية (٦).

قال يوسف بن أسباط[1]: كان يقال: اعمل عمل رجل لا ينجيه إلاّ عمله، وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتب له »[2].

وقد حذر الشيخ ﷺ في مواضع عديدة من الأمور التي تنافي التوكل على الله كالتعلق بالتمائم والرقى غير الشرعية، فقال عند تعليقه على حديث الرسول ﷺ: (لا يرقون ولا يسترقون)[3] قال: « أي: لا يرقون غيرهم بالرقية المكروهة ولا يطلبون من الغير أن يرقاهم توكلاً على الله، فالرقية مباحة ولا كراهة فيها إذا كانت بالقرآن أو الأدعية المعروفة »[4].

وذكر أيضاً: « قوله: (من تعلق شيئاً وكل إليه)[5] أي: وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلقه، فمن تعلق بالله وفوض أمره إليه كفاه، ومن تعلق بغيره وكله الله إليه وخذله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[6] أي: كافية »[7].

وقال أيضاً في موضع آخر: « إن من توكل على غير الله فقد ضاع، لأنه يموت قال

---

(١) هو يوسف بن أسباط بن واصل الشيباني الكوفي، أصله من العراق، ولكنه سكن أنطاكية، كان من خيار أهل زمانه، قال عنه ابن حبان: كان من عباد أهل الشام وقرائهم، كان مستقيم الحديث وربما أخطأ، مات سنة (١٩٥هـ) .

انظر: الثقات، محمد بن حبان البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ (٧/ ٦٣٨). تهذيب التهذيب، ابن حجر، (١١/ ٣٥٨) .

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص(٧٣-٧٤).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، (ح/ ٢٢٠).

(٤) تطريز رياض الصالحين، ص(٧٢).

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب الطب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كراهية التعليق (ح/ ٢٠٧٢)، وأحمد، (٤/ ٣١٠). وحسنه الألباني في صحيح الجامع، (ح/ ٢٠٧٢)، وفي مشكاة المصابيح، (ح/ ٤٤٥٦) .

(٦) سورة الطلاق: آية (٣).

(٧) القصد السديد، ص(٦١).

تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [1] »[2].

وأما عن ثمرات التوكل، فيذكر الشيخ رحمه الله أن التوكل الصحيح على الله سبب في الوقاية من كل مكروه والحفظ من كل شر؛ يقول رحمه الله: « إن من توكل على الله كفاه، ونصره، وأعانه، وكلأه، وحفظه » [3].

وقال أيضاً: « لو توكلتم على الله في ذهابكم ومجيئكم وتصرفكم لسهل رزقكم»[4].

٣-الخوف والرجاء:

امتدح الله من عباده من يجمع في عبادته له -سبحانه- بين الخوف والرجاء، بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [5].

وقد جمع الله ﷻ بين هاتين العبادتين معلماً بذلك عباده، كي لا يكون المؤمن من القانطين فيما لوا اكتفى بالخوف، وترك الرجاء، وكي لا يكون من الآمنين من مكر الله فيما لو اكتفى بالرجاء وترك الخوف من الله.

وقد أوضح الشيخ فيصل رحمه الله هذا المعنى بقوله: « الخوف يزجر العبد عن المعاصي، والرجاء يبعثه على الطاعات فلا يأمن العقوبة،ولا يقنط من الرحمة » [6].

ثم يذكر بعد ذلك الآيات التي بينت ذلك بقوله: « والآيات في هذا المعنى كثيرة

---

(١) سورة القصص: آية (٨٨).

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص(٧٠).

(٣) تطريز رياض الصالحين، ص(٧٦).

(٤) تطريز رياض الصالحين، ص(٧٥).

(٥) سورة الإسراء: آية (٥٧).

(٦) تطريز رياض الصالحين، ص(٣٠١).

معلومة فيجتمع الخوف والرجاء في آيتين مقترنين أو آيات أو آية، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2].

وقوله: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾[3] »[4].

وقد عرف الشيخ رحمه الله الرجاء بقوله: « **الرجاء تعليق القلب بمحبوب في المستقبل** والفرق بينه وبين التمني، أن التمني يصاحبه الكسل، والرجاء يبعث على صالح العمل، ويطلق الرجاء على الخوف ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾[5] أي: لاتخافون له عظمة حتى تتركوا عصيانه، وقال ابن عباس: لا تعظمون الله حق عظمته، أي: لا تخافون من بأسه ونقمته »[6].

وما ذكره الشيخ فيصل رحمه الله عن الخوف والرجاء وحال العبد بينهما أوضحه شارح الطحاوية بقوله: « فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان قنوطاً ويأساً، وكل واحد إذا خفته هربت منه إلا الله تعالى، فإنك إذا خفته هربت إليه، فالخائف هارب من ربه إلى ربه »[7].

ثم بين شارح الطحاوية أيضاً موقف العبد من الخوف والرجاء في حياته فقال: «قيل: إن العبد ينبغي أن يكون رجاؤه في مرضه أرجح من خوفه بخلاف زمن الصحة،

---

(١) سورة الزمر: آية (٢٣).

(٢) سورة المائدة: آية (٩٨).

(٣) سورة الأعراف: آية (١٥٦).

(٤) تطريز رياض الصالحين، ص(٣٠٢-٣٠٣).

(٥) سورة نوح: آية (١٣).

(٦) المرجع السابق، ص(٢٧٨).

(٧) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص(٣٣٠) .

فإنه يكون خوفه أرجح من رجائه »[1].

وعليه: فإن الشيخ فيصل رحمه الله قد وافق السلف في الجمع بين الخوف والرجاء في العبادة.

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص(٣٣١).

المطلب الرابع : ما ينافي العبادة (التوحيد).

بعد أن ذكرت بعض أنواع العبادة كما وضحها الشيخ رحمه الله وبينها في كتبه، نستعرض هنا ما ينافي العبادة من الشرك الأكبر والأصغر وكبائر الذنوب، بحسب ما تطرق إليه الشيخ رحمه الله ووفق منهجه ولبيان هذا المطلب قسمته إلى مسألتين:

المسألة الأولى: الشرك بالله تعالى.

كما أن أعظم طاعة وعبادة عُبد الله بها، وتُقرب بها إليه هي (التوحيد)، كذلك فإن أعظم ذنب عُصي الله تعالى به على الإطلاق هو (الشرك)، لذلك فإن من مات عليه لن يغفر له الله أبداً، ويدخله النار خالداً مخلداً فيها أبداً، ويحبط جميع عمله كبيره وصغيره، لأنه صرف أعظم حق من حقوق الله تعالى لغير الله فأحبط الله جميع عمله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [1].

وقبول العبادة مبني على أمرين:

الأول: الإخلاص:

وهو تجريد العبادة لله سبحانه وتعالى، وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

وعرفه الشيخ فيصل رحمه الله بقوله: « الإخلاص هو: إفراد الله تعالى بالقصد وهو أن يريد العبد بطاعته التقرب إلى الله دون شيء آخر » [2].

وذكر رحمه الله في معنى قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [3] : « المعنى أمر أن تعبدوه وحده دون سواه، وهذا معنى لا إله إلا الله » [4].

---

(١) سورة النساء: آية (٤٨).

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص(٩).

(٣) سورة الإسراء: آية (٢٣).

(٤) القصد السديد، ص(٢٤).

الثاني: المتابعة:

بأن تكون صواباً على سنة الرسول ﷺ وهذا هو مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله، فإن مقتضاها وجوب طاعة الرسول واتباع ما شرعه وترك البدع والمحدثات.

وقد أشار الشيخ رحمه الله إلى ذلك بقوله: « التمسك بالسنة في الاعتقاد والأعمال والأقوال،والتحذير من البدع، وهي ما أحدث في الدين مما لا أصل له في الشريعة »[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وجماع الدين أصلان: ألا نعبدالا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[2].

وذلك تحقيق الشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله ففي الأولى: أن لا نعبدالا إياه، وفي الثانية: أن محمداً هو رسوله المبلغ عنه فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره وقد بيّن ﷺ لنا ما نعبدالله به ونهانا عن محدثات الأمور، وأخبر أنها ضلالة »[3].

وقد اهتم الشيخ رحمه الله بهذا الموضوع وذكر أن كل مسلم يجب عليه أن يعرف ماهي العبادة، وما الذي يحبطها ويفسد العمل، وذلك في مقدمة شرحه لكتاب التوحيد حيث قال: « وموضوع هذا الكتاب: في بيان ما بعث الله به رسله من توحيد العبادة، وبيانه بالأدلة من الكتاب والسنة.

وذكر ما ينافيه من الشرك الأكبر أو ينافي كماله من الشرك الأصغر ونحوه وما يقرب من ذلك أو يوصل إليه »[4].

---

(١) تطريز رياض الصالحين، ص(١٢٨).

(٢) سورة الكهف: آية (١١٠).

(٣) العبودية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص(١٠٣).

(٤) القصد السديد، ص(٢٣).

ثم بين رحمه الله أن الإخلاص في العبادة حق لله تعالى لأنه هو الخالق الرازق فقال: «قوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [1] قال ابن كثير رحمه الله في هذه الآية: يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له؛ فإنه الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الحالات، وهو المستحق منهم أن يوحدوه، ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته » [2].

وقد أوضح رحمه الله معنى الطاغوت الذي نهانا الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [3] وذلك نقلاً عن ابن القيم[4]، فقال: « الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيره من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله » [5].

وقد نقل رحمه الله عن الحافظ معنى قول الرسول ﷺ: (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً) [6].

فقال: « اقتصر على نفي الإشراك، لأنه يستدعي التوحيد بالاقتضاء ويستدعي إثبات الرسالة باللزوم، إذ من كذب رسول الله فقد كذب الله فهو مشرك وهو مثل قول القائل: من توضأ صحت صلاته، أي: مع سائر الشروط » [7].

---

(١) سورة النساء: آية (٣٦).

(٢) القصد السديد، ص(٢٤).

(٣) سورة النحل: آية (٣٦).

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم الجوزية، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣هـ، (١/ ٥٠).

(٥) القصد السديد، ص(٢٣).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب أرداف الرجل خلف الرجل، (ح/ ٧٣٧٣). ومسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (ح/ ٣٠).

(٧) القصد السديد، ص(٢٥).

ونقل رحمه الله عن القرطبي[1] معنى قول الرسول ﷺ: « من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك شيئاً دخل النار »[2].

قال: « أي لم يتخذ معه شريكاً من الإلهية، ولا في الخلق، ولا في العبادة، ومن المعلوم من الشرع المجمع عليه عند أهل السنة: أن من مات على ذلك فلابد له من دخول الجنة، وإن جرت عليه قبل ذلك أنواع من العذاب والمحنة، وأن من مات على الشرك لا يدخل الجنة ولا يناله من الله رحمة ويخلده في النار أبد الآباد »[3].

فالشيخ رحمه الله بيّن أن الإخلاص لله لابد أن يكون في جميع أنواع العبادة، لا يشرك مع الله أحداً من خلقه،ولو كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً؛ لأنه حق الله افترضه على عباده.

والشرك في الألوهية يرد على أمرين: إما أن يكون بعدم إخلاص القصد والإرادة، بإرادة غير الله بالحب والتأله، فلا يكون الله هو غاية العبد، ومراده وإما أن يكون باتخاذ وسائط في جلب النفع، أو دفع الضر، سواء اتخذ تلك الوسائط بمجرد الدعاء والطلب أو التقرب والعبادة[4].

---

(١) هو أحمد بن عمر أبو العباس القرطبي، المحدث المدرس، نزيل الإسكندرية، ولد بقرطبة سنة (٥٧٨هـ) وسمع الكثير فيها، ثم انتقل إلى المشرق واشتهر وطار صيته، اختصر الصحيحين ثم شرح مختصر صحيح مسلم وسماه المفهم، وأتى فيه بأشياء مفيدة، كان بارعاً في الفقه والعربية، عارفاً بالحديث، توفي بالإسكندرية سنة (٦٥٦هـ) .

انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ (٢/ ٦١٥). الوافي بالوفيات، صلاح الدين إيبك، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ (٧/ ١٧٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٠) ومسلم بلفظ: « من مات لا يشرك بالله شيئاً... » كتاب الإيمان، باب من مات لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنة (ح/ ٩٢).

(٣) القصد السديد، ص (٤٢-٤٣).

(٤) انظر: ضوابط التكفير، عبد الله القرني، ص(٩٩).

وقد عرض الشيخ فيصل رحمه الله لعدد من صور الشرك سواء أكان شركاً أكبر أم أصغر[1]، وذلك عند شرحه لكتاب التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهاب، الذي أكثر فيه من بيان الشرك وصوره وذرائعه وسده لتلك الذرائع، قال الشيخ فيصل رحمه الله في مقدمة شرحه لهذا الكتاب: « والمصنف هو الإمام العالم التقي شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب مجدد القرن الثاني عشر، نشأ في بلاد نجد، وهم في أسوأ حال في أمور دينهم ودنياهم، قد فشا فيهم الشرك الأكبر والأصغر، وكانوا متفرقين يغير بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم بعضاً، فدعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له والاجتماع على دينه »[2].

ومما نبه عليه الشيخ رحمه الله في هذا الجانب الاستغاثة بالمخلوقات في الشدائد من دون الله، لأن الاستغاثة عبادة يجب صرفها لله ومن صرفها لغيره فقد أشرك، يقول رحمه الله: «وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[3] أي لا أضل ممن يعبد مع الله من لا يستجيب له لو سمع دعاءه أبداً، ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾[4].

---

(١) الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

١-أن الشرك الأكبر مخرج من الملة، أما الأصغر فلا يخرج من الملة.

٢-أن الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار، أما الأصغر فلا يخلد صاحبه في النار وإن دخلها.

٣-أن الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، بخلاف الشرك الأصغر فلا يبيحها.

٤-الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، أما الشرك الأصغر فيحبط العمل الذي خالطه فقط.

٥-الشرك الأكبر يوجب المعاداة وقطع الموالاة، أما الأصغر فيوالي بقدر ما فيه من التوحيد ويعادي بقدر ما فيه من الشرك الأصغر.

انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة على ضوء الكتاب والسنة، د.سعيد مسفر، ص(١٤٣).

(٢) القصد السديد، ص(٢٢).

(٣) سورة الأحقاف: آية (٥).

(٤) سورة الأحقاف: آية (٥).

لأنهم إما جمادات، وإما عباد مأمورون مشتغلون بأحوالهم ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝﴾[1][2].

ثم بين بعد ذلك قول النبي ﷺ لأصحابه: (إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله)[3] فقال: «كره ﷺ أن يستعمل هذا اللفظ في حقه، وإن كان مما يقدر عليه في حياته حماية لجناب التوحيد وسداً لذرائع الشرك وأدباً وتواضعاً لربه ﷻ»[4].

من صور الشرك:

١-الاستغاثة بغير الله أو دعاء غيره:

عرف الشيخ رحمه الله الاستغاثة بأنها: «طلب الغوث وهو إزالة الشدة»[5].

والفرق بين الاستغاثة والدعاء بينه الشيخ رحمه الله بقوله: «عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص فبينهما عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في مادة وينفرد الدعاء عنها في مادة، فكل استغاثة دعاء وليس كل دعاء استغاثة»[6].

وكما سبق أن بينا أن الدعاء من أعظم أنواع العبادة، بل هو العبادة كما اخبر ذلك

---

(١) سورة الأحقاف: آية (٦).

(٢) القصد السديد، ص(٧٧).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير كما في مجمع الزوائد، (١٠/ ١٥٩) وقال: ورجاله صحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث. ورواه أحمد (٥/ ٣١٧)، ثنا موسى بن داود، ثنا ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن علي بن رباح، أن رجلاً سمع عبادة بن الصامت يقول: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال أبو بكر رضي الله عنه: قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق. فقال رسول الله ﷺ: (لا يقام لي، إنما يقام لله تبارك وتعالى). وموسى بن داود، هو الضبي أبو عبد الله الطرطوسي، صدوق فقيه زاهد له أوهام، من صغار التاسعة، فيبدو أنه ممن روى عن ابن لهيعة بعد اختلاطه، وفي الحديث راوٍ لم يسمّ، فالحديث على هذا ضعيف .

(٤) القصد السديد، ص(٧٩).

(٥) القصد السديد، ص(٧٦).

(٦) المرجع السابق، ص(٧٦-٧٧).

رسول الله ﷺ؛ لذا وجب صرفه لله تعالى وحده دون سواه، ومن صرفه لغير الله فقد أشرك، يقول الشيخ فيصل رحمه الله مبيناً ذلك: « فمن دعا مع الله غيره ملكاً أو نبياً أو ولياً أوشجراً أو حجراً أو شمساً أو قمراً فقد أشرك في عبادة الله غيره، وطلب منه ما ليس له، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[1] »[2].

وبين رحمه الله أن معنى قول الله تعالى: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾[3] فقال: « أي: اطلبوه من الله وحده فإنه الخالق الرازق »[4].

والدعاء ينقسم إلى نوعين:

١-**دعاء مسألة**: وهو سؤال الله بأسمائه الحسنى بجلب نفع أو دفع شر.

٢-**دعاء عبادة**: وهو التعبد لله بمقتضى هذه الأسماء، ويدعي العبد فيه خوفاً ورجاءً.

والنوعان متلازمان،فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة[5].

وكلا النوعين يجب صرفها لله تعالى وحده لا شريك له، ومن صرفها لغيره فقد أشرك، ويدخل تحت هذين النوعين للدعاء **الاستعاذة**، وقد عرفها الشيخ رحمه الله بقوله: «الاستعاذة الالتجاء والاعتصام »[6].

وفسر رحمه الله قوله الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ

---

(١) سورة الجن: آية (١٨).

(٢) القصد السديد، ص(٧٨).

(٣) سورة العنكبوت: آية (١٧).

(٤) المرجع السابق، ص(٧٧).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (١/ ١٠-١١٩). اقتضاء الصراط المستقيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٢/ ٧٧٨).

(٦) القصد السديد، ص(١٧٤).

رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾ [1] فقال: « كان أهل الجاهلية إذا نزلوا وادياً قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فزاد الجن الإنس رهقاً أي: إضافة وإرهاباً » [2].

ثم بعد ذلك بين رحمه الله معنى حديث رسول الله ﷺ: (من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك) فقال: «شرع الله لأهل الإسلام أن يستعيذوا به وبأسمائه وصفاته بدلاً مما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن » [3].

٢-التعلق بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر:

النفع والضر كله بيد الله، ولا يكون شيء في ملك الله إلا بعلمه وقدرته، ومن اعتقد النفع والضر من دون الله تعالى أو مع الله فيما لا يقدر عليه إلا الله يعتبر مشركاً.

ومن ذلك لبس الحلقة والخيط وتعليق التمائم لرفع البلاء أو دفعه، قال رسول الله ﷺ: (من تعلق تميمة فقد أشرك) [4]، وقد نقل الشيخ رحمه الله عن أبي السعادات [5] معنى الحديث فقال: « التمائم جمع تميمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم، يتقون بها العين في زعمهم، فأبلطه الإسلام » [6]، وقال أيضاً: « إنما جعلها شركاً لأنهم

(١) سورة الجن: آية (٦).

(٢) القصد السديد، ص(٧٤).

(٣) المرجع السابق، ص(٧٥).

(٤) رواه أحمد،(٤/ ١٥٤) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث حسن، وهذا إسناد ضعيف لجهالة خالد بن عبيد المعافري.

(٥) هو مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني المشهور بابن الأثير الجزري، الكاتب، مصنف جامع الأصول، والنهاية في غريب الحديث، عرض له في أواخر حياته فالج فلزمه حتى مات سنة (٦٠٦هـ). انظر: العبر، ا لذهبي، (٣/ ٤٣). البداية والنهاية، ابن كثير (١٣/ ٥٤). شذرات الذهب، ابن العماد، (٥/ ٢٢).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود بن محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ، (١/ ١٩٧) .

أرادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم، وطلبوا رفع الأذى من غير الله الذي هو رافعه»[1].

وخلاصة ذلك ما ذكره الشيخ رحمه الله -سابقاً- بقوله: « فمن تعلق بالله وفوض أمره إليه كفاه، ومن تعلق بغيره وكله الله إليه وخذله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[2] أي: كافية »[3].

ونبه الشيخ رحمه الله إلى أنواع التمائم ذاكراً الرأيين الواردين فيها دون أن يرجح أحدهما على الآخر، يقول رحمه الله: « كانوا أصحاب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن، وقال عبدالله بن عمرو وغيره: يجوز تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته، وحملوا الحديث على التمائم التي فيها شرك والله أعلم»[4].

والراجح أنه لا يجوز تعليق التمائم ولو من القرآن الكريم لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ أنها سبب شرعي يدفع به السوء أو يرفع به، والأصل في مثل هذا التوثيق[5].

٣-الذبح والنذر لغير الله:

الذبح عبادة يتقرب بها إلى الله جل وعلا، ولا يجوز أن يتقرب بها لغيره قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝﴾[6]، وقد فسر الشيخ رحمه الله هذه الآية بقوله: « أمره -أي النبي- الله أن يداوم على الصلاة مخلصاً، وينحر البدن على اسمه وحده، بخلاف ما عليه المشركون من السجود لغير الله والذبح على غير اسمه »[7].

---

(١) القصد السديد، ص(٥٨).

(٢) سورة الطلاق: آية (٣).

(٣) المرجع السابق، ص(٦١).

(٤) المرجع السابق، ص(٦٢).

(٥) انظر: فتاوى العقيدة، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار المنهاج، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ص(٤٣).

(٦) سورة الكوثر: آية (٢).

(٧) القصد السديد، ص(٦٧).

وكذا نرى أن الشيخ رحمه الله قد بين أن من ذبح لغير الله كائناً من كان فإن فعله هذا هو مما أهل به لغير الله، فيستحق بذلك الوعيد لوقوعه في ا لشرك بالله عز وجل، فقال: « قوله: (لعن الله من ذبح لغير الله) كمن يذبح للجن أو القبر أو الكواكب، لأنه مما أهل به لغير الله. وذكر إبراهيم المروزي[1] أن ما ذبح عند استقبال السلطان تقرباً إليه أفتى أهل بخارى بتحريمه، لأنه مما أهل به لغير الله » [2].

ومن المسائل التي وضحها الشيخ رحمه الله في هذا الباب عدم جواز الذبح في مكان كان يعبد فيه غير الله، أو كان موضعاً لعيد من أعياد الجاهلية،وقد بين رحمه الله أن هذا الذبح معصية لله تعالى لا يتقرب به إلى الله، حيث قال: « أن المواضع المعدة للذبح لغير الله يجب اجتناب الذبح فيها لله، كما أن مسجد الضرار لما أعد لمعصية الله صار محل غضب فلا تجوز الصلاة فيه » [3].

والنذر عبادة لله ومن صرفها لغيره فقد أشرك كما بين ذلك الشيخ رحمه الله فقال: «باب من الشرك النذر لغير الله تعالى أي: لكونه عبادة يجب الوفاء به إذا نذره لله، فيكون النذر لغير الله تعالى شركاً في العبادة » [4].

ثم بين رحمه الله تفسير قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [5] فيقول: أي بما نذروه طاعة له وتقرباً إليه ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [6] أي: منتشراً، فيتركون معصيته؛ فدلت

---

(١) هو إبراهيم بن عبدالله بن أحمد المروزي الخلال، أبو إسحاق، صدوق ذكره ابن حبان في الثقات، مات سنة (٢٤١هـ).

انظر: الثقات، ابن حبان، (١/ ٧٥). الكاشف، الذهبي، (١/ ٢١٤).

(٢) القصد السديد، ص(٦٧).

(٣) المرجع السابق، ص(٧٠).

(٤) المرجع السابق، ص(٧٢).

(٥) سورة الإنسان: آية (٧).

(٦) سورة الإنسان: آية (٧).

الآية على وجوب الوفاء بالنذر،ومدح من فعل ذلك طاعة لله، ووفاء بما تقرب به إليه »[1].

ثم بعد ذلك بين رحمه الله معنى قول الرسول ﷺ : (من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله، فلا يعصه) [2]، فقال: أي فليفعل ما نذره من طاعة الله »[3].

٤-الحلف بغير الله:

حذر الرسول ﷺ من الحلف بغير الله، وذلك لسد الطرق الموصلة للشرك، وحماية لجناب التوحيد، وحتى يكون الدين كله لله.

قال عليه الصلاة والسلام : (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) [4].

وهذا الشرك الذي عناه الرسول ﷺ بقوله: (أشرك) هو الشرك الأصغر، الذي لا يخلد صاحبه في النار، ولكنه أكبر من الكبائر.

وقد أشار الشيخ فيصل رحمه الله إلى هذا المعنى بقوله: « وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً، لأن الحلف بغير الله شرك، والحلف بالله كاذباً كبيرة من الكبائر، والشرك بالله أعظم من كبائر الذنوب »[5].

وإذا كان الشيخ رحمه الله بين أن ليس للمخلوق أن يحلف بغير الله، فإنه يؤكد في موضع آخر أن للخالق أن يقسم بما شاء من خلقه، فيقول رحمه الله: « قال الشعبي[6] وغيره: الخالق

---

(١) القصد السديد، ص(٧٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية، (ح/ ٦٦٩٦).

(٣) القصد السديد، ص(٧٣).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان والنذور، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، (ح/ ١٥٣٥). والحاكم (١/ ١٨)، (٤/ ٢٩٧). وصححه ووافقه الذهبي. ورواه أبو داود، كتاب الإيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء، (ح/ ٤٣٥٨). وصححه الألباني في صحيح الجامع، (ح/ ٦٢٠٤)، (٢/ ١٠٦٧) .

(٥) القصد السديد، ص(١٩٣).

(٦) هو عامر بن شرحبيل الشعبي أبو عمرو، تابعي جليل، ولد بالكوفة سنة (١٩هـ) وعاش بها، يضرب به المثل في ذكائه وحفظه، حتى عد من الأذكياء، ويعد من كبار الرجال ضبطاً وحفظاً، =

يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق »[1].

وما بينه الشيخ ﷺ من أن للخالق أن يقسم بما شاء من خلقه أشار إلى ذلك أيضاً الشيخ سليمان بن عبدالله ﷺ بقوله: « فإن قيل إن الله أقسم بالمخلوقات في القرآن قيل: ذلك يختص بالله تبارك وتعالى؛ فهو يقسم بما شاء من خلقه،لما في ذلك من الدلالة على قدرة الرب ووحدانيته، وإلهيته وعلمه، وحكمته، وغير ذلك من صفات كماله، وأما المخلوق فلا يقسم إلا بالخالق تعالى فالله يقسم بما شاء من خلقه، وقد نهانا عن الحلف بغيره، فيجب على العبدالتسليم والإذعان لما جاء من عند الله »[2].

وهكذا نرى أن الشيخ ﷺ قد بين أن حلف المخلوق بغير خالقه قد يجره إلى أمر خطير، فحذر ﷺ من ذلك بقوله: « تحريم الحلف بغير الله »[3]، لأن ذلك قد يخرجه من الملة، فالحلف بغير الله من أقوى الذرائع الموصلة للشرك الأكبر، وقد يتدرج الحالف في تعظيم المحلوف به، حتى يصل إلى درجة المساواة مع الخالق جل وعلا، وهذا هو الشرك الأكبر.

وفي هذا المعنى يقول ﷺ : « الحلف بغير الله من الشرك الأصغر الذي لا يخرج عن الإسلام »[4] ثم يقول ﷺ بعد ذلك: « قال العلماء: السرُّ في النهي عن الحلف بغير الله، أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه، والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده »[5].

توفي بالكوفة سنة (١٠٣هـ).

انظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر، (٥/ ٦٥). وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد، تحقيق: إحسان عباس. دار صادر، بيروت، (٣/ ١٢).

(١) توفيق الرحمن، (٤/ ١٧٠). تطريز رياض الصالحين، ص(٩٦٣).

(٢) تيسير العزيز الحميد، الشيخ سليمان بن عبدالله، ص(٥٩٠).

(٣) القصد السديد، ص(١٩٣).

(٤) تطريز رياض الصالحين، ص(٩٦٣) .

(٥) تطريز رياض الصالحين، ص(٩٦١).

٥-الغلو في الصالحين:

عرف الشيخ فيصل رحمه الله الغلو بقوله: « الغلو: هو التعظيم بالقول والاعتقاد »[(١)].

والغلو في الصالحين يؤول إلى الشرك في الألوهية، وهو أعظم ذنب عصي الله به، وينافي التوحيد الذي دلت عليه كلمة الإخلاص: شهادة أن لا إله إلا الله.

ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [(٢)].

قال الشيخ رحمه الله في تفسير الآية: « أي: لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله فتنزلوه المنزلة التي لا تنبغي إلا لله، والخطاب وإن كان لأهل الكتاب فإنه عام يتناول جميع الأمة تحذيراً لهم أن يفعلوا بنبيهم ﷺ فعل النصارى في عيسى، واليهود في عزير، كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ [(٣)]؛ ولهذا قال ﷺ: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله) [(٤)]، فكل من دعا نبياً أو لياً من دون الله فقد اتخذه إلهاً، وضاهى النصارى في شركهم، وعبد مع الله غيره، وقد حرق علي بن أبي طالب رضي الله عنه غلاة الرافضة[(٥)]، لما ادعوا فيه الألوهية »[(٦)].

---

(١) القصد السديد، ص(٩٧).

(٢) سورة النساء: آية (١٧١).

(٣) سورة الحديد: آية (١٦).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾، (ح/ ٣٢٦١).

(٥) الغلاة المحرقون: هم عبدالله بن سبأ اليهودي وأتباعه قالوا: إن علياً إلههم، فنهاهم فلم ينتهوا فحرقهم وإنما أراد ابن سبأ إحداث فتنة، وخلق شيع، وفتح ثغرة في صفوف المسلمين وقد حدث ما أراد هذا اليهودي الملعون. ووجد في الناس كثير ممن أطاعه وأله علياً وأبناءه وكفر بالله ورسوله. انظر: الفرق بين الفرق، الاسفرائيني، ص(٢٣٣).

(٦) القصد السديد، ص(٩٧).

وقد سبقه إلى نحو هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال: « ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى،وغلا في الدين بإفراط فيه أو تفريط فقد شابههم قال: وعلي ﷺ حرق الغالية من الرافضة، فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة فقذفهم فيها واتفق الصحابة على قتلهم لكن ابن عباس مذهبه أن يقتلوا بالسيف من غير تحريق وهو قول أكثر العلماء » [1].

وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام -وهو الصادق- أن بعض هذه الأمة يتبع سنن أهل الكتاب، في اتباع الهوى والقول على الله بلا علم وابتداع دين لم يشرعه الله، فقد وقع مانهى عنه النبي ﷺفإن كثيراً ممن ينتسب إلى الإسلام يطري النبي غاية الإطراء فيعتقد فيه أنه يعلم الغيب وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وقد نفى الله عنه ذلك في القرآن فقال تعالى على لسان نبيه: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ [2] وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [3] وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ [4]، ولكنهم كفروا بذلك واعتقدوا ما أوحته إليهم شياطينهم.

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في بيان هذا الجانب: « الإطراء: مجاوزة الحد في المدح، وقد وقع في هذا الإطراء كثير من هذه الأمة، وقالوا: إن رسول الله ﷺ يجيب من دعاه، ويعلم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله كما اشتهر ذلك في نظم البوصيري [5]

---

(١) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٣٥/ ١٨٥).

(٢) سورة الأعراف: آية (١٨٨).

(٣) سورة الأنعام: آية (٥٠٩).

(٤) سورة الأحقاف: آية (٩).

(٥) هو محمد بن سعيد البوصيري، نسبة إلى بلدته أبو صير بمصر، ولد سنة (٦٠٨هـ) وأشتغل بالتصوف، وكان على الطريقة الشاذلية، له ديوان شعر مطبوع، ت سنة (٦٩٥هـ). انظر: ترجمته في مقدمة ديوان البوصيري، تحقيق سعيد كيلاني، طبع مصطفى الحلبي، مصر، ١٣٧٤هـ، ص(٥-٤٤).

في البردة[1] حيث قال:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به

سواك عند حلول الحادث العمم

وقال:

فإن من وجودك الدنيا وضرتها

ومن علومك علم اللوح والقلم.

فأي إطراء وأي غلو، وأي شرك أعظم من هذا، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝١٨٨﴾[2] »[3].

وكما لا يخفى على ذوي البصائر؛ بأن كل ما عبد من دون الله من قبر أو مشهد، أو صنم أو طاغوت فالأصل في عبادته هو الغلو، وهذا هو الذي حصل في قوم نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾[4].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله عند تفسير لهذه الآية: « قال محمد بن قيس[5]: كانوا قوماً

(١) قصيدة ميمية اسمها (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) في (١٦٢) بيتاً، وهي من أشهر المدائح النبوية، وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً تجاوزت شروحها خمسين شرحاً، وقد غلا فيها الناظم في مقام النبي ﷺ وتجاوز الحد المشروع، وقد رد على هذه القصيدة طائفة من العلماء ومنهم الشيخ سليمان بن محمد بن عبدالوهاب في كتابه « تيسير العزيز الحميد »، ص(٢١٩-٢٢٠)،والشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد ابن عبدالوهاب في « الدرر السنية »، (٩/ ٤٩-٨٠)، والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن حسن في « منهاج التأسيس والتقديس »، ص(٢١٢)، والإمام الشوكاني في « الدر النضيد »، ص(٢٦).

(٢) سورة الأعراف: آية (١٨٨).

(٣) القصد السديد، ص(٩٩).

(٤) سورة نوح: آية (٢٣).

(٥) هو محمد بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشي الحجازي، يقال أن له رؤية، وقد روى عن =

صالحين من بني آدم وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم »[(١)].

وقال رحمه الله في موضع آخر: « فصارت صورهم بسبب الغلو فيهم أصناماً تعبد من دون الله، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، وأما يعوق فكان لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير »[(٢)].

ثم بعد ذلك بيّن رحمه الله السبب في هذا الفعل فقال: « لما درست آثار العلم بذهاب العلماء، وعم الجهل حتى صاروا لا يميزون بين التوحيد والشرك عبدوها مع الله؛ ظناً منهم أنه ينفعهم عند الله »[(٣)].

وحاصل ذلك هو معرفة القاعدة الكلية وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه ولو حسن قصد الفاعل، فأول شرك وقع في الأرض وغيِّر به دين الأنبياء كان بشبهة الصالحين، حيث أنه مزج الحق بالباطل، فالأول محبة الصالحين، والثاني فعل أناس من أهل العلم شيئاً أرادوا به خيراً، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

المسألة الثانية: السحر:

السحر من الأعمال المحرمة التي تضاد التوحيد وهو محاداة لله ورسوله وقد نقل الشيخ فيصل رحمه الله تعريف السحر عن المقدسي[(٤)]، فقال: « قال أبو محمد المقدسي، السحر

النبي ﷺ مرسلاً، كما روى عن أمه وعن عائشة رضي الله عنها .

انظر: الثقات، ابن حبان، (٥/ ٣٦٩). الإصابة، ابن حجر، (٦/ ٢٥٥) .

(١) توفيق الرحمن، (٤/ ٣٦٦-٣٦٧).

(٢) القصد السديد، ص(٩٨).

(٣) المرجع السابق، ص(٩٨).

(٤) هو عبدالله بن أحمد بن موفق الدين بن قدامة، من فقهاء الحنابلة، جمع بين العلم والعمل والتحديث والفقه، وكان ورعاً زاهداً، عليه هيبة ووقار، ولد سنة (٥٤١) وتوفي بدمشق سنة (٦٢٠هـ)، صنف =

عزائم ورقي وعقد، تؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه»[1].

والسحر أنواعه كثيرة، ومن أعظمها السحر الذي لا يتم إلا بالإشراك بالله، والتقرب إلى الشياطين حتى يحققوا للساحر مراده.

وقليل السحر وكثيره لا يتم إلا بالتعرض لغضب الله وسخطه، وهو من السبع الموبقات، كما في حديث أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: (اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)[2].

والسحر لا يؤثر إلا بإذن الله وإرادته الكونية، قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾[3].

لذلك حارب الإسلام السحر، وحرمه على المسلمين لما فيه من ادعاء الإطلاع على المجهول، وفي ذلك إدعاء لمشاركة الله في علم الغيب، ولما فيه أيضاً من توسل للشياطين، والتقرب إليهم.

حد الساحر:

اختلف العلماء رحمهم الله أولاً في توبة الساحر: هل تقبل أولا تقبل؟

التصانيف الفائقة منها: المغني، والكافي، والمقنع.

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢٢/ ١٦٥). البداية والنهاية، ابن كثير، (١٣/ ٩٩).

(١) القصد السديد، ص(١٢٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾، (ح/ ٢٧٦٦). ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، (ح/ ٨٩).

(٣) سورة البقرة، آية (١٠٢).

وقد ذكر ذلك الشيخ رحمه الله فقال: « قال الموفق في (المغني) وهل تقبل توبة الزنديق ومن تكررت ردته، من سبَّ الله تعالى والساحر؟ على روايتين:

أحدهما: لا تقبل توبته ويقتل بكل حال.

والأخرى: تقبل توبته كغيره »[1].

فقد منع من قبولها الإمام أبو حنيفة، والإمام أحمد في روايته والإمام مالك، وقال الإمام الشافعي والإمام أحمد في رواية أخرى: تقبل توبته[2].

ثم بعد ذلك اختلف العلماء رحمهم الله في حد الساحر: هل يقتل بمجرد فعله السحر، أولا؟

فذكر الشيخ رحمه الله أقوال العلماء في هذه المسالة، ثم ذكر الراجح منها على اختيار الإمام الشوكاني[3] رحمه الله فقال: « وكذلك اختلف العلماء في قبول توبة الساحر، فقال مالك: لا تقبل توبته.

وقال الشافعي: تقبل.

وقال مالك: يقتل بمجرد تعلمه واستعماله وإن لم يقتل به.

وقال أبو حنيفة والشافعي : لا يقتل إلا أن قتل به، وقال الشافعي أيضاً: إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ الكفر.

قال الشوكاني: والأرجح ما قاله الشافعي؛ لأن الساحر إنما يقتل لكفره قال: والحق قبول التوبة، فيقال للمرتد: إن رجعت إلى الإسلام وإلا قتلناك، فهذه الاستتابة »[4].

ونخلص من ذلك إلى أنه لا خلاف بين العلماء في قتل الساحر إذا اشتمل سحره على

---

(١) القصد السديد، ص(١٢٥).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١/ ١٤٧).

(٣) سبقت ترجمته، ص(١٧٨) .

(٤) القصد السديد، ص(١٢٥).

الكفر، أو قتل بسحره شخصاً معيناً بإقراره، وإنما الخلاف في قتل الساحر الذي يشتمل سحره على عمل دون الكفر.

حكم إتيان السحرة والكهنة والعرافين:

عرف الشيخ فيصل رحمه الله الكاهن بأنه من يخبر عن المغيبات، والعراف بالذي يتعاطى معرفة مكان المسروق، ومكان الضالة ونحوهما ثم قال رحمه الله: « هؤلاء الكهان فيما علم بشهادة الامتحان، قوم لهم أذهان جادة، ونفوس شريرة، وطبائع نارية، فهم يفزعون إلى الجن في أمورهم، ويستفتونهم في الحوادث، فيلقون إليهم الكلمات »[1].

وقد حذر الرسول ﷺ من الذهاب إلى الكهنة والعرافين بقوله: « من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً »[2].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله عند هذا الحديث: « وفيه وعيد شديد لمن فعل ذلك »[3].

وقال أيضاً تعليقاً على صلاته: « معناه أنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مجزئة بسقوط الفرض عنه »[4].

ثم بين رحمه الله الواجب على المسلمين تجاه هؤلاء الكهنة ومن يأتي إليهم فيقول: « قال القرطبي: يجب على من قدر على ذلك من محتسب وغيره، أن يقيم من يتعاطى شيئاً من ذلك من الأسواق، وينكر عليهم أشد النكر، وعلى من يجيء إليهم، ولا يغتر بصدقهم في بعض الأمور، ولا بكثرة من يجيء إليهم ممن ينسب إلى العلم، فإنهم غير راسخين في العلم، بل من الجهال لما في إتيانهم من المحذور »[5].

---

(١) تطريز رياض الصالحين، ص(٩٣٦-٩٤١).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، (ح/ ٢٢٣٠).

(٣) القصد السديد، ص(١٣٢).

(٤) تطريز رياض الصالحين، ص(٩٣٧). القصد السديد، ص(١٣١).

(٥) تطريز رياض الصالحين، ص(٩٣٦).

حل السحر عن المسحور:

يقال لحل السحر عن المسحور، وكشفه وعلاجه: النشرة.

يقول الشيخ فيصل رحمه الله: « قال ابن الجوزي[(1)]: النشرة حل السحر عن المسحور. ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر »[(2)].

وقد نقل الشيخ رحمه الله اختلاف العلماء في حكمها، فذكر أن بعضهم أجازها، وبعضهم قد منع منها، وأن فيها ما يباح وما يحرم.

فأما الذين حرموها فقد استدلوا بحديث جابر أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة فقال: « هي من عمل الشيطان »[(3)].

يقول الشيخ رحمه الله: « قال أبو داود: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله أي يكره النشرة التي هي من عمل الشيطان كما يكره تعليق التمائم مطلقاً »[(4)].

ثم يذكر رحمه الله النشرة المباحة شرعاً وهي الرقية الشرعية، كما بينها الحافظ ابن القيم رحمه الله فقال: « النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: حل السحر بمثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور، والثاني: النشرة بالرقية والمعوذات والأدوية والدعوات المباحة،

---

(1) هو جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي الحنبلي الواعظ صاحب التصانيف الكثيرة، له عبادة ونسك وحسن معاشرة وطيب مظهر، توفي رحمه الله سنة (٥٩٧هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٢١/ ٣٦٥). البداية والنهاية، ابن كثير، (١٣/ ٢٨).

(٢) القصد السديد، ص(١٣٤-١٣٥).

(٣) رواه أحمد، (٣/ ٢٩٤). وأبو داود، كتاب الطب، باب في النشرة، (ح/ ٣٨٦٨). والبيهقي في السنن الكبرى، (٩/ ٣٥١). وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عقيل بن معقل، فقد روى له أبو داود وهو ثقة.

(٤) القصد السديد، ص(١٣٥).

فهذا جائز »[1].

وقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله الآيات القرآنية التي يرقى بها المسحور فقال: « وعن ليث بن أبي سليم[2] قال: بلغني أن هذه الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى يقرأ في إناء فيه ماء، ثم يصب على رأس المسحور: الآية التي في سورة يونس: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[3] وقوله: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ۝ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۝ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝﴾[4] وقوله: ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[5].

وقال ابن بطال[6]: في كتاب وهب بن منبه أنه يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر، فيدقه بين حجرتين، ثم يضربه بالماء، ويقرأ فيه آية الكرسي والقلاقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات، ثم يغتسل به، يذهب عنه كل ما به، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله »[7].

وأما الذين أباحوا النشرة فقد استدلوا بقول ابن المسيب[8]: « فعن قتادة قلت لابن

(١) المرجع السابق، ص(١٣٤).

(٢) هو الليث بن أبي سليم بن زنيم، بالزاي والنون مصغر، واسم أبيه أيمن وقيل أنس وقيل غير ذلك صدوق اختلط جداً ولم يتميز حديثه فترك، مات سنة (٤٨هـ).
انظر: تقريب التهذيب، ابن حجر، (١/ ٤٦٤).

(٣) يونس: الآيتان (٨١-٨٢).

(٤) سورة الأعراف: الآيات (١١٨-١٢٢).

(٥) سورة طه: آية (٦٩).

(٦) هو علي بن خلف بن عبدالملك بن بطال، أبو الحسن، عالم بالحديث، من أهل قرطبة، له (شرح البخاري)، توفي سنة (٤٤٩هـ).
انظر: الأعلام، الزركلي، (٤/ ٢٨٥). شذرات الذهب، ابن العماد، (٣/ ٢٨٣).

(٧) القصد السديد، ص(١٣٦).

(٨) هو سعيد بن المسيب بن أبي وهب المخزومي القرشي، إمام التابعين، كان من العباد والزهاد، وكان من أحفظ الناس لأحكام عمر وأقضيته حتى سُمي « راوية عمر » توفي في المدينة سنة (٩٤هـ).
=

المسيب: رجل به طب أُخذ عن امرأته،أيحل عنه، أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه »[(١)].

قال الشيخ فيصل رحمه الله في بيان هذا القول: « يعني: أن النشرة لا بأس بها، لأنهم يريدون بها الإصلاح، أي: إزالة السحر، ولم ينه عما يراد به الإصلاح، وهذا يحمل على مالا يعلم أنه سحر »[(٢)].

وقد أوضح الشيخ فيصل رحمه الله قول ابن المسيب بأنه يحمل على مالا يعلم أنه سحر، استناداً لما جاء عن الحافظ كما ذكر ذلك الشيخ رحمه الله بقوله: « قال الحافظ: وممن صرح بجواز صرح بجواز النشرة المزني[(٣)] صاحب الشافعي، وأبو جعفر الطبري وغيرهم، ثم وقفت على صفة النشرة في كتاب الطب النبوي لجعفر المستغفري[(٤)]، قال: وجدت في خط نصوح بن واصل[(٥)] على ظهر جزء من تفسير قتيبة بن أحمد البخاري، قال قتادة لسعيد بن

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٤/ ١١٧). الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٥/ ١١٩).

(١) فتح الباري، ابن حجر، (١٠/ ٢٣٤).

(٢) القصد السديد، ص(١٣٥).

(٣) هو إسماعيل بن يحي بن إسماعيل المزني المصري الفقيه الإمام صاحب التصانيف أخذ عن الشافعي، ذكره الشيخ أبو إسحاق أول أصحاب الشافعي، وقال: كان زاهداً عالماً، صنف كتباً كثيرة، وقال الشافعي: المزني ناصر مذهبي، ولد سنة (١٧٥هـ)، وتوفي سنة (٢٦٤هـ).

انظر: طبقات الشافعية، ابن شهبة، (١/ ٥٨).

(٤) هو جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد بن المستغفر بن الفتح النسفي، كان فقيهاً فاضلاً ومحدثاً وكان صدوقاً غير أنه يروي الموضوعات ولا يوهيها، له تصانيف كثيرة منها: دلائل النبوة،ومعرفة الصحابة، الدعوات والشمائل، وغيرها.

انظر: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، عبدالقادر بن أبي الوفاء القرشي، نشر مير محمدكتب خانه، كراتشي، (١/ ١٨٠) .

(٥) هو نصوح بن واصل الورازاني النسفي شيخ ثقة ورع عالم، سمع التفسير الكبير من أبي حفص قتيبة بن أحمد البخاري، وكتبه بيده وروى عنه، مات سنة (٣٤٣هـ) .

انظر: الأنساب، أبو سعيد محمد بن منصور السمعاني، تحقيق: عبدالله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، (٥/ ٥٨٤).

المسيب: رجل به طب أُخذ عن امرأته أيحل له أو ينشر؟ قال: لا بأس إنما يريد به الإصلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه قال نصوح: فسألني حماد بن شاكر[1]، ما الحل والنشرة؟ فلم أعرفهما، فقال: هو الرجل إذا لم يقدر على مجامعة أهله وأطاق ما سواها فإن المبتلى بذلك يأخذ حزمة قضبان، وفأساً ذا قطارين ويضعه في وسط تلك الحزمة ثم يؤجج ناراً في تلك الحزمة حتى إذا ما حمي الفأس استخرجه من النار وبال على حره فإنه يبرأ بإذن الله، وأما النشرة فإنه يجمع أيام الربيع ما قدر عليه من ورود المغارة وورود البساتين ثم يلقيها في إناء نظيف، ويجعل فيها ماء عذباً ثم يغلي ذلك الورد في الماء غلياً يسيراً ثم يمهل حتى إذا فتر الماء أفاضه عليه فإنه يبرأ بإذن الله تعالى. انتهى والله أعلم »[2].

فالشيخ رحمه الله لم يمنع النشرة إن كانت بسبب مباح شرعاً، أما النشرة التي تكون عن طريق الشيطان والسحرة فهذه هي التي منعها؛ لأن السحر من السبع الموبقات، فكيف يحل الذهاب إلى الساحر والطلب منه أن يفك السحر، والله -سبحانه وتعالى- لم يجعل شفاء أمة محمد ﷺ فيما حرم عليها.

وأختم هذه المسألة بكلام الشيخ العلامة عبدالرحمن بن حسن رحمه الله في النشرة، يقول فيه: « إن ما كان منه بالسحر فيحرم، وما كان بالقرآن والدعوات والأدوية المباحة فجائز. والله أعلم »[3].

وهذا يتوافق مع ما قاله الشيخ فيصل رحمه الله في هذه المسألة.

---

(١) هو حماد بن شاكر بن سورة الوراق المدني النسفي ثقة جليل، حدث عن عيسى بن أحمد العسقلاني، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وأبي عيسى الترمذي، وهو أحد رواة صحيح البخاري، توفي سنة (٣١١هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٥/ ٥). الأنساب، السمعاني، (٥/ ٢٣٩).

(٢) القصد السديد، ص(١٣٦-١٣٧).

(٣) فتح المجيد، ص(٢٤٣).

التنجيـــــم:

التنجيم مأخوذ من النجم، وقد عرفه الشيخ فيصل نقلاً عن شيخ الإسلام[1] رحمه الله بقوله: « قال شيخ الإسلام: هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية »[2].

بمعنى: أن يربط المنجم ما يقع في الأرض، أو ما سيقع في الأرض بالنجوم بحركاتها، وطلوعها، وغروبها، واقترانها، وافتراقها وما أشبه ذلك.

والتنجيم نوع من السحر والكهانة، وهو محرم؛ لأنه مبني على أوهام لا حقيقة لها، فلا علاقة لما يحدث في الأرض بما يحدث في السماء، ولهذا كان من عقيدة أهل الجاهلية أن الشمس والقمر لا ينكسفان إلا لموت عظيم، فكسفت الشمس في عهد النبي ﷺ في اليوم الذي مات فيه ابنه إبراهيم عليه السلام فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم، فخطب النبي ﷺ بالناس حين صلى الكسوف وقال: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته)[3]، فأبطل النبي ﷺ ارتباط الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، وكما أن التنجيم بهذا المعنى نوع من السحر والكهانة فهو أيضاً سبب للأوهام والانفعالات النفسية التي ليس لها حقيقة ولا أصل، فيقع الإنسان في أوهام وتشاؤمات، ومتاهات لا نهاية لها.

وعلم النجوم على نوعين[4]:

النوع الأول: علم التأثير، وهذا النوع ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يعتقد أن هذه النجوم مؤثرة فاعلة؛ بمعنى أنها هي التي تخلق الحوادث، فهذا شرك مخرج من الملة، لأنه جعل المخلوق خالقاً فادعى أن مع الله خالقاً آخر.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٣٥/ ١٩٢) .

(٢) القصد السديد، ص(١٤٦).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف، (ح/ ٩٠١).

(٤) انظر: فتاوى العقيدة، ابن عثيمين، ص(٢٥٢) .

القسم الثاني: أن يستدل بحركاتها وتنقلاتها على ما يحدث في المستقبل، مثل: أن يعتقد أن فلاناً ستكون حياته شقاء، لأنه ولد في النجم الفلاني، ونحو ذلك فهذا قد ادعى علم الغيب، ودعوى علم الغيب كفر مخرج من الملة لأنه تكذيب لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [1] وهذا من أقوى أنواع الحصر لأنه بالنفي والاستثناء، فإذا ادعى علم الغيب فقد كذّب القرآن.

وقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله أن هذا العلم للنجوم هو المنهي عنه حيث قال: « قال الخطابي[2]: علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث، التي ستقع في مستقبل الزمان كأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر وتغير الأسعار وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها، واجتماعها وافتراقها يدعون أن لها تأثيراً في السلفيات وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاط لعلم قد استأثر الله به لا يعلم الغيب سواه » [3].

وفي موضع آخر نقل رحمه الله عن قتادة قوله: « وإن أناساً جهلة بأمر الله، قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر للنجم كذا وكذا، ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والطويل والقصير، والحسن والدميم، وماعلم هذه النجوم وهذه الدابة، وهذا الطائر، بشيء من هذا الغيب، ولو أن أحداً علم

---

(١) سورة النمل: آية (٦٥).

(٢) هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البستي، من ولد زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب ومنهم من ذكر أن اسمه « أحمد »، كان فقيهاً أديباً محدثاً، له كتاب الأعلام شرح فيه صحيح البخاري، ومعالم السنن في شرح سنن أبي داود، وكتاب أسماء الله الحسنى، وكتاب الغنية عن الكلام وأهله، وغير ذلك من التصانيف، توفي سنة (٣٨٨هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ، الذهبي، (٣/ ١٠١٩). العبر، الذهبي، (٣/ ٤١). البداية والنهاية، ابن كثير، (١١/ ٢٣٦). الوافي بالوفيات، صلاح الدين بن أيبك، (٧/ ٢٠٧). معجم الأدباء، أبو عبدالله ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، (٣/ ٢٥١).

(٣) القصد السديد، ص(١٤٨).

الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته،وعلمه أسماء كل شيء» [(١)].

القسم الثالث: أن يعتقد أنها سبب لحدوث الخير والشر أي أنه إذا وقع شيء نسبه إلى النجوم، ولا ينسب إلى النجوم شيئاً إلا بعد وقوعه فهذا شرك أصغر لأنه أضاف الحوادث، إلى ما ليس سبباً لها شرعاً ولا حساً.

النوع الثاني: علم التيسير، بأن يستدل بسيرها على شيء، وهو على قسمين:

القسم الأول: أن يستدل بسيرها على المصالح الدينية، فهذا مطلوب، وإذا كان على مصالح دينية واجبة كان ذلك واجباً، كما لو أراد أن يستدل بالنجوم على جهة القبلة.

وقد بيّن الشيخ رحمه الله هذا بقوله: « قال الخطابي: أما علم النجوم الذي يدرك كالمشاهدة والخبر الذي يعرف به الزوال وتُعلم به جهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهي عنه» [(٢)].

القسم الثاني: أن يستدل بسيرها على المصالح الدنيوية، وهذا لا بأس به، وهو نوعان:

النوع الأول: أن يستدل بها على الجهات كمعرفة القطب يقع شمالاً، والجدي وهو قريب منه يدور حوله شمالاً وهكذا، فهذا جائز قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [(٣)].

يقول الشيخ رحمه الله في تفسير هذه الآية: « قال قتادة: إن الله –جل ثناؤه– إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها زينة للسماء الدنيا، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدي بها، فمن ينال منها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم به» [(٤)].

---

(١) القصد السديد، ص(١٤٧). القول في الكرة الجسمية الموافق للفطرة السليمة مخطوطة، ورقة، (٣٦).

(٢) القصد السديد، ص(١٤٧).

(٣) سورة النحل:آية (١٦).

(٤) توفيق الرحمن، (٤/ ٣٢٥-٣٢٦). القصد السديد، ص(١٤٧). القول في الكرة الجسمية، مخطوطة، ورقة، (٣٦).

النوع الثاني: أن يستدل بها على الفصول، وهو ما يعرف بتعلم منازل القمر، فهذا كرهه بعض السلف، وأباحه آخرون، وقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله ذلك نقلاً عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتابة التوحيد فقال: « وكره قتادة تعلم منازل القمر على الثماني والعشرين المعروفة ولم يرخص ابن عيينة[1] فيه، ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق »[2].

وحاصل الكلام أن علم النجوم قسمان أحدهما محرم والآخر جائز وقد بين الشيخ فيصل رحمه الله ذلك بقوله: « والمأذون في تعلمه التيسير، لا علم التأثير، فإنه باطل محرم قليله وكثيرة، وأما علم التيسير فيتعلم منه ما يحتاج للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق جائز عند الجمهور »[3].

الاستسقاء بالأنواء:

المراد بذلك ما ذكره الشيخ فيصل رحمه الله حيث قال: « المراد نسبة السقيا ومجيء المطر إلى الأنواء، وهي منازل القمر، قال أبو السعادات: وهي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة منزلة منها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾[4]، يسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت من المشرق، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون المطر، وينسبونه إليها، ويقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا. وإنما سمي نوء، لأنه إذا سقط الساقط منها ناء الطالع بالمشرق أي: نهض وطلع »[5].

---

(١) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي مولاهم، ولد بالكوفة سنة (١٠٧هـ) وطلب الحديث وهو غلام، كان إماماً عالماً حجة زاهداً ورعاً، مجمع على إمامته وصحة حديثه، توفي عام (١٢٦هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٨/ ٤٥٤). تهذيب التهذيب، ابن حجر، (٤/ ١١٧).

(٢) القصد السديد، ص(١٤٧).

(٣) المرجع السابق، ص(١٤٨).

(٤) سورة يس: آية (٣٩).

(٥) المرجع السابق، ص(١٥٠).

والاستسقاء بالأنواء يتقسم إلى قسمين:

القسم الأول: شرك أكبر وله صورتان:

الصورة الأولى: أن يدعو الأنواء بالسقيا، كأن يقول: يا نوء كذا أسقنا أو أغثنا وما أشبه ذلك، فهذا شرك أكبر قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ (١).

وهذا شرك في العبادة والربوبية.

الصورة الثانية: أن ينسب حصول الأمطار إلى هذا النوء ولو لم يدعها على أنها هي الفاعلة بنفسها دون الله، بأن يعتقد أنها هي التي تنزل المطر دون الله فهذا شرك أكبر في الربوبية.

أوضح هذا المعنى الشيخ رحمه الله حيث قال: « نسبة المطر إلى النوء بقولهم: مطرنا بنجم كذا وكذا، فإن اعتقد أن له تأثيراً في إنزال المطر فهو شرك وكفر » (٢).

والدليل على ذلك ما رواه زيد بن خالد (٣) رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: « هل تدرون ماذا قال ربكم؟ » قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: « قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب » (٤).

أشار الشيخ فيصل رحمه الله إلى معنى هذا الحديث، فقال: « قال القرطبي: وكانت العرب إذا طلع نجم من المشرق، وسقط آخر من المغرب، فحدث عند ذلك مطر أو ريح،

---

(١) سورة المؤمنون: آية (١١٧).

(٢) القصد السديد، ص(١٥١).

(٣) سبقت ترجمته، ص(١٧٠).

(٤) سبق تخريج الحديث، ص(١٧١).

فمنهم من ينسبه إلى الطالع، ومنهم من ينسبه إلى الغارب، نسبة إيجاد واختراع، ويطلقون ذلك القول المذكور في الحديث، فنهى الشارع عن إطلاق ذلك لئلا يعتقد أحد اعتقادهم ولا يتشبه بهم في نطقهم »[1].

القسم الثاني: شرك أصغر: وهو أن يجعل هذه الأنواء سبباً، والله هو الفاعل، وإنما كان شركاً أصغر لأن كل من جعل سبباً لم يجعله الله سبباً، فهو مشرك شركاً أصغر.

والخلاصة: أن الشيخ فيصل رحمه الله قد وافق منهج السلف في الاهتمام بتوحيد الألوهية، حيث ذكر أن النطق بشهادة التوحيد هي أول واجبات المكلف، والدعوة إليه هي مفتاح دعوة الرسل عليهم السلام.

ثم أشار رحمه الله إلى أن تحقيق هذا التوحيد لا يكون إلا بتحقيق العبادة لله وحده، بجميع أنواعها.

كما حذر رحمه الله من الوقوع فيما يفسد العبادة الصحيحة كالشرك بأنواعه والسحر وما يتعلق به.

فإذا حقق المؤمن توحيد الألوهية حصلت له السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة.



(١) القصد السديد، ص(١٥١).



توحيد الأسماء والصفات

وفيـــه أربعة مطالــــب : -

۞ المطلب الأول: جهود الشيخ في إبراز عقيدة السلف في الأسماء والصفات.

۞ المطلب الثاني: مسائل مهمة في الأسماء والصفات.

۞ المطلب الثالث: ذكر جملة من الصفات التي أوردها الشيخ.

۞ المطلب الرابع: إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

* *   * *   * *

تمهيد

إن توحيد الأسماء والصفات من أصول الإسلام الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه.

فهذا النوع من التوحيد من أشرف العلوم، وبمعرفته يتم إيمان العبد وهو يستلزم أن لا نصرف شيئاً من العبادة إلا إليه، ولا نشرك به أحداً -جل وعلا-.

وللإمام ابن القيم ﷺ كلام نفيس حول هذا المعنى يقول فيه ﷺ: « فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها؛ أعني من موجبات العلم بها، والتحقق بمعرفتها وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح، فعلم العبد بتفرد الرب -تعالى- بالضر والنفع،والعطاء والمنع، والخلق والرزق، والإحياء والإماتة: يثمر له عبودية التوكل عليه باطناً، ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض،وأنه يعلم السر وأخفى،ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور: يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل مالا يرضى الله » ثم يذكر ﷺ بعض الصفات وآثارهما ويختم كلامه بقوله: « فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات » [1].

والمراد بتوحيد الأسماء والصفات: إفراد الله -سبحانه- بأسمائه الحسنى وصفاته الواردة والإيمان بمعانيها وأحكامها[2].

وقد حصل نزاع بين أهل القبلة في هذا الباب، من حيث إثباته، وفهم المراد منه، فكان أهل السنة والجماعة وسطاً بين الناس، في هذا الباب وغيره،وقولهم هو الأسلم والأعلم والأحكم، وذلك لأنهم اتبعوا الطريقة العدل الموافقة لنصوص الكتاب والسنة

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢/ ٤٩١-٤٩٢).

(٢) معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، محمد بن خليفة التميمي، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ص(٢٩).

كما فهمها صحابة رسول الله ﷺ الذين حضروا التنزيل، بل وطريقتهم هي مقتضى العقل السليم، بخلاف من اعتمدوا الأقيسة العقلية الفاسدة، التي أبطلوا بها نصوص الكتاب والسنة، ولكنا نجد أن السلف الصالح -رضوان الله عليهم- تصدوا للرد على أهل التحريف والإلحاد في نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب، فنجدهم يصنفون المصنفات فيه، ويسمون هذه المباحث بالتوحيد، أو الإيمان، أو السنة كما فعل الإمام ابن خزيمة[1] في كتابه التوحيد، والإمام ابن مندة في كتابه الإيمان، وعدد من الأئمة رحمهم الله جميعاً.

والمقصود من هذا المبحث بيان منهج الشيخ فيصل المبارك رحمه الله في هذا الباب والذي يظهر في المطالب التالية ..



(١) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمي النيسابوري الإمام الحافظ الحجة، كان سلفي العقيدة على طريقه أهل الحديث،من مصنفاته: كتاب التوحيد، وكتاب الصحيح، توفي سنة (٣١١هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٤/ ٣٦٥). البداية والنهاية، ابن كثير، (١١/ ١٦٠).

المطلب الأول: جهود الشيخ في إبراز عقيدة السلف في الأسماء الصفات

السلف في هذا الباب يثبتون ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله ﷺ وينفون ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، وهم في هذا مقتصرون على ما ورد في القرآن الكريم.

وقد كان الشيخ فيصل رحمه الله على هذا المنهج والمعتقد، حيث يقول: « ومن أصول أهل السنة والجماعة الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف[١] ولا تعطيل[٢]، ومن غير تكييف[٣]. ولا تمثيل[٤] فمن شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس في كلام الله ولا في كلام رسوله تشبيه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٥] »[٦].

---

(١) التحريف: لغة: التغيير. انظر: لسان العرب، ابن منظور، (٩/ ٤٣).

والمراد بالتحريف: هو تغيير النص إما لفظاً، أو معنى، والتغيير المعنوي هو الأكثر وقوعاً بين الناس، والداعي إليه أكثر، ويسمونه بالتأويل لتحسينه، ولكن الصحيح أنه تحريف .

انظر: شرح العقيدة الواسطية، الشيخ محمد العثيمين، اعتنى به: سعد الصميل، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٥، ١٤١٩هـ، (١/ ٩٢).

(٢) التعطيل لغة: التفريغ والتخلية والترك.

انظر: لسان العرب، ابن منظور، (١١/ ٤٥٤). والمراد بالتعطيل: إنكار ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، سواءاً كان كلياً أو جزئياً.

انظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين، (١/ ٩١).

(٣) التكييف: هو تعيين كيفية الصفة.

(٤) التمثيل: هو ذكر مماثل للشيء، وبينه وبين التكييف عموم وخصوص؛ لأن كل ممثل مكيف، وليس كل مكيف ممثل.

انظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين، (١/ ٩٧-١٠٢). شرح العقيدة الواسطية، الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، مكتبة المعارف، الرياض، ط٤، ١٤٠٧هـ، ص(١٤).

(٥) سورة الشورى: آية (١١).

(٦) القصد السديد، ص(١٨٩).

وبهذا المعنى الواضح، يبين لنا الشيخ رحمه الله الطريقة الصحيحة لفهم الصفات، والضابط الذي نميز به صفات الله ﷻ حتى نعتقدها في قلوبنا، ونتعبد بها في جوارحنا.

وهذا المسلك الذي سلكه الشيخ فيصل رحمه الله في توضيحه لمنهج السلف في الأسماء والصفات،هو ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: « فالذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل » [1].

وقد التزام الشيخ رحمه الله طريق الورع في عدم الخوض في هذا الباب على نحو مسلك الخلف، حيث إن السلف لم يكونوا يتوسعوا في هذا الباب إلا لرد كثير من الباطل، فنراه رحمه الله يسوق عدداً من الآثار عنهم في هذا الباب.

يقول رحمه الله : « قال ابن كثير: أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [2]، فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً، ليس هذا موضع بسطها، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي [3]، والثوري [4]،

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: سعيد بن نصر، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ، ص(٣٢).

(٢) سورة الحديد: آية (٤).

(٣) هو عبدالرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي الدمشقي كان صاحب سنة واتباع، وله مذهب خاص في الفقه، عمل به فقهاء الشام والأندلس مدة، ولد سنة (٨٨) وقيل (٩٣هـ) في بعلبك ونشأ في البقاع،ثم نقلته أمه إلى بيروت وبها توفي سنة (١٥٧هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٧/ ١٠٧). شذرات الذهب، ابن العماد، (١/ ٢٤١). وفيات الأعيان، ابن خلكان، (٣/ ١٢٧) .

(٤) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، أمير المؤمنين في الحديث، من أئمة المسلمين وأعلام الدين مع الاتقان والحفظ والمعرفة والضبط والورع والزهد، وهو أحد الأئمة المجتهدين ولد سنة (٩٧هـ) وتوفي سنة (١٦١هـ) على القول الصحيح.

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٧/ ٢٢٩-٢٧٩). البداية والنهاية، ابن كثير (١/ ١٣٧) .

والليث بن سعد[1]، والشافعي، وأحمد، وإسحاق بن راهويه[2] وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[3] بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزاعي[4] شيخ البخاري قال: من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفى عن الله تعالى النقائض فقد سلك سبيل الهدى »[5].

ويقول رحمه الله في موضع آخر: « قال البغوي:... والله أعلم بصفاته،فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم، وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات: أمروها كما جاءت بلا كيف »[6].

---

(١) هو الليث بن سعيد بن عبدالرحمن إمام حافظ عالم الديار المصرية كان فقيهاً كثير العلم، صحيح الحديث، مع الورع والفضل. ت (١٧٥هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٨/ ١٣٦) . شذرات الذهب، ابن العماد، (١/ ٢٨٥).

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد التميمي ثم الحنظلي المروزي المعروف بابن راهويه، نزيل نيسابور. ولد سنة (١٦١)، وتوفي سنة (٢٣٨هـ) قال عنه الإمام أحمد: « لا أعرف لإسحاق في الدنيا نظيراً ».

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١١/ ٣٥٨). البداية والنهاية، ابن كثير، (١٠/ ٣٣١) .

(٣) سورة الشورى: آية (١١).

(٤) هو نعيم بن حماد بن معاوية الإمام الحافظ روى البخاري وابو داود والترمذي وغيرهم،وكان من أعلم الناس بالفرائض، وأول من عرف عنه كتابه المسند، توفي (٢٢٩هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٠/ ٥٩٥). الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٧/ ٥١٩). تهذيب التهذيب، ابن حجر، (١٠/ ٤٥٨).

(٥) التعليقات السنية، ص(٦٦-٦٧).

(٦) المرجع السابق، ص(٤٥-٤٦).

وقال ﷺ أيضاً: قال الوليد بن مسلم[1]: سألت الأوزاعي، ومالك، والثوري، والليث بن سعيد، عن الأحاديث التي فيها الصفة فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف.

وقال إسحاق بن راهوية: إنما يكون التشبيه لو قيل له يدٌ كيدٍ وسمعٌ كسمعٍ.

وقال ابن عبدالبر[2]: أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة، ولم يُكيِّفُوا شيئاً منها، وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالوا: من أقربها فهو مشبه، فسماهم من اقر بها معطلة. انتهى، والله ﷻ أعلم »[3].

وفي عبارة السلف « أمروها كما جاءت بلا كيف » رد على المعطلة والمشبهة، ففي قولهم: « أمروها كما جاءت » رد على المعطلة، وفي قولهم « بلا كيف » رد على المشبهة وفيها أيضاً دليل على أن السلف كانوا يثبتون لنصوص الصفات المعاني الصحيحة التي تليق بالله، يدل على ذلك من وجهين:

الأول: قولهم: « أمروها كما جاءت » فإن معناها إبقاء دلالتها على ما جاءت به من المعاني، ولا ريب أنها جاءت لإثبات المعاني اللائقة بالله تعالى، ولو كانوا لا يعتقدون لها معنى لقالوا: « أمروا لفظها، ولا تتعرضوا لمعناها » ونحو ذلك.

---

(١) الوليد بن مسلم، عالم أهل الشام، أبو العباس الدمشقي، ارتحل وصنف التصانيف، قال عنه الإمام أحمد: « ما رأيت في الشاميين أحداً أعقل من الوليد بن مسلم » رمي بالتدليس،ولكن وثقه العلماء فيما صرح فيه بالتحديث، توفي سنة خمسة وتسعين ومائة.

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٩/ ٢١١). الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٧/ ٤٧٠). تهذيب التهذيب، ابن حجر، (١١/ ١٥١) .

(٢) هو يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر، من كبار حفاظ الحديث ولد بقرطبة سنة (٣٦٨هـ) وتوفي سنة (٤٦٣هـ)، له مؤلفات عظيمة، منها التمهيد، والاستيعاب. قال الذهبي عنه: « كان في أصول الديانة على مذهب السلف ولم يدخل في علم الكلام ».

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٨/ ١٥٣). شذرات الذهب، ابن العماد، (٣/ ٣١٤). البداية والنهاية، ابن كثير، (١٢/ ١٠٤).

(٣) التعليقات السنية، ص(١٠٢).

الثاني: قولهم: « بلا كيف » فإنه ظاهر في إثبات حقيقة المعنى، لأنهم لو كانوا لا يعتقدون ثبوته ما احتاجوا إلى نفي كيفيته، فإن غير الثابت لا وجود له في نفسه، فنفي كيفيته من لغو القول[1].

ومما سبق يتبين لنا طريقة السلف وهم أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاته كما يلي:

أولاً: في الإثبات: فهي إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو على لسان رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

ثانياً: في النفي: فطريقتهم نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ مع ثبوت كمال ضده لله تعالى فليس نفيهم نفياً محضاً.

ثالثاً: فيما لم يرد نفيه ولا إثباته مما تنازع الناس فيه كالجسم، والحيز والجهة ونحو ذلك، فطريقتهم فيه التوقف في لفظه فلا يثبتونه ولا ينفونه لعدم ورود ذلك، وأما معناه فيستفصلون عنه، فإن أريد به باطل ينزه الله عنه ردُّوه، وإن أريد به حق لا يمتنع على الله، قبلوه.

وهذه الطريقة هي الطريقة الواجبة، وهي القول الوسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل.

وقد دل على وجوبها العقل والسمع:

فأما العقل فوجه دلالته: أن تفصيل القول فيما يجب، ويجوز، ويمتنع على الله تعالى لا يدرك إلا بالسمع فوجب إتباع السمع في ذلك بإثبات ما أثبته،ونفي ما نفاه،والسكوت عما سكت عنه.

وأما السمع: فمن أدلته:

---

(١) انظر: الرسالة الحموية، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية، تحقيق أبو مالك محمد بن حامد بن عبدالوهاب، دار البصيرة،الإسكندرية، ص(٤٥-٤٨).

١-قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (١) يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير هذه الآية: « ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رد للتشبيه، وفي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد للتعطيل، فتضمنت إثبات صفات الكمال لله تعالى، ونفي التشبيه عنه تبارك وتعالى » (٢).

٢-قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ (٣).

هذه الآية الكريمة تدل على مسائل:

أ-إثبات الأسماء لله، فمن نفاها فقد نفى ما أثبته الله فهو محاد الله تعالى.

ب-أن أسماءه كلها حسنى، أي بالغة في الحسن غايته وذلك لأنها تتضمن معاني وصفات كاملة، لا ينقص فيها بوجه من الوجوه وليست أعلاماً محضة لا تدل على معان.

جـ-أنه ﷻ أمر أن يدعى ويتوسل إليه بها فدل على عظمتها وحبه سبحانه أن يدعى بها.

د-أنه سبحانه توعد الذين يلحدون في أسمائه بأن يجازيهم بعملهم السيء.

ومعنى الإلحاد:

لغة: هو الميل عن القصد، ومنه سمي اللحد لحداً لأنه قد أميل عن وسط القبر الى جانبه (٤).

وقد نقل الشيخ هذا المعنى اللغوي في كتبه حين قال رحمه الله: « الإلحاد: هو الميل عن

(١) سورة الشورى: آية (١١).

(٢) التعليقات السنية، ص(٣٢).

(٣) سورة الأعراف: آية (١٨٠).

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (٣/ ٣٨٨-٣٨٩). النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (٤/ ٢٣٦).

القصد »[1].

أي الميل بها عما تدل عليه من المعاني الحقيقية العظيمة إلى معان باطلة لا تدل عليها كما يفعله الذين يؤلونها عن معانيها إلى معان اخترعوها، والعدول عن الحق الواجب فيها. ثم تطرق إلى أحد أنواع الإلحاد حين قال مبيناً ذلك:

« قال ابن عباس: إلحاد الملحدين أن دعوا اللات في أسماء الله، وقال مجاهد: اشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، وقال قتادة: يلحدون يشركون »[2].

والحق أن الإلحاد في معاني أسماء الله على أربعة أنواع قد ذكر الشيخ منها واحدة، وهذه الأنواع هي على النحو التالي:

١-أن ينكر شيئاً منها، أو مما دلت عليه الصفات، كما فعل المعطلة.

٢-أن يجعلها دالة على تشبيه الله بخلقه، كما فعل المشبهة.

٣-أن يسمى الله بما لم يسم به نفسه، لأن أسماء الله توقيفه، فلا يسمى الله ﷻ باسم اشتق له من صفاته، أو أفعاله إذا لم يكن وارداً في النصوص، فلا يصح تسميته أن يتعبد به، ومن ذلك تسمية النصارى له « أبا » وتسمية الفلاسفة إياه « علة فاعلة » ونحو ذلك.

٤-أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كاشتقاق « اللات » من الإله، و « العزى » من العزيز[3].

وأختم الكلام في هذه المسألة بإيراد بعض أقوال السلف التي تؤيد ما ذكره

---

(١) توفيق الرحمن، (٢/ ٢٧١).

(٢) توفيق الرحمن، (٢/ ٢٧١).

(٣) انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض، ص(٢١-٢٢). أسماء وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة، د. عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، الطبعة السادسة، ١٤٢٤هـ، ص(٥٧-٥٨). القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، حققه وخرج أحاديثه أبو عائش عبدالمنعم إبراهيم وأبو طريفة محمد إبراهيم، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، مكة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ص(١٨) .

الشيخ رحمه الله وتدل على أنه مقتف آثار السلف الصالح، وعلى نهجهم يسير، وإلى ما ذهبوا إليه ذهب.

فقد قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله: « فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز، وتهامة واليمن والعراق والشام، مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين،عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقاله المعطلين، وعز أن يكون عدماً كما قاله المبطلون، لأن مالا صفة له: عدم تعالى الله عما يقوله الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها نفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه »[(١)].

وقال حافظ المغرب الإمام ابن عبدالبر رحمه الله: « أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة، لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك، ولا يحددون فيه صفة محصورة »[(٢)].

وقال ابن قدامة المقدسي رحمه الله: « وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف، كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله »[(٣)].

وقال القاضي أبو يعلى[(٤)] رحمه الله: « واعلم أنه لا يجوز رد هذه الأخبار على ما ذهب إليه جماعة من المعتزلة، ولا التشاغل بتأويلها على ما ذهب إليه الأشعرية، والواجب

---

(١) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، دراسة وتحقيق الدكتور عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الثانية ١٤١١هـ (١/ ٢٦).

(٢) التمهيد، ابن عبدالبر، (٧/ ١٤٥).

(٣) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، ابن قدامة المقدسي، خرج أحاديثه، بدر عبدالله البدر، دارالسلفية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ص(١٠) .

(٤) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف البغدادي الفراء،شيخ الحنابلة، وعالم العراق في زمانه، توفي سنة (٤٥٨هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٨/ ٨٩). البداية والنهاية، ابن كثير، (١٢/ ١٠١) .

حملها على ظاهرها،وأنها صفات لله تعالى لا تشبه سائر الموضوفين بها من الخلق، ولا نعتقد التشبيه فيها، لكن على ما روي عن شيخنا وإمامنا أبي عبدالله أحمد ابن حنبل، وغيره من أئمة أصحاب الحديث أنهم قالوا في هذه الأخبار: أمروها كما جاءت، فحملوها على ظاهرها في أنها صفات لله تعالى لا تشبه سائر الموصوفين »[1].

وهكذا كان مذهب السلف رضوان الله عليهم في جميع الصفات الثابتة لله بالكتاب والسنة، كما قال شيخ الإسلام ﷺ: واضح كل الوضوح، فيه من اليسر والسهولة ما يزيده إشراقاً وتألقاً وجمالاً، فهم يؤمنون بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ حقيقة لا مجازاً على الوجه اللائق بكمال الله وجلاله، لأنه لا يصف الله تعالى أعلم من الله، ولا يصف الله بعد الله أعلم من رسول الله ﷺ والله يقول عن نفسه: ﴿ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾[2].

ويقول عن رسوله ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾[3] فكل ما جاء به القرآن حق لأنه من عند الله، وكل ما ثبت في السنة حق وشرع، وكل ما أخبر به رسول الله ﷺ فالواجب الإيمان به[4].



(١) إبطال التأويلات لأخبار الصفات، أبو يعلى، تحقيق: محمد النجدي، مكتبة دار الإمام الذهبي، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، (١/ ٤٤).

(٢) سورة البقرة: آية (١٤٠).

(٣) سورة النجم: الآيتان (٣-٤).

(٤) انظر: التدمرية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص(١٥-١٩).

المطلب الثاني: مسائل مهمة في الأسماء والصفات

ذكر أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات مسائل عظيمة خاصة في جانب الرد على المخالف لمذهب السلف، وسيكون الكلام هنا عما تطرق إليه الشيخ منها، مع شيء من التوضيح علماً بأن الشيخ رحمه الله لم يفرد هذا الجانب ببحث مستقل، وإنما ذكرها عرضاً في شرحه لبعض الكتب، والحديث هنا لبيان جهود الشيخ فيصل رحمه الله في تقريره لمذهب السلف في هذا الفصل.

أولاً: مسائل في الأسماء:

المسألة الأولى: أن أسماء الله كلها حسنى، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [3].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله عن أسماء الله تعالى: « هي أحسن الأسماء دالة على أحسن المعاني » [4].

والحسنى جمع الأحسن، لا جمع الحسن، وتحت هذا سرٌّ نفيس،وذلك أن الحسن من صفات الألفاظ والأحسن من صفات المعاني، فكل لفظ له معنيان حسن وأحسن،فالمراد الأحسن منهما حتى يصح جمعه على حسنى [5]، ومعنى كونها حسنى أنها بالغة في الحسن غايته، وكماله، وتمامه، وأشرفه، والحسن في أسماء الله يكمن من حيث أنها تدل على أحسن وأجل وأعظم مسمى، وهو الله ﷻ وكذلك لاشتمالها وتضمنها للصفات الكاملة،

---

(١) سورة الأعراف: آية (١٨٠).

(٢) سورة الإسراء: آية (١١٠).

(٣) سورة طه:آية (٨).

(٤) القصد السديد، ص(٢١٢).

(٥) انظر: أسماء الله وصفاته، عمر الأشقر، ص(١١١).

المتباعدة عن النقص بأي وجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديراً[1].

ونقل الشيخ رحمه الله عن ابن كثير تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[2]: « أي الذي أنزل عليك القرآن، هو الله الذي لا إله إلا هو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى »[3].

وبهذا يتبين لنا من كلام الشيخ أن الحسن في الأسماء هو دلالة الاسم على صفة كمال، هذا إضافة إلى كونه وارد في النصوص -كما سيأتي بيانه- وأن له من كل صفة كمال أحسن اسم، وأكمله، وأتمه.

وقد أوضح الشيخ عبدالرحمن السعدي[4] رحمه الله هذا المعنى؛ فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[5]: « هذا بيان لعظيم جلاله، وسعة أوصافه بأن له الأسماء الحسنى، أي كل اسم حسن، وضابطه: أنه كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى، فإنها لو دلت على غير صفة،بل كانت علماً محضاً لم تكن حسنى، وكذلك لو دلت على صفة ليس بصفة كمال، بل إما: صفة نقص، أو صفة منقسمة إلى المدح والذم لم تكن حسنى، فكل اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق منها، مستغرق لجميع معناها »[6].

---

(١) انظر: شرح لمعة الاعتقاد، ابن عثيمين، ص(٥). القواعد المثلى، ابن عثيمين، ص(٩).

(٢) سورة طه: آية (٨).

(٣) توفيق الرحمن، (٣/ ٧٣).

(٤) هو الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر بن محمد آل سعدي، ينتهي نسبة إلى بني عمرو من قبيلة تميم، ولد في عنيزة سنة (١٣٠٧هـ) وتوفي بها سنة (١٣٧٦هـ).

انظر: الأعلام، الزركلي، (٣/ ٣٤٠). علماء نجد، البسام، (٢/ ٤٢٢). علماء آل سليم، العمري، (٢/ ٢٩٥).

(٥) سورة الأعراف: آية (١٨٠).

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، (٢/ ١٨٠).

ومثال ذلك: « الرحمن » فهو اسم من أسماء الله تعالى، دال على صفة عظيمة وهي الرحمة الكاملة التي قال عنها رسول الله ﷺ: (لله أرحم بعباده من هذه بولدها) [1].

يعني: أم صبي وجدته في السبي فأخذته وألصقته ببطنها وأرضعته، ويدل أيضاً على الرحمة الواسعة التي قال الله عنها: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [2].

ومن ثم نعرف أنه ليس من أسماء الله تعالى: « الدهر » لأنه لا يتضمن معنى يبلغ غاية الحسن، فأما قوله ﷺ: (لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر) [3] فمعناه: مالك الدهر المتصرف فيه، بدليل قوله ﷺ في الرواية الثانية عن الله تعالى: (يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار) [4] »[5].

ومن تمام كونها حسنى أنه لا يدعى الله إلا بها، وهذا في جانب الأسماء، فإذا كان الاسم غير قابل للدعاء به، فإنه يخرج عن كونه من أسماء الله، ولا يجوز أن يجعل هذا الاسم من أسمائه،ومثال ذلك: الدهر، والبرهان، والزارع.

فإنه لا يصح أن يدعى الله بها فيقال: يا دهر، يا برهان، يازارع،وبذلك لا يجوز أن تعد من أسماء الله[6].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، (ح/ ٥٩٩٩). ومسلم، كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله تعالى وأنها تغلب غضبه، (ح/ ٢٧٥٤).

(٢) سورة الأعراف: آية (١٥٦).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن سب الدهر، (ح/ ٢٢٤٦).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة الجاثية، (ح/ ٤٨٢٦)، كتاب الأدب، باب لا تسبوا الدهر (ح/ ١١٨١)، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ﴾، (ح/ ٧٢٩١). ومسلم كتاب البر والصلة، باب النهي عن سب الدهر، (ح/ ٢٢٤٦).

(٥) انظر: القواعد المثلى، ابن عثيمين، ص(٩-١١). شرح لمعة الاعتقاد، ابن عثيمين، ص(٥). التعليقات على متن لمعة الاعتقاد، الشيخ عبدالله بن جبرين، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ، ص(١٠).

(٦) انظر: أسماء الله وصفاته، عمر الأشقر، ص(٦١-٦٢).

والحسن في أسماء الله يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال.

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1] : « أي: العزيز الذي ليس مثله أحد ولا يعجزه شيء، الحكيم في أفعاله وأقواله، فيضع الأشياء في محلها »[2].

فيكون كل منهما دالاً على الكمال الخاص والجمع بينهما دال على كمال آخر وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلماً وجوراً كما قد يحصل من بعض المخلوقين، وحكمته لا يعتريها ذل، وبالجمع بينها يكون كل شيء قد وضع في محله المناسب له، فيظهر بذلك إحكام خلق الكون وإنهائه، وهذا الأمر يقتضي قدرة الله تعالى على خلق المخلوقات وفق علمه وحكمته، فهو سبحانه العزيز الحكيم.

وبهذا يتضح أن الشيخ فيصل رحمه الله حين يقرر هذا الموضع فإنه يسلك مسلك السلف رحمهم الله، فقد سبق الشيخ في تقرير ذلك وإيضاحه الإمام ابن القيم رحمه الله حيث يقول: «أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله فهي مشتقة من الصفات فهي أسماء وهي أوصاف وبذلك كانت حسنى، إذ لو كانت ألفاظاً لا معاني فيها لم تكن حسنى، ولا كانت دالة على مدح ولا كمال. ولساغ وقوع أسماء الانتقام والغضب في مقام الرحمة والإحسان وبالعكس »[3].

المسألة الثانية: أن أسماء الله توقيفية،والتوقيفي هو الذي لا يثبت إلا بنص من الكتاب وفيما صح من السنة، ولا مجال للعقل فيه، وعلى هذا فيجب الوقوف في أسماء الله على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يُزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على النص؛ ولأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه

---

(١) سورة البقرة: آية (١٢٩).

(٢) توفيق الرحمن، (١/ ٢٠٠).

(٣) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم، ص(٤٢).

أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك[1].

يقول الشيخ فيصل ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾[2]: « عن الأعمش[3]: يدخلون فيها ما ليس منها »[4].

فالإلحاد في أسماء الله تعالى أنواع -كما سبق أن بينا- وقد أشار الشيخ ﷺ إلى احد تلك الأنواع وهو: تسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه، فهذا ميل بها عما يجب من التوقف على الشرع فقط.

وما ذهب إليه الشيخ ﷺ حول هذه المسألة قد اتفق عليه السلف ﷺ بل قد أجمعوا على أن الطريق الأوحد لثبوت الأسماء هو الكتاب والسنة ولا مجال لإثباتها إلا عن هذا الطريق.

يقول شيخ الإسلام ﷺ: « فأسماء الله، وأسماء صفاته عندهم -أي عند السلف- شرعية سمعية لا تطلق بمجرد الرأي »[5].

---

(١) انظر: بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، تحقيق: هشام عطا، عادل العدوي، أشرف أحمد، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦هـ، (١/ ١٧٠).

وانظر: القواعد المثلى، ابن عثيمين، ص(١٨). شرح لمعة الاعتقاد، ابن عثيمين، ص(٦). شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، راجعه الشيخ عبدالله الجبرين، توزيع مؤسسة الجريسي، الرياض، ط٤، ١٤١٥هـ ص(١٥-١٦).

(٢) سورة الأعراف، آية (١٨٠).

(٣) هو سليمان بن مهران الأعمش الأسدي الكاهلي مولاهم، كنيته أبو محمد، ولد سنة (٦٠هـ)،وقد رأى أنساً وأبا بكرة، وكان محدث الكوفة وقارئها، وقد دلس عن الحسن وغيره، مات سنة (١٤٨هـ) وعمره (٨٨سنة).

انظر: تذكرة الحفاظ، الذهبي، (١/ ٧٤). طبقات المدلسين، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عاصم القريوتي، مكتبة المنار، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، (١/ ٣٣).

(٤) القصد السديد، ص(٢١٤).

(٥) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٤/ ١٧٣).

المسألة الثالثة: أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف، فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات،وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهي باعتبار الأول (أعلام) مترادفة لدلالتها على مسمى واحد وهو الله ﷻ، وبالاعتبار الثاني (أوصاف) متباينة لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص فإن « الحي العليم القدير السميع البصير الرحمن الرحيم العزيز الحكيم » كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير،وهكذا.

ويذكر الشيخ فيصل رحمه الله في تقرير هذه المسألة قول ابن القيم رحمه الله حيث يقول: «وأسماء الرب تعالى كلها أسماء وأوصاف تعرف بها تعالى إلى عباده ودلت على كماله جل وعلا »[1].

وبهذا يتضح لنا ضلال من سلبوا أسماء الله تعالى من معانيها من أهل التعطيل حيث قالوا: « إن الله سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر » إلى غير ذلك من الصفات التي نفوها عن الله سبحانه بحجة واهية ألا وهي: أن ثبوت الصفات وتعددها يستلزم من ذلك تعدد الذات.

وحجتهم هذه باطلة شرعاً وعقلاً:

أما الشرع: قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝﴾[2]، فقد وصف الله نفسه في الآيات الكريمة بأوصاف كثيرة مع أنه الواحد الأحد وبذلك فلم يلزم من تعدد الصفات تعدد الذات.

وأما عقلاً: فلأن الصفات ليست ذوات بائنة من الموصوف حتى يلزم من ثبوتها التعدد وإنما هي قائمة بذات من اتصف بها، فكل موجود له صفاته المتعددة فلا يلزم من

---

(١) القصد السديد، ص(٢١٤).

(٢) سورة البروج: الآيتان (١٢-١٦).

تعدد الصفات تعدد الذوات[1].

وبهذا يعلم أن « الدهر » ليس من أسماء الله تعالى لأنه من الأسماء الجامدة التي لا تتضمن معنى يلحقها بالأسماء الحسنى، لأن أسماء الله أعلام وأوصاف، ولأنه اسم للوقت والزمن.

يقول الشيخ ﷫: « وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ [2] أي: وقال منكروا البعث ما الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا﴾ أي يموت قرن ويحيا قرن، ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾ أي: وما يفيننا إلا مر الزمان وطول العمر، واختلاف الليل والنهار ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ﴾ أي: لم يقولوه عن علم علموه، ﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [3] أي: يتوهمون ويتخيلون » [4].

فالشيخ ﷫ قد فسر الدهر في الآية الكريمة بأنه الزمان وطول العمر، متبعاً في ذلك السلف في أن الدهر لا يصح أن يكون اسماً لله تعالى، وبذلك يكون الدهر في حديث الرسول ﷺ: (لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر) [5].

ليس المراد به اسماً من أسماء الله تعالى إنما المراد به كما بينه الشيخ فيصل ﷫: « أي: هو المدبر له، يعني أن ما يجري فيه من خير أو شر فبإرادة الله وتدبيره بعلم منه وحكمة لايشاركه في ذلك غيره، ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن ﷻ » [6].

المسألة الرابعة: أسماء الله الحسنى غير محصورة بعدد معين، فإن لله -تعالى- أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، لقوله ﷺ

---

(١) انظر: القواعد المثلى، الشيخ محمد العثيمين، ص(١٣).

(٢) سورة الجاثية: آية (٢٤).

(٣) سورة الجاثية: آية (٢٤).

(٤) القصد السديد، ص(١٩٨).

(٥) سبق تخريجه، ص(٢٦٤).

(٦) القصد السديد، ص(١٩٩).

في الحديث المشهور: (اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك)[1]..

وما استأثر الله بعلمه فلا يمكن لأحد حصره ولا الإحاطة به.

وأما قول الرسول ﷺ: (إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلاَّ واحداً من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر)[2]، فلا يدل على حصر الأسماء بهذا العدد ولو كان المراد الحصر لكانت العبارة: إن أسماء الله تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة أو نحو ذلك[3]، فالكلام جملة واحدة، وقوله: « من أحصاها دخل الجنة » صفة لا خبر مستقل،والمعنى له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها[4].

وقد أشار الشيخ ﷺ إلى هذه المسألة بقوله: « وليست منحصرة في التسعة والتسعين »[5].

ولم يصح عن النبي ﷺ تعيين هذه الأسماء، والحديث المروي عنه في تعيينها ضعيف، وقد ذكره الشيخ فيصل ﷺ دون أن يشير إلى ضعفه حيث قال بعد ذكره للحديث الصحيح السابق: « وأخرجه الجرجاني عن صفوان بن صالح، عن الوليد بن مسلم، عن شعيب بسنده مثله قال: يحب الوتر هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن،المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور،

---

(١) أخرجه أحمد، (١/ ٤٢٥). والحاكم، (١/ ٦٩٠). وابن حبان، (٣/ ٢٥٣). وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحد، (ح/ ٦٤١٠). ومسلم، كتاب الدعاء، باب أسماء الله ﷻ وفضل من أحصاها، (ح/ ٢٦٧٧).

(٣) انظر: القواعد المثلى، محمد العثيمين، ص(١٩-٢٠).

(٤) انظر: بدائع الفوائد، ابن القيم، (١/ ١٧٠-١٧١).

(٥) القصد السديد، ص(٢١٢).

الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الولي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور » [(١)(٢)].

ثانياً: مسائل في الصفات:

المسألة الأولى: صفات الله كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وقد دل على ذلك السمع والعقل والفطرة.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [(٣)].

---

(١) توفيق الرحمن، (٢/ ٢٧٠-٢٧١٩). القصد السديد، ص(٢١٢).

(٢) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب في أسماء الله الحسنى، (ح/ ٣٤٢٩)، وقال: هذا حديث غريب. وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة ﷺ، ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث. ورواه ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب أسماء الله ﷻ، (ح/ ٣٨٦١) بسياق آخر. وابن حبان في صحيحه (٣/ ٨٨). والحاكم في المستدرك، (١/ ١٦). قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى، (٦/ ٣٧٩): « إن الوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين كما جاء مفسراً في بعض طرق حديثه » وقال ابن حجر في فتح الباري، (١١/ ٢١٥): « ليست العلة عند الشيخين (البخاري ومسلم) تفرد الوليد فقط بل الاختلاف فيه والاضطراب وتدليسه واحتمال الإدراج ». وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، (ح/ ١٩٤٣)، (٢/ ١٧٨). وفي مشكاة المصابيح، (ح/ ٢٢٨٨)، (٢/ ١٥) .

(٣) سورة النحل: آية (٦٠).

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير هذه الآية: « قال ابن كثير: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي: النقص، إنما ينسب إليهم ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾، أي: الكمال المطلق من كل وجه وهو منسوب إليه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ »[(1)].

وأما العقل: فوجهه أن كل حقيقة لابد أن تكون له صفة إما صفة كمال وإما صفة نقص والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية ما سواه، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[(2)].

يقول الشيخ رحمه الله في تفسير هذه الآية: « قال ابن جرير: وقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ يقول: الذي يفعل هذه الأفعال معبودكم -أيها الناس- الذي لا تصلح العبادة إلا له، وهو الله ربكم، وقوله: ﴿لَهُ الْمُلْكُ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: له الملك التام الذي لا شيء إلا في ملكه وسلطانه.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين تعبدون -أيها الناس- من دون ربكم -الذي هذه الصفة التي ذكرها في هذه الآيات صفته ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ يقول: ما يملكون قشر نواة فما فوقها »[(3)].

وأما الفطرة:

فلأن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه وعبادته وهل تحب وتعظم وتعبد إلاّ من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟[(4)].

وفي هذا المعنى يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: « إن الله قد أودع في الفطرة التي لم تتنجس بالجحود والتعطيل، ولا بالتشبيه والتمثيل، أنه سبحانه الكامل في أسمائه

(1) توفيق الرحمن، (٢/ ٥٧٧).

(2) سورة فاطر: آية (١٣).

(3) توفيق الرحمن، (٣/ ٥٥٥).

(4) القواعد، محمد العثيمين، ص(٤٢).

وصفاته، وأنه الموصوف بها وصف به نفسه ووصف به رسله،وما خفي عن الخلق من كماله أعظم وأعظم مما يعرفونه منه، ومن كماله المقدس شهادته على كل شيء وإطلاعه عليه، بحيث لا يغيب عنه ذرة في السماوات ولا في الأرض باطناً، وظاهراً، ومن هذا شأنه كيف يليق بالعبادة أن يشركوا به، وأن يعبدوا غيره ويجعلوا معه إلهاً آخر ؟ »[1].

فإذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى كالموت والجهل والنسيان والعجز والعمى والصمم ونحوها، لقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[4].

وقد عاقب الله تعالى الواصفين له بالنقص كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾[6].

قال الشيخ فيصل رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: « عن ابن عباس قال: ليس يعنون بذلك أن يد الله موثقة، ولكنهم يقولون: إنه بخيل أمسك ما عنده تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً...، قال ابن كثير: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ وهكذا وقع لهم، فإن عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة أمر عظيم »[7].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ص(٩٥).

(٢) سورة الفرقان: آية (٥٨).

(٣) سورة فاطر: آية (٤٤).

(٤) سورة الزخرف: آية (٨٠).

(٥) سورة المائدة: آية (٦٤).

(٦) سورة آل عمران: آية (١٨١).

(٧) توفيق الرحمن ،(٢/ ٨١).

وإذا كانت الصفة كمالاً في حال ونقصاً في حال لم تكن جائزة في حق الله ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق، فلا تثبت له إثباتاً مطلقاً ولا تنفي عنه نفياً مطلقاً، بل لابد من التفصيل فتجوز في الحال التي تكون كمالاً وتمتنع في الحال التي تكون نقصاً وذلك كالمكر، والكيد، والخداع،ونحوها، فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها لأنها حينئذ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله أو أشد، وتكون نقصاً في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها[1]، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [2] وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝﴾ [3]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [4]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [5].

أما الخيانة فلكونها خدعة في مقام الائتمان فهي صفة ذم مطلقاً، والله منزه عن كل صفة نقص وذم، ولهذا لم يذكر الله أنه خان من خانوه، قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [6].

فقال: ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ ولم يقل: فخانهم.

وقد نقل الشيخ فيصل رحمه الله عن أئمة السلف رحمهم الله تفسير هذه الصفات في الآيات السابقة، فيقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ

(١) انظر: القواعد المثلى، محمد العثيمين، ص(٤٤).

(٢) سورة الأنفال: آية (٣٠).

(٣) سورة الطارق: الآيتان (١٥-١٦).

(٤) سورة النساء: آية (١٤٢).

(٥) سورة البقرة: الآيتان (١٤-١٥).

(٦) سورة الأنفال: آية (٧١).

ﵟٱلۡمَٰكِرِينَﵞ[1]: « قال البغوي : المكر من المخلوقين الخبث والخديعة والحيلة،والمكر من الله استدراج العبد وأخذه بغتة من حيث لا يعلم، كما قال تعالى: ﵟوَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢ﵞ[2].

قوله تعالى: ﵟوَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَﵞ[3] قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض بصالح؛ بمسيرهم إليه ليلاً ليقتلوه وأهله، وصالح لا يشعر بذلك،ﵟوَمَكَرۡنَا مَكۡرٗاﵞ يقول: فأخذناهم بعقوبتنا إياهم، وتعجيل العذاب لهم، ﵟوَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَﵞ بمكرنا، وقد بينا فيما معنى مكر الله بمن مكر به، وما وجه ذلك، وأنه أخذه منهم على غرة،أو استدراجه من استدرج منهم على كفره به ومعصيته إياه، ثم إحلاله العقوبة على غرة وغفلة.

قوله تعالى: ﵟإِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦ﵞ[4]، قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء المكذبين بالله ورسوله والوعد والوعيد يمكرون مكراً، وقوله: ﵟوَأَكِيدُ كَيۡدٗاﵞ يقول وأمكر مكراً، ومكره جل ثناؤه بهم إملاؤه إياهم على معصيتهم وكفرهم به.

وقال البغوي: ﵟإِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗاﵞ يخافون النبي ﷺ ويظهرون ما هم على خلافه، ﵟوَأَكِيدُ كَيۡدٗاﵞ وكيد الله استدراجه إياهم من حيث لا يعلمون »[5].

وهذه المسألة التي ذكرها الشيخ رحمه الله تتضمن إثبات أكمل الصفات لله عز وجل حقيقة على الوجه اللائق به، وترد على بعض المنتسبين إلى هذا الدين الذين يزعمون أنه يجب أن تُنفى الصفات عن الله عز وجل أو تُأول لأنها تستلزم التشبيه،وأن كمال البارئ لا يمكن أن يتحقق إلا بنفيها أو تأويلها.

---

(١) سورة آل عمران: آية (٥٤).

(٢) سورة الأعراف: آية (١٨٢).

(٣) سورة النمل: آية (٥٠).

(٤) سورة الطارق: الآيتان (١٥-١٦).

(٥) التعليقات السنية، ص(٥٢-٥٣).

وقد سلك هؤلاء في استدلالهم على كمال الله بقياس التمثيل الذي يستوي فيه الأصل والفرع، وقياس الشمول الذي تستوي أفراده، فمثلوا الباري بغيره، وهذا المنهج أدخل الخلل عليهم، وقادهم إلى الاضطراب والشك والحيرة بسبب ضعف الأدلة التي اعتمدوها، بخلاف المنهج القرآني الذي أرشد العقول إلى استعمال قياس الأولى في حق الله تبارك وتعالى فكل كمال لا نقص فيه ثبت للمخلوق فالخالق أولى به، لأنه منحة منه، فلا يهب الكمال إلا من يملك أكمل منه.

وفي هذه المسألة من الإلزام والقوة في الرد على المخالف ما يجعله يذعن ويستسلم للحق ممن ينشده.

وقد سبق الشيخ فيصل رحمه الله في تقرير ذلك أئمة السلف رحمهم الله ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: « الكمال ثابت لله، بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية، بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب -تبارك وتعالى- يستحقه بنفسه المقدسة »[1].

ويقول ابن القيم رحمه الله: « صفات الله كلها صفات كمال محض، فهو موصوف من الصفات بأكملها،وله من الكمال أكمله »[2].

المسألة الثانية: القول في الصفات كالقول في الذات:

وفيها رد على الذين أثبتوا الأسماء ونفوا الصفات؛ وهم المعتزلة، فيقال لهم: كما أنكم تثبتون لله ذاتاً حقيقة على ما يليق بجلاله من غير تشبيه لذات الخالق بذوات المخلوقين، فكذلك صفاته ثابتة بنفس المنهج ونفس الطريقة، إذ لا يعقل أن توجد ذات مجردة عن الصفات، فكما أن لله ذاتاً لا تشابه ذوات المخلوقين، فكذلك لله صفات لا تشابه صفات المخلوقين.

وبهذه الطريقة نلزمهم إثبات الصفات على ما يليق بجلال الله وكماله.

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٦/ ٧١).

(٢) بدائع الفوائد، ابن القيم، (١/ ١٧٧).

وفي تقرير هذه المسألة يقول الشيخ فيصل رحمه الله: « فكما أن ذاته لا تشبه الذوات فصفاته لا تشبه الصفات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١) » (٢).

وهذا ما أوضحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: « القول في الصفات كالقول في الذات؛ فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فإذا كانت له ذات حقيقية لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل سائر الذوات » (٣).

وبهذا يتضح لنا أن الشيخ فيصل رحمه الله متبع للسلف مقتف لآثارهم، في الأخذ بهذه القاعدة العظيمة التي تؤكد على أنه لا فرق بين الذات وبين الصفات في الإثبات.

المسألة الثالثة: ليس ظاهر الصفات التشبيه حتى تحتاج إلى تأويل:

وهذا فيه ردٌّ على الذين ينفون الصفات أو أكثرها خوفاً من التشبيه بصفات المخلوقين كما زعموا.

وقد أشار الشيخ فيصل رحمه الله إلى ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٤)، فقال: « ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد للتشبيه، وفي قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد للتعطيل، فتضمنت إثبات صفات الكمال لله تعالى،ونفي التشبيه عنه تبارك وتعالى » (٥).

وفي موضع آخر، يؤكد رحمه الله ما ذكره في المعنى المراد من الآية السابقة حيث يقول رحمه الله: « ومعنى ذلك إثبات السمع والبصر حقيقة لا تشبيه السمع بالسمع والبصر

---

(١) سورة الشورى: آية (١١).

(٢) التعليقات السنية، ص(٤٣).

(٣) التدمرية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص(٤٣).

(٤) سورة الشورى: آية (١١).

(٥) التعليقات السنية، ص(٣٢).

بالبصر »[1].

وهذا الكلام الذي أورده الشيخ ﷺ في هذه المسألة، وكيفية الرد على المخالفين لمنهج السلف في الصفات، قد سبقه إليه أساطين من علماء الأمة الذين جاهدوا في سبيل توضيح عقيدة الإسلام الصافية على ضوء الكتاب والسنة، والرد على كل مخالف زائغ، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ حيث يقول في هذا الجانب: « من قال إن الظاهر غير مراد، بمعنى أن ظاهر صفات المخلوقين غير مراد، قلنا له: أصبت في هذا المعنى، لكن أخطأت في اللفظ وأوهمت البدعة،وجعلت للجهمية طريقاً إلى غرضهم، وكان يمكنك أن تقول: تمر كما جاءت على ظاهرها، مع العلم أن صفات الله ليست كصفات المخلوقين، وأنه منزه مقدس عن كل ما يلزم منه حدوثه أو نقصه ومن قال إن الظاهر غير مراد بالتفسير؛ وهو مراد الجهمية، ومن تبعهم من المعتزلة والأشعرية وغيرهم: فقد أخطأ »[2].



(١) التعليقات السنية، ص(٣٣).

(٢) الرسالة المدنية، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: الوليد بن عبدالرحمن الفريان، مطبعة دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ص(٣٦).

المطلب الثالث: ذكر جملة من الصفات التي أوردها الشيخ

لقد أورد الشيخ رحمه الله كلاماً مفصلاً عن بعض الصفات التي كثر الكلام حولها بين السلف ومخالفيهم، وقد قرر الشيخ هذه الصفات بما نقله من أقوال أئمة السلف، المستندة إلى نصوص الوحي، ووفق منهج مرسوم، للإيمان بها على مراد الله من غير تكييف لمعناها، ولا مشابهة لها بصفات المخلوقين.

ومن تلك الصفات التي ذكرها الشيخ فيصل رحمه الله ما يلي:

١-صفة الاستواء:

وهي من الصفات الثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة وإجماع السلف الذين يعتقدون بأن الله سبحانه مستو على عرشه استواء يليق بجلاله من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه.

وقد قرر الشيخ فيصل رحمه الله هذه الصفة بأسلوب سهل، وبدون تعقيد مستشهداً على ذلك بالنقل من آيات القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال السلف الصالح عن هذه الصفة.

فيقول رحمه الله في إجماع السلف على إثبات صفة الاستواء لله بما يليق بجلاله وعظمته: « قال شيخ الإسلام ابن تيمية: كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله ﷺ،وكلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة مملوء بما هو نص، أو ظاهر: أن الله تعالى فوق كل شيء، وأنه فوق العرش فوق السماوات مستو على عرشه »[1].

وقال أيضاً: « قال أبو عمرو الطلمنكي[2]: أجمع المسلمون من أهل السنة على أن

---

(١) القصد السديد، ص(٢٤٨-٢٤٩).

(٢) هو أحمد بن محمد بن عبدالله الأندلسي الطلمنكي، كان إماماً متقناً من أئمة المالكية، توفي سنة (٤٢٩هـ) من مصنفاته كتاب الأصول.

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٧/ ٥٦٦).

الله استوى على عرشه بذاته، وقال أيضاً: أجمع أهل السنة على أن الله استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز »[1].

ثم بين الشيخ ﷫ أن هذا الاستواء الحقيقي معناه: العلو والاستقرار على وجه يليق بالله تعالى فيقول: « وقال البخاري في صحيحه: قال مجاهد: استوى، علا على العرش.

وقال إسحاق بن راهويه: سمعت غير واحد من المفسرين يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝﴾ أي: ارتفع.

وقال ابن جرير: في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[2].أي: علا وارتفع.

وقال عبدالله بن رواحة ﷺ:

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا

وتحمله ملائكة شداد ... ملائكة الإله مسومينا

وقال ابن القيم في « الجيوش الإسلامية » لما ذكر إثبات استواء الرب على العرش بالآيات القرآنية، والأحاديث الصحيحة النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم: « والاستواء معلوم في اللغة، وهو العلو والارتفاع والتمكن، ومن الحجة أيضاً في أن الله ﷻ على العرش فوق السماوات السبع، أن الموجودين أجمعين إذا كربهم أمر رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون الله ربهم، وقوله ﷺ للأمة التي أراد مولاها أن يعتقها: « أين الله؟ فأشارت إلى السماء، ثم قال لها: « من أنا » ؟ قالت: أنت سول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة » فاكتفى رسول الله ﷺ منها برفع رأسها إلى السماء»[3].

---

(١) القصد السديد، ص(٢٥٠). توفيق الرحمن، (٢/ ٥٤).

(٢) سورة طه: آية (٥).

(٣) انظر: القصد السديد، ص(٢٤٩/ ٢٥٠). التعليقات السنية، ص(٦٩-٧٠). توفيق الرحمن، =

وبعد أن أورد الشيخ رحمه الله أقوال السلف الصالح على ثبوت إتصاف الله ﷻ بهذه الصفة العظيمة وهي الاستواء على العرش حقيقة كما يليق بجلالة وعظمته، وذكر أن معنى الاستواء عندهم بأنه العلو والاستقرار، بين رحمه الله بعد ذلك أن بعض المتكلمين تجرأ على هذه الصفة الكريمة، التي وصف الله بها نفسه فحرفها عن موضعها، وانتحل لها معاني عطلتها عن معناها الحقيقي المتضمن للكمال المطلق.

يقول رحمه الله: «وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء»[1].

ثم يقطع الشيخ رحمه الله الطريق على الجاهلين الذين شبهوا الله بخلقه، ثم عطلوا عنه صفة الاستواء التي أثبتها تعالى لنفسه، بأنها ليست كما تصورته عقولهم بل هو استواء لا نعلم كيفيته، ويذكر في هذا المقام أقوال أئمة السلف في الرد على شبهة هؤلاء، فيقول رحمه الله: «سال رجل مالك بن أنس عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝﴾[2]. كيف استوى؟ فأطرق رأسه ملياً وعلاه الرحضاء، ثم قال: الاستواء غير مجهول،والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالاً، فأمر به فأخرج»[3].

وقد أورد رحمه الله قول أم المؤمنين أم سلمة[4] في الاستواء وهو القول الذي قال به

= (٢/ ٢١٩-٢٢٢).

(١) التعليقات السنية، ص(٦٧). توفيق الرحمن، (٢/ ٢١).

(٢) سورة طه: آية (٥).

(٣) التعليقات السنية، ص(٦٧). القصد السديد، ص(٢٤٩). توفيق الرحمن، (٢/ ٢١٧-٢١٩).

(٤) هي هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية، أم المؤمنين كانت قبل النبي ﷺ عند ابن عمها أبي سلمة المخزومي، الرجل الصالح فمات، دخل بها النبي ﷺ سنة أربع من الهجرة،وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين، توفيت سنة (٥٩هـ) وعمرها (٨٤) عاماً.

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٢/ ٢٠١). البداية والنهاية، ابن كثير، (٨/ ٢١٤). الإصابة، ابن حجر، (٨/ ٢٢١).

الإمام مالك عند رده السابق على المبتدع، فقال رحمه الله: « عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ قالت: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر رواه الحافظ الذهبي في كتاب العلو »[1].

ويقول أيضاً: « قال عبدالله بن المبارك[2]: نعرف ربنا بأنه فوق سبع سمواته، على العرش استوى بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية »[3].

ثم بين الشيخ فيصل رحمه الله بطلان ما فسر به أهل التأويل الاستواء بأنه الاستيلاء، بأن هذا القول يلزم عليه لوازم باطلة ومنها أن العرش لم يكن ملكاً لله ثم استولى عليه بعد ذلك، فيؤدي هذا إلى القول بوجود المضاد.

يقول رحمه الله في هذا المعنى: « قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: وقد نقل أبو إسماعيل الهروي[4] في كتاب الفاروق بسنده إلى دواوين بن علي قال: كنا عند أبي عبدالله بن

---

(١) التعليقات السنية، ص(١٠٤). القصد السديد، ص(٢٤٩).

(٢) هو عبدالله بن المبارك بن واضح، تفقه على يد سفيان الثوري وأبي حنيفة ومالك وغيرهم، كان من المجاهدين العالمين والمنفقين، كان ينفق كل عام على الفقراء مائة ألف درهم، توفي عائداً من الغزو سنة (١٨١هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٨/ ٣٧٨). تهذيب التهذيب، ابن حجر، (٥/ ٣٨٢). وفيات الأعيان، ابن خلكان، (٣/ ٣٢).

(٣) القصد السديد، ص(٢٥٠). توفيق الرحمن، (٢/ ٢٢١).

(٤) هو عبدالله بن محمد الهروي، الإمام القدوة الحافظ الكبير شيخ خراسان، سمع الحديث عن خلق كبير من المحدثين، وكان قوياً في الحق، شديداً على أهل البدع، منكراً عليهم، امتحن غير مرة، وأوذي في الله، ونفي من بلده، له مؤلفات منها: « ذم الكلام » و « منازل السائرين » وغيرهما، توفي سنة (٤٨١هـ).

انظر: طبقات المفسرين، السيوطي، (١/ ٥٧). سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٨/ ٥٠٣). البداية والنهاية، ابن كثير، (١٢/ ١٤٤).

الأعرابي[1]، يعني محمد بن زياد اللغوي، فقال له رجل: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ فقال: هو على العرش كما أخبر: يا أبا عبدالله إنما معناه استولى، فقال: اسكت، لا يقال استولى على الشيء إلاَّ أن يكون له مضاد »[2].

وهكذا يظهر الشيخ فيصل رحمه الله شناعة هذا القول، وما يلزم عليه من لوازم كفرية.

ونرى الشيخ رحمه الله في تقريره لهذه الصفة العظيمة متبع لطريقة السلف المستندة إلى نصوص الوحي، فيؤمنون بها على مراد الله من غير تكييف لمعناها ولا مشابهة لها بصفة المخلوقين.

٢-صفة العلو:

العلو يطلق على عدة معان:

١-علو الذات، فيقال: علا فلان الجبل إذا رقيه.

٢-علو القهر، ويدل على العظمة والتجبر، ومنه قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾[3].

٣-علو القدر.

---

(١) هو محمد بن زياد أبو عبدالله مولى بني هاشم، المعروف بابن الأعرابي، كان زاهداً ورعاً صدوقاً وكان من أحفظ الناس في اللغة والأيام والأنساب، وكان ربيباً للمفضل الضبي سمع منه الدواوين وصححها، له من التصانيف « كتاب النوادر » و « كتاب تاريخ القبائل » وغيرها توفي سنة (٢٣٠هـ) وقيل (٢٣١)، وعمره (٨١) عاماً.

انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، (٥/ ٢٨٢). معجم الأدباء، ياقوت الحموي، (٥/ ٣٣٦). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق د. عمر عبدالسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، (١٧/ ٣٢٠).

(٢) توفيق الرحمن، (٢/ ٢٢٠).

(٣) سورة القصص: آية (٨٣).

والعلو في العموم يطلق على ارتفاع وهو ضد السفل[1].

وأما صفة العلو فهي من صفات الكمال للذات الإلهية، فالله سبحانه متصف بالعلو المطلق من جميع الوجوه ذاتاً وقدراً وقهراً.

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في إثبات هذه الصفة لله عز وجل بجميع معانيها، في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[2]: « فله العلو الكامل: علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات »[3].

وفي موضع آخر يقول رحمه الله: « العلي: الرفيع فوق خلقه والمتعالي عن الأشباه والأنداد، وقيل العلي بالملك والسلطة العظيم الكبير الذي لا شيء أعظم منه »[4].

ولم يحصل خلاف بين الفرق في إثبات علو القدر وعلو القهر لله، وإنما حصل النزاع في إثبات علو الذات[5].

فقد ذهبت كثير من الطوائف المبتدعة إلى تعطيل هذه الصفة، لاعتمادهم على شبهات باطلة، وأوهام واهية[6].

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (١٥/ ٨٥). النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (٣/ ٢٩٣).

(٢) سورة البقرة: آية (٢٥٥).

(٣) القصد السديد، ص(٨٥).

(٤) توفيق الرحمن، (١/ ٣٣١).

(٥) انظر: الصواعق المرسلة، ابن القيم، (٤/ ١٣٢٤).

(٦) أهم هذه الطوائف ما يلي: ذهبت الجهمية والمعتزلة، والفلاسفة النفاة، والقرامطة الباطنية، ومتأخري الأشاعرة إلى القول بأن الله ليس فوق العالم،ولا فوق العرش، وليس هناك شيء فوق العالم أصلاً. وذهبت حلولية الجهمية إلى القول بأنه بذاته في كل مكان. وقد ذكر شيخ الإسلام بأن المذهب الأول هو الغالب على نُظَّارهم ومتكلميهم، أما المذهب الثاني فهو الغالب على عامتهم وعُبَّادهم. وذهبت طائفة من أهل الكلام والتصوف إلى القول بأن الله بذاته فوق العالم، وهو بذاته في كل مكان.

انظر: مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٢/ ١٩٧-١٩٨)، (٥/ ٢٢-١٢٦).

وأما السلف رحمهم الله فإنهم يثبتون لله علوه بذاته على جميع خلقه على ما يليق به -سبحانه- بلا تشبيه ولا تكييف كما هو الشأن في كل ما أثبته تعالى لنفسه.

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في ذلك: فقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ كقوله: ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ فهذه الآيات، ومافي معناها من الأحاديث الصحاح الأجود فيها طريقة السلف الصالح: إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه »[١].

وقد تواترت أدلة الكتاب والسنة تواتراً لفظياً ومعنوياً على إثبات هذه الصفة، وبلغت فيما ذكره شيخ الإسلام عن بعض أصحاب الشافعي إلى ألف دليل[٢].

وقد قسم ابن القيم الأدلة النقلية الدالة على علو الله إلى عشرين نوعاً، منها: التصريح بالاستواء، والفوقية بمن وبدونها، والعروج إليه، والصعود إليه ورفع بعض المخلوقات إليه، والعلو المطلق، وتنزيل الكتاب منه، وأنه في السماء، ورفع الأيدي إليه، ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، ونحو ذلك[٣].

ومن هذه الأدلة التي تثبت علو الله، قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[٤]: « يعني بل رفع المسيح إليه، يقول: لم يقتلوه ولم يصلبوه، ولكن رفعه الله إليه، فطهره من الذين كفروا »[٥].

ويقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[٦]: « قال ابن عباس: أي عذاب من في السماء إن عصيتموه »[٧].

---

(١) توفيق الرحمن، (١/ ٣٣١). تطريز رياض الصالحين، ص(٥٩٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٥/ ١٢١).

(٣) انظر: الصواعق المرسلة، ابن القيم، (٢/ ٤٥٦).

(٤) سورة النساء: آية (١٥٨).

(٥) التعليقات السنية، ص(٧٢).

(٦) سورة الملك: آية (١٦).

(٧) التعليقات السنية، ص(٧٤).

٣-صفة المعية:

تطرق الشيخ فيصل رحمه الله لهذه الصفة من عدة جوانب:

أحدها: معناها، وثانيها: أقسامها، وثالثها: الجمع بينها وبين استواء الله على عرشه.

أولاً: معناها.

كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت فالمراد منها مطلق المصاحبة والمقارنة، ولا يلزم منها المخالطة والمماسة والمحاذاة[(١)].

وكثيراً ما يجري هذا في كلام الناس، فيقال: زوجة الرجل معه، وإن كان هو في مكان وهي في مكان بعيد عنه، بل أوضح مثال على ذلك قولهم: ما زلنا نسير والقمر معنا.

فإذا كان هذا جائزاً في حق المخلوقين، ففي حق الخالق من باب أولى،ولهذا كانت معية الله لخلقه حقيقية لا تقتضي المخالطة والمماسة والمحاذاة، وقد دل على ذلك ظاهر الخطاب ومفهومه، وليس فيه صرف للفظ عن ظاهره[(٢)].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله مبيناً ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾[(٣)]: « حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى، ولا شك في إرادة ذلك، ولكن سمعه أيضاً مع علمه بهم وبصره، نافذٌ فيهم، فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه، لا يغيب عنه من أمورهم شيء، قال الإمام أحمد: افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم »[(٤)].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، مطبعة الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ، (٥/ ٢٧٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٣/ ١٤٢)، (٥/ ٢٣١-٢٣٢)، (٦-٢٢-٢٣)، (١١/ ٢٤٩).

(٣) سورة المجادلة: آية (٧).

(٤) التعليقات السنية، ص(٧٧).

ثانياً: أقسامها:

أوضح الشيخ رحمه الله أن المعية تنقسم إلى قسمين: خاصة وعامة فقال رحمه الله : «وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [1] أي: معهم بتأييده، ونصره، ومعونته،وهذه معية خاصة، كقوله: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [2]، وقوله لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [3]، وقول النبي ﷺ للصديق وهما في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [4].

وأما المعية العامة فبالسمع والبصر والعلم، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [5]، وكقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ﴾ [6]، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ [7] » [8].

ثالثاً: الجمع بين معيته -سبحانه- واستوائه على عرشه جل وعلا فإنه لاشك أن من كان عالماً بأحوال عباده، مطلعاً عليهم، ومهيمناً عليهم، يسمع أقوالهم ويرى أفعالهم،ويدبر جميع أمورهم، أنه معهم حقيقة، وإن كان فوق عرشه حقيقة، لأن المعية لا

(١) سورة النحل: آية (١٢٨).

(٢) سورة الأنفال: آية (١٢).

(٣) سورة طه: آية (٤٦).

(٤) سورة التوبة: آية (٤٠).

(٥) سورة الحديد: آية (٤).

(٦) سورة المجادلة: آية (٧).

(٧) سورة يونس: آية (٦١).

(٨) التعليقات السنية، ص(٧٨).

تستلزم الاجتماع في مكان [1].

وقد أشار الشيخ فيصل رحمه الله إلى هذا المعنى فقال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [2]: « يقول، وهو شاهدكم أيها الناس، أينما كنتم يعلمكم، ويعلم أعمالكم ومتقلبكم ومثواكم، وهو على عرشه فوق سماواته السبع » [3].

وقال رحمه الله في موضع آخر في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [4]: « قال الضحاك [5]: هو فوق العرش، وعلمه معهم أينما كانوا » [6].

٤-صفتا الإتيان والمجيء:

وهما صفتان فعليتان يثبتهما أهل السنة والجماعة لله ﷻ بما يليق بجلاله ﷻ من غير تكييف ولا تحريف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل.

يقول الشيخ فيصل رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [7]: « يقول تعالى مهدداً الكافرين: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يوم القيامة، ﴿فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ لفصل القضاء بين الأولين والآخرين، فيجزي كل عامل بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر » [8].

---

(١) من القواعد المثلى، محمد العثيمين، ص(٨٥) بتصرف.

(٢) سورة الحديد: آية (٤).

(٣) سورة المجادلة: آية (٧).

(٤) التعليقات السنية، ص(٧٥).

(٥) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، صاحب التفسير، تابعي جليل، توفي سنة (١٠٢هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٤/ ٥٩٨). البداية والنهاية، ابن كثير، (٩/ ٢٣١).

(٦) توفيق الرحمن، (٤/ ٢٣٩).

(٧) سورة البقرة: آية (٢١٠).

(٨) التعليقات السنية، ص(٤١).

ويقول رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [1]: « يعني: لفصل القضاء بين خلقه، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق -صلوات الله وسلامه عليه- فيذهب فيشفع عند الله تعالى في أن يأتي لفصل القضاء، فيشفعه الله تعالى في ذلك، -وهي أول الشفاعات- وهي المقام المحمود، فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفاً»[2].

ويقول رحمه الله بعد ذلك: « عن ابن عباس قال: إن هذه السماء إذا انشقت نزل منها من الملائكة أكثر من الجن والإنس، وهو يوم التلاق، ويوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض، فيقول أهل الأرض: جاء ربنا، فيقولون: لم يجيء وهو آت، ثم تشقق السماء الثانية، ثم سماء سماء، على قدر ذلك من التضعيف، إلى السماء السابعة، فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السماوات، ومن الجن والإنس، قال: فتنزل الملائكة الكروبيون[3] ثم يأتي ربنا تبارك وتعالى في حملة العرش الثمانية » [4].

٥-صفة الكلام:

صفة الكلام صفة ذات باعتبار نوع الكلام وصفة فعل باعتبار تعلقها بإرادة الله عز وجل ومشيئته، فهو سبحانه لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، يتكلم بصوت يسمع، ويسمعه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام من غير واسطة، وسمعه من أذن له من ملائكته ورسله، وسيسمعه المؤمنون في الآخرة، ممن سبقت لهم من الله الحسنى -نسأل الله- ان نكون منهم وهم يكلمونه[5].

---

(١) سورة الفجر: آية (٢٢).

(٢) التعليقات السنية، ص(٤٢).

(٣) الكروبيون: المقربون.

انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (٤/ ١٤٠).

(٤) التعليقات السنية، ص(٤٢-٤٣).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (١٢/ ٥٢-١٧٣).

هذا معتقد السلف من أهل السنة والجماعة في صفة كلام الله ﷻ وهو ما قرره الشيخ فيصل رحمه الله وبينه خير بيان.

يقول رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [1]: نقلاً عن ابن جرير « وأي ناطق أصدق من الله حديثاً، وذلك أن الكاذب إنما يكذب ليجتلب بكذبه إلى نفسه نفعاً، أو يدفع به عنها ضراً، والله تعالى ذكره خالق الضر النفع، فغير جائز أن يكون منه كذب، لأنه لا يدعوه إلى اجتلاب نفع، ولا دفع ضر عن نفسه، أو دفع ضر عنها سواه -تعالى ذكره-، فيجوز أن يكون له في استحالة الكذب منه نظير، ومن أصدق من الله حديثاً وخبراً » [2].

وقد ذكر الله تعالى أنه كلم موسى تكليماً، ولهذا يسمى موسى كليم الرحمن، ولا يشك أهل السنة والجماعة أن موسى عليه السلام سمع كلام الله حقيقة، يقول الشيخ فيصل رحمه الله مبيناً ذلك: « وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [3]، هذا فيه تشريف لموسى عليه السلام كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [4] جاء رجل إلى أبي بكر بن عياش [5] فقال: سمعت رجلاً يقرأ: وكلم الله موسى تكليماً، فقال أبو بكر: ما قرأ هذا إلا كافر، وقرأها رجل كذلك على بعض المشائخ فقال له: يا ابن اللخناء كيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [6] يعني أن هذا لا يحتمل التحريف ولا التأويل. قال الفراء: العرب تسمي ما يوصل إلى

(١) سورة النساء: آية (٨٧).

(٢) التعليقات السنية، ص(٨١).

(٣) سورة النساء: آية (١٦٤).

(٤) سورة البقرة: آية (٢٥٣).

(٥) هو أبو بكر بن عياش مولى واصل بن حيان الأحدب الأسدي، الحافظ المقرىء أحد الأعلام، كان ثقة صدوقاً عارفاً بالحديث والعلم إلا أنه كثير الغلط، مات في الكوفة سنة (١٩٣هـ).

انظر: الكاشف، الذهبي، (١/ ٢٦٥) . الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٦/ ٣٨٦).

(٦) سورة الأعراف: آية (١٤٣).

الإنسان كلاماً بأي طريق وصل، ولكن لا تحققه بالمصدر، فإذا حقق بالمصدر لم يكن إلا حقيقة الكلام»[(١)].

ثم أكد رحمه الله تكليم الله تعالى لموسى حقيقة فقال: « قال ابن كثير: قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ وهذا تشريف لموسى عليه السلام بهذه الصفة، ولهذا يقال له: الكليم.

وقال صاحب الوجيز: أخبر الله بأنه شرف موسى بكلامه وأكده بالمصدر دلالة على وقوع الفعل على الحقيقة لا على المجاز »[(٢)].

وهذا النص من كلام الشيخ رحمه الله يدل على أن عقيدته في كلام الله هي عقيدة السلف، بأن الله تعالى يتكلم حقيقة متى يشاء، وكيف يشاء، وفي ذلك أيضاً رد على الجهمية والمعتزلة وغيرهم الذين قالوا: إن كلام الله مخلوق خلقه في غيره وإنه كلم موسى بكلام خلقه في الهواء[(٣)].

ومن كلام الله القرآن الكريم:

فقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله مبيناً مذهب أهل السنة والجماعة في القرآن بما نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال: « الإيمان بأن القرآن كلام الله، منزل، غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة، لا كلام غيره »[(٤)].

والدليل على أنه كلام الله، قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[(٥)].

---

(١) توفيق الرحمن، (٢/ ١٥).

(٢) التعليقات السنية، ص(٨٥-٨٦).

(٣) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص(٢٥).

(٤) التعليقات السنية، ص(١١١).

(٥) سورة التوبة: آية (٦).

يقول الشيخ فيصل رحمه الله عند تفسير هذه الآية: « وإن استأمنك يا محمد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم أحد ليسمع كلام الله منك، وهو القرآن الذي أنزله الله عليه فأجره يقول : فأمنه ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ وتتلوه عليه ﴿ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾، يقول: ثم رده بعد سماعه كلام الله »[(١)].

ويقول رحمه الله في موضع آخر: « يعني هذا الكتاب ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾[(٢)] عزيز مكرم، لأنه كلام الله »[(٣)].

والدليل على أنه منزل قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾[(٤)].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير الآية: « وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى نبينا محمد ﷺ»[(٥)].

ودليل أنه منه بدأ، أن الله أضافه إليه في قوله: ﴿ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾،ولا يضاف الكلام إلا إلى من قاله مبتدئاً.

ويؤكد الشيخ رحمه الله على هذا المعنى بما نقله عن شيخ الإسلام، فيقول: « ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله، أو عبارة عنه، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله -تعالى- حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً، وهو كلام الله حروفه، ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف »[(٦)].

وما ذهب إليه الشيخ فيصل رحمه الله في إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى حقيقة لا

---

(١) التعليقات السنية، ص(٩٠).

(٢) سورة الواقعة: آية (٧٧).

(٣) القصد السديد، ص(١٥٢).

(٤) سورة الأنعام: آية (١٥٥).

(٥) توفيق الرحمن، (٢/ ١٩٢). التعليقات السنية، ص(٩٣).

(٦) التعليقات السنية، ص(١١١).

مجازاً على الوجه الذي يليق به -تعالى-، وأن القرآن كلام الله، قد سبقه في تقرير ذلك علماء السلف ، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: « وقول الجمهور وأهل الحديث وأئمتهم أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء وأنه يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار، والقرآن وغيره من الكتب الإلهية كلام الله تعالى تكلم به بمشيئته وقدرته ليس ببائن عنه مخلوقاً، ولا يقولون إنه صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً ولا أن كلام الله حدث من حيث هو حادث بل ما زال متكلماً إذا شاء وإن كان كلم موسى وناداه بمشيئته وقدرته فكلامه لا ينفد »[1].

والحاصل: أن الشيخ فيصل رحمه الله قد قرر صفة الكلام لله بأسلوب واضح وسهل معتمداً على النصوص الشرعية بعيداً كل البعد عن الخوض في هذه الصفة كما فعل المتكلمون من أشاعرة ومعتزلة وجهمية وغيرهم، الذين عُرفوا بالجدل في تقرير الباطل حتى تشعبت أقوالهم فيها.

وما ذهب إليه الشيخ رحمه الله هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، وهو المذهب الحق في إثبات هذه الصفة.

٦-صفة العلم:

العلم من صفات الله الذاتية، فهي لا تنفك عنه جل وعلا، وعلمه ﷻ محيط بكل شيء أزلاً وابداً، وهو أحد مراتب القدر الأربعة، فقد علم الله سبحانه جميع ما هو كائن، ولم يطلع على غيبه أحداً من خلقه، إلا ما أطلع عليه رسله تأييداً لهم في دعوتهم الناس إلى الإيمان به -جل وعلا-.

وقد أوضح الشيخ رحمه الله هذه الصفة العظيمة عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [2]، « قال مجاهد: يعلم من بين أيديهم ما مضى من الدنيا، وما خلفهم من الآخرة وقال السدي: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ

(١) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (١٢/ ١٧٣).

(٢) سورة البقرة: آية (٢٥٥).

﴿مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ يقول: لا يعلمون بشيء من علمه إلا بما شاء هو أن يعلمهم »[1].

وقال رحمه الله في موضع آخر: « ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ دليل على إحاطة علمه لجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ أي: لا يطلع أحد من علم الله على شيء إلا ما علمه الله عز وجل وأطلعه عليه »[2].

ويقول رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾[3] أي: هو عالم بذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء »[4].

٧-صفتا الحياة والقيومية:

صفة الحياة من الصفات الذاتية لله تعالى، يقول الشيخ فيصل رحمه الله في هذه الصفة: «والحياة صفة لله تعالى »[5].

وقال أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[6]: « الحي حي لا يموت »[7].

أما صفة القيومية فهي صفة ذاتية باعتبار، وفعلية باعتبار، فالله سبحانه قائم بنفسه، ومقيم لغيره -جل وعلا-.

قال رحمه الله: « قال مجاهد: القيوم القائم على كل شيء، وقال الربيع[8]: القيوم قيم كل

---

(١) توفيق الرحمن، (١/ ٣٣٠).

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص(٥٩٥).

(٣) سورة فاطر: آية (١١).

(٤) التعليقات السنية، ص(٣١).

(٥) التعليقات السنية، ص(٣١).

(٦) سورة البقرة: آية (٢٥٥).

(٧) توفيق الرحمن، (١/ ٣٣٠).

(٨) هو الربيع بن أنس البكري البصري، نزيل خراسان، صدوق له أوهام، روى عن أنس بن مالك وأبي العالية وأكثر عنه، والحسن البصري، سكن مرو ومات فيها في زمن خلافة أبي جعفر المنصور سنة (١٣٦هـ).

=

شيء يكلؤه ويرزقه ويحفظه »[1].

٨-صفة الرحمة:

وفي بيان هذه الصفة يقول رحمه الله: « قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2] أي: عمت كل شيء، قال الحسن: وسعت رحمته في الدنيا البر والفاجر، وهي يوم القيامة للمتقين خاصة »[3].

ويقول رحمه الله في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[4]: « قال ابن كثير: أوجبها على نفسه الكريمة، تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً »[5].

٩-صفتا المشيئة والإرادة:

مشيئة الله: هي إرادته الكونية، وهي نافذة فيما يحبه ومالا يحبه، ونافذة على جميع العباد بدون تفصيل، ولابد من وجود ما شاء بكل حال؛ فكل ما شاء الله وقع ولابد، سواء كان فيما يحبه ويرضاه أم لا.

أما الإرادة فتنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: إرادة كونية:

وهذه الإرادة مرادفة تماماً للمشيئة، فـ(أراد) فيها بمعنى (شاء) وهذه الإرادة:

أولاً: تتعلق فيما يحبه الله وفيما لا يحبه.

ثانياً: يلزم فيها وقوع المراد، يعني: أن ما أراده الله فلابد أن يقع، ولا يمكن أن

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٦/ ١٧٠). طبقات المفسرين، الداودي، (١/ ١٦).

(١) توفيق الرحمن، (١/ ٣٣٠).

(٢) سورة الأعراف: آية (١٥٦).

(٣) تطريز رياض الصالحين، ص(٢٧٩).

(٤) سورة الأنعام: آية (٥٤).

(٥) التعليقات السنية، ص(٣٨).

يتخلف.

القسم الثاني: إرادة شرعية:

وهي مرادفة للمحبة، فـ (أراد) فيها بمعنى (أحب)؛ فهي:

أولاً: تختص بما يحبه الله، فلا يريد الله الكفر بالإرادة الشرعية ولكنه وقع بالإرادة الكونية.

ثانياً: أنه لا يلزم فيها وقوع المراد بمعنى: أن الله يريد شيئاً ولا يقع؛ فهو -سبحانه- يريد من الخلق أن يعبدوه، ولا يلزم وقوع هذا المراد؛ قد يعبدوه وقد لا يعبدوه[1].

والشيخ فيصل رحمه الله- لا شك أنه يدرك هذه العقيدة بتفاصيلها والتي تظهر في تفسيراته، فهو يقرر صفة المشيئة الموافقة للإرادة الكونية عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[2]: « أي: هي بمشيئة الله إن شاء أبقاها، وإن شاء أفناها »[3].

وقال أيضاً في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾[4] « أي: يوفق من يشاء بفضله ورحمته، ويخذل من يشاء بعدله وحكمته، وله الحجة البالغة والحكمة التامة، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾[5] »[6].

---

(١) شرح العقيدة الواسطية، محمد العثيمين، ص(٢١٥-٢٢٣) بتصرف.

(٢) سورة الكهف: آية (٣٩).

(٣) التعليقات السنية، ص(٣٣).

(٤) سورة البقرة: آية (٢٥٣).

(٥) سورة هود: آية (١١٩).

(٦) توفيق الرحمن، (١/ ٢٢٧-٢٢٨).

ويقرر إرادة الله الشرعية، فيقول رحمه الله عند تفسير لقول الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [(1)]: « أي: يفتح قلبه وبنوره حتى يقبل الإسلام، ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ أي: لا يتسع لشيء من الهدى ولا يخلص إليه ما ينفعه من الإيمان، وليس للخير فيه منفذ » [(2)].

١٠-صفة الوجه:

هذه الصفة ثابتة لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته من غير تمثيل ولا تكييف ولا تحريف، ولا تعطيل، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في هذه الصفة وفي غيرها من الصفات.

يقول رحمه الله: « قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝﴾ [(3)] يخبر الله تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون، وكذلك أهل السماوات إلا ما شاء الله، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم، فإن الرب تعالى وتقدس لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبداً » [(4)].

١١-صفة اليدان:

وإثباتها لله عز وجل هو مذهب أهل السنة والجماعة إتباعاً لمنهجهم القويم في صفات الباريء -سبحانه- وهو وجوب إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من الصفات بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، وذلك خلافاً لما ذهب إليه غيرهم من تأويل اليدين مرة بالنعمة ومرة بالقدرة مما لا دليل عليه من كتاب ولا سنة.

يقول الشيخ فيصل رحمه الله عن هذه الصفة لله عز وجل: « قال البغوي: ويد الله صفة من

---

(١) سورة الأنعام: آية (١٢٥).

(٢) التعليقات السنية، ص(٣٣-٣٤).

(٣) سورة الرحمن: الآيتان (٢٦-٢٧).

(٤) التعليقات السنية، ص(٤٤).

صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه،وقال جل ذكره: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[1]، وقال النبي ﷺ: (كلتا يديه يمين)[2].

والله أعلم بصفاته، فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم، وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات: أمروها كما جاءت بلا كيف »[3].

ويقول ﷬ في موضع آخر: « قوله: (بيمينه) قال الترمذي: قال أهل العلم من أهل السنة والجماعة: نؤمن بهذه الأحاديث، ولا نتوهم فيها تشبيهاً، ولا نقول كيف، هكذا روي عن مالك وابن عيينة، وابن المبارك وغيرهم »[4].

١٢-صفة الأصابع:

هذه الصفة ثابتة لله تعالى والدليل على ذلك، ما جاء في الصحيحين عن ابن مسعود[5] ﷺ قال: (جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والماء على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ

---

(١) سورة ص: آية (٧٥).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، (ح/ ١٨٢٧).

(٣) التعليقات السنية، ص(٤٥-٤٦).

(٤) تطريز رياض الصالحين، ص(٣٦٩).

(٥) هو عبدالله بن مسعود بن غافل أبو عبدالرحمن الهذلي،صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، كان أول من جهر بالقرآن بمكة فضربوه، وهو أحد السابقين الأولين، ومن كبار البدريين، ومن نبلاء الفقهاء. توفي بالمدينة سنة (٣٢هـ) وعمره بضع وستين سنة، ودفن بالبقيع.

انظر: تذكرة الحفاظ، الذهبي، (١/ ١٣). البداية والنهاية، ابن كثير، (٧/ ١٦٢). الإصابة ابن حجر (٤/ ٢٣٣).

وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[1])[2].

وفي رواية لمسلم: (والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله)[3]، وفي رواية البخاري: (يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع)[4].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في إثبات هذه الصفة وتقريره لمنهج السلف فيها عند شرحه للحديث السابق: « قوله: (إن الله يجعل السماوات على إصبع) إلى آخره مذهب السلف إمرار هذه الأحاديث كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف.

قال في فتح المجيد: هذه الأحاديث وما في معناها تدل على عظمة الله وعظيم قدرته، وعظم مخلوقاته، وقد تعرف ﷻ إلى عباده بصفاته وعجائب مخلوقاته، وكلها تدل على كماله وأنه هو المعبود وحده، لا شريك له في ربوبيته وإلهيته، وتدل على إثبات الصفات على ما يليق بجلال الله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل،وتنزيهاً بلا تعطيل. وهذا هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وعليه سلف الأمة وأئمتها، ومن تبعهم بإحسان »[5].

١٣ –صفة القدم:

هذه الصفة من الصفات الذاتية الثابتة بالأدلة الشرعية الصحيحة، فقد جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك[6] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لا تزال جهنم يلقى فيها، وهي

---

(١) سورة الزمر: آية (٦٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾، (ح/ ٤٥٣٣).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، (ح/ ٢٧٨٦).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، (ح/ ٧٠٧٥).

(٥) القصد السديد، (٢٤٨).

(٦) هو أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصاري الخزرجي، خدم النبي ﷺ وعمره عشر سنوات، وهو أحد المكثرين من الرواية عن النبي ﷺ مات سنة (٩٣هـ) وعمره قد جاوز المائة.

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٣/ ٣٩٥). الإصابة، ابن حجر، (١/ ١٢٦) .

تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها رجله، وفي رواية: عليها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض فتقول: قط قط) [1].

وقد تلقى علماء السلف هذه الأحاديث بالقبول وأمروها كما جاءت ولم يخوضوا في الكيفية، ومنهم شيخنا الشيخ فيصل رحمه الله حيث قال في معنى هذا الحديث: « القدم والرجل في هذا الحديث من صفات الله المنزهة عن التكييف والتشبيه » [2].

ثم ذكر رحمه الله بعد ذلك منهج السلف في النصوص الواردة في هذه الصفة فقال: «وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي، ومالك، والثوري، والليث بن سعد عن الأحاديث التي فيها الصفة فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف » [3].

١٤-صفة العين:

وهي من الصفات الذاتية الخبرية التي ثبتت بالكتاب والسنة،فمن الكتاب الكريم، يقول تعالى:

١-﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [4].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير هذه الآية: « عن قتادة قال: بعين الله وروحه» [5].

٢-قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [6].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسيره لهذه الآية الكريمة: « قال ابن جرير: يقول -جل

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته، (ح/ ٦٢٨٤). ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها،باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، (ح/ ٢٨٣٨).

(٢) التعليقات السنية، ص(١٠٢).

(٣) المرجع السابق، ص(١٠٢).

(٤) سورة هود: آية (٣٧).

(٥) توفيق الرحمن، (٢/ ٤٣٧).

(٦) سورة الطور: آية (٤٨).

ثناؤه-: فإنك بمرأى منا، نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك »[1].

٣-قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[2].

يقول الشيخ رحمه الله في معنى الآية: « قال ابن كثير: أي بأمرنا وبمرأى منا وتحت حفظنا وكلاءتنا »[3].

٤-قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝﴾[4].

يقول الشيخ رحمه الله في تفسير هذه الآية: « أي: بمرأى مني »[5].

أما الأدلة من السنة المطهرة: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله لايخفى عليكم، إن الله ليس بأعور وأشار إلى عينيه وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية)[6].

فأهل السنة والجماعة يعتقدون أن الله عز وجل له عينان حقيقيتان تليقان بجلاله، من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تشبيه ولا تعطيل.



(١) توفيق الرحمن، (٤/ ١٦٧).

(٢) سورة القمر: الآيتان (١٣-١٤).

(٣) التعليقات السنية، ص(٤٦).

(٤) سورة طه: آية (٣٩).

(٥) التعليقات السنية، ص(٤٦).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾، (ح/ ٣٢٥٦).

المطلب الرابع: إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

رؤية الله ﷻ في الآخرة من المسائل المهمة في العقيدة، والتي تعددت فيها مذاهب الناس إثباتاً ونفياً، والسلف رحمهم الله يثبتون رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة في الجنة.

وقد اهتم الشيخ فيصل رحمه الله بهذه المسألة، فذكر الآيات الدالة على إثبات رؤية الله ﷻ وكذلك الأحاديث الصحيحة المتواترة عن النبي ﷺ والتي نقلها عنه صحابة كثيرون ونقلها عن هؤلاء الصحابة تابعون كثيرون، ونقلها عنهم كثيرون.. وهكذا.

والنصوص فيها قطعية الثبوت والدلالة، لأنها في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله ﷺ المتواترة.

ومن الآيات الدالة على إثبات رؤية الله ﷻ يوم القيامة قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [1].

يقول الشيخ رحمه الله في تفسير هذه الآية: «عن الحسن في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ قال: حسنة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلى الخالق، وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق» [2].

ففي هذه الآية دليل على أن الله ﷻ يُرى بالأبصار.

الآية الثانية: ومن الآيات الدالة على إثبات رؤية الله ﷻ قوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [3].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير هذه الآية: «أي: إلى الله ﷻ في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون، ليسوا بضالين؛ بل هم أولياء الله المقربين، ينظرون إلى ربهم في دار

---

(١) سورة القيامة: الآيتان (٢٢-٢٣).

(٢) توفيق الرحمن، (٤/ ٤٠٠).

(٣) سورة المطففين: آية (٢٣).

كرامته »[1].

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾[2].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير هذه الآية: « الحسنى هي الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل وهذا قول أبي بكر الصديق وغيره من السلف والخلف »[3].

وهكذا فسره النبي ﷺ؛ كما ثبت في صحيح مسلم عن صهيب[4] رضي الله عنه قال: « قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ فقال: « إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناديٍ بأهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة؟ ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إلى الله فما شيء أعطوه أحسن إليهم من النظر إليه وهو الزيادة »[5].

ففي هذه الآية دليل على ثبوت رؤية الله عز وجل من تفسير الرسول عليه الصلاة والسلام، وهو أعلم الناس بمعنى القرآن بلا شك، وقد فسرها بالنظر إلى وجه الله، وهي زيادة على نعيم الجنة.

إذاً؛ فهي نعيم ليس من جنس النعيم في الجنة، لأن جنس النعيم في الجنة نعيم بدن، أنهار، ثمار، فواكه،أزواج مطهرة، وسرور القلب فيها تبع، لكن النظر إلى وجه الله عز وجل نعيم قلب، لا يرى أهل الجنة نعيماً أفضل منه، نسأل الله أن يجعلنا ممن يراه.

---

(١) التعليقات السنية، ص(٩٨-٩٩).

(٢) سورة يونس: آية (٢٦).

(٣) التعليقات السنية، ص(٩٩). توفيق الرحمن، (٢/ ٣٩٤).

(٤) هو صهيب بن سنان بن مالك النمري الرومي، كان من السابقين إلى الإسلام ومن البدريين، لازم النبي ﷺ حتى وفاته، مات صهيب بالمدينة سنة (٣٨هـ) في خلافة علي، وعمره سبعين سنة.

انظر: الكاشف، الذهبي، (١/ ٥٠٥). الإصابة، ابن حجر، (٣/ ٤٤٩-٤٥١) .

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه، (ح/ ١٨١).

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (١).

يقول الشيخ رحمه الله: « إن ذلك المزيد النظر إلى الله جل ثناؤه، وقال جابر وأنس: هو النظر إلى وجه الله الكريم » (٢).

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝﴾ (٣).

يقول الشيخ رحمه الله : « قال الحسين بن الفضل (٤): كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته، وقال الإمام مالك: لما حجب أعداءه فلم يروه، تجلى لأوليائه حتى رأوه » (٥).

وهذا استدلال قوي جداً، لأنه لو كان الكل محجوبين، لم يكن مزية لذكر هؤلاء.

وعلى هذا، فنقول: الآيات الدالة على ثبوت الرؤية خمس آيات في القرآن الكريم، أما الأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ فيها، فقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله بعضاً منها، يقول رحمه الله: « وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح، من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها، لحديث أبي سعيد وأبي هريرة في الصحيحين: أن ناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: (هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونها سحابة؟ قالوا: لا. قال: « فإنكم ترون ربكم كذلك)(٦).

---

(١) سورة ق: آية (٣٥).

(٢) التعليقات السنية، ص(٩٩-١٠٠). توفيق الرحمن، (٤/ ١٤٧).

(٣) سورة المطففين: آية (١٥).

(٤) هو الحسين بن فضل بن عمير البجلي الكوفي ثم النيسابوري، العلامة المفسر الإمام اللغوي كان إمام عصره في معاني القرآن، توفي سنة (٢٨٢هـ) وعمره (١٠٤) عاماً.

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٣/ ٤١٤). طبقات المفسرين، السيوطي، (١/ ٤٨).

(٥) توفيق الرحمن، (٤/ ٤٥٦).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب صفة الصلاة،باب فضل السجود، (ح/ ٧٧٣)، وفي كتاب الرقاق، باب =

وفي الصحيحين عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ : (جنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله ﷻ إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن)[1] »[2].

وهذه النصوص الشرعية التي ذكرها الشيخ ﷺ أدلة قاطعة على ثبوت رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة في الجنة، وهذا هو قول السلف رحمهم الله في رؤية الله تعالى وأدلتهم وهي ظاهرة جلية لا ينكرها إلا جاهل أو مكابر.

وقد خالفهم في ذلك طوائف من أهل التعطيل من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والرافضة وغيرهم، واستدلوا بأدلة سمعية متشابهة وأدلة عقلية متداعية، ويعترضون على أدلة السلف باعتراضات باطلة وحجج واهية، وذلك لنفي رؤية الله مطلقاً لا في الدنيا ولا في الآخرة، لأنهم يرون أن القول بإمكانية الرؤية هدم للتنزيه فوقعوا فيما هو أفظع منه وهو التعطيل[3].

ومن الأدلة السمعية التي استدلوا بها:

١-قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا

=

الصراط جسر جهنم، (ح/ ٦٢٠٤)، وفي كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، (ح/ ٧٠٠٠-٧٠٠١). ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، (ح/ ١٨٢).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان وقول الله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾، (ح/ ٤٥٩٧)، وفي كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، (ح/ ٧٠٠٦). ومسلم كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، (ح/ ١٨٠).

(٢) التعليقات السنية، ص(٩٦-٩٧).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، (١/ ٢٨٨-٢٩٠).

وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ ﴾ (١).

ووجه استدلالهم أن: « لن » تفيد التأبيد، وأن موسى ﷺ لما أفاق قال «سبحانك» أي: أنزهك عما لا يجوز عليك وأنه تاب مما وقع منه وهو طلب رؤيته(٢).

الرد عليهم من وجوه:

الأول: منع كون « لن » للنفي المؤبد، لأنه مجرد عوى، قال ابن مالك في « الكافية»:

ومن رأى النفي بلن مؤبداً فقوله اردد وسواه فاعضدا(٣).

الثاني: لقد أبطل السلف استدلال النفاة بهذه الآية، واستدلوا بها على إثبات الرؤية حيث أنها لو لم تكن ممكنة لما سألها موسى ﷺ لأنه إما أنه يعلم امتناعها،أو يجهله،فإن علمه فالعاقل لا يطلب الممتنع، وإن جهله فالجاهل يمتنع أن يكون نبياً كليماً، وأيضاً فإن الله لم ينكر على موسى ﷺ ولم يقل له: لا تجوز رؤيتي أو أنني لا أرى(٤).

فرؤية الله تعالى في الدنيا مستحيلة؛ لأن الحال البشرية لا تستطيع تحمل رؤية الله ﷻ؛ كيف وقد قال النبي ﷺ عن ربه ﷻ : (حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) (٥).

أما رؤية الله تعالى في الآخرة فممكنة؛ لأن الناس في ذلك اليوم يكونون في عالم آخر

---

(١) سورة الأعراف: آية (١٤٣).

(٢) انظر: تفسير الرازي، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمد رضوان،دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق،ص(١٥٧). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، أبو القاسم الزمخشري، (١١٢/٢-١١٣).

(٣) شرح الكافية الشافية، جمال الدين محمد بن مالك الطائي الجياني، تحقيق: د.عبد المنعم هريدي،طبع دار المأمون للتراث، نشر جامعة أم القرى، (٣/ ١٥١٥) .

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، (١٩١-١٩٢).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ : « إن الله لا ينام » وفي قوله: « حجابه النور.. »، (ح/ ١٧٩) .

تختلف فيه أحوالهم عن حالهم في الدنيا.

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في نفس المعنى: « فقال: ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ وليس لبشر أن يطيق أن ينظر إليّ في الدنيا، من نظر إلي مات،... ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ﴾ لا إله إلا أنت ﴿ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ قال: أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد من خلقك، يعني في الدنيا »[1].

الدليل الثاني لنفاة رؤية الله تعالى: قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[2].

والرد عليهم: أن الآية فيها نفي الإدراك والرؤية لا تستلزم الإدراك، لأن الإدراك أخص من الرؤية، فالشمس يمكن أن نراها ولا يمكننا إدراكها.

يقول الشيخ فيصل رحمه الله عن هذه الآية: « هم ينظرون إلى الله، لا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره محيط بهم، فذلك قوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾[3]»[4].

ولهذا فإن نفي الإدراك يدل على وجود أصل الرؤية، لأن نفي الأخص، يدل على وجود الأعم، ولو كان الأعم منتفياً، لوجب نفيه، فالرب تعالى يُرى ولا يُدرك، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية[5].

وعلى هذا؛ يكون في الآية دليل عليهم لا دليل لهم.

وللإمام ابن القيم رحمه الله كلام جميل نقله عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في

(١) توفيق الرحمن، (٢/ ٢٥١-٢٥٢).

(٢) سورة الأنعام: آية (١٠٣).

(٣) سورة الأنعام: آية (١٠٣).

(٤) توفيق الرحمن، (٤/ ٤٠٠).

(٥) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص(١٩٣). شرح العقيدة الواسطية، محمد العثيمين، (١/ ٤٥٧-٤٥٨).

الرد على النفاة في استدلالهم بهذا الدليل، فيقول رحمه الله: « والاستدلال بهذا أعجب فإنه من أدلة النفاة، وقد قرر شيخنا -يعني ابن تيمية- وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه وقال لي: أنا التزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله فمنها هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها، فإن الله سبحانه ذكرها في سياق التمدح ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمراً وجوبياً كتمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة...، ولهذا لم يمتدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فلو كان المراد بقوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ﴾ إنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك، فإن العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار والرب -جل جلاله- يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض فإذاً المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به إلى أن قال رحمه الله: فقوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية »[1].

ومما سبق يتضح لنا أن الشيخ فيصل رحمه الله قد أثبت رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة في الجنة، فعلى منهج السلف في الإثبات سار، وبما قالوا به قال رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة.

تعقيب:

قد يتوهم البعض عند قراءة بعض كتب الشيخ فيصل رحمه الله أنه قد خالف منهج السلف في عدة مواضع في باب الصفات؛ حيث يجد القارئ أن الشيخ رحمه الله قد نقل عن

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح،محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: الدكتور السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٨، ١٤٢٠هـ، ص(٣٣٣-٣٣٤).

بعض كتب العلم التي احتوت على هذه المخالفات،ولم ينبه عليها الشيخ ﷺ فيحدث نتيجة ذلك بعض الإشكال.

وتحرير الكلام في ذلك على وجهين:

الوجه الأول:

أن الشيخ ﷺ لا يقصد ما وقع من مخالفة لمنهج السلف في تلك الكتب التي نقل منها لأمور:

الأول: أنه ﷺ لم يقتصر في النقل على بعض الكتب دون غيرها، بل إنه في باب الصفات قد نقل كلاماً كثيراً عن أئمة أهل السنة كابن جرير وابن تيمية وابن القيم وابن كثير، وغيرهم ممن يحتج بقولهم في هذا الباب وغيره.

الثاني: أنه ﷺ لم ينقل أبداً عن كتب أهل البدع والضلال المعروفة في هذا الباب، حيث قد كثرت فيه مؤلفاتهم وتعددت فيه آراؤهم.

الثالث: أن الشيخ ﷺ قد ذكر مذهب السلف في صفات الله تعالى بإثباتها له حقيقة كما يليق بجلالته وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل،وذلك في مواضع عديدة في ثنايا مؤلفاته.

الرابع: يظهر لنا عند الإطلاع على مؤلفات الشيخ ﷺ أن منهجه في النقل عن الكتب هو عدم التعليق عليها، إلا نادراً، والاكتفاء بذكر الفائدة أو الفوائد المستنبطة من النص مباشرة، للإيجاز والاختصار،وترك التطويل والإسهاب، وهذا مما يؤخذ على منهجية الشيخ ﷺ، فإنه لا يخلو كتاب من وجود بعض الأخطاء عدا كتاب الله.

الخامس: أن الشيخ ﷺ قد نشأ في بيئة خالية من الفرق والمذاهب المخالفة لأهل السنة، كما أنه قد تلقى عقيدته السلفية الصافية على فطاحل علماء نجد في ذلك الزمن، كالشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ﷺ وغيره، وهذا الأمر يؤكد لنا أن الشيخ ﷺ لم يرد ما أراده أصحاب الكتب الذين نقل عنهم.

الوجه الثاني:

الإشارة إلى تلك المخالفات التي نقلها الشيخ رحمه الله ثم بيانها وفق منهج السلف، وهي ما يلي:

١-ذكر الشيخ رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾[1].

فقال: « قال سفيان بن عيينة: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه، فتفسيره: قراءته والسكوت عليه، ليس لأحد أن يفسره إلا الله تعالى ورسوله »[2].

فالشيخ رحمه الله نقل كلام سفيان بن عيينة دون أن ينبه إلى المراد من التفسير المنهي عنه في كلام السلف، فيحصل الوهم بأن في ذلك تفويض لنصوص الصفات.

والحق الذي لا مرية فيه أن السلف أرادوا بالتفسير المنهي عنه، أحد معنيين:

أحدهما: التحريف المعنوي بالتفاسير المبتدعة التي ادعاها الجهمية وفروخهم، إذ صرفوا هذه النصوص عن ظاهرها إلى معان تخالفها فأولوا « الاستواء » بالاستيلاء، وأولوا « اليد » بالنعمة والقدرة، وهكذا في باقي آيات الصفات.

والثاني: التكييف والتمثيل عند المشبهة[3].

والدليل على ذلك: ما رواه اللالكائي عن سفيان بن عيينة ذكر كلامه السابق وزاد عليه قوله: « لا كيف ولا مثل »[4].

فقوله رحمه الله : لا كيف ولا مثل احتراز من التفسير الباطل الذي يتعدى ما دل عليه ظاهر القراءة.

---

(١) سورة البقرة: آية (٢١٠).

(٢) توفيق الرحمن، (١/ ٢٨٠-٢٨١).

(٣) انظر: مذاهب أهل التفويض في نصوص الصفات، د.أحمد بن عبدالرحمن بن عثمان القاضي، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، ص(٨٠).

(٤) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، (٣/ ٤٣١).

٢-وذكر الشيخ رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾(١). نقلاً عن البغوي قوله: « الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف، يجب على الرجل الإيمان به، ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل»(٢).

فالشيخ رحمه الله قد نقل كلام البغوي السابق دون تعقيب، أو توضيح مما قد يثير الإشكال.

وعلى هذا فإنا نقول: إن كان البغوي يريد من قوله: « ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل » العلم بكيفية الاستواء وصفته، فإن هذا هو قول أهل السنة وهو القول الحق.

وإن كان البغوي يريد من ذلك نفي المعنى ، فهذا فيه تفويض.

ولكن الذي يترجح أن البغوي أراد المعنى الأول وهو نفي الكيفية دون المعنى، والدليل أنه ذكر بعد ذلك كلام مالك بن أنس عندما سأله رجل عن الاستواء فقال له: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»(٣).

وهذا فيه تأكيد على أن المراد هو علم الكيفية وليس علم المعنى.

٣-لقد ذكر الشيخ رحمه الله عند شرحه لحديث رسول الله ﷺ حينما قال: (إن الله يغار، وغيرة الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه) (٤).

فنقل عن الحافظ ابن حجر(٥) قوله: « الغيرة في اللغة: تغير يحصل من الحمية

(١) سورة الأعراف: آية (٥٤).

(٢) توفيق الرحمن، (٢/ ٢١٧).

(٣) معالم التنزيل، البغوي، تحقيق: خالد عبدالرحمن، دار المعرفة، بيروت، (٢/ ١٣٧).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الغيرة، (ح/ ٤٩٢٥). ومسلم كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، (ح/ ٢٧٦١).

(٥) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل شهاب الدين، ابن حجر، من أئمة العلم والتاريخ أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده ووفاته بالقاهرة، أقبل على الحديث ورحل في طلب =

والأنفة،وأصلها في ا لزوجين والأهلين، وكل ذلك محال على الله تعالى؛ لأنه منزه عن كل تغير ونقص، فيتعين حمله على المجاز »[1].

إلى أن قال: « قال ابن فورك: المعنى: ما أحد أكثر زجراً عن الفواحش من الله. وقال: غيرة الله ما يغير من حال العاصي بانتقامه منه في الدنيا والآخرة،أو في أحدهما»[2].

ثم قال: « وقال ابن دقيق العيد: أهل التنزيه في مثل هذا على قولين: إما ساكت، وإما مؤول، على أن المراد بالغيرة شدة المنع والحماية، فهو من مجاز الملازمة »[3].

ولم يعقب الشيخ فيصل على كلام الحافظ مع ما تضمنه من مخالفات إلا بقوله: «قلت: والصواب في مثل هذا إمراره كما ورد، فتفسيره تلاوته »[4].

المخالفات في المنقول عن ابن حجر، هي ما يلي:

١-القول بالمجاز في الصفات الإلهية: لقد حكم الحافظ ابن حجر على صفة الغيرة المذكورة في الحديث السابق بأنها مجاز، وكذلك حكم على العديد من الصفات الإلهية في بعض النصوص.

وقد علق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ﷺ على هذه المعاني المحتملة المذكورة لهذه الصفة بقوله: « كل هذا تحمل وتأويل لا يجوز في حق صفات الله، فما المانع أن يكون لله غيره لائقة به، لا تشبه ما للخلق من الغيرة كسائر الصفات، مع القطع بعدم العلم بكيفيتها؟ فالواجب أن ما نطقت به النصوص الشرعية من أسماء الله وصفاته أثبتناه، وما نفته عن الله

العلم، حتى كان حافظ الإسلام في عصره، ولي قضاء مصر، ثم اعتزل، له تصانيف كثيرة، توفي سنة (٨٥٢هـ).

انظر: لسان الميزان، ابن حجر، الخاتمة . الأعلام، الزركلي، (١/ ١٧٨) .

(١) تطريز رياض الصالحين، ص(١٠٢١).

(٢) المرجع السابق، ص(١٠٢٢).

(٣) المرجع السابق، ص(١٠٢٢).

(٤) المرجع السابق، ص(١٠٢٢).

نفيناه، حيث هذا هو موجب الاستسلام والتسليم لله ورسوله، وهو قول أهل السنة والجماعة، وقولهم أسلم وأعلم وأحكم، والله أعلم »[1].

بل إن الحافظ نقل أقوالاً لبعض العلماء وأقرهم عليها، كالذي نقله عن ابن دقيق العيد في إثبات المجاز لبعض الصفات، وأنه هو السبيل للتخلص من مهاوي التجسيم.

والحق في صفات الله -تعالى- الواردة في الكتاب والسنة هو إثباتها على الحقيقة اللائقة بجلال الله وعظمته، وأنها ليست مجازاً فلا تؤول ولا تفوض، وهذا هو الذي تعضده نصوص الشرع وأقوال السلف ومنهم الحافظ ابن عبدالبر الذي قال: « وأهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك. ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع، والجهمية،والمعتزلة، والخوارج،فكلهم ينكرها، ولا يحتمل شيئاً منها على الحقيقة »[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « ومن المعلوم باتفاق المسلمين أن الله حي حقيقة، عليم حقيقة، قدير حقيقة، سميع حقيقة، بصير حقيقة، إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته »[3].

٢-تجويز التفويض والتأويل في نصوص الصفات:

لقد نقل الحافظ عن ابن فورك[4] تأويل صفة الغيرة لله ﷻ بأنها: ما يغير الله به حال

---

(١) التنبيه على المخالفات العقدية في فتح الباري، علي بن عبدالعزيز الشبل، دار الوطن، دار الشبل، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ، ص(٦٧) .

(٢) التمهيد، ابن عبدالبر، (٧/ ١٤٥).

(٣) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٣/ ٢١٨).

(٤) هو محمد بن الحسين بن فورك الأصبهاني، واعظ وعالم بالأصول، وتوسع في الأدب والكلام والوعظ والنحو، من فقهاء الشافعية، سمع بالبصرة وبغداد، وحدث بنيسابور، وله مؤلفات كثيرة تزيد على المائة، توفي سنة (٤٠٦هـ).

العاصي بانتقامه منه في الدنيا والآخرة،أو في أحدهما.

كما أنه نقل عن ابن دقيق العيد جواز التفويض والتأويل في نصوص الصفات عند أهل التنزيه وإذا نظر القارئ فيما ذكره الحافظ ابن حجر، وما نقله عن بعض العلماء في جواز التأويل والتفويض في نصوص الصفات، وجد أنه مبني على أساس باطل، وهو جعلهم المعنى المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً لا يليق بالله، وهو التشبيه والتجسيم، فاستحال على ذلك حمل هذه النصوص على ظاهرها، فقالوا: النص قد ثبت بالنقل فلا يمكن رده، وحمله على ظاهره تشبيه وتجسيم وهذا كفر؛ ولذا وجب علينا أن نصرفه عن ظاهره بالتأويل، أو الإيمان بالنص لفظاً وتفويض معناه لله تخلصاً من المحذورين:

محذور رد النص، ومحذور التشبيه.

فيعلن بهذا أن ما ذهبوا إليه كله باطل؛ لأنه قائم على باطل، وما بُني على باطل فهو باطل.

ثم إن القول الحق في ظاهر الصفات أن يوصف الله تعالى منها بما يليق بجلالته وعظمته، فليست صفته سبحانه مشابهة لصفات خلقه وإن اشتركت معها في اللفظ الوارد؛ لأن صفة المخلوق تابعة لضعفه وافتقاره،وصفة الخالق على ما يليق بكماله وعظمته وجلاله.

وقد عقب الشيخ رحمه الله على هذه المخالفة بما يدل على بطلانها، فقال: « والصواب في مثل هذا إمراره كما ورد فتفسيره تلاوته »[1].

وهو يقصد بـ« الإمرار » الإثبات والإقرار، وليس التفويض والتجهيل كما قد

=

انظر: العبر، الذهبي، (٢/ ٢١٣). شذرات الذهب، ابن العماد، (٣/ ١٨١). وفيات الأعيان، ابن خلكان، (١/ ٤٨٢).

(١) تطريز رياض الصالحين، ص(١٠٢٢).

يتبادر إلى أذهان بعض الناس.

وأما مراده بقوله: « فتفسيره تلاوته » فهو يريد بذلك التفاسير الباطلة، والتي تسمى « تأويلاً » والدليل على ذلك: أنه ﷺ قد ذكر في مواضع عديدة من كتبه أن صفات الله تعالى لا تشبه صفات المخلوقين، وهذا هو الأصل المقرر عند أهل السنة في صفات الله تعالى.

٤-ذكر الشيخ ﷺ عن النووي معنى قوله ﷺ: (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به) [(١)] قال: « معنى أذن الله، أي: استمع، وهو إشارة إلى الرضى والقبول » [(٢)].

وهذا الذي ذكره النووي عفا الله عنه هو من قبيل التأويل المخالف لمذهب أهل السنة والجماعة، فصفة السمع وغيرها من الصفات ثابتة لله تعالى حقيقة من كما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

فالواجب على المسلم التنبه إلى مثل هذه المخالفات حتى لا يقع في الزلات.

٥-ونقل ﷺ عن النووي أيضاً قوله في معنى حديث رسول الله ﷺ عندما دخل على عائشة ﷺ فوجد عندها امرأة فقال: (من هذه؟ قالت: هذه فلانة تذكر من صلاتها قال: مه عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه) [(٣)].

قال النووي: « ومعنى لا يمل الله » أي: لا يقطع ثوابه عنكم وجزاء أعمالكم،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، (ح/ ٧١٠٥). ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، (ح/ ٧٩٢).

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص(٥٨٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه، (ح/ ٤٣). ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته بأن يرقد، (ح/ ٧٨٥).

ويعاملكم معاملة المالِّ حتى تملوا فتتركوا »[1].

وهذا الذي ذكره النووي هنا هو من باب التأويل لهذه الصفة، وهذا خلاف ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة بأنها من صفات الله التي يقابل بها من يستحقونها، وهي على الحقيقة اللائقة بالله ﷻ لا يجوز تأويلها، بل الواجب الإيمان بها من غير تعطيل ولا تحريف ومن غير تكييف ولا تمثيل، كبقية الصفات .

وعليه.. فإن الشيخ فيصل رحمه الله قد التزم منهج السلف في إثبات توحيد الأسماء والصفات.

وأشار رحمه الله إلى بعض المسائل المهمة في إثبات الأسماء والصفات، والتي هي أساس منهج السلف في تقرير عقيدتهم في هذا الباب.

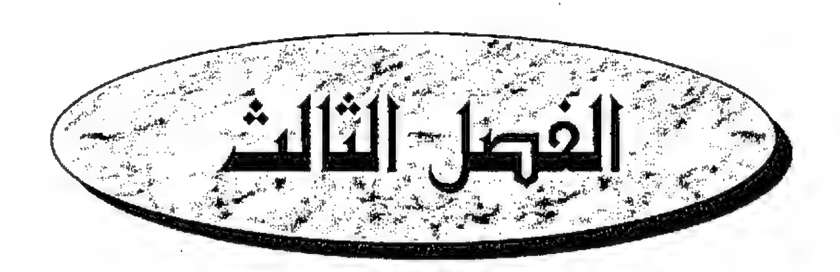
كما أنه رحمه الله قد ذكر بعض الصفات بشيء من التفصيل وخاصة في الصفات التي حصل فيها خلاف بين السلف ومخالفيهم.

ووافق رحمه الله السلف في إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الجنة يوم القيامة.

وأخيراً، إن ما وقع من أخطاء في بعض النقولات الواردة في بعض كتب الشيخ لم يقصدها رحمه الله، وذلك لما سبق أن قرره من إثبات عقيدة السلف في هذا الباب ولأن منهج الشيخ رحمه الله في النقل كان يقوم على بيان الفائدة المستنبطة من النصوص، دون التعقيب على المخالفات فيها.



(١) تطريز رياض الصالحين، ص(١١٤).



الإيمان بالملائكة

وفيه ثلاثة مباحث : -

- المبحث الأول: معنى الإيمان بالملائكة.
- المبحث الثاني: صفات الملائكة.
- المبحث الثالث: أعمال الملائكة.

* *   * *   * *



المبحث الأول

معنى الإيمان بالملائكة

* * * * * *

المبحث الأول: معنى الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان الوارد ذكرها في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ﴾ (1)، ومن الأحاديث: حديث سؤال جبريل عن الإيمان، فأجابه رسول الله ﷺ بقوله: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره » (2).

ومعنى الإيمان بالملائكة كما قرره الشيخ فيصل رحمه الله عند شرحه للحديث السابق فقال: « والإيمان بملائكته هو التصديق بأنهم عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون » (3).

والإيمان بالملائكة من الإيمان بالغيب، الذي استهل الله به صفات المؤمنين المذكورة في أول سورة البقرة بقوله: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ (4).

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير المراد بالغيب في الآية: « قال أبو العالية: يؤمنون بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وجنته وناره، ولقائه، ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث، فهذا غيب كله » (5).

والإيمان بالملائكة من البر الذي عرفه الشيخ فيصل رحمه الله بقوله: « البر: كل عمل خير يفضي بصاحبه إلى الجنة » (6).

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ

(1) سورة البقرة: آية (285).

(2) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، (ح/8).

(3) محاسن الدين، ص(17).

(4) سورة البقرة: آية (3).

(5) توفيق الرحمن، (1/98).

(6) المرجع السابق، (1/238).

وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1]: «أي: بأنه لا إله إلا هو ولا رب سواه، وآمن باليوم الآخر وهو يوم القيامة، وصدق بوجود الملائكة الذين هم عباد الرحمن »[2].

وقد كان المشركون يزعمون أن الملائكة بنات الله -تعالى الله عن ذلك- وقد رد الله تعالى عليهم هذا، وبين عدم علمهم بذلك فقال: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[3].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير هذه الآية: « ومعنى الجعل ههنا: الحكم بالشيء » ثم قال: « أحضروا خلقهم حين خلقوا؟ ستكتب شهادتهم على الملائكة أنهم بنات الله ويسألون عنها »[4].

وقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾[5]: « معناه: أتختارون لأنفسكم الذكور من الأولاد وتجعلون لله البنات، فإنهم يقولون الملائكة وهذه الأصنام بنات الله -تعالى عن قولهم علواً كبيراً- »[6].

وهذا الزعم من المشركين أدى بهم إلى عبادة الملائكة، فأخبر الله تعالى أنهم عباد أمثالهم، لا يملكون ضراً ولا نفعاً، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾[7]،

---

(١) سورة البقرة: آية (١٧٧).

(٢) توفيق الرحمن، (١/ ٢٣٨).

(٣) سورة الزخرف: آية (١٩).

(٤) توفيق الرحمن، (٤/ ٢٧).

(٥) سورة النجم: آية (٢١).

(٦) القصد السديد، ص(٦٣).

(٧) سورة الإسراء: الآيتان (٥٦-٥٧).

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير هذه الآية: « عن ابن عباس قال: كان أهل الشرك يقولون: نعبدالملائكة وعزيراً ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ يعني الملائكة والمسيح وعزيراً ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾: أي: يتقربون إلى الله بالعمل الصالح ويتضرعون إليه في طلب الدرجة العليا، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، فكيف يستحقون الألوهية »[1].

وعليه: فإن الشيخ فيصل رحمه الله قرر معنى الإيمان بالملائكة بما يتضمن الرد على منكري وجودهم ومن اعتقد فيهم اعتقادات باطلة.



(١) القصد السديد، ص(٥٢). توفيق الرحمن، (٢/ ٦٢٧).



صفـــات الملائكــــة

* *   * *   * *

المبحث الثاني: صفات الملائكة

لما كان الإيمان بالملائكة من الأمور الغيبية، فلا شك أن صفاتهم أيضاً من الأمور الغيبية التي لا سبيل لمعرفتها إلاَّ من خلال النصوص الشرعية، وقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله بعض صفات الملائكة الخَلقية والخُلقية عند تفسيره لآيات القرآن الكريم ومن هذه الصفات التي ذكرها:

أولاً: الصفات الخَلقية:

١-أن لهم أجنحة:

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ﴾ [1]: « قال قتادة: بعضهم له جناحان وبعضهم ثلاثة وبعضهم أربعة ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ﴾ قال السدي: يزيد في أجنحتهم ما يشاء، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام ليلة الإسراء وله ستمائة جناح، بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب»[2][3].

٢-القوة والجمال:

جاء في وصف جبريل عليه السلام في القرآن الكريم أنه شديد القوى قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [4] يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير الآية: « قال ابن كثير: أي شديد الخلق شديد البطش والفعل » [5].

---

(١) سورة فاطر: آية (١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، (ح/ ٣٦٠)، وفي كتاب التفسير، باب فكان قاب قوسين أو أدنى، (ح/ ٤٥٧٥). ومسلم، كتاب الإيمان، باب في ذكر سورة المنتهى، (ح/ ١٧٤).

(٣) توفيق الرحمن، (٣/ ٥٥١).

(٤) سورة النجم: آية (٥).

(٥) توفيق الرحمن، (٤/ ٤٤٦).

أما تفسير قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ فقال الشيخ رحمه الله: « ذو خلق طويل حسن »[1].

٣-كثرة عددهم وانتظامهم:

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[2] : «قال عطاء: يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار، لا يعلم عدتهم إلا الله، والمعنى: أن تسعة عشرهم خزنة النار، ولهم من الأعوان والجنود من الملائكة مالا يعلمه إلا الله عز وجل »[3].

ويقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾[4]: « قال قتادة: الصافات: الملائكة صفوفاً في السماء »[5].

وقال رحمه الله أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[6]: « قال ابن كثير: فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفاً »[7].

وقال أيضاً: في تفسير الآية السابقة : « قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: وإذا جاء ربك يا محمد وأملاكه صفوفاً صفاً بعد صف »[8].

ثم قال: « وقال الضحاك بن مزاحم: إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا

---

(١) توفيق الرحمن، (٤/ ١٧١).

(٢) سورة المدثر: آية (٣١).

(٣) المرجع السابق، (٤/ ٣٩٤).

(٤) سورة الصافات: آية (١).

(٥) المرجع السابق، (٣/ ٥٩٥).

(٦) سورة الفجر: آية (٢٢).

(٧) القصد السديد، ص(٤٢).

(٨) توفيق الرحمن، (٤/ ٤٨٤).

بأهلها ونزل من فيها من الملائكة وأحاطوا بالأرض ومن عليها، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، فصفوا صفاً دون صف، ثم ينزل الملك الأعلى على مجنبته اليسرى جهنم، فإذا رآها أهل الأرض ندوا فلا يأتون قطراً من أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قول الله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ [1] وذلك قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾[2]»[3]

٤-التنزه عن الأعراض البشرية:

من صفات الملائكة عليهم السلام أنهم منزهون عن الأعراض البشرية التي تلحق بني آدم ومن هذه الأعراض الإعياء والملل، والكبر، والسأم.

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [4]: « قال قتادة: لا يعيون. وقال ابن زيد: لا يملون ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ أي: الملائكة الذين هم عند الرحمن لا يستكبرون عن عبادته ولا يسأمون»[5].

وهناك من الصفات الخَلقية ما لم يتعرض لذكرها الشيخ فيصل مثل: قدرتهم على التشكل والتمثل في صورة بشر.

(١) سورة غافر: الآيتان (٣٢-٣٣).

(٢) سورة الفجر: الآيتان (٢٢-٢٣).

(٣) توفيق الرحمن، (٤/ ٤٨٦).

(٤) سورة الأنبياء: الآيتان (١٩-٢٠).

(٥) توفيق الرحمن، (٣/ ١١٤).

ثانياً: الصفات الخُلقية:

١-الطاعة:

يقول الشيخ رحمه الله في تفسير قوله تعالى لملائكته: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[1]: « قال ابن عباس: مرَّ إبليس على جسد آدم وهو ملقى بين مكة والطائف لا روح فيه، فقال: لأمر ما خلق هذا ! ثم دخل في فيه وخرج من دبره، وقال: إنه خلق لا يتماسك ؛ لأنه أجوف. ثم قال للملائكة الذين معه: أرأيتم إن فُضِّل هذا عليكم، وأمرتم بطاعته، ماذا تصنعون؟ قالوا: نطيع أمر ربنا. فقال إبليس في نفسه: والله لئن سلطت عليه لأهلكنه، ولئن سلط عليّ لأعينه، فقال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ يعني ما يبديه الملائكة من الطاعة، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾، يعني ما يكنه إبليس من المعصية »[2].

ويقول رحمه الله أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا﴾[3]: « وعن مجاهد قال: الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح »[4].

٢-الإكرام والبر:

وقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله هاتين الصفتين للملائكة عند تفسير قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝﴾[5]: « قال ابن عباس: هم الملائكة، وقال البغوي: أي كرام على الله برره مطيعين »[6].

---

(١) سورة البقرة:آية (٣٣).

(٢) توفيق الرحمن، (١/ ١١٩-١٢٠).

(٣) سورة النازعات: آية (٤).

(٤) توفيق الرحمن، (٤/ ٤٢٩).

(٥) سورة عبس: الآيتان (١٥-١٦).

(٦) المرجع السابق، (٤/ ٤٣٦).

٣-الأمانة:

وقد وصف الله تعالى رسوله جبريل عليه السلام في معرض تبليغه القرآن بصفات هي غاية في الثناء، ومن تلك الصفات التي ذكرها سبحانه أنه أمين، قال تعالى: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [1].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير الآية: « قال البغوي: على وحي الله ورسالته إلى أنبيائه » [2].

(١) سورة التكوير: آية(٢١).

(٢) توفيق الرحمن، (٤/ ٤٤٦).



أعمـــال الملائكـــة

* *   * *   * *

المبحث الثالث: أعمال الملائكة

أشار الشيخ فيصل رحمه الله إلى بعض أعمال الملائكة عند تفسيره للآيات الكريمة أو عند شرحه للأحاديث الشريفة، ومن تلك الأعمال التي ذكرها:

١-تبليغ الوحي من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام والموكل بتبليغ الوحي الأمين جبريل عليه السلام قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝﴾ [(١)]: « عن قتادة قال: جبريل » [(٢)].

وقال الشيخ فيصل رحمه الله أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝﴾ [(٣)]: يعني جبريل. قال ابن كثير: يعني أن هذا القرآن لتبليغ ﴿رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ أي: ملك شريف ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ كقوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ﴾ أي: شديد الخلق شديد البطش والفعل ﴿ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ أي: له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة ﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾ أي: له وجاهة وهو مسموع القول في الملأ الأعلى ﴿أَمِينٖ﴾ قال البغوي: على وحي الله ورسالته إلى أنبيائه » [(٤)].

٢-النفخ في الصور والموكل به هو إسرافيل عليه السلام فينفخ فيه بأمر الله تعالى ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث.

وقد عرّف الشيخ فيصل رحمه الله الصور بقوله: «والصور: قرن ينفخ فيه إسرافيل» [(٥)].

وقد استدل الشيخ رحمه الله على النفخات الثلاث في الصور: « بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عندما سأل رسول الله ﷺ بقوله: (يا رسول الله ما الصور؟ قال: قرن، قال: وكيف هو؟ قال: قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق،

(١) سورة الشعراء: الآيتان (١٩٣-١٩٤).

(٢) توفيق الرحمن، (٣/ ٣١٢).

(٣) سورة التكوير: الآيتان (١٩-٢٠).

(٤) المرجع السابق، (٤/ ٤٤٥-٤٤٦).

(٥) المرجع السابق، (٢/ ١٤٧).

والثالثة نفخة القيام لله رب العالمين تبارك وتعالى يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى، فيقول: انفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السماوات وأهل الأرض إلاَّ من شاء الله، ويأمره الله فيمد بها ويطولها فلا يفتر،وهي التي يقول الله: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾[1]... الحديث)[2]»[3].

٣-حفظ العبد في جميع أحواله والموكل بذلك هم: «المعقبات».

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[4]: «عن الحسن قال: الملائكة ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: فإذا جاء القدر خلوا عنه، قال مجاهد: ما من عبد إلا به ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منهم شيء يأتيه يريده إلا قال: وراءك، إلا شيئاً بإذن الله فيصيبه»[5].

ويقول الشيخ رحمه الله أيضاً عن حفظ المعقبات للعبد بأمر الله تعالى: «وقال ابن مسعود: إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى ييسر له فينظر الله إليه فيقول للملائكة: اصرفوه عنه فإنه إن يسرته له أدخلته النار، فيصرفه الله عنه، فيظل يتطير بقوله: سبني فلان، وأهانني فلان، وما هو إلا فضل الله عز وجل»[6].

---

(١) سورة ص: آية (١٥).

(٢) أخرجه ابن جرير، (٢٠/ ١٩). وقال ابن كثير في تفسيره، (٢/ ١٤٩): «هذا حديث مشهور، وهو غريب جداً، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي المدينة، وقد اختلف فيه فمنهم من وقفه، ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد وأبي حاتم الرازي، وعمرو بن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه: متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر، إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء».

(٣) توفيق الرحمن، (٣/ ٣٥١).

(٤) سورة الرعد: آية (١١).

(٥) توفيق الرحمن، (٢/ ٥١٢).

(٦) محاسن الدين، ص(٥٦).

٤-حفظ أعمال العباد من خير وشر، والموكل بذلك هم: الكرام الكاتبون، وهم داخلون تحت مسمى (الحفظة)، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[1] .

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير الآية: « وعن السدي قال: الحفظة »[2].

ويقول الشيخ رحمه الله أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[3]: « أي: ما يتكلم من كلام إلَّا وله حافظ يكتبه، قال ابن عباس: « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » قال: يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر، حتى أنه ليكتب قوله: أكلت، شربت، ذهبت، جئت، رأيت، حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله، فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر، وألقى سائره، وذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[4].

وقال الحسن البصري[5]: وتلا هذه الآية: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[6]، يا ابن آدم، بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك، أما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك، وجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول تعالى : ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ

---

(١) سورة الزخرف: آية (٨٠).

(٢) توفيق الرحمن، (٤/ ٤٢).

(٣) سورة ق: آية (١٨).

(٤) سورة الرعد: آية (٣٩).

(٥) هو الحسن بن أبي الحسن، أبو سعيد مولى زيد ين ثابت، كان سيد أهل زمانه علماً وعملاً. توفي سنة (١١٠هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٤/ ٥٦٣). البداية والنهاية، ابن كثير، (٩/ ٢٧٨).

(٦) سورة ق: آية (١٧).

طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝﴾ [1].

ثم يقول: عدل والله من جعلك حسيب نفسك »[2].

ويقول رحمه الله أيضاً في تفسير « الشهداء » في قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝﴾ [3] أي: الشهداء من الملائكة، الحفظة على أعمال العباد من خير وشر »[4].

٥-ومنهم الموكل بقبض الأرواح، وهو ملك الموت وأعوانه.

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾[5]: « عن قتادة قال: ملك الموت يتوفاكم ومعه أعوان من الملائكة »[6].

وقال رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾ [7]: « عن ابن مسعود قال: الملائكة. قال ابن عباس: تنزع الأنفس، قال البغوي: يعني الملائكة تنزع أرواح الكفار من أجسادهم، كما يغرق النازع في القوس فيبلغ به غاية المدى »[8].

يقول الشيخ رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ [9]: « قال البغوي: هي

(١) سورة الإسراء: الآيتان (١٣-١٤).

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص(٨٣٤).

(٣) سورة الزمر: آية (٦٩).

(٤) توفيق الرحمن، (٣/ ٦٦٩).

(٥) سورة السجدة: آية (١١).

(٦) المرجع السابق، (٣/ ٤٧٤).

(٧) سورة النازعات: آية (١).

(٨) المرجع السابق، (٤/ ٤٢٩).

(٩) سورة النازعات: آية (٢).

الملائكة تنشط نفس المؤمن، أي: تحل حلاً رفيقاً، فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير »[1].

٦-خزنة جهنم، وهم: الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر ومقدمهم مالك عليه السلام.

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾[2]: « قال ابن عباس: يريد زبانية جهنم، وسموا بها لأنهم يدفعون أهل النار إليها »[3].

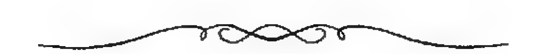
ويقول رحمه الله أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[4]: « قال ابن زيد: خزنتها تسعة عشر »[5].

وخلاصة ما سبق:

أن الشيخ فيصل رحمه الله قد قرر عقيدة السلف في وجوب الإيمان بالملائكة الكرام إجمالاً وتفصيلاً.

فيجب الإيمان إجمالاً بمن لم يرد تعيينه باسمه المخصوص، ولا تعيين نوعه المخصوص.

وأما تفصيلاً فبما صح به الدليل من أسمائهم وصفاتهم، وأعمالهم.



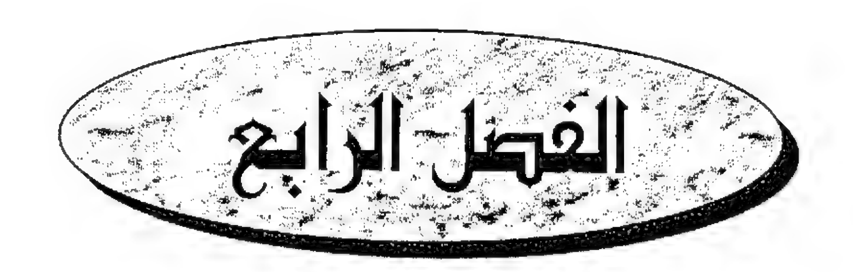
(١) توفيق الرحمن، (٤/ ٤٢٩).

(٢) سورة العلق: آية (١٨).

(٣) المرجع السابق، (٤/ ٥١٠).

(٤) سورة المدثر: آية (٣٠).

(٥) المرجع السابق، (٤/ ٣٩٣).



الإيمان بالكتب

وفيه ثلاثة مباحث : –

- **المبحث الأول**: معنى الإيمان بالكتب.
- **المبحث الثاني**: تحريف أهل الكتاب لكتبهم.
- **المبحث الثالث**: القرآن الكريم.

**   **   **



المبحث الأول

معنى الإيمان بالكتب

وفيـــه مطلبـــان : –

☼ المطلب الأول: الإيمان بالكتب إجمالاً .

☼ المطلب الثاني: الإيمان بالكتب تفصيلاً .

* *   * *   * *

المطلب الأول: الإيمان بالكتب إجمالاً

لقد أوضح الشيخ فيصل رحمه الله هذا الركن العظيم الذي لا يتم الإيمان إلا به؛ حيث قال رحمه الله عند شرحه لحديث جبريل المشهور عندما سأل جبريل الرسول ﷺ عن الإيمان؟ فأجابه الرسول ﷺ: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)[1].

قال: « والإيمان بكتبه: التصديق بأنها كلام الله، وأن ما تضمنه حق»[2].

وقال رحمه الله أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾[3]: « يقول تعالى: فإن آمن الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم ﴿بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ أي: بجميع كتب الله ورسله، ولم يفرقوا بين أحد منهم ﴿بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ إلى الحق ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن ذلك ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ أي: في خلاف ومنازعة »[4].

وأكد الشيخ فيصل رحمه الله على أن الإيمان بالكتب جملة من صفات المؤمنين من هذه الأمة؛ وقد ذكر ذلك رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[5] قال: « فالمؤمنون من هذه الأمة يؤمنون بكل نبي أرسل، وبكل كتاب أنزل لا يكفرون بشيء من ذلك، بل يصدقون بما أنزل من عند الله، وبكل نبي بعثه الله »[6].

---

(١) سبق تخريجه، ص(٣١٨) .

(٢) محاسن الدين، ص (١٧) .

(٣) سورة البقرة: آية (١٣٧).

(٤) توفيق الرحمن، (١/ ٢٧٠) .

(٥) سورة آل عمران: آية (٨١).

(٦) توفيق الرحمن، (١/ ٤٢٤) .

وقد ذكر الشَّيْخ رحمه الله أن الإيمان بالكتب جميعها من البر الذي يفضي بصاحبه إلى الجنة؛ يقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ﴾[1] « أي: بأنه لا إله إلا هو ولا رب سواه، وآمن باليوم الآخر وهو يوم القيامة، وصدق بوجود الملائكة الذين هم عباد الرحمن، وصدق بالكتاب، أي القرآن، وجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء، وآمن بالنبيين كلهم »[2].

(١) سورة البقرة: آية (١٧٧).

(٢) توفيق الرحمن، (١/ ٢٣٨).

المطلب الثاني: الإيمان بالكتب تفصيلاً

يجب الإيمان على وجه التفصيل بما سمى الله تعالى لنا من كتبه، وهو القرآن الكريم وما سبقه مما جاء النص بذكره.

وقد أشار الشيخ فيصل رحمه الله إلى أسماء الكتب المنزلة عند تفسيره لآيات القرآن الكريم، وهذه الكتب هي:

أ-صحف إبراهيم عليه السلام:

أشار الشيخ فيصل رحمه الله إلى هذه الصحف عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [1] يقول: « قال ابن كثير: أي من الصحف والوحي »[2].

وقد ذكر الشيخ رحمه الله أن نزول هذه الصحف على إبراهيم كان في رمضان؛ يقول رحمه الله وعن قتادة قال: « أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان »[3].

ب-التوراة:

وهي كتاب الله تعالى الذي أنزل على موسى عليه السلام.

وقد أشار الشيخ رحمه الله إلى التوراة عند تفسيره للآيات التي نصت بذكرها، ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ [4]، يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير الآية: « يعني بذلك التوراة »[5].

---

(١) سورة آل عمران: آية (٨٤).

(٢) توفيق الرحمن، (١/ ٤٢٣).

(٣) المرجع السابق، (٤/ ٤٧، ٤٧٥).

(٤) سورة آل عمران: آية (٨٤).

(٥) المرجع السابق، (١/ ٤٢٣).

ويقول رحمه الله أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾[1]: « يعني أسفار التوراة »[2] .

وذكر رحمه الله أن نزول التوراة كان في رمضان، يقول رحمه الله: « عن قتادة قال: وأنزلت التوراة لست خلون من رمضان »[3] .

جـ-الزبور:

وهو كتاب الله تعالى المنزل على داود عليه السلام .

والشيخ فيصل رحمه الله بيّن عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[4]، فيقول رحمه الله: « قال ابن كثير: والزبور الكتاب الذي أوحاه الله إلى داود عليه السلام قال البغوي: « وكان فيه من التحميد والتمجيد، والثناء على الله عز وجل ثم روى بسنده عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: (لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك، لقد أعطيت مزماراً من مزامير آل داود، فقال: أما والله يا رسول الله لو علمت أنك تستمع لحبرته تحبيراً)[5]»[6] .

د-الإنجيل:

وهو كتاب الله تعالى المنزل على عيسى عليه السلام .

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير قوله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ

---

(١) سورة النجم: آية (٣٦).

(٢) توفيق الرحمن، (٤/ ١٧٦) .

(٣) المرجع السابق، (٤/ ٤٧٥) .

(٤) سورة النساء: آية (١٦٣).

(٥) أخرجه البخاري،كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بقراءة القرآن، (ح/ ٤٧٦١). ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، (ح/ ٧٩٣) .

(٦) توفيق الرحمن، (٢/ ١٤) .

وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1] : « قال البغوي: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ التي كانت فيهم من عهد موسى، والإنجيل كتاباً آخر أهديته إليهم، لم يكن عندهم علمه، إلا ذكره أنه كائن من الأنبياء قبله »[2] .

ثم بيّن الشيخ رحمه الله الحكمة من إنزال التوراة والإنجيل فقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[3]: « قال قتادة: هما كتابان أنزلهما الله فيهما بيان من الله وعصمة لمن أخذ به، وصدق به، وعمل بما فيه »[4] .

والإيمان بهذه الكتب التي أخبرنا الله تعالى عنها في القرآن الكريم واجب على وجه الخصوص بأن كلاً منها كتاب الله تعالى فيه النور والهدى، أنزله الله على من ذكر من رسله، وكلها داعية كما دعا القرآن الكريم إلى إفراد الله تعالى بالعبادة وحده، فهي متفقة في الأصول وإن اختلفت في الشرائع .

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في نفس المعنى عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[5]: « عن قتادة: سبيلاً وسنة، والسنن مختلفة: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، يحل الله فيها ما يشاء، ويحرم ما يشاء، بلاءً ليعلم من يطيعه، والدين واحد، الذي لا يقبل الله غيره، التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به الرسل »[6] .

وقال رحمه الله في موضع آخر عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ

(١) سورة آل عمران: آية (٤٨).

(٢) توفيق الرحمن، (١/ ٤٠٣).

(٣) سورة آل عمران: آية (٣-٤).

(٤) المرجع السابق،(١/ ٣٧٣) .

(٥) سورة المائدة: آية (٤٨).

(٦) المرجع السابق، (٢/ ٧١) .

مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [1]: « قال البغوي: ثم ذكر الله ما أمروا به في كتبهم فقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾ يعني هؤلاء الكفار ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ يعني إلا أن يعبدوا الله ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ قال ابن عباس: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بإخلاص العبادة لله موحدين ﴿حُنَفَآءَ﴾ مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام »[2] .

والحاصل:

أن الشيخ فيصل رحمه الله قرر الإيمان بالكتب جملة وتفصيلاً، ثم ذكر رحمه الله أن دعوة الكتب جميعها في الأصل واحدة وفي الشرائع مختلفة، وهذا الأصل هو الإسلام .

---

(١) سورة البينة: آية (٥).

(٢) توفيق الرحمن، (٤/ ٥١٦، ٥١٧) .



تعريف أهل الكتاب لكتبهم

* * * * * *

المبحث الثاني: تحريف أهل الكتاب لكتبهم

لقد كان توجيه الكلام في الكتب السابقة إلى أمة خاصة دون سائر الأمم، وهي وإن اتفقت في أصل الدين -كما سبق أن بينا-؛ إلا أن ما نزل فيها من الشرائع والأحكام كان خاصاً بأزمنة معينة وأقوام معينين قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (١) لذلك لم يتعهد الله سبحانه بحفظ أي منها على مدى الأزمان كما هوا الحال بالنسبة للقرآن، بل أخبر ﷻ في آخر كتبه وهو القرآن الكريم عن التحريف الذي وقع على تلك الكتب.

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في بيان التحريف والتغيير الذي أدخله اليهود على التوراة في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ (٢): « قال ابن زيد: التوراة التي أنزلها الله عليهم، يحرفونها، يجعلون الحلال فيها حراماً، والحرام حلالاً، والحق فيها باطلاً، والباطل فيها حقاً؛ إذا جاءهم المحق برشوة، أخرجوا له كتاب الله، وإذا جاءهم المبطل برشوة، أخرجوا له ذلك الكتاب، فهو فيه محق، وإذا جاءهم أحد يسألهم شيئاً، ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء، أمروه بالحق، فقال الله لهم: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣) » (٤).

ويقول رحمه الله في تحريف اليهود للتوراة في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ (٥): « قال ابن زيد: الحق التوراة التي أنزل الله على موسى، والباطل الذي كتبوه بأيديهم » (٦).

---

(١) سورة المائدة: آية (٤٨).

(٢) سورة البقرة: آية (٧٥).

(٣) سورة البقرة: آية (٤٤).

(٤) توفيق الرحمن، (١/ ١٥٤).

(٥) سورة آل عمران: آية (٧١).

(٦) توفيق الرحمن، (١/ ٤١٥).

ومن تحريف أهل الكتاب لكتبهم، أنهم نسبوا صفات نقص لله -تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا- وقد رد الله سبحانه على كذبهم وضلالهم .

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨﴾ [1]: « عن قتادة قال: أكذب الله اليهود والنصارى وأهل الفِرى على الله، وذلك أنهم قالوا: أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استراح يوم السابع، وذلك عندهم يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة، قال: فأكذبهم الله وقال: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ قال مجاهد: نصب، وقال ابن زيد: لم يمسنا في ذلك عناء ذلك اللغوب »[2] .

ومن التحريف الذي اقترفه النصارى، وأخبرنا به الله ﷻ في القرآن الكريم ما أدخلوه على حقيقة النبوة، من تأليه جماعة منهم لعيسى ابن مريم، وقول بعضهم بأنه ابن الله، وقول من قال منهم بالتثليث .

وقد تعرض الشيخ فيصل رحمه الله لما حصل للنصارى من الافتراق لطوائف متعددة، نتيجة لتحريفهم في أصل الإيمان الذي جاء به الرسول عليه السلام، يقول رحمه الله في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [3]: « قال البغوي: نزلت في النصارى وهم أصناف:

اليعقوبية والملكانية، والنسطورية، والمرقسية، فقالت اليعقوبية: عيسى هو الله، وكذلك الملكانية، وقالت النسطورية: عيسى هو ابن الله، وقالت المرقسية: ثالث ثلاثة، فأنزل الله هذه الآية »[4] .

وقد أرشد الشيخ فيصل رحمه الله إلى ما يجب علينا فعله تجاه الكتب السابقة، إزاء هذا

---

(١) سورة ق: آية (٣٨).

(٢) توفيق الرحمن، (٤/ ١٤٨) .

(٣) سورة النساء: آية (١٧١).

(٤) توفيق الرحمن، (٢/ ١٩) .

التحريف والتغيير الذي طرأ عليها، مكتفياً في ذلك بأحاديث الرسول ﷺ؛ فيقول رحمه الله عند تفسيره لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ (١): «روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا » (٢) .

ثم قال رحمه الله: « قال قتادة: أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا به ويصدقوا بكتبه كلها ورسله، وفي الحديث عن النبي ﷺ: (آمنوا بالتوراة والزبور والإنجيل، وليسعكم القرآن)(٣) رواه ابن أبي حاتم »(٤) .

والحاصل:

أن الشيخ فيصل رحمه الله قد أشار إلى التحريفات التي احتوتها الكتب الموجودة لدى أهل الكتاب، كما أكد على موقف المسلم من بقية الكتب سوى القرآن الكريم فلا يصدقون ولا يكذبون، فما وافق القرآن صدقنا به وما لم يُذكر توقفنا فيه .



(١) سورة البقرة: آية (١٣٦).

(٢) توفيق الرحمن، (١/ ٢٠٦) .

(٣) أخرجه الحاكم، (١/ ٧٥٧) وصححه. والبيهقي في الكبرى، (١٠/ ٩). والطبراني في الكبير، (٢٠/ ٢٢٥).

(٤) توفيق الرحمن، (١/ ٢٠٧) .



القــــرآن الكريـــــم

* *　　* *　　* *

المبحث الثالث: القرآن الكريم

أوضح لنا الشيخ فيصل رحمه الله معنى الإيمان بالقرآن الكريم نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: « الإيمان بأن القرآن كلام الله، منزل، غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة، لا كلام غيره»[1].

ثم يذكر رحمه الله بعض صفات القرآن الكريم فيقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾[2]: « قال ابن كثير: أي ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا أن هذا القرآن أساطير الأولين، بل هو كلام الله، ووحيه، وتنزيله على رسوله ﷺ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به، ما عليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا، ولهذا قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[3] »[4].

ثم يصف رحمه الله هذا القرآن بما وصفه الله به سبحانه في آياته فيقول في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾[5]: « قال ابن كثير: عزيز مكرم لأنه كلام الله؛ قال بعض أهل المعاني: الكريم الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ مصون عند الله في اللوح المحفوظ »[6].

وقال أيضاً: « عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾﴾[7]

---

(١) التعليقات السنية، ص(١١١).

(٢) سورة المطففين: آية (١٣).

(٣) سورة المطففين: آية (١٤).

(٤) توفيق الرحمن، (٤/ ٤٥٥).

(٥) سورة الواقعة: الآيتان (٧٧-٧٨).

(٦) المرجع السابق، (٤/ ٢١٠).

(٧) سورة يوسف: آية (١).

قال: بين حلاله وحرامه، قال الزجاج[1]: مبين الحق من الباطل، والحلال من الحرام، قال ابن كثير: أي الواضح الجليّ الذي يفصح عن الأشياء المبهمة ويفسرها ويبينها»[2] .

وقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[3]: « فيه الدعوة إلى إتباع القرآن، يرغِّب سبحانه عباده في كتابه ويأمرهم بتدبره والعمل به، والدعوة إليه، ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة لأنه حبل الله المتين »[4] .

خصائص القرآن الكريم:

يمتاز القرآن الكريم عن الكتب السماوية السابقة بعدة خصائص وقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله بعض هذه الخصائص وهي كالتالي:

١-أن القرآن مهيمن على الكتب السابقة:

فقد أوضح الشيخ رحمه الله أن القرآن الكريم جاء مصدقاً لما جاء في كتب الله تعالى السابقة من الحق ومهيمناً عليها، ومبيناً ما أدخل عليها من التحريف؛ يقول رحمه الله: « عن قتادة قوله: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾[5]: أميناً وشاهداً على الكتب التي خلت قبله »[6] .

ويقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن سري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، كان فاضلاً، ديناً، حسن الاعتقاد، عالماً بالنحو واللغة، توفي سنة (٣١١هـ) .

انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، (١٣/ ١٥٩) .

(٢) توفيق الرحمن، (٢/ ٤٦٩) .

(٣) سورة الأنعام: آية (١٥٥).

(٤) التعليقات السنية، ص(٩٣) .

(٥) سورة المائدة: آية (٤٨).

(٦) توفيق الرحمن، (٢/ ٧١) .

هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ [1]: « قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن الذي أنزلته إليك يا محمد، يقص على بني إسرائيل الحق في أكثر الأشياء التي اختلفوا فيها، وذلك كالذي اختلفوا فيه من أمر عيسى، فقالت اليهود فيه ما قالت، وقالت النصارى فيه ما قالت، وتبرأ لاختلافهم فيه هؤلاء من هؤلاء، وهؤلاء من هؤلاء، وغير ذلك من الأمور التي اختلفوا فيها، فقال جل ثناؤه لهم: إن هذا القرآن يقص عليكم الحق فيما اختلفتم، فاتبعوه، وأقروا لما فيه، فإنه يقص عليكم بالحق، ويهديكم إلى سبيل الرشاد»[2] .

٢-حفظ الله القرآن من التغيير:

بيّن الشيخ فيصل رحمه الله أن الله تعالى قد تكفل بحفظ القرآن الكريم، واستنبط رحمه الله الحكمة من ذلك؛ يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [3]: «عن قتادة قال: فأنزله الله ثم حفظه، فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلاً ولا ينقص منه حقاً، حفظه الله من ذلك .

وقال ابن كثير: ثم قرر تعالى أنه هو الذي أنزل عليه الذكر وهو القرآن، وهو الحافظ له من التغيير والتبديل .

قلت[4]: والحكمة في حفظ الله تعالى للقرآن دون سائر كتبه، أنه آخرها، وأن الذي جاء به خاتم الأنبياء، فأبقاه الله محفوظاً حجة على خلقه »[5] .

٣-أن القرآن معجز:

من خصائص القرآن أنه معجز في بيانه، تحدى الفصحاء والبلغاء من العرب قديماً فعجزوا، ولا يزال يتحداهم أن يأتوا بمثل سورة منه، ولن يأتوا، ولو كان بعضهم لبعض

---

(١) سورة النمل: آية (٧٦).

(٢) التعليقات السنية، ص(٩٢) .

(٣) سورة الحجر: آية (٩).

(٤) هذا كلام الشيخ فيصل رحمه الله.

(٥) توفيق الرحمن، (٢/ ٥٤٧).

ظهيراً .

قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[1] .

فالقرآن معجزة خالدة، جعله الله دليلاً على صدق نبوة نبينا محمد ﷺ وحجة على خلقه إلى قيام الساعة .

وقد أشار الشيخ فيصل رحمه الله إلى معجزة القرآن في مواضع متعددة من كتبه، -وسيأتي ذكر ذلك في الفصل الخامس من هذا الباب في المبحث السادس منه وهو معجزات بعض الأنبياء- .

وحاصل ما سبق:

أن الشيخ فيصل رحمه الله قرر مذهب السلف في الإيمان بالكتب كالآتي:

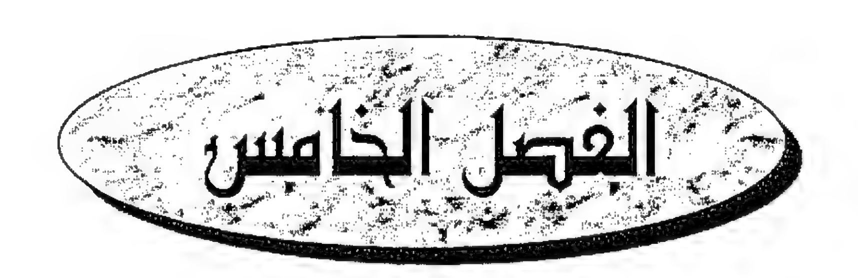
١-أن معنى الإيمان بالكتب هو: التصديق الجازم بأنها كلام الله تعالى، أنزلها على رسله إلى عباده بالحق المبين .

٢-الإيمان بهذه الكتب العظيمة على وجه الإجمال، لكونها قد حرفت .

٣-وجوب الإيمان بالقرآن الكريم على وجه التفصيل، لتولي الله -جل وعلا- حفظه سبحانه، فسلم مما لحق بالكتب الأخرى، فهو الكتاب الخاتم المنزل على النبي الخاتم، المحفوظ بحفظ الله، المهيمن على سائر الكتب السماوية السابقة، والمعجز في بيانه .



(١) سورة الإسراء: آية (٨٨).



الإيمــــان بالرســـل

وفيه تمهيد وسبعــة مباحــث : -

- المبحث الأول: معنى الإيمان بالرسل.
- المبحث الثاني: أولو العزم من الرسل.
- المبحث الثالث: خصائص الرسل.
- المبحث الرابع: صفات الرسل.
- المبحث الخامس: الإيمان بنبينا محمد ﷺ .
- المبحث السادس: معجزات بعض الأنبياء.
- المبحث السابع: الأولياء وكراماتهم.

* *   * *   * *

تمهيـــــد:

الرسل هم صفوة الخلق، وهداة البشر إلى الحق، والواسطة بين الله وعباده في تبليغ رسالاته ودينه.

ولا يخفى علينا أن إرسال الله رسله للناس من أعظم النعم وأجلها وقد أتم نعمته سبحانه ببعثة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[2].

وعلى الرغم من ثبوت النبوة بالشرع والعقل، وأن حاجة الناس إليها أعظم من حاجتهم للطعام والشراب، إلا أنه وجد في البشر من ينكرها، وقد كان للشيخ وقفات حول جوانب هذه العقيدة، هذه الوقفات هي التي شكلت مباحث هذا الفصل والتي تمحورت في التالي ..



(١) سورة آل عمران: آية (١٦٤).

(٢) سورة الأنبياء: آية (١٠٧).



المبحث الأول

معنى الإيمان بالرسل

* *   * *   * *

المبحث الأول: معنى الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل أحد أركان الإيمان كما جاء في الآيات والأحاديث، ومنها حديث سؤال جبريل عن الإيمان.

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في معنى الإيمان بالرسل عند شرحه لحديث جبريل: «والإيمان برسله هو تصديقهم فيما أخبروا به عن الله تعالى أيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، وأنهم بلغوا عن الله رسالاته، وبينوا للمكلفين ما أمرهم الله به. قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾[1] »[2].

وجميع الرسل متفقون في الدعوة إلى التوحيد الخالص، والنهي عن الشرك؛ فالغاية التي بعثوا من أجلها هي دعوة الناس إلى إفراد الله بالعبادة، والنهي عن جميع الموبقات؛ من الكفر والفسوق والعصيان.

وقد اهتم الشيخ فيصل رحمه الله بتوضيح هذه المسألة الجليلة لأهميتها، فقال رحمه الله: « قال قتادة: إنما بعث الله المرسلين [لأن][3] يُوَحَّد الله وحده، ويطاع أمره ويجتنب سخطه »[4].

وأكد لنا رحمه الله هذا الأمر في مقدمة شرحه لكتاب التوحيد؛ حيث قال: « وموضوع هذا الكتاب: في بيان ما بعث الله به رسله من توحيد العبادة »[5].

وقال أيضاً: « عن مجاهد قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا﴾[6] قال: ما

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٨٥).

(٢) محاسن الدين، ص(١٧). تطريز رياض الصالحين، ص(١٤٥).

(٣) في الأصل: « أن ».

(٤) توفيق الرحمن، (٢/ ٥٦٣).

(٥) القصد السديد، ص(٢٣).

(٦) سورة الشورى: آية (١٣).

أوصاك به وأنبياءه كلهم دين واحد »[1].

ويقول رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[2] : « به أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد »[3].

وقال رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ﴾[4].

يقول : « قال البغوي: قال أكثر المفسرين: سل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلت إليهم الأنبياء: هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد؟ ومعنى الأمر بالسؤال: التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل.

قال ابن كثير: أي: جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت الناس إليه، من عبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد، كقوله جلت عظمته: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[5] »[6].

ثم أوضح الشيخ رحمه الله أن من كفر برسول واحد، فقد كفر بجميع الرسل: لأن دعوتهم واحدة؛ فكلهم يدعو إلى التوحيد الخالص؛ فقال رحمه الله : « قيل للحسن البصري: يا أبا سعيد أرأيت قوله: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[7] و﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[8]

---

(١) توفيق الرحمن، (٤/ ١١).

(٢) سورة الأنبياء: آية (٢٥).

(٣) المرجع السابق، (٣/ ١٦).

(٤) سورة الزخرف: آية (٤٥).

(٥) سورة النحل: آية (٣٦).

(٦) المرجع السابق، (٤/ ٣٣-٣٤).

(٧) سورة الشعراء: آية (١٠٥).

(٨) سورة الشعراء: آية (١٢٣).

و﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [(١)]، وإنما أرسل إليهم رسول واحد؟! قال: إن الآخر جاء بما جاء به الأول، فإن كذبوا واحداً فقد كذبوا الرسل أجمعين » [(٢)].

وأشار الشيخ رحمه الله إلى مدح الله رسول هذه الأمة والمؤمنين الذين تابعوه، لإيمانهم ولعدم تفريقهم بين الرسل، فقد استشهد رحمه الله في بيان هذا المعنى عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [(٣)] بحديث حكيم بن جابر [(٤)] قال: « لما أنزلت على رسول الله ﷺ ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ قال جبريل: إن الله ﷻ قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك، فسل تعطه. فسأل ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ » [(٥)(٦)].

ويقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝٨٤﴾ [(٧)]: « قال ابن كثير: ﴿وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ وهذا يعم جميع الأنبياء جملة ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ يعني بل نؤمن بجميعهم. ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾،

---

(١) سورة الشعراء: آية (١٤١).

(٢) توفيق الرحمن، (٣/ ٣٠٥).

(٣) سورة البقرة: آية (٢٨٥).

(٤) حكيم بن جابر الأحمسي، ثقة وأبوه من أصحاب النبي ﷺ روى عن عمر وأبيه وعباده بن الصامت. انظر: الجرح والتعديل، عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، (١٢٧١هـ)، (٣/ ٢٠١). معرفة الثقات، أحمد العجلوني، تحقيق: عبدالعليم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ)، (١/ ٣١٦).

(٥) أخرجه ابن جرير، (٣/ ١٥٣-١٥٤).

(٦) توفيق الرحمن، (١/ ٢٣٨).

(٧) سورة آل عمران: آية (٨٤).

فالمؤمنون من هذه الأمة يؤمنون بكل نبي أرسل»[1].

ثم أشار ﷺ إلى ذم الله أهل الكتاب لإيمانهم ببعض الرسل وكفرهم ببعض، قال ﷺ: « قال قتادة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[2]: أولئك أعداء الله اليهود والنصارى، آمنت اليهود بالتوراة وموسى وكفروا بالإنجيل وعيسى، وآمنت النصارى بالإنجيل وعيسى وكفروا بالقرآن ومحمد ﷺ، فاتخذوا اليهودية والنصرانية وهما بدعتان ليستا من الله، وتركوا الإسلام وهو دين الله الذي بعث به رسله »[3].

وحاصل ما سبق: أن الشيخ ﷺ قد بيَّن لنا أن معنى الإيمان بالرسل يكون:

١-بالتصديق بأن الله ﷻ قد بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك، والكفر بما يعبد من دونه.

٢-وبوجوب الإيمان بهم جميعاً، فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم جميعاً .



(١) توفيق الرحمن، (١/ ٤٢٤).

(٢) سورة النساء: آية (١٥٠).

(٣) المرجع السابق، (٢/ ٨).



أولو العزم من الرسل

* * * * * *

المبحث الثاني: أولو العزم من الرسل .

أشار الشيخ فيصل رحمه الله إلى اختلاف العلماء في المراد بأولي العزم من الرسل في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [1] فقال: « قال عطاء الخراساني: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ، وقال ابن زيد: في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ قال: كل الرسل أولي عزم، لم يتخذ الله رسولاً إلا كان ذا عزم، فاصبر كما صبروا.

وقال بعضهم: الأنبياء كلهم أول عزم إلا يونس بن متى، لعجلة كانت منه ألا ترى أنه قيل للنبي ﷺ : ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [2] » [3].

والذي يظهر أن الشيخ فيصل رحمه الله قد رجح القول الأول، وهو أن أولو العزم خمسة، فقد ذكر رحمه الله ذلك في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [4]، قال رحمه الله : « خص هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لأنهم أصحاب الكتب والشرائع وأولي العزم من الرسل » [5].

وما قرره الشيخ فيصل رحمه الله هو المشهور عند العلماء قال شارح الطحاوية: « وأما أولو العزم من الرسل، فقد قيل فيهم أقوال أحسنها: ما نقله البغوي وغيره عن ابن عباس وقتادة: أنهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم.

قال: وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ﴾ [6]» [7].

---

(١) سورة الأحقاف: آية (٣٥).

(٢) سورة القلم: آية (٤٨).

(٣) توفيق الرحمن، (٤/ ٨٧).

(٤) سورة الأحزاب: آية (٧).

(٥) توفيق الرحمن، (٣/ ٤٨٣).

(٦) سورة الأحزاب: آية (٧).

(٧) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص(٣٣١/ ٣١٢).

وقال السفاريني رحمه الله : « أهل العزم: أي أهل الثبات والجد من الرسل، وهم على المشهور: إبراهيم الخليل، وموسى الكليم، وعيسى الروح، ونوح النجي، فيكونون خمسة بنبينا محمد ﷺ، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾، فإنهم أصحاب الشرائع »[1].

ولما كان رحمه الله يتحدث عن عدد أولو العزم من الرسل تطرق إلى عدد الأنبياء والرسل عامة، فذكر رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[2]، فقال: « في حديث أبي ذر الطويل قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعمائة وعشرون ألفاً. قلت: يا رسول الله كم الرسل منهم؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة، جم غفير »[3][4].

وحاصل ذلك:

أن الشيخ رحمه الله في ذكره لعدد الأنبياء وبيانه لأولى العزم منهم إشارة منه رحمه الله إلى أنه يجب الإيمان بالأنبياء والرسل إجمالاً بمن لم نعلم اسمه منهم، وتفصيلاً بمن علمنا اسمه، مثل أولو العزم من الرسل، وغيرهم ممن ذكرهم الله تعالى في كتابه.

---

(١) لوامع الأنوار البهية، السفاريني، (٢/ ٢٩٩).

(٢) سورة النساء: آية (١٦٤).

(٣) أخرجه ابن حبان في المجروحين، (٣/ ١٢٩). والحاكم في المستدرك، (٢/ ٥٩٧). والبيهقي في سننه، (٩/ ٤) من طريق يحي بن سعيد السعدي أو السعيدي، قال البيهقي: تفرد به يحيى بن سعيد السعيدي، وقال ابن عدي: يعرف بهذا الحديث وهو منكر من هذا الطريق، وقال العقيلي: لا يتابع عليه، وقال ابن حبان: يروي المقلوبات والملزوقات، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد.

انظر: لسان الميزان، الذهبي، (٦/ ٢٥٧)، وأخرجه أحمد من طريق آخر، (٥/ ٢٦٥). قال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف جداً. ومن هذا الطريق أخرجه الطبراني في « الكبير »، (٨/ ٢١٧).

(٤) توفيق الرحمن، (٢/ ١٥)، وانظر: المرجع نفسه، (٤/ ٥٥٦-٥٥٧).



خصائـــص الرســـــل

وفيـــه ثلاثـــة مطالـــب : –

- المطلب الأول: اصطفاء الله لهم .
- المطلب الثاني: الوحـــــي .
- المطلب الثالث: العصمـــة .

* *　　* *　　* *

المبحث الثالث: خصائص الرسل

اختص الله تعالى الرسل بأمور تفردوا بها دون سائر البشر، فضلاً منه ورحمة.

وقد أشار الشيخ فيصل رحمه الله إلى بعض هذه الخصائص التي اختص بها الأنبياء في مواضع متعددة في كتبه؛ ويتضح ذلك في المطالب الآتية ..

المطلب الأول: اصطفاء الله لهم

النبوة ليست غاية توصل إليها الطرق فيبلغها البشر بجهدهم، ولا رتبة تنال بالكسب، إنما هي منزلة عالية ورتبة خاصة يختار لها الله تعالى بمحض فضله من يشاء من خلقه فيعدهم ويهيئهم لتحملها، فالنبوة منحة إلهية ونعمة ربانية.

وقد ذكر الشيخ رحمه الله هذه الخاصية للرسل عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [1] يقول رحمه الله: « قال البغوي: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي﴾ يعني يختار ﴿مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا﴾ وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وغيرهم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني يختار من الناس رسلاً، مثل: إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، نزلت حين قال المشركون: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ﴾ [2] فأخبر أن الاختيار إليه يختار من يشاء من خلقه » [3].

وأوضح رحمه الله توبيخ الله ﷻ للمتعنتين الذين أرادوا تحديد من يستحق شرف نبوته ورسالته؛ فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ۝﴾ [4]: « قال البغوي: يعني مفاتيح

---

(١) سورة الحج: آية (٧٥).

(٢) سورة ص: آية (٨).

(٣) توفيق الرحمن، (٣/ ١٨٤).

(٤) سورة ص: آية (٩-١٠).

النبوة يعطونها من شاءوا؟ ونظيره ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [1] أي: نبوة ربك؟ ﴿الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ العزيز في ملكه، الوهاب وهب النبوة لمحمد ﷺ ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: ليس لهم ذلك ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ أي: إن ادعوا شيئاً من ذلك فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء، فليأتوا منها بالوحي إلى من يختارون. قال مجاهد وقتادة: أراد بالأسباب أبواب السماء وطرقها من سماء إلى سماء، وكل ما يوصلك إلى شيء من باب أو طريق فهو سببه، وهذا أمر توبيخ وتعجيز » [2].

وذكر الشيخ رحمه الله اصطفاء الله لبعض أنبيائه عند تفسيره للآيات الكريمة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [3]، «قال قتادة: ذكر الله أهل بيتين صالحين، ورجلين صالحين، فضلهم على العالمين، فكان محمد من آل إبراهيم. وقال الحسن: فضلهم على العالمين بالنبوة على الناس كلهم، كانوا هم الأنبياء الأتقياء المصطفين لربهم » [4].

ويقول رحمه الله عن نبي الله موسى عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [5]: « قال البغوي ﴿مُخْلَصًا﴾: أي مختاراً اختاره الله» [6].

وحاصل ذلك: أن الشيخ رحمه الله أرشد إلى أن الرسل قد اصطفاهم الله تعالى لرسالته التي لا تنال بالعظمة ولا بالعمل، بل هي فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده.



(١) سورة الزخرف: آية (٣٢).

(٢) توفيق الرحمن، (٣/ ٦٢٤).

(٣) سورة آل عمران: آية (٣٣).

(٤) المرجع السابق، (١/ ٣٩٣).

(٥) سورة مريم: آية (٥١).

(٦) المرجع السابق، (٣/ ٥٨).

المطلب الثاني: الوحي

سمى الله الطريق الذي يعلم به أنبياءه ورسله وحياً، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [1] والوحي يأتي بمعان متعددة، وله مقامات مختلفة، وبيان ذلك فيمايلي:

أولاً: معاني الوحي:

لقد بيّن الشيخ رحمه الله بعض معاني كلمة « وحي » في القرآن الكريم، ومنها:

أ-أكثر ما وردت كلمة « وحي » في القرآن الكريم بمعنى إخبار وإعلام الله من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من الغيب والعلم.

وقد أشار الشيخ رحمه الله إلى هذا المعنى عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [2]، فيقول: « قال ابن عباس: فأعلم الله سبحانه الرسل من الغيب: بالوحي، أظهرهم عليه بما أوحى إليهم من غيبه، وما يحكم الله فإنه لا يعلم ذلك غيره » [3].

ب-وقد يكون بمعنى الإلهام.

وقد أشار رحمه الله إلى هذا المعنى في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾ [4] يقول: « قال الحسن: ألهمهم الله ذلك » [5].

---

(١) سورة النساء: آية (١٦٣).

(٢) سورة الجن: آية (٢٦-٢٧).

(٣) توفيق الرحمن، (٤/ ٣٧٧).

(٤) سورة المائدة: آية (١١١).

(٥) المرجع السابق، (٢/ ١١٤).

ويقول أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [1]: « قال البغوي: أي: ألهمها وقذف في أنفسها ففهمته » [2].

جـ-ويأتي الوحي بمعنى الإيماء والإشارة:

يقول الشيخ رحمه الله في معنى الوحي الذي أشار به زكريا عليه السلام إلى قومه في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [3]: « قال الحسن: أمسك بلسانه، فجعل يومئ بيده إلى قومه أن سبحوا بكرة وعشياً » [4].

والمعنى المراد به هنا: هو المعنى الأول.

وقد أوضح الشيخ رحمه الله بأن الوحي مما اختص الله به رسله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [5]: « قال ابن عباس: علم الله رسوله التواضع لئلا يزهو على خلقه، فأمره أن يقر فيقول: أنا آدمي مثلكم إلا أني خصصت بالوحي، وأكرمني الله به » [6].

ثانياً: مقامات الوحي:

مقامات الوحي ثلاثة، بيّنها الله سبحانه في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [7].

وقد أكد الشيخ فيصل رحمه الله هذه المقامات الثلاث عند تفسيره للآية الكريمة السابقة، فقال: « قال ابن كثير: هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله عز وجل، وهو أنه تبارك

(١) سورة النحل: آية (٦٨).

(٢) توفيق الرحمن، (٢/ ٥٨١).

(٣) سورة مريم: آية (١١).

(٤) المرجع السابق، (١/ ٣٩٨).

(٥) سورة الكهف: آية (١١٠).

(٦) المرجع السابق، (٣/ ٤٣).

(٧) سورة الشورى: آية (٥١).

وتعالى يقذف في روع النبي ﷺ شيئاً لا يتمارى فيه أنه من عند الله ﷻ كما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن روح القدس نفث في روعي: أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)[1].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام فإنه سأل الرؤية بعد التكليم فحجب عنها؛ وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال لجابر بن عبدالله[2] ﷺ: (ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب، وأنه كلم أباك كفاحاً)[3] كذا جاء في الحديث؛ وكان قد قتل يوم أحد، ولكن هذا في عالم البرزخ؛ والآية إنما هي في الدار الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ كما ينزل جبريل عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام »[4].

---

(١) أخرجه -بهذا اللفظ- أبو نعيم، في « الحلية »، (١٠/ ٢٧) من حديث أبي أمامة بسند ضعيف، لكن له شاهد من حديث ابن مسعود ﷺ بنحوه أخرجه البغوي، في شرح السنة، (١٤/ ٣٠٣-٣٠٥). والحاكم، (٢/ ٤) بسند ضعيف، وله شاهد من حديث جابر ﷺ بنحوه: أخرجه ابن حبان، (٥/ ٩٨-٩٩). والحاكم، (٢/ ٤)، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وروي مرسلاً عن المطلب: أخرجه البغوي، في « شرح السنة »، (١٤/ ٣٠٣)، فالحديث بشواهده: صحيح -إن شاء الله-.

تنبيه: لم يرد هذا الحديث بهذا اللفظ عند ابن حبان كما توهمه ابن كثير، وتبعه عليه المصنف رحمهما الله.

(٢) هو جابر بن عبدالله بن حرام الأنصاري السلمي، أبو عبدالله، شهد العقبة الثانية، وقد غزا مع رسول الله ﷺ جميع الغزوات عدا بدراً وأحداً، وكان من المكثرين من رواة الأحاديث وكان والده عبد الله قد استشهد بأحد، وقد خلف وراءه ديناراً وعيالاً، مات جابر سنة (٧٨هـ)، وعمره (٩٤) سنة.

انظر: الاستيعاب، ابن عبدالبر، (١/ ٢١٩-٢٢١). الإصابة، ابن الحجر، (١/ ٤٣٤).

(٣) هذا الحديث ليس في الصحيح كما توهمه ابن كثير، وتبعه عليه الشيخ فيصل رحمهما الله، فالحديث أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة آل عمران، (ح/ ٣٠١٠)، وقال: «حسن غريب ». وابن ماجه، باب فيما أنكرت الجهمية، (ح/ ١٩٠).

(٤) توفيق الرحمن، (٤/ ٢٠-٢١).

المطلب الثالث: العصمة

من الخصائص التي اختص الله بها الأنبياء عن بقية البشر، عصمتهم من الزلات والخطايا وعزوفهم عن الشهوات، واجتنباهم لكل ما يخل المروءة، أو يحط من قدر الإنسان، حتى يؤدوا أمانة الوحي إلى أممهم، وليكونوا قدوة للبشر؛ فهم الهداة الذين أمرنا الله بالاقتداء بهم، وعصمة الأنبياء تشمل أمرين هما: العصمة في التبليغ، والعصمة من الذنوب. وقد أوضح الشيخ فيصل رحمه الله ما يتعلق بعصمة الأنبياء على النحو التالي:

أ-العصمة في التبليغ:

الرسل معصومون في تحمل الرسالة، فلا ينسون شيئاً مما أوحاه الله إليهم إلا شيئاً قد نُسخ.

وقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله في بيان تكفل الله لرسوله ﷺ بأن يقرئه القرآن فلا ينسى شيئاً إلا ما يشاء أن ينسيه إياه؛ فيقول رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝﴾[1]، « قال قتادة: كان ﷺ لا ينسى شيئاً إلا ما شاء الله؛ قال البغوي: وهو ما نسخ الله تلاوته من القرآن »[2].

وأوضح رحمه الله أنهم معصومون في التبليغ، فالرسل لا يكتمون شيئاً مما أوحاه الله إليهم، فيقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ : « عن ابن عباس قال: يعني إن كتمت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالتي »[3].

وقال رحمه الله في موضع آخر ما يدل على أنه لو حدث شيء من الكتمان أو التغيير لما أوحاه الله وليس كذلك فإن عقاب الله يحل به، فيقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ

---

(١) سورة الأعلى: آية (٦-٧).

(٢) توفيق الرحمن، (٤/ ٤٧٤-٤٧٥).

(٣) المرجع السابق، (٢/ ٨٦).

تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (1): « قال ابن كثير: أي: محمد ﷺ، لو كان كما يزعمون مفترياً علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئاً من عنده فنسبه إلينا، وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة.

وقال ابن جرير: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا ﴾ محمد بعض الأقاويل الباطلة، وتكذب علينا ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ يقول أخذنا منه بالقوة منا والقدرة ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ﴾ نياط القلب. وعن ابن عباس: ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ يقول: عروق القلب، وقال مجاهد: حبل القلب الذي في الظهر » (2).

وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ (3): « قال ابن زيد: كان يُقال: لو أن رسول الله ﷺ كتم من الوحي شيئاً كتم هذا عن نفسه » (4).

والأمر يستدعي الوقوف عند تساؤل وارد ألا وهو:

هل يقع اللبس في الوحي من جهة الإلقاء الشيطاني بحيث يمكن أن يسمع الناس ما يظنون أنه مما يبلغه النبي وحياً عن الله تعالى مع أنه ليس بوحي، ولم ينطق به النبي، أم أن وقوع ذلك ممتنع؟.

من العلماء من ذهب على أن الإلقاء الشيطاني في الوحي ممتنع، لأنه مناقض للعصمة على أي وجه كان، ولذلك أنكروا قصة الغرانيق وأن الشيطان ألقى في تلاوة النبي ﷺ قوله: (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) (5).

---

(1) سورة الحاقة: آية (٤٤-٤٦).

(2) توفيق الرحمن، (٤/ ٣٥١).

(3) سورة عبس: آية (١-٢).

(4) المرجع السابق، (٤/ ٤٣٦).

(5) قصة الغرانيق ضعفها كثير من المحدثين، بل قال بعضهم أنها موضوعة. قال ابن كثير في تفسيره، (٣/ ٢٣٠): « لكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسنده من وجه صحيح »، وقال الشوكاني في تفسيره، (٣/ ٥٧٢-٥٧٣): « لم يصح شيء من هذا، ولا ثبت بوجه من الوجوه.. قال البزار: هذا =

وبعض العلماء قالوا: بإمكان الإلقاء الشيطاني في الوحي، لكن على وجه لا ينافي العصمة. واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ۝ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ﴾[1] .

وقال أصحاب هذا القول: إن التمني في الآية هو بمعنى التلاوة والقراءة وأن معنى الآية على ذلك: أن الشيطان يلقي في تلاوة النبي بما يشبه صوت النبي ما يظن الناس أنه من تلاوة النبي للوحي، مع أنه من إلقاء الشيطان، لكن ذلك لابد أن ينسخ، لأن بقاءه مناف للعصمة، وأن وقوع ذلك يكون لما ذكر الله من الحكمة؛ وهي أنه يكون فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم، وأما المؤمنون فيعلمون إذا نسخ ذلك الإلقاء الشيطاني أن ما يوحيه الله إلى نبيه حق لا يمكن أن يقر الله فيه الاشتباه واللبس[2].

وممن ذهب إلى هذا القول من العلماء: الشيخ فيصل رحمه الله حيث ذكر في تفسير الآيات السابقة قصة الغرانيق، دون الحكم عليها بشيء مما يدل على أنه يرى أنها ثابتة[3][4].

وما ذهب إليه الشيخ رحمه الله في هذه المسألة قد ذهب إليه كثير من علماء الأمة

حديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل. وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم أن رواة القصة مطعون فيهم، وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة » . وللشيخ الألباني رسالة في إبطالها، أسماها: (نصب المجانيق في نسف قصة الغرانيق).

(١) سورة الحج: آية (٥٢-٥٤).

(٢) انظر: المعرفة في الإسلام، عبدالله القرني، ص(١٢٦-١٢٨).

(٣) ذكر الحافظ ابن حجر أن لها أصلاً، فقال: « إن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلاً، وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح. وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض » فتح الباري، (٨/ ٤٣٩).

(٤) انظر: توفيق الرحمن، (٣/ ١٧٦-١٧٧).

المعتبرين؛ من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله،والإمام ابن جرير، والحافظ ابن حجر[١]، والشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ[٢].

وسأذكر بعض أقوالهم المؤيدة لما ذهب إليه الشيخ رحمه الله: يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: « إن نسخ الله لما يلقي الشيطان وإحكامه إنما يكون لرفع ما وقع في آياته،وتمييز الحق من الباطل حتى لا تختلط آياته بغيرها،وجعل ما ألقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم إنما يكون إذا كان ذلك ظاهراً يسمعه الناس لا باطناً في النفس، ...فبيان الرسول ﷺأن الله أحكم آياته ونسخ ما ألقاه الشيطان هو أدل على تحريه الصدق وبراءته من الكذب »[٣].

وقال الإمام ابن جرير رحمه الله بعد ذكر أن التمني في الآية بمعنى التلاوة: « وهذا القول أشبه بتأويل الكلام، بدلالة قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٤] على ذلك، لأن الآيات التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها لا شك أنها آيات تنزيله، فمعلوم أن الذي ألقى فيه الشيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه »[٥].

وحاصل ذلك:

أن عصمة الرسل في تبليغ الوحي ثابتة، فأما على القول بنفي إمكان الإلقاء الشيطاني في الوحي فظاهرة، وأما على القول بإمكان ذلك فإنه لا بد من نسخه وعدم إقراره،ومع أن هذا هو ظاهر الآيات السابقة؛ فإنه أدل على ثبوت العصمة من القول الآخر لمن تأمله حق

(١) انظر:فتح الباري، ابن حجر، (٨/ ٤٣٨-٤٤٠).

(٢) انظر:تيسير العزيز الحميد، سليمان بن عبدالله، ص(٢٨١-٢٨٤).

(٣) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ٢٩١-٢٩٢).

(٤) سورة الحج: آية (٥٢).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، (١٧/ ١٩٠).

التأمل.

ب-العصمة من الذنوب:

إن عصمة الله تعالى لرسله في تحمل الرسالة وتبليغها؛ لا يلزم منها العصمة من صغائر الذنوب التي أخبرت نصوص الكتاب والسنة بوقوعها منهم، وذلك بحكم كونهم بشراً، ويؤكد الشيخ رحمه الله هذا المعنى عند شرحه لحديث أبي موسى الأشعري[1]،عن النبي ﷺ: أنه كان يدعو بهذا الدعاء: (اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي.. الحديث)[2] قال: (هفوات الطبع البشري لا يسلم منها أحد. والأنبياء وإن عصموا من الكبائر لم يعصموا من الصغائر)[3].

وأضاف رحمه الله بأن الرسل والأنبياء لا يصرون على الصغائر عند وقوعها منهم، ولا يؤخرون التوبة، وهم بعد التوبة أكمل منهم قبلها، فهم معصومون من الإصرار على الصغائر، ويكون ذلك أحرى بالاقتداء بهم في التوبة من المعاصي.

يقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾[4]: «وعن مجاهد قوله: ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ قال: ذا القوة في طاعة الله ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ إنه رجّاع عن الذنوب»[5].

---

(١) هو عبدالله بن قيس بن سليم الأشعري اليماني، خرج من اليمن قاصداً النبي ﷺ فألقتهم الريح بأرض الحبشة، فرافقوا جعفر بن أبي طالب والصحابة، فعادوا معاً إلى المدينة، استعمله النبي ﷺ على زبيد وعدن، وعمر على الكوفة، مات سنة ٤٢هـ.

انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٤/ ١٠٥). تهذيب التهذيب، ابن كثير، (٥/ ٣٦٢-٣٦٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، (ح/ ٦٠٣٥). ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (ح/ ٢٧١٩).

(٣) تطريز رياض الصالحين، ص(٨١١).

(٤) سورة ص: آية (١٧).

(٥) توفيق الرحمن، (٣/ ٦٢٥).

وأشار الشيخ رحمه الله إلى أن الأعراض البشرية الجِبِلِّية يجوز وقوعها من الأنبياء والرسل، بحكم أنهم بشر، وهذا لا ينافي عصمتهم، ولا ينقص من علو شأنهم، يقول رحمه الله في تعليقه على الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله، فقيل له: قل إن شاء الله فلم يقل فطاف بهن فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان، قال: فقال رسول الله ﷺ لو قال: إن شاء الله لم يحنث وكان ذلك دركاً لحاجته) [1].

يقول رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: « وفيه جواز السهو على الأنبياء وأن ذلك لايقدح في علو منصبهم » [2].

وما ذهب إليه الشيخ رحمه الله في عصمة الرسل عليهم السلام موافق لما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: « الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه... -إلى أن قال- : وأما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع... والقول الذي عليه جمهور الناس -وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف- إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقاً » [3].

والخلاصة:

أن الشيخ رحمه الله قد ذكر لنا بعض خصائص الرسل التي اختصهم الله بها دون سائر البشر ومنها:

١-أن الله اصطفاهم واختارهم دون غيرهم من الخلق، فضلاً منه ورحمة.

---

(١) أخرجه بلفظه: النسائي في كتاب الإيمان والنذور، باب الاستثناء، (/ ٣٨٥٦)، وجاء بلفظ مقارب عند البخاري في كتاب القدر، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، (ح/ ٦٢٦٣). ومسلم، كتاب الإيمان، باب الاستثناء، (ح/ ١٦٥٤).

(٢) خلاصة الكلام، ص(٢٦٩).

(٣) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (١٠/ ٢٨٩-٢٩٣).

٢-إكرامهم بالوحي لتبليغهم بالرسالة، حتى يبلغوها لمن أرسلوا إليهم.

٣-الإيمان بأن الأنبياء معصومون في تبليغ الرسالة، فقد بلغوا جميع ما أرسلوا به من ربهم، وهم معصومون من الكبائر ومن الإصرار على الصغائر، فما وقع منهم من زلات لا يُصرون عليها بل يوفقون للتوبة منها.





صفات الرسل

وفيه ثلاثة مطالب : -

۞ المطلب الأول: بشرية الرسل .

۞ المطلب الثاني: عدم علم الرسل بالغيب .

۞ المطلب الثالث: صبر الرسل .

* *   * *   * *

المبحث الرابع: صفات الرسل

الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- هم المثل الأعلى في صفاتهم وأخلاقهم وقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله بعض هذه الصفات كما في المطالب التالية ..

المطلب الأول: بشرية الرسل

أرسل الله سبحانه وتعالى رسله إلى الناس بشراً من جنسهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [1].

وقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله بشرية الرسل والأنبياء عند تفسيره للآية السابقة؛ فقال: «قال ابن عباس: لما بعث الله محمداً رسوله أنكرت العرب ذلك، فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد، فأنزل ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [2] وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ يعني: أهل الكتب الماضية أبشراً كانت الرسل التي أتتهم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة أتتكم، وإن كانوا بشراً فلا ينكروا أن يكون محمد رسولاً. قال: ثم قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ [3] أي: ليسوا من أهل السماء كما قلتم» [4].

وأكد الشيخ رحمه الله أن الرسل تجري عليهم الأعراض البشرية ولا تنقص من مراتبهم العلية، فهم يأكلون ويشربون، وينامون، ويمرضون، فيقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾ [5]: «قال ابن جرير: أراه أنا يقول: يخبروكم أن الرسل كانوا رجالاً يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، وقال

---

(١) سورة النحل: آية (٤٣).

(٢) سورة يونس: آية (٢).

(٣) سورة يوسف: آية (١٠٩).

(٤) توفيق الرحمن، (٢/ ٥٧٣- ٥٧٤)، (٤/ ٣١).

(٥) سورة الأنبياء: آية (٨).

الضحاك: في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ يقول: لم نجعلهم جسداً لا يأكلون الطعام.

قال ابن كثير: أي قد كانوا بشراً من البشر يأكلون ويشربون مثل الناس »[1].

ويقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾[2]: « قال ابن عباس: لما عيّر المشركين رسول الله ﷺ وقالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ أنزل الله ﷻ هذه الآية، أي ما كنت بدعاً من الرسل، وهم كانوا بشراً يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق »[3].

وقد أشار الشيخ رحمه الله إلى الحكمة في بشرية الرسل، فلو كانوا ملائكة لعجل الله للناس العقوبة عند تكذيبهم للرسل، ولما استطاع الناس الأنس بهم للفارق بينهم، فالاتصال بالملائكة ورؤيتهم أمر ليس بسهل، فيقتضي هذا بأن الله سبحانه لو شاء أن يرسل ملكاً رسولاً إلى البشر لجعله رجلاً ليمكنهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه، ولو كان كذلك لالتبس الأمر عليهم، فيكون لا فائدة من إرسال الرسل من الملائكة؛ يقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝﴾[4]: « وعن قتادة يقول: ولو أنهم أنزلنا إليهم ملكاً ثم لم يؤمنوا لن ينظروا، وقال ابن عباس: لو أتاهم ملك في صورته لماتوا. وعن قتادة ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ يقول: في صورة آدمي قال ابن عباس: لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ قال السدي[5]: يقول: شبهنا عليهم ما

(١) توفيق الرحمن، (٣/ ١١٣).

(٢) سورة الفرقان: آية (٢٠).

(٣) المرجع السابق، (٣/ ٢٧١).

(٤) سورة الأنعام: آية (٨-٩).

(٥) هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة، الإمام المفسر أبو محمد الحجازي ثم الكوفي الأعور السدي، =

يشبهون على أنفسهم. وقال قتادة: ما لبس قوم على أنفسهم إلا لبس الله عليهم، واللبس إنما هو من الناس »[1] .

ويبين الشيخ رحمه الله ما يكون من مقتضى بشرية الرسل وهو أنهم يتعرضون للابتلاء كما يتعرض البشر، فهم لا يصابون بالبلاء فحسب، بل هم أشد الناس بلاءً، يقول رحمه الله: « قال النووي: وفي هذا وقوع الأسقام والابتلاء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم؛ لينالوا بذلك جزيل الأجر والثواب، ولتعرف الأمم ما أصابهم فيتأسوا بهم »[2] .

كما استشهد بحديث رسول الله ﷺ حينما قال: (أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء)[3].



أحد موالي قريش، قيل أنه رأى أبا هريرة والحسن بن علي، قال عنه أحمد: ثقة، مات سنة (١٢٧هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٥/ ٢٦٤-٢٦٥). طبقات المفسرين، الداودي،(١/ ١٥) .

(١) توفيق الرحمن، (٢/ ١٢٢-١٢٣) .

(٢) القصد السديد، ص(٨٢) .

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله، باب ما جاء في الصبر على البلاء، (ح/ ٢٣٩٨). وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، (ح/ ٤٠٢٣). وأحمد، (١/ ١٨٥). والحاكم، (١/ ٤٠-٤١)، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (ح/ ٩٩٢)، (١/ ١٣٠) .

المطلب الثاني: عدم علم الرسل بالغيب

علم الغيب من خصائص الألوهية، وليس من صفات الأنبياء؛ لأنهم بشر اصطفاهم الله لتبليغ رسالته، ولا يعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه، وأذن لهم به .

وقد تناول الشيخ فيصل رحمه الله هذا الموضوع بذكر الأدلة التي تؤكد عجز الأنبياء عن الإطلاع على الغيب، فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾[1]: « قال ابن كثير: يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول معلماً لجميع الخلق أنه لا يعلم أحد من أهل السماوات والأرض الغيب إلا الله ... وعن عائشة رضي الله عنها قالت: من زعم أنه يعلم -تعني النبي ﷺ- ما يكون في غد، فقد أعظم على الله الفرية، لأن الله تعالى يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ﴾[2] »[3].

ثم ذكر رحمه الله أن الله أمر نبيه ﷺ بأن يقول للناس بأنه بشر مثلهم، وهذا مما يؤكد على عدم علمه بالغيب إلا ما أطلعه الله عليه عن طريق الوحي، يقول رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[4]: « أي: فإني لا أعلم الغيب إلا ما أطلعني الله عليه من خبر أصحاب الكهف وذي القرنين وغير ذلك »[5] .

ويؤكد رحمه الله على أن الرسول ﷺ عجز عن الاطلاع على أمور كانت تخصه في حياته -عليه الصلاة والسلام-، يقول رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ

---

(١) سورة النمل: آية (٦٥) .

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء، (ح/ ١٧٧) .

(٣) توفيق الرحمن، (٣/ ٣٤١-٣٤٢) .

(٤) سورة الكهف: آية (١١٠) .

(٥) المرجع السابق، (٣/ ٤٢) .

لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾[1]: « عن ابن عباس ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾، أي: من المال. وفي رواية: لعلمت إذا اشتريت شيئاً ما أربح فيه، فلا أبيع شيئاً إلا ربحت فيه ولا يصيبني الفقر. وقال ابن زيد: في قوله: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ قال: لاجتنبت ما يكون من الشر واتقيته »[2].

(١) سورة الأعراف: آية (١٨٨).

(٢) توفيق الرحمن، (٢/ ٢٧٦).

المطلب الثالث: صبر الرسل

أرسل الله ﷻ رسله إلى الناس مبشرين ومنذرين يدعونهم إلى طاعة الله ويحذرونهم من مخالفة أمره، وهذا عمل صعب ومسلك شاق لا يطيقه كل أحد؛ وبما أن رسل الله هم الصفوة فهم أهل لذلك، فقد واجهوا في سبيل دعوتهم صنوف المشاق وأنواع الأذى فلم يثن ذلك عزائمهم ولم يوقف إقدامهم.

وقد أوضح الشيخ فيصل رحمه الله بأن الله تعالى قد قص علينا أخبار بعض أنبيائه وما نالوه من الأذى في سبيل الدعوة إلى الله، وما كان منهم من الصبر والتحمل في سبيل ظهور الحق وإعلاء كلمة الله تعالى، وفي ذلك تعزية للرسول ﷺ مما لحق به من أذى، وحثاً له على الصبر أسوة بالرسل قبله، فيقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟﴾ [1]: « قال قتادة: يعزي نبيه ﷺ كما تسمعون، ويخبره أن الرسل قد كذبت قبله، فصبروا على ما كذبوا حتى حكم الله وهو خير الحاكمين » [2].

وبيّن رحمه الله ما وعد الله به محمد ﷺ إن صبر على قومه؛ فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [3]: « يقول تعالى: اصبر يا محمد على ما يقول قومك، فإن الرفعة والعاقبة لك، كما كانت للرسل قبلك » [4].

ويقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [5]: « ﴿فَٱصْبِرْ﴾ يا محمد على أذى قومك ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ وسينصرك عليهم ويظهر دينه » [6].

وقد استدل رحمه الله بما يدل على صبر الرسول ﷺ على قومه متأسياً بالرسل قبله، فقال:

---

(١) سورة الأنعام: آية (٣٤).

(٢) توفيق الرحمن، (٢/ ١٣٢).

(٣) سورة ص: آية (١٧).

(٤) المرجع السابق، (٣/ ٦٢٥).

(٥) سورة غافر: آية (٥٥).

(٦) المرجع السابق، (٣/ ٦٨٩).

«وفي الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ قال: (قسم رسول الله ﷺ ذات يوم قسماً فقال رجل من الأنصار: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، فقلت: يا عدو الله أما لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فاحمر وجهه ثم قال: « رحمة الله على موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر)[1] »[2].

والحاصل: أن الشيخ رحمه الله ذكر أن من صفات رسل الله أنهم بشر، فتلحقهم خصائص البشرية من مرض وغيره، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء فلا يعلمون الغيب، وهم أكمل الخلق علماً وعملاً، وصبراً على الأذى في تبليغ رسالة ربهم.



(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، (ح/ ٢٩٨١)،وفي كتاب المغازي، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، (ح/ ٤٠٨١). ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم، (ح/ ١٠٦٢).

(٢) توفيق الرحمن، (٣/ ٥٢٠).



المبحث الخامس

الإيمان بنبينا محمد ﷺ

وفيــه أربعــة مطالــــب : –

☼ المطلب الأول: من خصائص النبي محمد ﷺ .

☼ المطلب الثاني: حقوقه ﷺ على أمته .

☼ المطلب الثالث: حقوق صحابته عليه الصلاة والسلام .

☼ المطلب الرابع: حقوق آل بيته ﷺ .

* *   * *   * *

المبحث الخامس: الإيمان بنبينا محمد ﷺ

لقد قامت الدلائل بإثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ وصحة رسالته، وأن الله قد ختم جميع النبوات، فالإيمان بنبوته ﷺ أصل عظيم من أصول الإيمان، فأول أركان الإيمان: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

وقد بين الشيخ فيصل رحمه الله الواجب على المسلم تجاه رسولنا محمد رسول الله، وهو معنى شهادة أن محمداً رسول الله بتصديقه عليه الصلاة والسلام فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، يقول رحمه الله: « والنصيحة لرسوله: تصديقه ومحبته، وطاعته، ونشر سنته والعمل بها، والتأدب عند قراءتها، ومحبة أهل بيته وأصحابه »[1].

وقد اهتم الشيخ رحمه الله ببيان هذا الأصل العظيم، فقد ذكر رحمه الله جملة من خصائص النبي ﷺ ثم أرشدنا إلى حقوقه ﷺ على أمته، وحقوق صحابته وآل بيته؛ ليكون المؤمن على بصيره، فيعطي كل ذي حق حقه.

ويظهر ذلك جلياً في المطالب التالية ..



(١) محاسن الدين، ص(٣٣)، انظر: تطريز رياض الصالحين، ص(١٤٥).

المطلب الأول: بعض خصائص النبي ﷺ

اصطفى الله تعالى نبيه محمد ﷺ، وفضله على العالمين، وأكرمه بخصائص لم يعطها غيره من الأنبياء والمرسلين، فكانت رسالته عامة للإنس والجن أجمعين، وكان خاتم النبيين، وغيرها من الخصائص التي جاء بها دليل الشرع مما يجب اعتقاده والإيمان به. وقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله بعض خصائص النبي ﷺ وهي ما يلي:

١-عموم رسالته ﷺ:

لقد تميَّزت الرسالة المحمدية بأنها رسالة عالمية لعامة الثقلين الإنس والجن، والأبيض والأسود، والعربي والعجمي.

وقد أكد الشيخ فيصل رحمه الله عموم رسالة نبينا محمد ﷺ فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١): « ذكر ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال: ﴿تَبَارَكَ﴾ تفاعل من البركة، وهو كقول القائل: تقدس ربنا فقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ يقول: تبارك الذي نزل الفصل بين الحق والباطل فصلاً بعد فصل، وسورة بعد سورة.

﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾: محمد ﷺ؛ ليكون محمد لجميع الجن والإنس الذين بعثه الله إليهم داعياً إليه » (٢).

ويقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (٣): « قال ابن زيد: لم يرسل الله رسولاً إلى الناس عامة إلا نوحاً بدأ به، فكان رسول أهل الأرض كلهم، ومحمد ﷺ ختم به » (٤).

---

(١) سورة الفرقان: آية (١).

(٢) التعليقات السنية، ص(٦٢).

(٣) سورة الأعراف: آية (١٥٨).

(٤) توفيق الرحمن، (٣/ ٢٦٧).

ثم استشهد رحمه الله على عموم دعوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بحديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ فيقول: « وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار)[1] »[2].

ويقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾[3]: « قال البغوي: أرسل الله محمداً إلى العرب والعجم، فأكرمهم على الله؛ أطوعهم له »[4].

٢-أنه خاتم الأنبياء والمرسلين:

قد أكمل الله تعالى لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، على يد المبعوث رحمة للعالمين، خاتم الأنبياء والمرسلين والآيات الدالة على ختم النبوة بالنبي محمد ﷺ كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[5].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير الآية: « ختم الله به النبوة، وعن ابن عباس أن الله تعالى لما حكم أن لا نبي بعده، لم يعطه ولداً ذكراً يصير رجلاً.. وعن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: (مثلي ومثل الأنبياء، كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأحسنها، إلا موضع لبنة، فكان من دخلها فنظر إليها قال: ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة، فأنا موضع اللبنة، ختم بي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)[6] متفق عليه »[7].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، (ح/ ١٥٣).

(٢) توفيق الرحمن، (٢/ ٢٥٩-٢٦٠).

(٣) سورة سبأ: آية (٢٨).

(٤) المرجع السابق، (٣/ ٥٤٠).

(٥) سورة الأحزاب: آية (٤٠).

(٦) المرجع السابق، (٣/ ٥٠٤).

(٧) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، (ح/ ٣٣٤٢)، واللفظ له. ومسلم، كتاب =

ويؤكد الشيخ رحمه الله على ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ في تفسيره لقول الله تعالى على لسان نبيه عيسى عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[1]: « وأنا مبشر بمن بعدي، وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد، فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشراً بمحمد، وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة، وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم[2]، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب)[3] »[4].

٣-كما بيّن الشيخ رحمه الله أن من الخصائص التي اختص بها الرسول ﷺ دون غيره من الناس؛ حديثه ﷺ وما فيه من جوامع الكلم، أي الألفاظ القليلة المفيدة للمعاني الكثيرة، كما جاء ذلك في الصحيحين في الحديث الذي رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (أعطيت جوامع الكلم)[5]؛ وقد ذكر الشيخ رحمه الله هذه الخاصية في مواضع متعددة من كتبه؛ فيقول رحمه الله عند شرحه لحديث رسول الله ﷺ الذي رواه أبي عمرو سفيان بن عبدالله رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك،

الفضائل، باب كونه، ﷺ خاتم النبيين، (ح/ ٢٢٨٧).

(١) سورة الصف: آية (٦).

(٢) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبدالمناف بن قصي القرشي النوفلي أبو محمد وقيل أبو عدي المدني، قدم على النبي ﷺ المدينة في فداء أساري بدر وهو مشرك ثم أسلم بعد ذلك قبل عام خيبر وقيل يوم الفتح، له صحبة وروى عن الرسول ﷺ وهو عارف بالأنساب، توفي سنة (٥٩هـ) وقيل (٥٨هـ).

انظر: تهذيب التهذيب، ابن حجر، (٢/ ٥٦). تقريب التهذيب، ابن حجر، (١/ ١٣٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الصف، (ح/ ٤٦١٤). ومسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، (ح/ ٢٣٥٤).

(٤) توفيق الرحمن، (٢/ ٢٧١).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي ﷺ: (نصرت بالرعب..)، (ح/ ٢٨١٥). ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (ح/ ٥٢٣).

قال: قل آمنت بالله ثم استقم) [١]: « هذا الحديث من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ، فإنه جمع لهذا السائل في هاتين الكلمتين معاني الإسلام والإيمان كلها، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [٢] »[٣].

٤-ومن خصائص الرسول ﷺ التي ذكرها الشيخ رحمه الله خاصية **الوصال في الصيام** يقول رحمه الله معلقاً على حديث رسول الله في نهيه لصحابته عن الوصال فقالوا: يا رسول الله إنك تواصل. قال: (إني لست مثلكم إني أطعم وأسقى) [٤] فيقول: « وفيه ثبوت خصائصه ﷺ وأن عموم قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [٥] مخصوص، وفيه أن الصحابة كانوا يرجعون إلى فعله المعلوم صفته ويبادرون إلى التأسي به إلا فيما نهاهم عنه، وفيه أن خصائصه لا يتأسى به في جميعها » [٦].

٥-وأكد الشيخ رحمه الله على فضل أمة محمد ﷺ على الأمم؛ لكونها شاهدة عليهم بتبليغ الرسل لهم، وهذا مما يختص به الرسول ﷺ؛ فيقول رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [٧]: « ﴿ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أي: خياراً عدلاً، كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [٨] ».

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب أوصاف الإسلام، (ح/ ٣٨).

(٢) سورة فصلت: آية (٣٠).

(٣) محاسن الدين، ص(٦٥).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الصيام، باب الوصال، (ح/ ١٨٦١). ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم، (ح/ ١١٠٢).

(٥) سورة الأحزاب: آية (٢١).

(٦) خلاصة الكلام، ص(١١٩).

(٧) سورة البقرة: آية (١٤٣).

(٨) سورة آل عمران: آية (١١٠).

وقوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: على الأمم بتبليغ رسلهم، وروى الإمام أحمد وغيره عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يدعى نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه، فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد، فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته؟ قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: والوسط العدل. فتدعون فتشهدون له بالبلاغ، ثم أشهد عليكم)[1] »[2].

ويقول ﷺ في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[3]: «يعني ما أعطاه محمد ﷺ من النبوة العظيمة، وما خص به أمته من بعثه ﷺ»[4].

ويقول ﷺ في موضع آخر: « والمراد بقوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5]، أي: عالمي زمانهم، فإن هذه الأمة أفضل منهم، كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[6] وقال النبي ﷺ: (أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله)[7] »[8].

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب ومن سورة البقرة، (ح/ ٢٩٦١)، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (ح/ ٢٩٦١)، (٦/ ٤٦١).

(٢) توفيق الرحمن، (١/ ٢١٣).

(٣) سورة الجمعة: آية (٤).

(٤) المرجع السابق، (٤/ ٢٧٨).

(٥) سورة البقرة: آية (٤٧).

(٦) سورة آل عمران: آية (١١٠).

(٧) أخرجه أحمد، (٤/ ٤٤٧). والترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة آل عمران، (/ ٣٠٠١) وقال: (حديث حسن). وابن ماجه كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ، (/ ٤٢٨٨)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن، رجاله ثقات رجال الشيخين. وحسنه الألباني في صحيح الجامع، (ح/ ٢٣٠١)، (١/ ٤٥٦).

(٨) توفيق الرحمن، (١/ ١٣٢).

وبهذا؛ يكون الشيخ رحمه الله قد بيّن أن الله تعالى اختص نبيه محمد ﷺ بخصائص لم تكن لغيره من الرسل، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأرسله الله إلى الثقلين، وفضَّل أمته على العالمين.

المطلب الثاني: حقوق النبي محمد ﷺ على أمته

اهتم الشيخ فيصل رحمه الله ببيان حق الرسول ﷺ على أمته ومنها: محبته، وطاعته، بل إنه زاد على ذلك ببيان حق صحابته وآل بيت النبي عليه الصلاة والسلام وسنعرض هنا أقوال الشيخ رحمه الله فيما يجب علينا تجاه نبينا محمد ﷺ على النحو التالي:

أولاً: المحبة

محبة الرسول ﷺ هو ميل القلب إليه ميلاً يتجلى فيه إيثاره ﷺ على كل محبوب من نفس، ووالد، وولد، والناس أجمعين، فمحبته من لوازم محبة الله.

ومن مظاهر محبته ما يلي:

أ-احترامه،وتوقيره:

بين الشيخ رحمه الله أن المسلم مطالب باحترام رسول الله ﷺ وتوقيره، والتوقير نوع من التعظيم، يقول رحمه الله في بيان معنى قوله تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾[1]: « يعني: التعظيم »[2].

ومنها عدم مناداته باسمه، قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[3].

يقول الشيخ رحمه الله في تفسير الآية: « قال ابن عباس كانوا يقولون: يا محمد يا أبا القاسم، فنهاهم الله عن ذلك إعظاماً لنبيه، قال: فقولوا: يا نبي الله يا رسول الله »[4].

ومنها خفض الصوت عنده، فقد أورد رحمه الله حديث عبدالله بن الزبير[5] الذي قال

---

(١) سورة الفتح: آية (٩).

(٢) توفيق الرحمن، (٤/ ١٠٩).

(٣) سورة النور: آية (٦٣).

(٤) المرجع السابق، (٣/ ٢٦٣).

(٥) هو عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى القرشي الأسدي، أمه أسماء بنت أبي بكر =

فيه: (قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمِّر القعقاع بن معبد[1]، وقال عمر: بل أمِّر الأقرع بن حابس[2]، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[3] حتى انقضت الآية)[4]. رواه البخاري وعن أبي مليكة قال: كاد الخيِّران أن يهلكا، أبو بكر وعمر رضي الله عنهما)[5].

ب-تقديم محبته ﷺ على كل أحد:

وقد استدل رحمه الله بحديث رسول الله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)[6].

الصديق، ولد عام الهجرة، وحفظ عن النبي ﷺ وهو صغير وحدث عنه، وقد بويع بالخلافة سنة (٦٥هـ)، وقتل رحمه الله في أيام عبدالملك سنة (٧٣هـ) وعمره (٧٢) سنة، وصلب بعد قتله بمكة.

انظر: الاستيعاب، ابن عبدالبر، (٣/ ٩٠٥). الإصابة، ابن حجر، (٤/ ٨٩).

(١) هو القعقاع بن معبد بن زرارة التميمي الدارمي، أحد وفد بني تميم، قال ابن حبان: له صحبة، وقد أشار أبو بكر على النبي ﷺ بإمارته، قيل أن القعقاع كانت فيه رقه، لذلك اختاره أبو بكر.

انظر: الثقات، ابن حبان، (٣/ ٣٤٩). الاستيعاب، ابن عبدالبر، (٣/ ١٢٨٤). الإصابة، ابن حجر، (٥/ ٤٥٢).

(٢) هو الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي الدارمي، شهد فتح مكة وحنيناً والطائف، وهو من المؤلفة قلوبهم، وقد حسن إسلامه، وكان الأقرع حكماً في الجاهلية، قتل باليرموك وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام. انظر: الثقات، ابن حبان (٣/ ١٨). الإصابة، ابن حجر، (١/ ١٠١).

(٣) سورة الحجرات: آية (١).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني تميم، (ح/ ٤١٠٩).

(٥) توفيق الرحمن، (٤/ ١٢٥).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، (ح/ ١٥). ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لا يحبه هذه المحبة، (ح/ ٤٤).

ثم قال: « أي الإيمان الواجب...، وفي البخاري أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: (يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال: والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنك الآن أحب إلي من نفسي، فقال: الآن يا عمر)[1] »[2].

جـ-تعزيره، ونصرته، والنصيحة له:

يقول الشيخ رحمه الله في معنى كلمة ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ في قول الله تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾[3]: « قال ابن جرير: ومعنى التعزير في هذا الموضع التقوية بالنصرة والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال»[4].

وأما النصيحة لرسوله فقد سبق أن بينا أنه رحمه الله قال « تصديقه وطاعته ونصر سنته» وبهذا اشتمل كلامه رحمه الله على حق الرسول ﷺ على أمته في حياته وبعد مماته.

وما ذكره الشيخ رحمه الله في معنى النصيحة لرسوله عند شرحه لحديث رسول الله ﷺ: (الدين النصيحة)[5]، قد تابع به علماء السلف قبله ومنهم الحافظ ابن رجب رحمه الله حيث يقول: « وأما النصيحة للرسول ﷺ في حياته فبذل المجهود في طاعته ونصرته ومعاونته، وبذل المال إذا أراده، والمسارعة إلى محبته، وأما بعد وفاته فالعناية بطلب سنته، والبحث عن أخلاقه وآدابه، وتعظيم أمره، ولزوم القيام به، وشدة الغضب، والإعراض عمن تديَّن بخلاف سنته، والغضب على من ضيعها لأثرة دنيا ..»[6].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، (ح/ ٦٦٣٢).

(٢) القصد السديد، ص(١٥٦).

(٣) سورة الفتح: آية (٩).

(٤) توفيق الرحمن، (٤/ ١٠٩).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (ح/ ٥٥).

(٦) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، (١/ ٢٢١-٢٢٢).

د-الصلاة عليه ﷺ:

يقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [1]: « أمر الله كل مؤمن بالصلاة على النبي ﷺ، ووطأ قبله بالإخبار عنه تعالى وعن ملائكته الكرام، بأنهم دائمون على ذلك.

قال أبو العالية: صلاة الله تعالى: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء، وقال ابن عباس: يصلون: يبركون[2].

وروي عن سفيان الثوري، وغير واحد من أهل العلم، قالوا: صلاة الرب: الرحمة، وصلاة الملائكة: الاستغفار.

قال ابن كثير: والمقصود من هذه الآية، أن الله ﷻ أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه.

ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع عليه الثناء من أهل العالمين: العلوي والسفلي جميعاً » [3].

ثانياً: الطاعة والاتباع

أكد الشيخ فيصل رحمه الله على وجوب طاعة الرسول ﷺ لأن الله تعالى أمر بذلك في قوله: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [4].

يقول الشيخ رحمه الله في تفسير الآية: « قال ابن كثير: أمر بطاعة الله ورسوله فيما شرع، وفعل ما به أمر، وترك ما عنه نهى وزجر.

ثم قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾، أي: إن نكلتم عن

---

(١) سورة الأحزاب: آية (٥٦).

(٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي، (٣/ ٤٦٧).

(٣) تطريز رياض الصالحين، ص(٧٦٥).

(٤) سورة التغابن: آية (١٢).

العمل، فإنما عليه ما حمل من البلاغ، وعليكم ما حملتم من السمع والطاعة، قال الزهري: من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم »[1][2].

وقد أكد رحمه الله أن طاعة الرسول ﷺ هي من طاعة الله، وذلك في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [3] يقول: « أي: من يطع الرسول فيما أمر به فقد أطاع الله؛ لأن الله أمر بطاعته واتباعه » [4].

ثم أرشد رحمه الله إلى أن طاعة الرسول ﷺ واقتفاء أثره، والنهج على سيره، هي من الدلائل على حب الله؛ يقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [5]: « قال الحسن: قال قوم على عهد نبيهم محمد ﷺ: يا محمد إنا نحب ربنا، فأنزل الله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ فجعل إتباع نبيه محمد ﷺ علماً لحبه، وعذاب من خالفه » [6].

ونقل رحمه الله عن ابن كثير تفسيره للآية السابقة بقوله: « قال ابن كثير: أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إيَّاه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض الحكماء: ليس الشأن أن تُحِب، وإنما الشأن أن تُحَب.

ثم قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وهذه الآية حاكمه على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفسه. قال الحسن البصري: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه » [7].

---

(١) توفيق الرحمن، (٤/ ٢٩٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤/ ٣٧٦).

(٣) سورة النساء: آية (٨٠).

(٤) تطريز رياض الصالحين، ص(١٢٦).

(٥) سورة آل عمران: آية (٣١).

(٦) المرجع نفسه، (١/ ٣٩٠).

(٧) التعليقات السنية، ص(٣٦). انظر: تطريز رياض الصالحين، ص(١٢٥). توفيق الرحمن، (١/ ٣٩١).

وهنا يظهر لنا أن سبب وقوع طوائف من الأمة في الإعراض والصدود، إنما هو لعدم طاعتها للرسول ﷺ في جميع أمورها، ومن ذلك الاعتراض على أمور منها:

١-الاعتراض على الألوهية بجنس ما اعترض به المشركون الأولون، وهو التقرب بهم إلى الله.

٢-الاعتراض على أسماء الله وصفاته، بالشبه الباطلة، والظنون الحائرة، فنفوا ما أثبته له رسوله ﷺ واثبتوا ما نفاه الله عن نفسه وما نفاه عنه رسوله ﷺ .

٣-الاعتراض على أفعال الله وقضائه وقدره، بأنواع من الشبه الإبليسية، التي تطعن في عدل الله وحكمته، وهذا اعتراض الجهال.

٤-الاعتراض على الأحكام الشرعية بالآراء والأقيسة الفاسدة.

٥-الاعتراض على حقائق الإيمان والشرع بالذوق، والوجد، والكشف، وهو ما عليه أصحاب الفرق الصوفية.

٦-الاعتراض على الشريعة بالسياسات الجائرة، والقوانين الوضعية، وإلزام الناس بها على أنها شرع جديد منزل، تاركين ما أنزل الله على رسوله ﷺ من شرع أحكم الحاكمين[1].

ولاجتناب الوقوع في المحذورات السابقة التي وقع فيها كثير من الناس لجهلهم أو لاستكبارهم فقد أوضح الشيخ رحمه الله قاعدة عظيمة في إتباع النبي ﷺ فقال: « التسليم للشارع في أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيه وهي قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ فيما يفعله، ولو لم نعلم الحكمة فيه »[2] .

كما أن الشيخ رحمه الله قد بيّن لنا الاستقامة ومرجعها إلى إتباع الرسول ﷺ، فقال: «والاستقامة: هي لزوم المنهج المستقيم.

(١) مدارج السالكين، ابن القيم، (٢/ ٦٩-٧١)، بتصرف .

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص(١٣٣).

قال بعض العارفين: مرجع الاستقامة إلى أمرين: صحة الإيمان بالله، وإتباع ما جاء به رسول الله ظاهراً وباطناً »[1].

وحذر الشيخ رحمه الله أشد التحذير من مخالفة الرسول ﷺ وعدم متابعته، فيقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

يقول: « في هذه : وعيد شديد لمن خالف أمر النبي ﷺ، إما فتنة في الدنيا أو عذاب في الآخرة »[3].

واستشهد رحمه الله على تحذيره من ذلك بقوله: « وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: (كل أمتي يدخلون الجنة إلاَّ من أبى. قالوا: ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)[4] »[5].

ويقول رحمه الله معلقاً على الحديث السابق: « في هذا الحديث أعظم بشارة للطائعين من هذه الأمة، وأن كلهم يدخلون الجنة إلا من عصى الله ورسوله واتبع شهواته وهواه، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝﴾[6] »[7].

ومن صور طاعة الرسول ﷺ :

تحكيم الرسول ﷺ والرضا بحكمه .

---

(١) تطريز رياض الصالحين، ص(٧٨-٧٩).

(٢) سورة النور: آية (٦٣).

(٣) تطريز رياض الصالحين، ص(١٢٦).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التمني، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ (ح/ ٦٨٥١).

(٥) توفيق الرحمن، (١/ ٣٩١).

(٦) سورة النازعات: آية (٣٧-٤١).

(٧) تطريز رياض الصالحين، ص(١٢٩).

وتحكيم الرسول ﷺ يكون بتحكيم شرعه وهديه في الأمر كله، سواء في طرق معرفة الله وأسمائه وصفاته، وما يستحق من العبادة،وحقائق الإيمان والشرع.

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في بيان أهمية هذا الأمر عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (1): « قال ابن كثير: يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة، أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهراً و باطناً » (2).

ثم يؤكد الشيخ رحمه الله على نفي الإيمان عن العبد حتى يقدم ما جاء به الرسول ﷺ على غيره ؛ فيقول في شرحه لحديث رسول الله ﷺ وهو قوله: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) (3) قال: « قال ابن رجب: معنى الحديث: أن الإنسان لا يكون مؤمناً كامل الإيمان الواجب حتى تكون محبته تابعةً لما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي وغيرها، فيحب ما أمر به، ويكره ما نهى عنه » (4).

وأوضح رحمه الله أن الرضى بحكم الرسول ﷺ هو العلامة الفارقة بين المؤمن والمنافق؛ فقال رحمه الله عند تفسيره لقوله الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (5): « يخبر تعالى أن قول المؤمنين إذا دُعُوا إلى حكم الله وحكم رسوله خلاف قول المنافقين، فإن المنافقين إذا دعوا إلى حكم الله ورسوله أعرضوا، وإن كان الحق لهم أتوا، وأما المؤمنون فيقولون: سمعنا

---

(1) سورة النساء: آية (٦٥).

(2) تطريز رياض الصالحين، ص(١٢٦).

(3) سبق تخريجه، ص(١٢٥).

(4) القصد السديد، ص(١٨٥).

(5) سورة النور: آية (٥١).

وأطعنا سواء كان الحق معهم أو عليهم »[1].

ثم نقل الشيخ رحمه الله عن علماء السلف ما يدل على وجوب طاعة الرسول ﷺ والنهي عن تقديم طاعة غيره عليه؛ فيقول: « قال الإمام الشافعي رحمه الله: أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد.

وقال الإمام مالك: ما منا إلا راد ومردود عليه، إلا صاحب هذا القبر ﷺ.

قال الشارح في « فتح المجيد » فيجب الإنكار على من ترك الدليل لقول أحد من العلماء، كائناً من كان. ونصوص الأئمة على هذا، وأنه لا يسوغ التقليد إلا في مسائل الاجتهاد والتي لا دليل فيها يُرجع إليه من كتاب ولا سنة. فهذا هو الذي عناه بعض العلماء بقوله: لا إنكار في مسائل الاجتهاد، وأما من خالف الكتاب والسنة فيجب الرد عليه، كما قال ابن عباس والشافعي ومالك وأحمد »[2] [3].

ثم يقول الشيخ فيصل: « فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺ وتغلبهم أهواؤهم على الرأي، قال في « فتح المجيد » وقد عمت البلوى بهذا المنكر خصوصاً ممن ينتسب إلى العلم نصبوا الحبائل في الصد عن الأخذ بالكتاب والسنة، وصدوا الناس عن متابعة الرسول ﷺ وتعظيم أمره ونهيه.

فمن ذلك قولهم: لا يستدل بالكتاب والسنة إلا المجتهد، والاجتهاد قد انقطع، ويقول: هذا الذي قلدته أعلم بالحديث وبناسخة ومنسوخه، ونحو ذلك من الأقوال التي نهايتها ترك متابعة الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى. انتهى »[4].

ثم قال: « وقد قال أبو حنيفة رحمه الله: إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه، فاتركوا قولي لكتاب الله. قيل: وإذا كان قول رسول الله ﷺ يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لخبر رسول الله ﷺ

---

(١) تطريز رياض الصالحين، ص(١٣٤).

(٢) فتح المجيد، عبدالرحمن آل الشيخ، ص(٣٣٨).

(٣) القصد السديد، ص(١٧٨).

(٤) القصد السديد، ص(١٧٩).

وقيل: إذا كان قول الصحابة يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لقول الصحابة »[1].

وحاصل ما سبق:

أن الشيخ رحمه الله أكد على وجوب مراعاة حقوق الرسول ﷺ علينا والتي من أعظمها، محبته، ﷺ وطاعته التي تكون بإتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه؛ حتى نعبدالله على بصيرة؛ لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.



(١) المرجع السابق، ص(١٨٠).

المطلب الثالث: حقوق صحابة الرسول ﷺ

من حقوق الرسول ﷺ على أمته، محبة أصحابه وتوقيرهم وإجلالهم، فهم خير الأمة بعد نبيها؛ لذلك فقد أوضح الشيخ فيصل رحمه الله إلى أن ذلك من أصول أهل السنة والجماعة، بما نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال: « ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم به في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [(١)]، وطاعة النبي ﷺ في قوله: (لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) [(٢)].

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة بالإجماع من فضائلهم ومراتبهم »[(٣)].

وأما فيما يتعلق في التفاضل بين الصحابة، فذكر رحمه الله منهج السلف نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: « ويفضلون من أنفق من قبل الفتح وهو صلح الحديبية وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار ويؤمنون بأن الله قال -لأهل بدر- وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر: (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) [(٤)].

وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة؛ كما أخبر به النبي ﷺ، بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة » [(٥)].

وذكر رحمه الله منهج السلف في الصحابة المبشرين بالجنة نقلاً عن شيخ الإسلام، فقال:

---

(١) سورة الحشر: آية (١٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي (لو كنت متخذاً خليلاً..)، (ح/ ٣٦٧٣). ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، (ح/ ٢٥٤١).

(٣) التعليقات السنية، ص(١١٨).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس...، (ح/ ٣٠٠٧). ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أهل بدر، (ح/ ٢٤٩٤).

(٥) المرجع السابق، ص(١١٨).

«ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ كالعشرة وثابت بن قيس بن شماس[1]، وغيرهم من الصحابة »[2].

ثم ذكر رحمه الله منهج السلف في التفاضل بين الخلفاء الراشدين على حسب ترتيبهم في الخلافة نقلاً عن شيخ الإسلام أيضاً، فقال: « ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رضي الله عنه كما دلت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة.

مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر أيهما أفضل؟.

فقدم قوم عثمان وسكتوا، أو ربعوا بعلي، وقدم قوم علياً، وقوم توقفوا، لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان، ثم علي.

وإن كانت هذه المسألة -مسالة عثمان وعلي- ليست من الأصول التي يُضلل فيها المخالف عند جمهور أهل السنة، لكن التي يضلل فيها مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي »[3].

ثم بيّن رحمه الله منهج السلف فيما جرى بين الصحابة من خلاف، نقلاً عن شيخ الإسلام أيضاً، فقال: « ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغيِّر عن وجهه، والصحيح منه،

---

(١) هو ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، خطيب الأنصار، شهد أحداً وما بعدها، من كبار الصحابة بشره النبي ﷺ بالجنة،واستشهد باليمامة. انظر: الكاشف، الذهبي، (١/ ٢٨٢). تقريب التهذيب، ابن حجر، (١/ ١٣٣). الإصابة، ابن حجر، (١/ ٣٩٥).

(٢) التعليقات السنية، ص(١١٨).

(٣) المرجع السابق، ص(١١٩).

هم فيه معذورون: إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون »[1].

وأرشد رحمه الله إلى وسطية أهل السنة في اعتقادهم تجاه صحابة رسول الله ﷺ وسلامة القلوب نحوهم بذكر محاسنهم وذلك بما نقله عن شيخ الإسلام بقوله: « وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم -إن صدر- حتى إنهم يغفر لهم من السيئات مالا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو من السيئات ما ليس لمن بعدهم.

وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم : (خير القرون) [2]، و (أن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم) [3].

ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ؛ فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له، بفضل سابقته أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه.

فإذا كان هذا في الذنوب المحققة، فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين: إن أصابوا؛ فلهم أجران، وإن أخطؤوا؛ فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور.

ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم

---

(١) التعليقات السنية، ص(١٢٠).

(٢) لفظ الحديث هو قول الرسول ﷺ (خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، (ح/ ٢٥٠٨). ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، (ح/ ٢٥٣٥).

(٣) لفظ الحديث هو قوله ﷺ : (لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ من أحدهم ولا نصيفه) الحديث متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ : (لو كنت متخذ خليلاً..)، (ح/ ٣٤٧٠). ومسلم: كتاب فضائل الصحابة ن باب تحريم سب الصحابة، (ح/ ٢٥٤١).

ومحاسنهم، من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح »[1].

وختم رحمه الله بما نقله عن شيخ الإسلام في ذكر فضلهم؛ لمعرفة حقهم وتوقيرهم، فقال: « ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما من الله عليهم من الفضائل، علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة، التي هي خير الأمم وأكرمها على الله »[2].

وهذا الكلام الذي ذكره الشيخ فيصل رحمه الله نقلاً عن شيخ الإسلام بن تيمية يمثل منهج أهل السنة والجماعة تجاه صحابة رسول الله ﷺ وهو المنهج الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، فلا يعطون صفات الألوهية والنبوة،ولا ينقص قدرهم وحقهم من الاحترام والتوقير.



(١) التعليقات السنية، ص(١٢٠-١٢١).

(٢) المرجع السابق، ص(١١٨-١٢١).

المطلب الرابع: حقوق أهل بيت الرسول ﷺ

لأهل بيت الرسول ﷺ حقوق عظيمة ومنها: محبتهم وموالاتهم، وهذا من أصول أهل السنة والجماعة كما قرر ذلك الشيخ فيصل رحمه الله، حيث يقول في معرض كلامه عن أصول أهل السنة والجماعة: « ويحبون آل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدير خُمْ: (أذكركم الله في أهل بيتي) [1].

وقال أيضاً للعباس عمه وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم فقال: (والذي نفسي بيده؛ لا يؤمنون حتى يحبوكم؛ لله ولقرابتي) [2]. وقال: (إن الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم) [3].

ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة، خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده، وأول من آمن به، وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العالية.

والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها التي قال فيها النبي ﷺ: (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)[4] »[5].

وقد وافق الشيخ فيصل في كلامه هذا ما ذكره شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله في العقيدة

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل علي رضي الله عنه، (ح/ ٢٤٠٨).

(٢) جاء الحديث بعدة طرق كما عند أحمد، (٤/ ١٦٥)، والترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، (ح/ ٣٧٥٨). والحاكم، (ح/ ٦٩٦١) والطبراني، في « الكبير »، (ح/ ١٢٢٨)، و « الأوسط »، (ح/ ٤٦٤٧)، والصغير، (ح/ ٦٦٧): لكنها لا تصح، وقد ضعفه الألباني في « ضعيف الجامع »، (ح/ ٥٠٣٥)، (٥/ ٨٨).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، (ح/ ٢٢٧٦).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها، (ح/ ٣٥٥٩).

(٥) التعليقات السنية، ص(١٢٠).

الواسطية[1].

فيقول ﵀ في شرحه للأثر الوارد عن أبي بكر ﵁ أنه قال: (ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته)[2]، قال ﵀: « في أثر أبي بكر ﵁ دليل على معرفة الصحابة ﵃ بحق أهل بيت رسول الله ﷺ، وتوقيرهم واحترامهم، فمن كان من أهل البيت مستقيماً على الدين متبعاً لسنة رسول الله ﷺ فله حقان: حق الإسلام وحق القرابة »[3].

ويرى الشيخ ﵀ بأن المراد بآله المصلى عليهم في التشهد هم الأزواج والذرية؛ فقد ذكر ﵀ عند شرحه لحديث رسول الله ﷺ: (قولوا: اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم. إنك حميد مجيد)[4] يقول ﵀: « الحديث احتج به طائفة من العلماء على أن الآل هم الأزواج والذرية. ووجهه أنه أقام الأزواج والذرية مقام آل محمد »[5].



(١) انظر: العقيدة الواسطية، شيخ الإسلام، ص(٤٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ (ح/ ٣٥٠٩).

(٣) تطريز رياض الصالحين، ص(٢٤٠).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب التفسير سورة الأحزاب، باب: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)، (ح/ ٤٥١٩)، (ح/ ٤٥٢٠)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد الأخير، (ح/ ٤٠٥) (ح/ ٤٠٦)، (ح/ ٤٠٧).

(٥) بستان الأحبار، (١/ ٢٨٧).



معجزات بعض الأنبياء

* *   * *   * *

المبحث السادس: معجزات بعض الأنبياء

أيد الله ﷻ أنبياءه بالآيات الدالة على صدقهم فيما جاءوا به من عند ربهم، وتكون هذه الآيات خارقة للسنة الكونية المعتادة، وملائمة لحال قوم النبي الذي تجرى على يديه؛ ليكون ذلك أبلغ في التحدي، وأدل على صدق ما جاء به.

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في بيان هذا المعنى: « قال ابن كثير: قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه »[1].

ويبين الشيخ رحمه الله أن هذه الآيات التي جاء بها الرسل إلى أقوامهم لبيان صدقهم لا تكون لهم إلا بإذن الله؛ فيقول: « ولم يكن لواحد من الرسل أن يأتي قومه بخارق للعادات إلاَّ أن يأذن الله له في ذلك »[2].

ثم شرع رحمه الله يعدد معجزات الأنبياء:

١- معجزة نبي الله صالح عليه السلام:

دعا نبي الله صالح عليه السلام قومه لعبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾[3]، ولكنهم كذبوه وطلبوا منه آية تدل على صدقه قال تعالى على لسان قومه: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾[4]، يقول الشيخ رحمه الله في تفسير هذه الآية: « واقترحوا عليه أن يخرج لهم ناقة عشراء من هذه الصخرة. فقام نبي الله صالح عليه السلام فصلى ثم دعا الله ﷻ فانفطرت تلك الصخرة عن ناقة عشراء، فآمن بعضهم وكفر أكثرهم »[5].

---

(١) توفيق الرحمن، (١/ ٤٠٣).

(٢) المرجع السابق، (٣/ ٦٩٧).

(٣) سورة النمل: آية (٤٥).

(٤) سورة الشعراء: آية (١٥٣-١٥٤).

(٥) المرجع السابق، (٣/ ٣٠٨).

وقال رحمه الله في موضع آخر: « عن أبي الطفيل[1] قال: قالت ثمود لصالح: ائتنا بآية إن كنت من الصادقين، فقال لهم صالح: اخرجوا إلى هضبة من الأرض، فخرجوا إلى هضبة من الأرض، فخرجوا فإذا هي تمتخض كما تمتخض الحامل، ثم إنها انفرجت فخرجت من وسطها الناقة، فقال صالح: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[3]، فلما ملوها عقروها، فقال لهم: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[4] »[5].

٢- من معجزات نبي الله موسى عليه السلام:

أجرى الله تعالى على يد نبيه موسى عليه السلام آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾[6].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير الآية السابقة: ﴿سَلْ﴾ يا محمد، ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ أي: حجة قاطعة بصدق موسى فيما جاءهم به، كاليد، والعصا،وفلق البحر، وضرب الحجر، وتظليل الغمام، وغير ذلك من الآيات، ومع هذا أعرض كثير منهم وبدلوا وكذبوا الأنبياء »[7].

---

(١) هو عامر بن واثلة الليثي أبوالطفيل، ولد عام أحد ورأى النبي ﷺ وروى عن أبي بكر وعمر توفي سنة (١٠٧هـ) وقيل (١١٠هـ) وهو آخر من رأى النبي ﷺ وفاة بالإجماع.

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٩/ ١٩٠). الكاشف، الذهبي، (١/ ٥٢٧). تقريب التهذيب، ابن حجر، (١/ ٢٨٨). البداية والنهاية ، ابن كثير، (٤/ ٤٦٧).

(٢) سورة الأعراف: آية (٧٣).

(٣) سورة الشعراء: آية (١٥٥).

(٤) سورة هود: آية (٦٥).

(٥) توفيق الرحمن، (٢/ ٢٢٩)، (٤/ ٤٩٣-٤٩٤).

(٦) سورة البقرة: آية (٢١١).

(٧) توفيق الرحمن، (١/ ٢٨٢) .

وقد ذكر الشيخ رحمه الله الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام فقال: « قال ابن عباس: لما جاء موسى بالآيات، كان أول الآيات الطوفان، فأرسل الله عليهم السماء، وقال: القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة.

وقال سعيد بن جبير: لما أتى موسى فرعون قال له: أرسل معي بني إسرائيل، فأبى عليه، فأرسل الله عليهم الطوفان،وهو المطر، فصب عليهم منه شيئاً خافوا أن يكون عذاب فقالوا لموسى ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾[1] فدعا ربه، فلم يؤمنوا، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل، فأنبت الله لهم تلك السنة شيئاً لم يُنبته لهم قبل ذلك، من الزرع،والثمر والكلأ، فقالوا: هذا ما كنا نتمنى فأرسل عليهم الجراد فسلطه على الكلأ فلما رأوا أثره في الكلأ عرفوا أنه لا يبقى الزرع، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك فيكشف عنا الجراد، فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه، فكشف عنهم الجراد، فلم يؤمنوا، ولم يرسلوا معه بني إسرائيل، فداسوا وأحرزوا في البيوت، فقالوا: أحرزنا، فأرسل الله عليهم القمل وهو السوس الذي يخرج منه، فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحا فلا يردّ منها ثلاثة أقفزه، فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا القمل فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه، فكشف عنهم، فأبوا أن يرسلوا معه بني إسرائيل.

فبينما هو جالس عند فرعون، إذ سمع نقيق ضفدع، فقال لفرعون: ما تلقى أنت وقومك من هذا؟ فقال: وما عسى أن يكون كيد هذا؟ فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع، ويهمّ أن يتكلم فتثب الضفادع في فيه، فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع، فنؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه، فكشف عنهم، فأبوا أن يرسلوا معه بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم الدم، وكانوا ما استقوا من الأنهار والآبار، أو ما كان في أوعيتهم وجدوه دماً عبيطاً، فشكوا إلى فرعون فقالوا: « إنا قد ابتلينا بالدم، وليس لنا شراب، فقال: إنه قد سحركم، فقالوا: من أين سحرنا ونحن

---

(١) سورة الأعراف: آية (١٣٤).

لا نجد في أوعيتنا شيئاً من الماء إلا وجدناه دماً عبيطاً؟ فأتوه فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم، ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه فكشف عنهم، فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل »[1]

ويقول رحمه الله في بيان آيات موسى التسع: « عن ابن عباس قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾[2] قال: يد موسى وعصاه، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين، ونقص من الثمرات »[3] .

٣- من معجزات نبي الله عيسى عليه السلام :

أشار الشيخ فيصل رحمه الله إلى نوع المعجزات التي جاء بها عيسى إلى قومه بما نقله عن ابن كثير، فقال بعد أن ذكر أن كل نبي يبعث بالمعجزات بما يناسب أهل زمانه: « فبعث عيسى عليه السلام في زمن الأطباء وأصحاب الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه »[4] .

ثم ذكر رحمه الله بعض معجزات عيسى عليه السلام عند تفسيره للآيات الواردة فيها، فقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى -على لسان نبيه عيسى-: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾[5]: « قال ابن إسحاق[6]: إن عيسى صلوات الله وسلامه عليه جلس يوماً مع غلمان من الكتاب فأخذ طيناً، ثم قال: أجعل لكم من الطين

---

(١) توفيق الرحمن، (٢/ ٢٤٥-٢٤٧) .

(٢) سورة الإسراء: آية (١٠١) .

(٣) المرجع السابق، (٢/ ٦٤٧) .

(٤) المرجع السابق، (١/ ٤٠٣) .

(٥) سورة آل عمران: آية (٤٩) .

(٦) هو يعقوب بن إسحاق بن زيد بن أبي إسحاق، الإمام المجود الحافظ مقرئ البصرة، تقدم في علم الحديث، وكان عالماً بالعربية ووجوهها، والقرآن واختلافه، توفي سنة (٢٠٥هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٠/ ١٦٩-١٧٤).

طائراً، فقالوا: وتستطيع ذاك؟ قال: نعم بإذن ربي. ثم هيأه حتى إذا جعله في هيئة الطائر فنفخ فيه، ثم قال: كن طائراً بإذن الله، فخرج يطير بين كفيه.. وقوله: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: الأكمه الذي يولد وهو أعمى.. وقوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1] قال السدي: لما كبر عيسى أسلمته أمه ليتعلم التوراة، فكان يلعب مع الغلمان، غلمان القرية التي كان فيها، فيحدث الغلمان بما يصنع آباؤهم. وقال عطاء بن أبي رباح[2]، قوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ قال: الطعام والشيء يدخرونه في بيوتهم، غيباً علمه الله إياه، وقال قتادة: كان القوم لما سألوا المائدة، فكانت جراباً، ينزل عليه أينما كانوا ثمراً من ثمار الجنة، فأمر القوم أن لا يخونوا فيه، ولا يخبئوا ولا يدخرون لغد، بلاء ابتلاهم الله به، فكانوا إذا فعلوا من ذلك شيئاً أنبأهم به عيسى بن مريم »[3].

٤- من معجزات نبينا محمد ﷺ:

أجرى الله على يد نبينا محمد ﷺ معجزات باهرات، وآيات مبصرات، وأعظم الآيات التي أعطيها رسولنا ﷺ، القرآن الكريم، الذي هو أعظم آيات الرسل كلهم، فهو معجزة خالدة، تكفل الله تعالى بحفظها وصيانتها عن أيدي العابثين؛ لتكون دليل صدق لمحمد ﷺ، وحجة لله تعالى على خلقه إلى قيام الساعة وقد أشار الشيخ فيصل رحمه الله إلى عظم معجزة القرآن وقوة دلالتها على صدق الرسول ﷺ وذلك لما طلب المشركون من

---

(١) سورة آل عمران، (٤٩).

(٢) هو عطاء بن أبي رباح، فقيه أهل الحجاز، من أفضل أهل زمانه، ومن أحسن الناس صلاة، وأدومهم ذكراً، روى عن ابن عباس، وعن عبدالله بن عمرو، وكان ثقة كثير الحديث، توفي سنة (١١٤هـ).

انظر: العبر، الذهبي، (١/ ١٠٨). وسير أعلام النبلاء، الذهبي، (٥/ ٧٨). البداية والنهاية، ابن كثير، (٩/ ٣٠٦).

(٣) توفيق الرحمن، (١/ ٤٠٣-٤٠٤).

رسول الله ﷺ أن يأتيهم بآيات ترشدهم إلى صدقه؛ فيقول رحمه الله : « قال ابن كثير: ثم قال تعالى مبيناً كثرة جهلهم وسخافة عقلهم حيث طلبوا آيات تدلهم على صدق محمد ﷺ فيما جاءهم وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذي هو أعظم من كل معجزة، إذ عجزت الفصحاء والبلغاء عن معارضته، بل عن معارضة عشر سور من مثله، بل عن معارضة سورة منه، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ (١).

أي: أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك هذا الكتاب العظيم الذي فيه خبر ما قبلهم، ونبأ ما بعدهم، وحكم ما بينهم، وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب، ولم تخالط أحداً من أهل الكتاب، فجئتهم بأخبار ما في الصحف الأولى ببيان الصواب مما اختلفوا فيه وبالحق الواضح » (٢).

ثم ينقل رحمه الله حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ما من الأنبياء نبي إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إليّ، فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) (٣).

وقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ (٤): « قال ابن كثير: وقوله ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ أي: من إيمان جميع الخلق، ويعلموا ويتبينوا ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ فإنه ليس ثمّ حجة ولا معجزة أبلغ ولا أنجع في العقول من هذا القرآن » (٥).

---

(١) سورة العنكبوت: آية (٥١).

(٢) توفيق الرحمن، (٣/ ٤٢٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي، (ح/ ٤٩٨١). ومسلم، كتاب الإيمان، باب زيادة طمأنينة القلب بظاهر الأدلة، (ح/ ١٥٢).

(٤) سورة الرعد: آية (٣١).

(٥) توفيق الرحمن، (٢/ ٥٢١).

ومع ذلك فقد كان هناك جملة من المعجزات بالإضافة إلى معجزة القرآن والتي أوردها الشيخ رحمه الله فيقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾[1]: « قال البغوي أي: كلمه الله تعالى يعني موسى عليه السلام، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ يعني: محمد ﷺ، وما أوتي نبي آية إلا أوتي نبينا مثل تلك الآية، وفضل على غيره بآيات مثل: انشقاق القمر بإشارته، وحنين الجذع على مفارقته، وتسليم الحجر والشجر عليه، وكلام البهائم والشهادة برسالته، ونبع الماء من بين أصابعه، وغير ذلك من المعجزات والآيات التي لا تحصى،وأظهرها القرآن الذي عجز أهل السماء والأرض عن الإتيان بمثله »[2].

وعلى هذا؛ فإنه يتبين لنا أن الشيخ رحمه الله أرشد إلى أنه يجب الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى قد أيد رسله بالمعجزات الباهرات، والآيات الظاهرات الدالة على صدقهم فيما جاءوا به من عند ربهم.

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٥٣).

(٢) التعليقات السنية، ص(٨٦-٨٧).



الأوليـــاء وكراماتهـــم

* *　　* *　　* *

المبحث السابع: الأولياء وكراماتهم

عرّف الشيخ فيصل رحمه الله الولي بقوله: « وولي الله تعالى من امتثل أمره واجتنب نهيه »[1]، وقال في موضع آخر: « الولي هو المطيع لله، فكل من كان تقياً كان لله ولياً »[2]، وكلا القولين معناهما واحد.

ويقول رحمه الله معلقاً على الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)[3].

قال: « هذا الحديث أشرف حديث في ذكر الأولياء »[4].

وقد أعطى الله بعض أوليائه أموراً خارقة للعادة إكراماً لهم لصلاحهم، ولنصرة دينه، وقد يكون لسد حاجاتهم، كالحاجة للطعام والشراب وغير ذلك .

وقد أوضح الشيخ رحمه الله حكمة الكرامات بقوله: « قيل للإمام أحمد ابن حنبل: ما بال الكرامات في زمن الصحابة قليلة بالنسبة لما يروى عمن بعدهم من الأولياء؟! فقال: أولئك كان إيمانهم قوياً فما احتاجوا إلى زيادة يقوى بها إيمانهم، وغيرهم ضعيف الإيمان في عصره فاحتاج إلى تقويته بإظهار الكرامة »[5].

وعرّف الشيخ رحمه الله الكرامة بقوله: « الكرامة: إحدى الخوارق للعادات »[6] .

---

(١) محاسن الدين، ص(١٢١).

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص(٨٢٣).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، (ح/ ٦١٣٧).

(٤) محاسن الدين، ص(١٢١).

(٥) تطريز رياض الصالحين، ص(٨٣٢).

(٦) المرجع السابق، ص(٨٢٣).

وقد أرشد الشيخ رحمه الله إلى منهج أهل السنة والجماعة في كرامات الأولياء: وهو التصديق بها؛ فقال: « ومن أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات، في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة، والتابعين، وسائر فرق الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة »[1].

وهذا الكلام الذي ذكره الشيخ رحمه الله عن كرامات الأولياء والتصديق بها، قد وافق فيه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عندما علّق الشيخ فيصل رحمه الله على « العقيدة الواسطية»[2].

ووافق رحمه الله الإمام النووي[3] في إثبات كرامات الأولياء، فيقول: « قال النووي: اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات كرامات الأولياء، وأنها واقعة موجودة مستمرة في الأعصار، ويدل عليه دلائل العقول وصرائح النقول »[4].

وقد ذكر الشيخ رحمه الله جملة من الكرامات لبعض الأولياء ومن ذلك:

١-كرامة مريم أم نبي الله عيسى عليه السلام يقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ۝ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾[5]: « هذا من خوارق العادة وهي كرامة لمريم عليها السلام وأشار بقوله: ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ

---

(١) التعليقات السنية، ص(١٢١).

(٢) انظر: العقيدة الواسطية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص(٤٥).

(٣) هو أبو زكريا يحي بن شرف بن مري بن حسين بن حزام النووي الدمشقي ولد في (نوا) سنة (٦٣١هـ) وتوفي فيها سنة (٦٧٦هـ).

انظر: طبقات الشافعية، السبكي، (٥/ ١٦٥).

(٤) تطريز رياض الصالحين، ص(٨٣٢).

(٥) سورة مريم: آية (٢٩-٣٠).

مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [1] إلى تكلم عيسى ومخاطبته لقومها، ومحاورته عنها، من ولادته إرهاصاً لنبوته، وكرامة لها » [2].

ثم ذكر رحمه الله كرامة أخرى لمريم في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [3] : « قيل: كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء. في قصة مريم عدة كرامات منها: حبلها من غير ذكر، وحصول الرطب الطري من الجذع اليابس، ودخول الرزق عندها في غير أوان حضور أسبابه، وهي لم تكن نبيَّة» [4].

٢-كرامة أصحاب الكهف: يقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [5].

قال: « قال بعض المفسرين: صرف الله عنهم الشمس بقدرته، وحال بينهم وبينها؛ لأن باب الكهف على جانب لا تقع الشمس إلا على جنبه، فيكون كرامة لهم كما قال: ذلك من آيات الله إذ أرشدهم إلى ذلك الغار، وصرف عنهم، وفي لبثهم ثلاث مئة وأزيد، نياماً أحياء من غير آفة، مع بقاء القوة العادية بلا غذاء ولا شراب من جملة الخوارق » [6].

٣-كرامة عمر رضي الله عنه يقول رحمه الله في شرحه لحديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال:

(١) سورة مريم: آية (٢٧) .

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص(٨٢٤).

(٣) سورة آل عمران: آية (٣٧).

(٤) تطريز رياض الصالحين، ص(٨٢٤).

(٥) سورة الكهف: آية (١٦-١٧).

(٦) المرجع السابق، ص(٨٢٤).

(لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر) [١]، قال: «المحدث: الرجل الصادق الظن، وهو من ألقي في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى، وعند الترمذي: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه) [٢]، وفي حديث آخر: (لو كان نبي بعدي لكان عمر) [٣]. ثم قال: (وفي الحديث كرامة ظاهرة لعمر ﷺ) [٤].

ونتيجة لجميع ما سبق:

نجد أن الشيخ فيصل رحمه الله قد سار على منهج السلف في تقرير الإيمان بالرسل على النحو التالي:

١-أن معنى الإيمان بالرسل: هو التصديق بأن لله تعالى رسلاً أرسلهم لدعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بما يعبد من دونه.

٢-أنه يجب الإيمان بالرسل جميعاً، فمن كفر بواحد فقد كفر بهم جميعاً، كما يجب الإيمان بهم جملة وتفصيلاً، إجمالاً فيمن لم يذكر اسمه منهم، وتفصيلاً بمن عرفنا اسمه.

٣-أن الله سبحانه خص رسله بخصائص لا يلحقهم فيها أحد.

٤-يجب الإيمان بأن رسل الله جميعاً كانوا رجالاً من البشر، وقد أعطاهم الله أكمل الصفات وأعلاها.

٥-يجب الإيمان بأن نبينا محمد ﷺ سيد الرسل، فقد ختم الله به النبوة وأرسله للإنس والجن كافة.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب، (ح/ ٣٤٨٦). ومسلم كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل عمر ﷺ، (ح/ ٢٣٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في مناقب عمر بن الخطاب ﷺ، (ح/ ٣٦٨٢) وقال الترمذي: حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (ح/ ١٧٣٦)، (١/ ٣٥٨).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في مناقب عمر بن الخطاب ﷺ، (ح/ ٣٦٨٦)، وقال الترمذي: حسن غريب، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، (ح/ ٥٢٨٤)، (٢/ ٩٣٥).

(٤) تطريز رياض الصالحين، ص(٨٢٧).

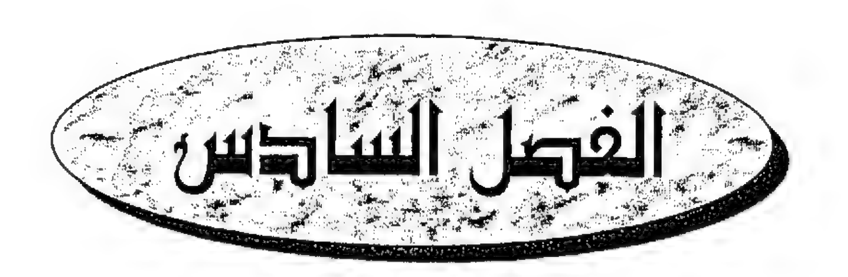
٦-أن من لوازم الإيمان بنبوة نبينا محمد ﷺ القيام بحقوقه ﷺ وحقوق صحابته وآل بيته على أكمل وجه.

٧-التصديق بمعجزات الرسل وأن ذلك تأييداً لهم من الله للدلالة على صدق ما جاءوا به من ربهم.

٨-المؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وكل مؤمن فيه من الولاية بقدر إيمانه.

٩-كرامات الأولياء حق، ويجب التصديق بها، وضابطها موافقة الكتاب والسنة، فإن خالفتها فهي ليست كرامة، بل من تأثير الشياطين والمبطلين.





الإيمان باليوم الآخر

وفيه خمسة مباحث : -

- **المبحث الأول**: معنى الإيمان باليوم الآخر.
- **المبحث الثاني**: فتنة القبر وعذابه (حياة البرزخ) .
- **المبحث الثالث**: أشراط الساعة.
- **المبحث الرابع**: نماذج من المسائل التي اشتمل عليها اليوم الآخر.
- **المبحث الخامس**: الإيمان بالجنة والنار .

* *   * *   * *

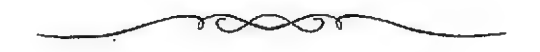
تمهيد

إن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان الستة، وأصل عظيم من أصول الدين، فلا يصح إيمان العبد إلا به، وقد دل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على وجوب الإيمان باليوم الآخر. قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [2].

ومن السنة: قول الرسول ﷺ لجبريل عليه السلام حينما سأله عن الإيمان؟ فقال له: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) [3].

وموضوع الإيمان باليوم الآخر هو من القضايا المهمة التي كرر القرآن الكريم الآيات عنها وربطها بالإيمان بالله وتوحيده، تأكيداً لأهميته،وبياناً لمنزلته، ولعظم تأثيره في النفوس.

وقد اهتم الشيخ فيصل رحمه الله بهذا الركن العظيم، فتناول عدداً من القضايا التي تتعلق باليوم الآخر، بدءاً بمعناه ثم ما يكون في القبر من فتنة وعذاب أو نعيم ثم أشراط الساعة ثم البعث والحشر والحساب والحوض والشفاعة العظمى، حتى استقرار الناس إما في الجنة، أو في النار عياذاً بالله وفيما يلي بيان ذلك في المباحث التالية ..



(١) سورة البقرة: آية (١٧٧).

(٢) سورة التوبة: آية (٢٩).

(٣) سبق تخريجه، ص(٣١٨) .



معنى الإيمان باليوم الآخر

* *　　* *　　* *

المبحث الأول: معنى الإيمان باليوم الآخر

اليوم الآخر: هو اليوم الذي يحي الله فيه الخلق بعد موتهم، ثم يحاسبهم ويجزيهم على أعمالهم.

وسبب تسمية الآخرة بهذا الاسم، ذكره الشيخ فيصل رحمه الله فقال: « وسميت الآخرة آخره، لتأخرها وكونها بعد الدنيا »[(١)].

ولا يتم إيمان المكلَّف باليوم الآخر، إلاَّ بعد الإقرار به وبمقتضياته.

وقد أوضح لنا الشيخ رحمه الله معنى الإيمان باليوم الآخر؛ فقال: « والإيمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة، وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت والحشر والنشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار »[(٢)].

وهنا ذكر الشيخ فيصل رحمه الله مسائل الإيمان باليوم الآخر في هذا التعريف مجملة، ثم فصل فيها بعد ذلك كما سيأتي بيانه.

والإيمان بالآخرة من الغيب، الذي أثنى الله على المؤمنين لإيمانهم وتصديقهم به، يقول الشيخ رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[(٣)]: « أي الذين يصدقون بما غاب عنهم، مما أخبر الله به من أمور الآخرة »[(٤)].

وأيضاً هو من البر الذي يفضي بصاحبه إلى الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[(٥)].

يقول الشيخ رحمه الله في تفسير هذه الآية « البر: كل عمل يفضي بصاحبه إلى الجنة...

---

(١) توفيق الرحمن، (١/ ٩٩).

(٢) محاسن الدين، ص(١٧).

(٣) سورة البقرة: آية (٣٩).

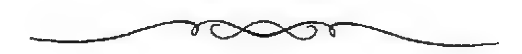
(٤) توفيق الرحمن، (١/ ٩٨).

(٥) سورة البقرة: آية (١٧٧).

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ أي: بأنه لا إله إلا هو ولا رب سواه، وآمن باليوم الآخر وهو يوم القيامة »(١).

وقد أجمع السلف على وجوب الإيمان، بأخبار يوم القيامة، وبكل ما أخبر به النبي ﷺ من فتنة القبر وعذابه أو نعيمه، وما يأتي بعد ذلك من أهوال يوم القيامة والميزان والحوض والشفاعة والصراط، والجنة والنار، يقول ابن تيمية رحمه الله « إنه قد استفاضت بأخبار يوم القيامة، تلك الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ ولم ينكرها إلا أهل البدع من خوارج ومعتزلة »(٢).

وعليه.. فإن الشيخ رحمه الله قد وافق السلف في معنى الإيمان باليوم الآخر.



(١) توفيق الرحمن، (١/ ٢٣٨).

(٢) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٥/ ١٤٩).



فتنة القبر وعذابه أو نعيمه (حياة البرزخ)

* *　　* *　　* *

المبحث الثاني: فتنة القبر وعذابه أو نعيمه
(حياة البرزخ)

القبر أول منزل من منازل الآخرة، فبعد موت الإنسان وانقطاع حياته ينتقل إلى الآخرة عن طريق أول منازلها وهو القبر، ليبدأ حياة البرزخ التي فيها الجزاء على الأعمال فمن كان محسناً كافأه الله على إحسانه بالنعيم في القبر بتحويله إلى روضة من رياض الجنة، ومن كان مسيئاً عاقبه الله في قبره بتحويله إلى حفرة من حفر النار.

ثم يستمر النعيم أو العذاب في القبر إلى أن تقوم الساعة ويبعث الناس من قبورهم للحساب، ثم إلى الجنة -نسأل الله أن نكون من أهلها- أو إلى النار -عياذاً بالله منها-.

وقد أكد الشيخ فيصل رحمه الله على وجوب الإيمان بما يكون في القبر من فتنة، ثم عذاب أو نعيم، وبيّن أن ذلك من لوازم الإيمان باليوم الآخر، فلا يكون المرء مؤمناً باليوم الآخر وهو ينكر ما يحصل في القبر؛ فيقول: « ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فيؤمنون بفتنة القبر، وبعذاب القبر ونعيمه »[1].

وقد نقل الشيخ رحمه الله عن شيخ الإسلام ابن تيمية المراد من فتنة القبر[2]، فيقول: «فأما الفتنة؛ فإن الناس يمتحنون في قبورهم، فيقال للرجل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فيقول المؤمن: ربي الله،والإسلام ديني، ومحمد ﷺ نبيي.

وأما المرتاب؛ فيقول: ها ها، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان؛ ولو سمعها لصعق »[3].

واستشهد رحمه الله على إثبات فتنة القبر بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « قال رسول الله

---

(١) التعليقات السنية، ص(١١١-١١٢).

(٢) انظر: العقيدة الواسطية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص(٣٢).

(٣) التعليقات السنية، ص(١١٢).

ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ (1) قال: (ذاك إذا قيل في القبر: من ربك؟ وما دينك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام،ونبي محمد ﷺ جاء بالبينات من عند الله فآمنت به وصدقت، فيقال له: صدقت، على هذا عشت وعليه مت وعليه تبعث)(2) »(3).

وفتنة القبر هذه هي التي استعاذ منها رسول الله ﷺ ومن عذاب القبر، وأمرنا بالاستعاذة منها، يقول الشيخ رحمه الله معلقاً على حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما ذكر أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ دبر الصلوات بهؤلاء الكلمات: (اللهم إني أعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من فتنة القبر) (4)، قال الشيخ رحمه الله: « وفتنة القبر: سؤال منكر ونكير، فيثبت الله المؤمن، ويضل المنافق، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ (5) »(6).

ثم يخبر رحمه الله ما يحصل للمرء في قبره بعد هذه الفتنة فيقول: « ثم بعد هذه الفتنة: إما نعيم وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى » (7).

وقد استدل الشيخ رحمه الله على إثبات نعيم القبر وعذابه بحديث البراء بن عازب رضي الله عنه وذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

---

(1) سورة إبراهيم: آية (٢٧) .

(2) أخرجه ابن جرير، (١٣/ ٢١٥).

(3) توفيق الرحمن، (٢/ ٥٣٨).

(4) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوذ من الجبن، (ح/ ٢٦٦٧).

(5) سورة إبراهيم: آية (٢٧).

(6) تطريز رياض الصالحين، ص(٧٧٨).

(7) التعليقات السنية، ص(١١٢) .

وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ [1].

وهو حديث طويل، الشاهد في إثبات نعيم القبر فيه، ما ذكره الرسول ﷺ بعد سؤال الملكان للعبد، فإن كان من الصالحين: « قال رسول الله ﷺ : (فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له[2] باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي)[3] »[4].

وفي المقابل يذكر عليه الصلاة والسلام حال العاصي في قبره فيقول بعد سؤال الملكان له وتعذره عن الجواب: (فينادي مناد من السماء: أن كذب عبدي فافرشوه من النار وافتحوا له باباً من النار، فيأتيه من حرّها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول له: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: ومن أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول. أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة)[5].

وأكد رحمه الله على إثبات عذاب القبر عند تعليقه على حديث الرسول ﷺ عندما مر

---

(١) سورة إبراهيم: آية (٢٧).

(٢) في الأصل (به) والصحيح ما أثبتناه.

(٣) أخرجه أحمد، (٤/ ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦). وأبو داود كتاب السنة، باب المسألة في القبر، (ح/ ٤٧٥٣). والحاكم، (١/ ٩٣)، وصححه على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح، والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع، (ح/ ١٦٧٦)، (١/ ٣٤٤-٣٤٦).

(٤) توفيق الرحمن، (٢/ ٥٣٧).

(٥) سبق تخريجه.

بقبرين، فقال: (إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير.. الحديث)[1] قال: « في هذا الحديث إثبات عذاب القبر »[2].

ويقول رحمه الله أيضاً معلقاً على حديث أنس رضي الله عنه بأن رسول الله ﷺ كان يقول: (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم، والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات)[3]. قال: « قوله: وأعوذ بك من عذاب القبر، أي: العذاب الكائن فيه، وفي الحديث: (القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، فإن حسن فما بعده أحسن، وإن قبح فما بعده أقبح)[4] »[5].

وما ذهب إليه الشيخ فيصل رحمه الله في إثبات نعيم القبر وعذابه، هو ما قرره أهل السنة والجماعة في أصولهم. وهذه بعض أقوال أئمتهم وعلمائهم:

١-قال الإمام أحمد رحمه الله: « عذاب القبر حق لا ينكره إلاّ ضال مضل »[6].

٢-وقال الآجري[7] بعد أن سرد الأحاديث والآثار التي تدل على ثبوت عذاب القبر ونعيمه: « ما أسوأ حال من كذب بهذه الأحاديث، لقد ضل ضلالاً بعيداً وخسر

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول، (ح/ ٢١٣). ومسلم كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الإستبراء منه، (ح/ ٢٩٢).

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص(٨٤٩).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب العلم، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره، (ح/ ٢٧٠٦).

(٤) أخرجه الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق، (ح/ ٢٤٦٠)،وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، (ح/ ١٢٣١). وفي السلسلة الضعيفة، (ح/ ٤٩٩٠)، (١٠/ ٧٤٧).

(٥) تطريز رياض الصالحين، ص(٨١٠).

(٦) طبقات الحنابلة، أبو يعلي، (١/ ٦٢).

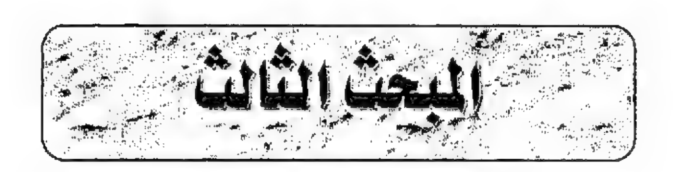
(٧) هو محمد بن الحسين البغدادي الفقيه الشافعي المحدث، كان صالحاً ثقة صدوقاً، وله تصانيف كثيرة منها: الشريعة، وأخلاق العلماء، توفي سنة (٣٦٠هـ).

انظر: شذرات الذهب، ابن العماد، (٣/ ٣٥). وفيات الأعيان، ابن خلكان، (٤/ ٢٩٢).

خسراناً مبيناً »[1].

وعليه.. فإن ما ذهب إليه الشيخ رحمه الله في إثبات حياة البرزخ وما فيها من فتنة ثم عذاب أو نعيم، قد سلك في إثباته منهج السلف، بالاستناد إلى الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة، لأن ذلك من الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل فيها.

(١) الشريعة، الآجري، (٣٦٤).



أشـــراط الساعـــة

* *　　* *　　* *

المبحث الثالث: أشراط الساعة

الساعة: هي في الأصل الجزء من الليل أو النهار. ويقال أيضاً: ساعة كل شيء هي أوان زواله وبطلانه.

وقد جاء ذكر الساعة في القرآن تعبيراً عن يوم القيامة كما عُبِّر عنها بعدة أسماء منها: القارعة،والغاشية،والطامة، والواقعة،و الحاقة، والصاخة، ويوم الحساب، ويوم الدين.

وأدلة وقوعها كثيرة جداً في الكتاب والسنة، ولكن مع قطعية ثبوتها ووجوب الإيمان بها؛ إلا أن الله تعالى قد استأثر بعلم وقت وقوعها، فلم يطلع أحداً على موعدها.

وقد أشار الشيخ فيصل رحمه الله إلى استئثار الله تعالى بعلمها عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ (١).

قال: « يقول: خفيت في السماوات و الأرض، فلم يعلم قيامها متى تقوم ملك مقرب، ولا نبي مرسل » (٢).

ويقول رحمه الله في شرحه لحديث جبريل عندما سأل الرسول ﷺ فقال: فأخبرني عن الساعة؟ قال رسول الله ﷺ: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل؟ يقول الشيخ رحمه الله: «أي: لا أعلمها أنا ولا أنت ولا أحد من الخلق، بل لا يعلم وقت مجيئها إلا الله تعالى»(٣).

ولما اقتضت حكمة الله تعالى إخفاء وقت وقوعها أعلم نبيه محمداً ﷺ بأمارات قربها وهي ما تسمى بـ« أشراط الساعة » .

وقد أشار الشيخ رحمه الله إلى هذا المعنى عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا

---

(١) سورة الأعراف: آية (١٨٧).

(٢) توفيق الرحمن، (٢/ ٢٧٥).

(٣) محاسن الدين، ص(١٨).

ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾[1] قال: « أي: أماراتها وعلاماتها؛ وكان النبي ﷺ من أشراط الساعة »[2].

ثم استدل رحمه الله على أن بعثة الرسول ﷺ من علامات الساعة، بحديث رسول الله ﷺ: « بعثت أنا والساعة كهاتين »[3] يعني إصبعه الوسطى والتي تلي الإبهام[4].

وذكر الشيخ رحمه الله أن أشراط الساعة تنقسم إلى قسمين، فقال عند شرحه لحديث جبريل: « وأشراط الساعة على قسمين : ما يكون المعتاد كالمذكور في هذا الحديث وغيره وهي أشراطها الصغار،والقسم الثاني غير المعتاد، وهي أشراطها الكبار: كخروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج،وخروج الدابة من الأرض، وطلوع الشمس من مغربها »[5].

وقد ساق الشيخ رحمه الله الكثير من الأحاديث والآثار الدالة على أشراط الساعة الصغرى والكبرى فمن الأحاديث التي ذكرها في هذا الموضوع[6]، قوله: « وعن حذيفة ابن أسيد الغفاري قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر أمر الساعة فقال: لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها،والدخان، والدابة،وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى ابن مريم عليه السلام، والدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمغرب،وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من

---

(١) سورة محمد: آية (١٨).

(٢) توفيق الرحمن، (٤/ ٩٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي بعثت أنا والساعة كهاتين، (ح/ ٦١٣٩). ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، (ح/ ٢٩٥١).

(٤) انظر: توفيق الرحمن، (٤/ ٩٥-٩٦).

(٥) محاسن الدين، ص(١٩).

(٦) توفيق الرحمن، (٣/ ٣٤٧).

قعر عدن تسوق الناس، تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا »[1].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذ طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانهم لم تكن آمنت من قبل، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه،ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه،ولتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلى فيه فلا يطعمها)[2].

وعن عبدالله بن عمرو[3] أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريباً »[4].

وأما الآثار الواردة في هذا الموضوع، والتي ذكرها الشيخ فهي قوله: « قال الطيبي[5]: الآيات: أمارات الساعة، إما على قربها وإما على حصولها، فمن الأول: الدجال، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج والخسف، ومن الثاني: الدخان، وطلوع

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، (ح/ ٢٩٠١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب طلوع الشمس من مغربها، (ح/ ٦١٤١). ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، (ح/ ١٥٧).

(٣) هو عبدالله بن عمرو بن العاص، أبو محمد وقيل: أبو عبدالرحمن، أسلم قبل أبيه، وكان من العلماء العباد، هاجر قبل الفتح، كتب عن النبي ﷺ علماً كثيراً، توفي بمصر سنة (٦٥هـ) .

انظر: الكاشف، الذهبي، (١/ ٥٨٠). تذكرة الحفاظ، الذهبي، (١/ ٤١) الإصابة، ابن حجر، (٧/ ٤١٤) .

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، (ح/ ٢٩٤١).

(٥) هو أبو الحسن أحمد بن إسحاق بن بنجاب الطيبي، قدم بغداد،وحدث بها عن جماعة، وتلقى عنه كثيرون، قال الخطيب: ولم أسمع فيه إلا خيراً.

انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (٤/ ٣٥).

الشمس من مغربها،وخروج الدابة والنار التي تحشر الناس »[1].

قال الحافظ ابن حجر: « فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم، وأن طلوع الشمس من مغربها هو أوّل الآيات العظام المؤذنة بتغيير الأحوال العلوية، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب؛ قال: والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة، فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر، تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة، وأوّل الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر الناس »[2].

وقال عبدالله بن عمر: « لا تلبثون بعد يأجوج ومأجوج إلاَّ قليلاً حتى تطلع الشمس من مغربها، فيناديهم مناد: يا أيها الذين آمنوا قد قبل منكم، ويا أيها الذين كفروا قد أغلق عنكم باب التوبة، وجفت الأقلام وطويت الصحف »[3].

والحاصل: أن الشيخ فيصل رحمه الله قد ذكر بعض أشراط الساعة، وهي من الأمور الغيبية بذكر الآيات التي أشارت إليها ثم ساق الكثير من الأحاديث والآثار الدالة عليها، وهذا المنهج الذي سلكه الشيخ رحمه الله هو بعينه منهج السلف الصالح في الاعتقاد.



(١) توفيق الرحمن، (٣/ ٣٤٨)، فتح الباري، ابن حجر، (١١/ ٣٥٢) .

(٢) فتح الباري، ابن حجر، (١١/ ٣٥٣).

(٣) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن، (٢/ ٦٥٤) مرفوعاً بسند ضعيف، انظر: توفيق الرحمن، (٣/ ٣٤٨).



المبحث الرابع

نماذج من المسائل التي اشتمل عليها اليوم الآخر

وفيه ستة مطالب : –

- المطلب الأول: البعث .
- المطلب الثاني: الحشر .
- المطلب الثالث: الحساب .
- المطلب الرابع: الحوض .
- المطلب الخامس: الشفاعة .
- المطلب السادس: الصراط .

* *　* *　* *

المبحث الرابع: نماذج من المسائل التي اشتمل عليها اليوم الآخر .

اشتمل الإيمان باليوم الآخر على مسائل مهمة، وقد ذكرها الشيخ فيصل رحمه الله إجمالاً عند بيانه لمعنى الإيمان باليوم الآخر، ثم تعرض إلى تفصيلها في ثنايا مؤلفاته ولتوضيح كلام الشيخ رحمه الله في هذه المسائل، كانت المطالب التالية ..

المطلب الأول: البعث

الإيمان بالبعث بعد الموت مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز، وأقام عليه الدليل، ورد على منكريه، في أغلب سور القرآن الكريم.

وقد نقل الشيخ رحمه الله عن شيخ الإسلام ابن تيمية إثبات حقيقة البعث، بعد أن ذكر فتنة القبر وعذابه بقوله: « فتعاد الأرواح إلى الأجساد، وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأجمع عليها المسلمون »[1].

ولأن الإيمان بالبعث من الإيمان بالغيبيات، فلا سبيل إلى معرفته إلا عن طريق النص الموحى به من الكتاب أو السنة، لذا فقد أنكره كثير من الناس ممن لا يؤمنون بالوحي وقد ذكر الشيخ بعض الذين أنكروه عند تفسيره لقوله الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[2].

قال: « وقال ابن كثير: يخبر الله تعالى عن قول الدهرية ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معاد ولا قيامه، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون المعاد، وتقوله الفلاسفة الإلهيون[3] منهم، وهم ينكرون البداءة والرجعة،

(١) التعليقات السنية، ص(١١٢).

(٢) سورة الجاثية: آية (٢٤).

(٣) الفلاسفة الإلهيون: هم الذين يقولون بقدم العالم، ويثبتون له مبدعاً واجباً بنفسه أبدعه، أي: أنهم يثبتون =

وتقوله الفلاسفة الدهرية الدورية[1] المنكرون للصانع، فكابروا المعقول، وكذبوا المنقول، ولهذا قالوا: ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ﴾[2] »[3].

ولهذا؛ فإنا نجد أن الأدلة في القرآن الكريم على إثبات هذا الحدث العظيم وهو البعث، أدلة معنوية حسية ليرسخ هذا المعتقد في القلوب، فيبعث على العمل والاستمساك بالعروة الوثقى.

وقد تحدث الشيخ رحمه الله عن بعض أساليب القرآن المتنوعة لتقرير هذه العقيدة في تفسيره، ومنها:

الأول: أشار رحمه الله إلى استدلال القرآن لإثبات البعث، بأن من خلق الناس من العدم قادر على إعادتهم بعد فنائهم.

يقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾[4]: « قال البغوي: يعني: أعجزنا حين خلقناهم أولاً فنعيا بالإعادة؟ وهذا تقريع لهم لأنهم اعترفوا بالخلق الأول وأنكروا البعث ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ﴾ أي: في شك ﴿مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ وهو البعث بعد الموت. قال قتادة: فصار الناس فيه رجلين: مكذب

واجب الوجود، وقد تصدوا للرد على الفلاسفة الدهرية الطبيعية،ولكن ردودهم في الغالب واهية، لأنها معزولة عن الوحي، وعلى رأسهم يأتي أرسطو والفارابي وابن سينا. انظر: درء التعارض، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٥/ ٩)، (٦/ ١٩٠)، (٧/ ٧٢-١٧٥-٣٨٤)، (٩/ ٢٥٥-٢٥٦).

(١) الفلاسفة الدهرية: هم الذين لا يقرون بواجب أبدع الممكن، وهو قول فرعون،ولا يقولون بالمعقول، فأثبتوا المحسوس وجعلوه واجباً بنفسه. انظر: درء التعارض، شيخ الإسلام، ابن تيمية، (٥/ ٤)، (٩/ ٢٥٦). الملل والنحل، الشهرستاني، (٢/ ٣٠٧).

(٢) سورة الجاثية: آية (٢٤) .

(٣) توفيق الرحمن، (٤/ ٦٨).

(٤) سورة ق: آية (١٥).

ومصدق»[1].

ويقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[2]: « عن قتادة قوله: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ﴾ إن عجبت يا محمد ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ عجب الرحمن تبارك وتعالى من تكذيبهم بالبعث بعد الموت.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ قال: إن تعجب من تكذيبهم، وهم قد رأوا من قدرة الله وأمره، وما ضرب لهم من الأمثال، فأراهم من حياة الموات في الأرض الميتة، وإن تعجب من هذه فتعجَّب من قولهم ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، أولا يرون أنا خلقناهم من نطفة، فالخلق من نطفة أشد أم الخلق من تراب وعظام؟»[3].

وقال رحمه الله أيضاً: « قال عكرمة: تعجب الكفار من إحياء الله الموتى فنزلت: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[4] إعادة الخلق أهون عليه من ابتدائه، وعن مجاهد قال: الإعادة أهون عليه من البداءة، والبداءة عليه هيّن »[5].

الثاني: بيّن الشيخ رحمه الله أن الله تعالى قد استدل على إثبات البعث بخلق أعظم المخلوقات، وهو خلق السماوات والأرض، فيقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾[6]: « قال ابن كثير: يقول تعالى منبهاً على أنه يعيد الخلائق يوم القيامة، وأن ذلك سهل عليه يسير لديه، بأن خلق السماوات والأرض وخَلْقُهما أكبر من خلق الناس بدءً وإعادة، فمن قدر على

---

(١) توفيق الرحمن، (٤/ ١٤٣).

(٢) سورة الرعد: آية (٥).

(٣) توفيق الرحمن، (٢/ ٥١١).

(٤) سورة الروم: آية (٢٧).

(٥) المرجع السابق، (٣/ ٤٣٩).

(٦) سورة غافر: آية (٥٧).

ذلك فهو قادر على ما دونه بطريق الأولى والأحرى، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]»[2].

الثالث: ذكر الشيخ رحمه الله بأن الله تعالى قد أكد وقوع البعث بأمره للنبي ﷺ بأن يقسم بأنه كائن لا محالة، فيقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾[3]: « قال ابن كثير: هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لهن، مما أمر الله تعالى رسول الله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد، لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد، فإحداهن في سورة يونس عليه السلام وهي قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾[4]، والثانية هذه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾[5]، والثالثة في سورة التغابن، وهي قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ﴾[6] »[7].

الرابع: نبه الشيخ رحمه الله على أن من أدلة وقوع البعث المذكورة في القرآن الكريم؛ القياس على أن من أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الناس بعد موتهم، فيقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ

(١) سورة الأحقاف: آية (٣٣).

(٢) توفيق الرحمن، (٣/ ٦٩٢- ٦٩٣).

(٣) سورة سبأ: آية (٣).

(٤) سورة يونس: آية (٥٣).

(٥) سورة سبأ: آية (٣).

(٦) سورة التغابن: آية (٧).

(٧) توفيق الرحمن، (٣/ ٥٢٤).

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[1]، يقول: « لما ذكر الله أنه خالق السماوات الأرض، وأنه المدبر لخلقه، وأمر بدعائه، نبه على أنه الرازق، وأنه يعيد الموتى يوم القيامة فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: قدام المطر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ قال مجاهد: إذا أراد الله أن يخرج الموتى، وأمطر السماء حتى تنشق عنهم الأرض، ثم يرسل الأرواح فتعود كل روح إلى جسدها فذلك يحي الموتى بالمطر كإحياته الأرض»[2].

ويقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[3]: « قال السدي: كما يحي الأرض بالمطر كذلك يحي الموتى بالماء يوم القيامة بين النفختين »[4].

الخامس: الإشارة لما يعرض في القرآن من مشاهد ستكون في الآخرة بين أهل الإيمان المصدقين بالبعث، وبين أهل الكفر المكذبين بالبعث فيقول الشيخ رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾[5]: «عن قتادة ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ قال: أهل الجنة وعن ابن عباس قوله: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ قال: هو الرجل المشرك يكون له الصاحب في الدنيا من أهل الإيمان فيقول له المشرك: إنك لتصدق بأنك مبعوث من

---

(١) سورة الأعراف: آية (٥٧).

(٢) توفيق الرحمن، (٢/ ٢٢٤).

(٣) سورة فصلت: آية (٣٩).

(٤) المرجع السابق، (٣/ ٧١٥).

(٥) سورة الصافات: آية (٥٠-٦٠).

بعد الموت ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ ؟ فلما صاروا إلى الآخرة، وأدخل المؤمن الجنة، وأدخل المشرك النار ﴿فَٱطَّلَعَ﴾ المؤمن فرأى صاحبه ﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ وسطها ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ قال قتادة: أي في عذاب الله ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ .

قال ابن كثير: هذا من كلام المؤمن، مغتبطاً بما أعطاه الله تعالى من الخلد في الجنة والإقامة في دار الكرامة، بلا موت فيها ولا عذاب، ولهذا قال ﷻ: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ وعن قتادة قوله: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ قال: هذا قول أهل الجنة »[1].

والحاصل : أن الشيخ فيصل رحمه الله قد أثبت البعث بالاعتماد على نصوص الوحي، وهو منهج السلف.



(١) توفيق الرحمن، (٣/ ٥٩٩).

المطلب الثاني: الحشر

بعد البعث تحشر الخلائق وتجمع في مكان واحد لموقف الحساب وفصل القضاء.

والحشر حق ثابت لا شك فيه، دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة.

وقد نقل الشيخ فيصل رحمه الله عن شيخ الإسلام ابن تيمية كيف تكون حالة الناس في موقف الحشر، بعد أن ذكر أنهم يبعثون من قبورهم فقال: « فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلاً، وتدنو منهم الشمس، ويلجمهم العرق »[(١)].

فالشيخ رحمه الله أشار في كلامه السابق إلى حال الناس في موقف الحشر بأنهم يكونوا كما ولدتهم أمهاتهم: حفاة عراة، رجالاً ونساءً، لا يسترهم شيء، والناس من هول الموقف مشغولون قال تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٍ شَأۡنٌ يُغۡنِيهِ﴾[(٢)].

واستدل الشيخ رحمه الله على حال الناس في البعث بحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً. فقالت: يا رسول الله فكيف بالعورات؟ فقال: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٍ شَأۡنٌ يُغۡنِيهِ﴾[(٣)])[(٤)] »[(٥)].

وأشار كذلك رحمه الله في كلامه السابق إلى صورة من الهول والكرب في موقف الحشر،وهي: دنو الشمس من رؤوس الخلائق فيغوص الناس في عرقهم حتى يلجم العرق بعضهم إلجاماً.

---

(١) التعليقات السنية، ص(١١٢).

(٢) سورة عبس: آية (٣٧).

(٣) سورة عبس: آية (٣٧).

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى، (ح/ ٢٢١٠). والحاكم، (٤/ ٦٠٨)،وصححه وسكت عنه الذهبي،وهو حديث صحيح. وبنحوه أخرجه البخاري كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، (ح/ ٦١٦٢). ومسلم، كتاب الجنة وصفه نعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، (ح/ ٢٨٥٩).

(٥) توفيق الرحمن، (٤/ ٤٣٩).

والدليل على ذلك ما رواه المقداد بن الأسود[1] ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم مقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً) وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه[2].

ثم أشار ﷺ إلى أقسام المحشورين وكيفية حشرهم:

١-حشر المتقين:

يحشر المتقون وغيرهم من قبورهم إلى المحشر مشاة لأنهم يكونون حفاة عراة غرلاً، وهذا هو الظاهر من حديث الرسول ﷺ -والله أعلم-، أما حشر المتقين من المحشر إلى الجنة فإنهم يحشرون ركباناً.

يقول الشيخ ﷺ عند تفسير قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾[3]: « عن علي قال: أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم ولا يساق سوقاً، لكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها، عليها رحال الذهب وأزمتها الزبرجد، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة »[4].

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسير هذه الآية: « وجمهور المفسرين على أن معنى قوله: ﴿وَفْدًا﴾ أي ركباناً. وبعض العلماء يقول: هم ركبان على نجائب من نور من مراكب الدار الآخرة. وبعضهم يقول: يحشرون ركباناً على صور من أعمالهم الصالحة

---

(١) المقداد بن الأسود هو ابن عمرو بن ثعلبه البهراني وقيل الحضرمي. أسلم قديماً وزوجه النبي ﷺ ابنة عمه ضباعة بنت الزبير. هاجر الهجرتين وشهد بدراً وما بعدها مات سنة (٣٣هـ) وعمره (٧٠ سنة).

انظر: الإصابة، ابن حجر، (٦/ ٢٠٢-٣٠٣).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب في صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها (ح/ ٢٨٦٤).

(٣) سورة مريم: آية (٨٥).

(٤) أخرجه ابن جرير، (١٦/ ١٢٦). توفيق الرحمن، (٣/ ٦٧) .

في الدنيا في غاية الحسن وطيب الرائحة.. إلى أن قال: وركوبهم المذكور إنما يكون من المحشر إلى الجنة.

أما من القبر فالظاهر أنهم يحشرون مشاة بدليل حديث ابن عباس الدال على أنهم يحشرون حفاة عراة غرلاً. هذا هو الظاهر، وجزم به القرطبي،والعلم عند الله »[1].

٢-حشر الكافرين:

يحشر الكافر يوم القيامة أعمى، لأنه عمي في الدنيا عن الإيمان، والجزاء من جنس العمل، يقول الشيخ رحمه الله: « وقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[2] قال ابن عباس: أعمى البصر ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾[3].

قال مجاهد في قوله: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ﴾ قال: فتركتها، ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ وكذلك اليوم تترك في النار »[4].

ويسحب الكافرون في المحشر إلى النار على وجوههم يقول الشيخ رحمه الله عند تفسير قوله تعالى عن الكافرين: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾[5].

قال: « وفي الصحيحين عن أنس قال: « قيل: يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال: الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم »[6].

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، طبع المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٤٠٣هـ، (٤/ ٣٩١-٣٩٢).

(٢) سورة طه: آية (١٢٤).

(٣) سورة طه: آية (١٢٦).

(٤) توفيق الرحمن، (٣/ ١٠٤-١٠٥).

(٥) سورة الإسراء: آية (٩٧).

(٦) توفيق الرحمن، (٢/ ٦٤٧).

ويقول رحمه الله في صفة حشرهم عند تفسير قوله الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[1]: « قال البغوي: يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا، ثم يساقون إلى النار »[2].



(١) سورة النمل: آية (٨٣).

(٢) المرجع السابق، (٣/ ٣٥٠).

المطلب الثالث: الحساب

وهو: محاسبة العباد قبل انصرافهم من الموقف على ما كان منهم في الدنيا خيراً كان أو شراً.

والله ﷻ هو الذي يحاسب عباده على ما كان منهم قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝﴾[1].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله عند تفسيره للآية السابقة: « عن قتادة يقول: إن إلى الله الإياب وعليه الحساب »[2].

أما عن كيفية الحساب؛ فينقل رحمه الله عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: « ويحاسب الله الخلائق، ويخلو بعبده المؤمن، فيقرره بذنوبه؛ كما وصف ذلك في الكتاب والسنة.

وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم فتحصى، فيوقَفُون عليها، ويقررون عليها، ويجزون عليها »[3].

ومن هنا ساق الأدلة على دقة الحساب:

فالله سبحانه متصف بالعدل المطلق، منزه عن الظلم،وقد شاء سبحانه لكمال عدله أن يظهر لكل شخص عمله بما يقطع حجته، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝﴾[4].

ومن الأدلة على دقة الحساب:

أ-الشهود:

وهذا من تمام إظهار العدل الإلهي في هذا الموقف العظيم، فإن الله سبحانه يستشهد

---

(١) سورة الغاشية: آية (٢٥-٢٦).

(٢) توفيق الرحمن، (٤/ ٤٨٠).

(٣) التعليقات السنية، ص(١١٢-١١٣).

(٤) سورة غافر: آية (١٧).

على المذنبين قبل إدانتهم، مع علمه ﷻ القاطع بما عملوا.

ومن هؤلاء الشهود ما يلي:

١-الأنبياء عليهم السلام: فيشهد كل نبي على أمته بالبلاغ، يقول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾[(١)]، يقول الشيخ فيصل ﷬ في تفسير الآية: « عن قتادة قال: وشاهدها نبيها، على أنه قد بلّغ رسالات ربه »[(٢)].

٢-الملائكة: الذين سجلوا الأعمال، وشهدوا المعاصي، قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ۝﴾[(٣)]. يقول الشيخ ﷬ في بيان شهادة الملائكة على الإنسان يوم القيامة عند تفسيره للآية السابقة: « قال مجاهد يقول: هذا الذي وكّلتني به من ابن آدم حاضر عندي، وقد أحضرته وأحضرت ديوان أعماله »[(٤)].

٣-شهادة الأرض: تشهد الأرض في موقف الحساب على كل مخلوق بما أحدث عليها من خير أو شر، قال تعالى عن الأرض في يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[(٥)] يقول الشيخ ﷬ في تفسير هذه الآية: « قال سفيان: ما عمل عليها من خير أو شر » ثم استشهد بحديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: « فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا، يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها »[(٦)].

٤-جوارح الإنسان: وكما تحدث الأرض عن أخبار الناس وتشهد عليهم، كذلك

---

(١) سورة النحل: آية (٨٤).

(٢) توفيق الرحمن، (٢/ ٥٨٨).

(٣) سورة ق: آية (٢١).

(٤) توفيق الرحمن، (٤/ ١٤٦).

(٥) سورة الزلزلة: آية (٤).

(٦) المرجع السابق، (٤/ ٥١٩).

تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وأسماعهم وأبصارهم، وجلودهم، وهذا حين يماري الإنسان، ولا يرضى إلا شاهداً من نفسه، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [1] يقول الشيخ رحمه الله في تفسير الآية: «هذا حين ينكر الكفار كفرهم وتكذيبهم الرسل بقولهم: ما كنا مشركين، فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم» [2] ثم قال: وروى مسلم وغيره في حديث أبي هريرة (الطويل): «ثم يلقى الثالث فيقول: ما أنت؟ فيقول: أنا عبدك آمنت بك وبنبيك وبكتابك، وصمت وصليت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، قال فيقال له: ألا نبعث عليك شاهداً؟ فيفكر في نفسه: من الذي يشهد عليه؟ فيختم على فيه، ويقال لفخذه: انطقي، قال: فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل، وذلك المنافق ليعذر من نفسه، وذلك الذي يسخط الله تعالى عليه» [3].

ب-نشر الصحف:

في موقف الحساب تنشر لكل إنسان صحائف عمله ويتناولها، وقد أحصي له أو عليه فيها كل صغيرة وكبيرة بواسطة الملائكة الكرام الكاتبين قال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [4].

يقول الشيخ رحمه الله في تفسير الآية: «قال ابن كثير: أي مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة عليهم السلام ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ أي: من أعمالهم ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ أي: مجموع عليهم ومسطر في صحائفهم» [5].

أما عن أحوال الخلق عند تناول الصحف؛ فقد ذكرت النصوص الشرعية أنهم

---

(١) سورة يس: آية (٦٥).

(٢) توفيق الرحمن، (٣/ ٥٨٧).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، (ح/ ٢٩٦٨).

(٤) سورة القمر: آية (٥٣).

(٥) توفيق الرحمن، (٤/ ١٨٦).

على ثلاثة أصناف، يقول الشيخ رحمه الله في بيان ذلك: « وتنشر الدواوين، وهي صحائف الأعمال، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره، كما قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝ ﴾[1] »[2].

ومن فضل الله تعالى ولطفه بالمؤمنين، أنه لا يناقشهم الحساب على أعمالهم وإنما يعرضها عليهم ويقررهم بها، وقد استشهد الشيخ رحمه الله على ذلك بما جاء في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (قال رسول الله ﷺ: « من نوقش الحساب عذب »، فقلت يا رسول الله أفليس قال الله ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ قال: « ليس ذلك بالحساب، ولكن ذلك العرض، ومن نوقش الحساب يوم القيامة عذب»[3])[4].

جـ-وزن الأعمال:

في موقف الحساب ينصب الله ﷻ الموازين، ليزن أعمال العباد التي أحصاها عليهم، حتى يأخذ كل واحد جزاء ما عمل من خير أو شر .

يقول الشيخ رحمه الله في بيان ذلك: « فتنصب الموازين، فتوزن بها أعمال العباد: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝ ﴾[5] »[6].

وأثبت رحمه الله أن العامل يوزن، واستدل بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

---

(١) سورة الإسراء: آية (١٣-١٤) .

(٢) التعليقات السنية، ص(١١٢) .

(٣) أخرجه مسلم. كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب إثبات الحساب، (ح/ ٢٨٧٦). وبنحوه أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، (ح/ ٦١٧١) .

(٤) توفيق الرحمن، (٤/ ٤٦١) .

(٥) سورة المؤمنون: آية (١٠٢-١٠٣) .

(٦) التعليقات السنية، ص(١١٢) .

(يأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرأوا إن شئتم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾[1])[2]»[3].

والإيمان بوزن الأعمال وحقيقة الميزان هي عقيدة أهل السنة والجماعة وللسلف في تقرير ذلك أقوال كثيرة، ومنها ما ذكره ابن أبي العز الحنفي رحمه الله حيث قال: « ..فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات، فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق ﷺ من غير زيادة ولا نقصان »[4].

وعليه ..

فإن الشيخ فيصل رحمه الله قد وافق منهج السلف في وجوب الإيمان بالميزان وما يلحق به من عقائد، وأن ذلك يعد من الإيمان باليوم الآخر .



(١) سورة الكهف: آية (١٠٥) .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾، الآية (ح/ ٤٤٥٢). ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، (ح/ ٢٧٨٥) .

(٣) توفيق الرحمن، (٣/ ٤١) .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، (٤١٩) .

المطلب الرابع: الحوض

الحوض في اللغة: مجتمع الماء، والجمع أحواض وحياض[(١)] .

والمراد به حوض نبينا محمد ﷺ وهو حق ثابت يجب الإيمان به، فأحاديث الحوض متواترة، بما لا يدع مجالاً للشك، وهو على ظاهره كما يفهم من الألفاظ التي ورد بها من غير تأويل .

وقد وافق الشيخ فيصل رحمه الله شيخ الإسلام ابن تيمية في إثبات حقيقة الحوض وصفته كما ورد في الأحاديث الشريفة[(٢)]؛ فقال: « وفي عرصات يوم القيامة الحوض المورود للنبي ﷺ، ماؤه أشد بياضاً من اللَّبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، طوله شهر، وعرضه شهر، من يشرب منه شربة، لا يظمأ بعدها أبداً »[(٣)].

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (٧/ ١٤١) .

(٢) الأحاديث الصحيحة الواردة في إثبات الحوض وصفته كثيرة، ومنها:

١ – حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن لي حوضاً في الجنة، مسيرته شهر، وزواياه سواء، ريحه أطيب من المسك، ماؤه كالورق، أقداحه مثل نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً). أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض (ح/ ٦٢٠٨). ومسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، (ح/ ٢٢٩٢) .

٢ – حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء). أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، (ح/ ٦٢٠٩) .

٣– حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (إني فرط لكم على الحوض، وإن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيله، كأن الأباريق في النجوم). أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، (ح/ ٢٣٠٥) .

٤ – حديث أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إن حوضي أبعد من أيله إلى عدن، لهو أشد بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم). أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، (ح/ ٢٤٧) .

(٣) التعليقات السنية، ص(١١٣) .

فمن كان يرجو أن يكون من الواردين على حوض النبي ﷺ فعليه أن يتبع رسول الله ﷺ فيما جاء به، وليعمل بشريعته ﷺ فقد جاء في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال وهو بين ظهراني أصحابه: (إني على الحوض، أنتظر من يرد علي منكم، فوالله ليقتطعن من دوني رجال، فلأقولن: أي رب، مني ومن أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما عملوا بعدك، ما زالوا يرجعون على أعقابهم)[1].

وعليه: فإن الشيخ فيصل رحمه الله قد وافق السلف في إثبات حقيقة الحوض وصفته، كما ورد في النصوص الشرعية، فالإيمان به هو من الإيمان باليوم الآخر.



(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، (ح/ ٦٢٢٠). ومسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته (ح/ ٢٢٩٤).

المطلب الخامس: الشفاعة العظمى

الشفاعة العظمى هي أولى الشفاعات، وهي خاصة بنبينا محمد ﷺ وتكون لخلاص الناس مما هم فيه من كرب الموقف لفصل القضاء، فتلك هي المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون .

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تعريف المقام المحمود:

« المقام المحمود: هو شفاعة النبي ﷺ عند الله -عز وجل- في القضاء بين خلقه حين يتأخر عنها آدم وألو العزم من الرسل »[1] .

ويقول في موضع آخر: « والمقام المحمود: مقام الشفاعة يوم القيامة يحمده به الأولون والآخرون »[2] .

ويذكر الشيخ رحمه الله أنواع الشفاعات الخاصة بالرسول ﷺ نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول: « وله ﷺ في القيامة ثلاثة شفاعات:

أما الشفاعة الأولى: فيشفع في أهل الموقف حتى يُقضى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء -آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم- عن الشفاعة حتى تنتهي إليه .

وأما الشفاعة الثانية: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة .

وهاتان الشفاعتان خاصتان له .

وأما الشفاعة الثالثة: فيشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار ألا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها »[3] .

---

(١) تطريز رياض الصالحين، ص(٦٠٨) .

(٢) المرجع نفسه، (٦٥٩) .

(٣) التعليقات السنية، ص(١١٣-١١٤) .

شروط الشفاعة:

تختلف الشفاعة عند الله ﷻ عن الشفاعة عند غيره، فلا بد في الشفاعة عند الله تعالى من شرطين:

الشرط الأول: أن يأذن الله للشافع في أن يشفع، قال تعالى ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[1]، يقول الشيخ رحمه الله في تفسير الآية: « وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه ﷻ أنه لا يتجاسر أحد أن يشفع لأحد عنده إلَّا بإذنه له بالشفاعة »[2].

الشرط الثاني: أن يرضى الله عن المشفوع له، ولا يرضى إلا لمن كان قد مات على التوحيد، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[3].

يقول الشيخ رحمه الله عند تفسيره للآية السابقة: « قال مجاهد: لمن رضي عنه. وقال ابن عباس: الذي ارتضى لهم شهادة أن لا إله إلا الله »[4].

وقد جمع ﷻ بين الشرطين: الإذن والرضا في قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[5].

يقول رحمه الله في تفسير الآية: « أي: كثيراً منهم مع علو رتبتهم لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله في الشفاعة لمن يشاء ويرضى، فكيف ترجون شفاعة الأنداد والجماد عند الله؟ »[6].

وقد جزم السلف بأن الشفاعة لأهل الذنوب من المسائل المتفق عليها بين الصحابة

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٥٥).

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص(٥٩٥).

(٣) سورة الأنبياء: آية (٢٨).

(٤) توفيق الرحمن، (٣/ ١١٦).

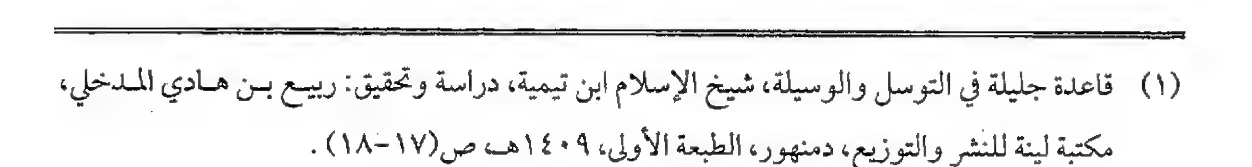
(٥) سورة النجم: آية (٢٦).

(٦) القصد السديد، ص(٩٢-٩٣).

والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، مشروطة بالإذن والرضا، وذلك لكثرة الأدلة على ثبوتها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وأما الشفاعة يوم القيامة، فمذهب أهل السنة والجماعة -وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم- أن له شفاعات يوم القيامة خاصة وعامة، وأنه يشفع فيمن يأذن الله له أن يشفع فيه من أمته من أهل الكبائر، ولا ينتفع بشفاعته إلا أهل التوحيد المؤمنون »[1] .

والحاصل: أن الشيخ فيصل رحمه الله وافق السلف في الإيمان بشفاعة الرسول ﷺ وشفاعة غيره من الأنبياء والصالحين وغيرهم يوم القيامة، ولكن بشروطها .



(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، شيخ الإسلام ابن تيمية، دراسة وتحقيق: ربيع بن هادي المدخلي، مكتبة لينة للنشر والتوزيع، دمنهور، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ص(١٧-١٨) .

المطلب السادس: الصراط

الصراط حقيقة من حقائق اليوم الآخر، وهي أمور خفية لا تدركها العقول لأنه لا نظير لها في الواقع المشهود؛ لذا وجب الإيمان بها كما وردت في الأدلة وعدم الخوض في حقائقها وكيفياتها .

والصراط لغة: الطريق الواضح والمستقيم الذي لا اعوجاج فيه[1] .

وأما شرعاً: فقد عرَّف الشيخ رحمه الله الصراط شرعاً مع ذكر بعض أوصافه نقلاً عن شيخ الإسلام بن تيمية فقال: « والصراط المنصوب على متن جهنم، وهو الجسر الذي بين الجنة والنار، يمر الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر لمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف خطفاً ويلقى في جهنم؛ فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم .

فمن مر على الصراط دخل الجنة، فإذا عبروا عليه، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هُذِّبوا ونُقُّوا أذن لهم في دخول الجنة »[2] .

وعند الصراط يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم .

وقد ذكر الشيخ رحمه الله ذلك عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾[3]، يقول: « أي: نستضيء من نوركم، وذلك أن الله تعالى يعطي المؤمنين نوراً على قدر أعمالهم يمشون به على

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (٧/ ٣١٣). المفردات، الراغب الأصفهاني، ص(٢٨٠) .

(٢) التعليقات السنية، ص(١١٣) .

(٣) سورة الحديد: آية (١٣) .

الصراط، ويعطي المنافقين أيضاً نوراً خديعة لهم، وهو قول الله -عز وجل-: ﴿ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ ﴾ فبينما هم يمشون إذ بعث الله عليهم ريحاً وظلمة فأطفأت نور المنافقين »[1] .

وقد ذهب السلف إلى وجوب الإيمان بالصراط وإثباته إثباتاً حقيقياً كما أثبته الله تعالى ورسوله ﷺ .

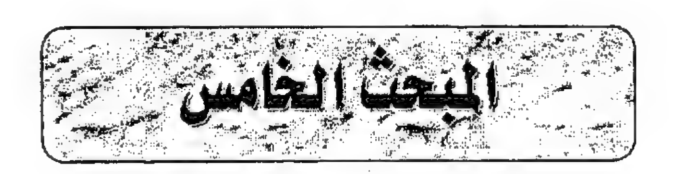
قال السفاريني: « والحق أن الصراط وردت به الأخبار الصحيحة، وهو محمول على ظاهره، بغير تأويل، كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والصحاح مما لا يحصى إلا بكلفه من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق»[2] .

والحاصل: أن الشيخ رحمه الله قد وافق السلف في وجوب الإيمان بكل ما صح عليه الدليل من الغيبيات، كالبعث والحشر والحساب والنشر والميزان والحوض والشفاعة والصراط .



(١) توفيق الرحمن، (٤/ ٢٢٢) .

(٢) لوامع الأنوار البهية، السفاريني، (٣/ ١٩٢) .



الإيمان بالجنة والنار

* * * * * *

المبحث الخامس: الإيمان بالجنة والنار

يجب الإيمان بأن الجنة حق، والنار حق، لا ريب فيهما، والجنة والنار هما الجزاء الإلهي العادل الذي ينتظر أهل الحق وأهل الباطل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝﴾ [1] .

وقد جاء في الصحيحين عن عبادة بن الصامت[2] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) [3] .

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في شرحه للحديث: « قوله: (والجنة حق والنار حق)، أي: وشهد أن الجنة التي أخبر الله تعالى بها في كتابه؛ أنه أعدها للمتقين، وشهد أن النار التي أخبر الله تعالى بها في كتابه أنه أعدها للكافرين (حق) أي: ثابتة لا شك فيها » [4] .

ثم شرع رحمه الله يتكلم عن صفات الجنة والنار، فذكر منها:

١-أن الجنة والنار مخلوقتان:

الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن، وقد ثبت ذلك بالأدلة الواردة في كتاب الله

---

(١) سورة الانفطار: آية (١٣-١٤) .

(٢) هو عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي الأنصاري، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وجهه عمر إلى الشام قاضياً ومعلماً، ثم انتقل إلى فلسطين، ومات بها ودفن ببيت المقدس سنة (٣٤هـ) وعمره (٧٢) سنة. انظر: الاستيعاب، ابن عبدالبر، (٢/ ٨٠٧). الإصابة، ابن حجر، (٣/ ٦٢٤) .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾، (ح/ ٣٢٥٢). وبنحوه أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، (ح/ ٢٨) .

(٤) القصد السديد، ص(٢٩) .

وسنة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾[1] .

يقول الشيخ رحمه الله عند تفسيره للآية: « أعدت: هيئت للكافرين الذين هم أهلها، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾[3] »[4] .

ثم استشهد رحمه الله على أن النار مخلوقة الآن بحديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (سمعنا وجبة فقلنا: ما هذه؟ فقال رسول الله ﷺ: هذا حجر ألقي به من شفير جهنم منذ سبعين سنة، الآن وصل إلى قعرها)[5] .

والقول بأن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن، هو معتقد أهل السنة والجماعة.

فقد عقد الآجري كتاباً مطولاً في كتابه الشريعة بعنوان: « كتاب الإيمان والتصديق بأن الجنة والنار مخلوقتان »، ثم قال: « اعلموا رحمنا الله وإياكم أن القرآن شاهد على أن الله -عز وجل- خلق الجنة والنار قبل أن يخلق آدم عليه السلام، وخلق للجنة أهلاً وللنار أهلاً قبل أن يخرجهم إلى الدنيا لا يختلف في هذا من شمله الإسلام وذاق طعم حلاوة الإيمان، دل على ذلك القرآن والسنة فنعوذ بالله ممن كذب بهذا » ثم أورد كثيراً من نصوص الكتاب والسنة يثبت بها ما ذكره[6] .

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٤) .

(٢) سورة الجن: آية (١٥) .

(٣) سورة الأنبياء: آية (٩٨) .

(٤) توفيق الرحمن، (١/ ١١١) .

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين، (ح/ ٢٨٤٤) .

(٦) انظر: الشريعة، الآجري، (٣/ ١٣٤٣) .

وعليه:

فإن الشيخ فيصل رحمه الله قد وافق منهج السلف في أن الجنة والنار مخلوقتان .

مكان الجنة والنار:

ذكر الشيخ رحمه الله مكان وجود الجنة والنار عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [1] فقال: « قال قتادة: كانوا يرون الجنة فوق السماوات السبع تحت العرش، وأن جهنم تحت الأرضين السبع »[2] .

فذكر رحمه الله أن مكان الجنة فوق السماوات السبع، ومكان النار تحت الأرضين السبع .

وقد استدل بعض أهل العلم على القول بأن الجنة فوق السماء السابعة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝﴾ [3] وببعض الآثار الواردة عن السلف، كما ذكروا عدة أقوال في مكان النار [4] .

واستدلوا على مكان النار بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [5] .

يقول الشيخ رحمه الله في تفسير الآية: « وعن مجاهد: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ قال النار»[6] .

ثم يؤيد ما ذهب إليه في مكان النار بقول الإمام ابن القيم رحمه الله فيقول: « قال ابن القيم: والصحيح أن أسفل سافلين النار »[7] .

٢-وأن الجنة والنار باقيتان لا تفنيان أبداً:

فالجنة خالدة، والنار كذلك، وأهلها مخلدون لا يدركهم الموت، ولا يلحقهم الفناء،

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٣٣) .

(٢) توفيق الرحمن، (١/ ٤٥١) .

(٣) سورة النجم: آية (١٣-١٥) .

(٤) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم،(١/ ٤٦) .

(٥) سورة التين: آية (٥) .

(٦) توفيق الرحمن، (٤/ ٥٠٥) .

(٧) المرجع السابق، (٤/ ٥٠٥) .

وقد دلت على ذلك الآيات والأحاديث .

يقول الله تعالى عن أهل الجنة: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [1].

قال الشيخ رحمه الله في تفسير الآية: « أي دائمون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها »[2] وهذا مما يدل على أن الجنة باقية لا تفنى أبداً؛ لعدم فناء أهلها .

ويقول تعالى عن أهل النار: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [3]

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير هذه الآية: « لا يخرجون منها ولا يموتون فنعوذ بالله من حالهم »[4] .

وهذا يدل أيضاً على بقاء النار وعدم فنائها لعدم فناء أهلها .

وقد جاء في صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار) [5].

يقول الشيخ رحمه الله في شرحه للحديث: « قال القرطبي[6]: أي: لم يتخذ معه شريكاً في الإلهية، ولا في الخلق، ولا في العبادة، ومن المعلوم من الشرع المجمع عليه عند أهل السنة: أن من مات على ذلك فلا بد له من دخول الجنة، وإن جرت عليه قبل ذلك أنواع من العذاب والمحنة، وأن من مات على الشرك لا يدخل الجنة ولا يناله من الله رحمة ويخلد في

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٥) .

(٢) توفيق الرحمن، (١/ ١١٣) .

(٣) سورة البقرة: آية (٣٩) .

(٤) المرجع السابق، (١/ ١٢٤) .

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار، (ح/ ٩٣) .

(٦) سبق تخريجه، ص(٢٢٤) .

النار أبد الآباد »[1] .

فالقول ببقاء الجنة والنار وعدم فنائها، هو مما اتفق عليه سلف الأئمة وسائر أهل السنة والجماعة .

قال الطحاوي رحمه الله « والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه »[2] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعلم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك »[3] .

والحاصل:

أن الشيخ فيصل رحمه الله قد وافق السلف في عقيدة الإيمان باليوم الآخر، على النحو التالي:

١-أن معنى الإيمان باليوم الآخر هو التصديق باليوم الآخر، وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت والحشر والنشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار .

٢-الإيمان بكل ما صح الدليل عليه من الغيبيات، كفتنة القبر وعذابه أو نعيمه، والبعث والحشر والحساب والصراط، والميزان، والحوض، وبما يتقدمها من العلامات والأشراط، وغيرها .

٣-الإيمان بشفاعة النبي ﷺ، وهي الشفاعة العظمى، وشفاعة الأنبياء والصالحين، وغيرهم يوم القيامة، كما جاء تفصيله في الأدلة الشرعية الصحيحة .

---

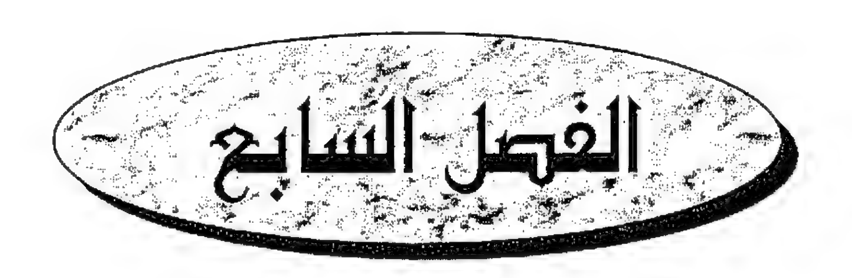
(١) القصد السديد، ص(٤٢-٤٣) .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، (٤٢٠) .

(٣) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (١٨/ ٣٠٧) .

٤-الإيمان بأن الجنة والنار حق لا شك فيهما، وأنهما مخلوقتان باقيتان ولا تبيدان أبداً .





الإيمان بالقضاء والقدر

<u>وفيه تمهيد وستة مباحـث</u> : -

- **المبحث الأول**: تعريف القضاء والقدر .
- **المبحث الثاني**: معنى الإيمان بالقضاء والقدر .
- **المبحث الثالث**: مراتب القضاء والقدر .
- **المبحث الرابع**: مسألة أفعال العباد .
- **المبحث الخامس**: حكم الاحتجاج بالقدر .
- **المبحث السادس**: الهداية .

* *　　* *　　* *

۞ تمهيـــــد:

القضاء والقدر من الأمور الغيبية التي حجب الله علمها عن البشر، وأوجب على المسلم الإيمان والتسليم الكامل بها، لما يرتبه ذلك من السعادة للعبد في الدنيا والآخرة، فإنه إذا علم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، اطمأن قلبه، وهدأت نفسه ورضي بتقدير مولاه، فتخف عليه وطأه المصائب، ويتعلق القلب بالرب-عز وجل- .

فالإيمان بالقدر يتعلق بتوحيد الربوبية على وجه الخصوص، وله تعلق بتوحيد الأسماء والصفات أكثر من تعلقه بتوحيد الألوهية، وتعلقه بالألوهية ظاهر؛ حيث أن الإيمان بالقدر توكل على الله فهو عبادة لله؛ وبهذا يكون الإيمان بالقدر متعلق بأقسام التوحيد الثلاثة [1] .

والإيمان بالقدر: أحد أركان الإيمان الستة التي لا يتم الإيمان إلا بها، كما جاء في حديث جبريل عليه السلام لما سأل رسول الله ﷺ عن الإيمان، فأجابه: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره) [2] .

وقد دل على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر أدلة كثيرة من القرآن والسنة .

فمن القرآن:

قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [3] .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [4] .

---

(١) انظر: القول المفيد، ابن عثيمين، (٢/ ٤٢٩) .

(٢) أخرجه: مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان، (ح/ ٨) .

(٣) سورة الحديد: آية (٢٢) .

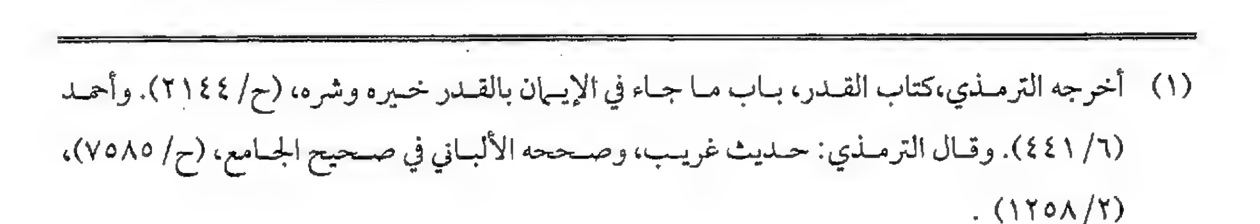
(٤) سورة القمر: آية (٤٩) .

ومن السنة:

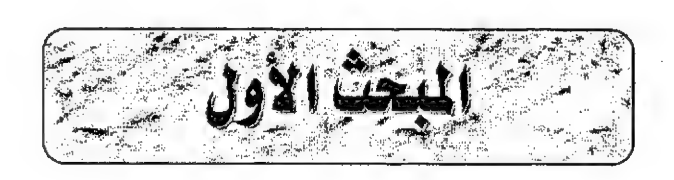
ما رواه جابر بن عبدالله الأنصاري ﷺ قال: (لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه) [1].

وسأعرض في هذا الفصل ما ذكره الشيخ فيصل رحمه الله عن عقيدة الإيمان بالقدر، حيث ذكر معناه ومراتبه، وأشار إلى مسألة خلق أفعال العباد، والخلاف الحاصل فيها، والرد على المخالفين، وبين حكم الاحتجاج بالقدر، وأخيراً أشار رحمه الله إلى نوعي الهداية.

ولبيان ذلك كانت مباحث هذا الفصل كالآتي ...



(١) أخرجه الترمذي،كتاب القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، (ح/ ٢١٤٤). وأحمد (٦/ ٤٤١). وقال الترمذي: حديث غريب، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (ح/ ٧٥٨٥)، (٢/١٢٥٨).



تعريف القضاء والقدر

* *   * *   * *

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر

القضاء لغة:

يرد بمعان تختلف باختلاف التركيب فمنها:

أ-الحكم والصنع والحتم، يقال: قضى يقضي قضاء بمعنى حكم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾[1] .

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير هذه الآية: « اصنع ما بدا لك »[2] .

ب-ومنها الأمر، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[3] .

وقد فسر الشيخ فيصل رحمه الله قضى في هذه الآية بقوله: « أمر »[4] .

جـ-ومنها الخبر والإعلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾[5].

وقد فسر الشيخ فيصل رحمه الله قضينا في الآية بقوله: « أعلمناهم »[6].

والقضاء في اللغة على ضروب كلها ترجع إلى انقطاع الشيء وتمامه[7]، والمراد به في هذا الباب المعنى الأول وهو الحكم والحتم .

القدر لغة:

هو القضاء والحكم ومبلغ الشيء، والتقدير: الرَّوية والتفكر في تسوية الأمر[8] .

(١) سورة طه: آية (٧٢) .

(٢) توفيق الرحمن، (٣/ ٨٥) .

(٣) سورة الإسراء: آية (٢٣) .

(٤) المرجع السابق، (٢/ ٦١٦) .

(٥) سورة الإسراء: آية (٤) .

(٦) المرجع السابق، (٢/ ٦٠٩) .

(٧) انظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، (٤/ ٧٨) .

(٨) انظر: القاموس المحيط، الفيروز أبادي، (٢/ ٥٩١) .

والقدر يطلق على معنيين:

١-التقدير؛ أي: إرادة الله ﷻ الشيء .

٢-المقدَّر؛ أي: ما قدره الله ﷻ [١] .

والقضاء من الله أخص من القدر، لأنه الفصل بين التقدير، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع .

وقد ذكر العلماء: أن القدر بمنزلة المعد للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل، ولهذا قال أبو عبيدة لعمر، لما أراد الفرار من الطاعون من الشام: أتفر من القضاء؟ قال أفر من قضاء الله إلى قدر الله.

تنبيهاً على أن القدر ما لم يكن قضاء فمرجو أن يدفعه الله، فإذا قضي فلا يندفع[٢] .

وأما شرعاً:

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في معنى القدر: « والمراد أن الله تعالى علم الأشياء قبل إيجادها، ثم أوجد ما شاء منها، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته » [٣].

ويقول رحمه الله في موضع آخر: « قال الإمام أحمد: القدر قدرة الرحمن »[٤] .

وقيل في تعريفه: « هو ما سبق به العلم، وجرى به القلم بما هو كائن إلى الأبد، وأنه ﷻ قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده -تعالى-، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها »[٥] .

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (٥/ ٧٤) .

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص(٤٠٧) .

(٣) محاسن الدين على متن الأربعين، ص(١٧) .

(٤) القصد السديد، ص(٢٢٩) .

(٥) لوامع الأنوار البهية، السفاريني، (١/ ٣٤٨) .

يقول الإمام الطحاوي رحمه الله: « وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والنظر والتعمق فيه ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان »[1] .

والعلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي:

أن القدر في الشرع هو التقدير وهو تحديد مقادير الأشياء قبل وقوعها وكتابتها في اللوح المحفوظ قال الله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾[2] أي: حددها .



(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، (٢٤٩) .

(٢) سورة فصلت: آية (١٠) .



المبحث الثاني

معنى الإيمان بالقضاء والقدر

* *　　* *　　* *

المبحث الثاني: معنى الإيمان بالقضاء والقدر

إن الإيمان بقضاء الله وقدره من القضايا العقدية المهمة التي احتدم فيها النزاع بين أهل السنة والطوائف المبتدعة على مر العصور، ومعنى الإيمان بالقدر عند أهل السنة: هو التصديق الجازم بأن كل ما يقع من الخير والشر فهو بقضاء الله وقدره.

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في معنى الإيمان بالقدر عند شرحه لحديث جبريل: « قوله: وتؤمن بالقدر خيره وشره، أي تصدق بأن ما وقع من شيء فهو بتقدير الله عز وجل»[1].

ثم يقول رحمه الله بعد ذلك: « وقد أكد النبي ﷺ ذلك فقال: (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك) [2] وهذا هو الإيمان بالقدر »[3].

وقد وافق الشيخ فيصل رحمه الله شيخ الإسلام ابن تيمية بأن الإيمان بالقدر من سمات أهل السنة، حيث قال: « وتؤمن الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره »[4].

وذكر الشيخ فيصل رحمه الله جملة من الأدلة التي تدل على وجوب الإيمان بالقدر وأنه ركن من أركان الإيمان، منها:

قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ

---

(١) محاسن الدين، ص(١٧).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب في صفة القيامة والرقائق، (ح/ ٢٥١٦). وأحمد (١/ ٢٩٣). وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (ح/ ٧٩٥٧)، (٢/ ١٣١٧-١٣١٨).

(٣) محاسن الدين، ص(٥٨).

(٤) التعليقات السنية، ص(١١٤).

(٥) سورة الحديد: آية (٢٢).

عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[1] .

يقول الشَّيْخ رحمه الله في تفسير هذه الآية: « عن ابن عباس قوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ يعني: يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه»[2] .

ومن السنة:

ينقل الشَّيْخ رحمه الله حديث أبي الدرداء[3]: « عن النبي ﷺ قال: (إن لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه) »[4] .

وفي حديث الرسول ﷺ: (إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً .... الحديث)[5] .

يقول الشَّيْخ رحمه الله عند شرحه للحديث: « في هذا الحديث: إثبات القدر وأن جميع ما في الكون من نفع أو ضر بقضاء وقدر »[6] .

---

(١) سورة التغابن: آية (١١) .

(٢) توفيق الرحمن، (٤/ ٢٩٥) .

(٣) هو الصحابي الجليل عويمر بن عامر، وقيل مالك أو ثعلبة بن قيس بن أمية الخزرجي الأنصاري، أسلم يوم بدر، وشهد أحداً وما بعدها، وهو حكيم هذه الأمة، توفي لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، وقيل بعد صفين والأول أصح .

انظر: الإصابة، ابن حجر، (٣/ ٤٦) .

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في القدر (ح/ ٤٧٠٠). وأحمد (٦/ ٤٤١). والبيهقي في السنن الكبرى، (١٠/ ٢٠٤). وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف .

(٥) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (ح/ ٣٠٣٦). ومسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي، (ح/ ٢٦٤٣) .

(٦) تطريز رياض الصالحين، ص(٢٧٠). ومحاسن الدين، ص(٢٧).

وذكر ﷺ حديث ابن الديلمي[1]، فقال: « وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن لصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار، قال فأتيت عبدالله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ » [2].

وقد توقف الشيخ فيصل رحمه الله عند بعض الأمور المتصلة بالقضاء والقدر والتي نهى عنها الشرع لما تدل عليه من تضجر وتسخط وعدم الرضا ومنها:

١-النهي عن تمني الموت لضر أصابه من مرض أو فقر أو نحو ذلك، وإنما كره تمنيه لأنه يشعر بعدم الرضا بالقضاء[3].

٢-النهي عن الكي للشخص الصحيح لأنه يريد أن يدفع القدر والقدر لا يدافع[4].

٣-حديث: (من تعلق تميمة فقد أشرك) [5] قال الشيخ رحمه الله: « قال أبو السعادات[6]: إنما جعلها شركاً لأنهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم، وطلبوا دفع

---

(١) هو عبدالله بن فيروز الديلمي، أبو بشر وقيل أبو بسر، ثقة من كبار التابعين، ومنهم من ذكره في الصحابة، سكن بيت المقدس، وقد ذكره ابن حبان في الثقات. انظر: الثقات، ابن حبان، (٥/ ٢٣). الكاشف، الذهبي، (١/ ٥٨٥). الإصابة، ابن حجر (٥/ ٢٠٤).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في القدر، (ح/ ٤٦٩٩). وابن ماجه، باب في القدر، (ح/ ٧٧). وأحمد، (٥/ ١٨٢). قال الشيخ شعيب الأرناؤوط إسناده قوي.

(٣) تطريز رياض الصالحين، ص(٣٨٨).

(٤) القصد السديد، ص(٣٩).

(٥) سبق تخريجه، ص(٢٢٨).

(٦) هو مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني المشهور بابن الأثير الجزري، ثم الموصلي الكاتب، مصنف جامع الأصول والنهاية في غريب الحديث، عرض له في أواخر =

الأذى من غير الله الذي هو دافعه »[(١)].

٤-حديث (اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت)[(٢)].

يقول الشيخ رحمه الله: « والنياحة على الميت، أي: رفع الصوت بالندب، وتعداد فضائل الميت، لما فيه من التسخط على القدر المنافي للصبر »[(٣)].



=

حياته فالج فلزمه حتى مات سنة (٦٠٦هـ).

انظر: العبر، الذهبي، (١٣/ ٥٤)، شذرات الذهب. ابن العماد، (٥/ ٢٢). البداية والنهاية، ابن كثير، (٣/ ٤٣).

(١) القصد السديد، ص(٥٨).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة، (ح/ ٦٧).

(٣) القصد السديد، ص(١٦٨).



مراتب القضاء والقدر

* *　　* *　　* *

المبحث الثالث: مراتب القضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر يقوم على أربعة أركان، هي مراتبه، فمن أقربها جميعاً فقد اكتمل إيمانه بالقدر، ومن انتقص واحداً منها أو أكثر فقد اختل إيمانه بالقدر، وهذه المراتب الأربعة هي: الإيمان بعلم الله، وكتابته المقادير في اللوح المحفوظ، وبمشيئته النافذة، وخلقه تعالى لكل موجود.

وقد ذكر الشيخ رحمه الله هذه المراتب الأربع في درجتين نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: « والإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين:

فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله عليم بالخلق وهم عاملون بعلمه القديم، الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً،وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال.

ثم كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق؛ فأول ما خلق الله القلم، ثم قال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة.

فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن لصيبه، جفت الأقلام، وطويت الصحف، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [1]، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [2].

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلاً؛ فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء.

وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه؛ بعث إليه ملكاً، فيؤمر بأربع كلمات، فيقال له: اكتب: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد. ونحو ذلك، فهذا التقدير قد ينكره غلاة القدرية قديماً، ومنكروه اليوم قليل.

(١) سورة الحج: آية (٧٠).

(٢) سورة الحديد: آية (٢٢).

وأما الدرجة الثانية: فهي مشيئة الله النافذة،وقدرته الشاملة، وهو: الإيمان بأن ما شاء الله كان، ومالم يشأ لم يكن، وأن ما في السماوات وما في الأرض من حركة ولا سكون؛ إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه ما لا يريد، وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره، ولا رب سواه »[1].

وقد تناول الشيخ فيصل رحمه الله بعض هذه المراتب أثناء تفسيره للآيات أو شرحه للأحاديث المتعلقة بالقدر؛ فقد أشار رحمه الله إلى مرتبة العلم عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾[2].

يقول رحمه الله: « قال ابن كثير: أي أن علمه تعالى الأشياء قبل كونها، وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها، سهل على الله عز وجل لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، لو كان كيف يكون »[3].

أما مرتبة الكتابة:

فقد تحدث عنها الشيخ فيصل رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[4]: « يعني: مكتوب في اللوح المحفوظ »[5].

وقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[6]: « عن ابن عباس

---

(١) التعليقات السنية، ص(١١٤-١١٥). العقيدة الواسطية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص(٣٧).

(٢) سورةالحديد: آية (٢٢).

(٣) توفيق الرحمن، (٤/ ٢٢٩).

(٤) سورة الأنعام: آية (٥٩).

(٥) التعليقات السنية، ص(٣٠). توفيق الرحمن، (٢/ ١٤٣).

(٦) سورة القلم: آية (١).

قال: أول ما خلق الله من شيء القلم، فجرى بما هو كائن »[1].

وقال أيضاً: « قال ابن القيم: أقسم بالكتاب وآلته وهو القلم، والأقلام متفاوتة الرتب، فأعلاها وأجلها قدراً. قلم القدر السابق الذي كتب الله به مقادير الخلائق »[2].

وقال أيضاً عند شرحه لقول الرسول ﷺ: (رفعت الأقلام وجفت الصحف)[3].

قال: « هذا كناية عن تقدم كتابة المقادير والفراغ منها قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[4] »[5].

أما مرتبة المشيئة:

فقد تحدث عنها الشيخ فيصل رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[6].

فقال: « قال البغوي: أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه، وأنهم لا يقدرون على ذلك إلا بمشيئة الله، وفيه إعلام أن أحداً لا يعمل خيراً إلا بتوفيق الله ولا ضراً إلاّ بخذلانه»[7].

وقال الشيخ فيصل رحمه الله أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ

---

(١) توفيق الرحمن، (٤/ ٣٣٣).

(٢) المرجع السابق، (٤/ ٣٣٤).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق، (ح/ ٢٥١٦)، وقال: حديث حسن صحيح. وأحمد، (١/ ٢٩٣). قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (ح/ ٧٩٥٧)، (٢/ ١٣١٧-١٣١٨).

(٤) سورة الحديد: آية (٢٢).

(٥) محاسن الدين، ص(٥٩).

(٦) سورة التكوير: آية (٢٩).

(٧) توفيق الرحمن، (٤/ ٤٤٦).

﴿كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾[1]: « عن ابن عباس قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ونحو هذا في القرآن، فإن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى، فأخبره أنه لا يؤمن من قومه إلا من قد سبق له من الله السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من قد سبق له من الله الشقاوة في الذكر الأول »[2].

أما مرتبة الخلق:

فقد تحدث عنها الشيخ فيصل رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[3]: «قال الفراء[4]: خلق أهل الرحمة للرحمة وأهل الاختلاف للاختلاف »[5].

وقال الشيخ رحمه الله أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧﴾[6]: « قال البغوي: يعني أنه مخلوق من نطفة ثم يخاصم، فكيف لا يتفكر في بدو خلقه حتى يدع الخصومة »[7].

---

(١) سورة يونس: آية (٩٩).

(٢) توفيق الرحمن، (٢/ ٤٢١).

(٣) سورة هود: آية (١١٩).

(٤) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن حمدان البغدادي المشهور بأبي يعلى الفراء، قال الذهبي: « كان إماماً لا يُدرك قراره ولا يشق غباره، وجميع الطائفة معترفون بفضله ومغترفون من بحره » له بعض المسالك الكلامية التي خالف فيها إمامه. توفي سنة (٤٥٨هـ).

انظر: العبر، الذهبي، (٢/ ٣٠٩). سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٨/ ٨٩). شذرات الذهب، ابن العماد، (٣/ ٣٠٦). البداية والنهاية، ابن كثير، (١٢/ ٩٤).

(٥) توفيق الرحمن، (٢/ ٤٦٦).

(٦) سورة يس: آية (٧٧).

(٧) المرجع السابق، (٣/ ٥٩٠).

وقد ورد ذكر هذه المراتب الأربع في كتب السلف على النحو التالي:

المرتبة الأولى:

العلم: وهي أن يؤمن الإنسان بأن الله بكل شيء عليم، يعلم ما كان، وما يكون قبل أن يكون،ويعلم مالم يكن لو كان كيف يكون.

المرتبة الثانية:

الكتابة: وهي الإيمان بأن الله كتب عنده في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

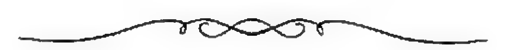
المرتبة الثالثة:

المشيئة: وهي الإيمان بأنه ما وجد من موجود إلا بمشيئة الله تعالى، وما عدم من معلوم إلا بمشيئته تعالى.

المرتبة الرابعة:

الخلق: وهي الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء ؛ فما من موجود في السماوات والأرض إلا الله خالقه، حتى الموت خلقه الله وإن كان هو عدم الحياة[1].

والحاصل: أن الشيخ فيصل رحمه الله قد وافق السلف في ذكر مراتب القدر، ووجوب الإيمان بها جميعاً.



(١) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد بدر الدين الحلبي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ، ص(٢٩) .



مسألة أفعال العباد

وفيــه ثلاثــة مطالــب : -

۞ المطلب الأول : رأي الشيخ في أفعال العباد .

۞ المطلب الثاني : موقف الشيخ من القدرية .

۞ المطلب الثالث : موقف الشيخ من الجبرية .

* * * * * *

المطلب الأول: رأي الشيخ فيصل رحمه الله في أفعال العباد

هذه المسألة من أهم المسائل العقدية التي تناولها العلماء بالاهتمام والعناية البالغة بما يناسب مكانتها، فقد ضل فيها القدرية بالتفريط؛ حيث زعموا أن العبد يخلق عمل نفسه استقلالاً من غير تأثير لقدرة الله فيه، وأما الجبرية فضلوا بالإفراط؛ حيث زعموا أن العبد لا عمل له أصلاً حتى يؤاخذ عليه، وأما أهل السنة والجماعة فقد هداهم الله إلى القول الحق بإذنه، فأثبتوا أن الله خالق كل شيء فهو خالق العبد وخالق قدرته وإرادته، وأثبتوا للعبد أفعالاً اختيارية يفعلها بالقدرة والإرادة اللتين خلقهما الله فيه فيثاب على فعله ويعاقب[1].

وهذا الأصل العظيم عند أهل السنة والجماعة قد وافق فيه الشيخ فيصل رحمه الله شيخ الإسلام ابن تيمية عندما قرر رحمه الله هذا الأصل وذكر الفرق التي ضلت فيه، حيث قال: «والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم.

والعبد هو: المؤمن، والكافر، والبر، والفاجر، والمصلي، والصائم.

وللعباد قدرة على أعمالهم،ولهم إرادة، والله خالقهم وقدرتهم وإرادتهم كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾[2].

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات، حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، يخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها»[3].

ووافق الشيخ فيصل رحمه الله أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند وصفه للفرقة الناجية الذين هم أهل السنة والجماعة، فقال رحمه الله: « وهم وسط في باب أفعال العباد بين الجبرية

---

(١) انظر: القول المفيد، ابن عثيمين، (٢/ ٤٠١).

(٢) سورة التكوير: آية (٢٨-٢٩).

(٣) التعليقات السنية، ص(١١٦). مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٣/ ١٥٠).

والقدرية وغيرهم »[١].

وبهذا يظهر لنا أن الشيخ فيصل رحمه الله في مسألة أفعال العباد؛ قد قرر منهج أهل السنة والجماعة أحسن تقرير، فهم الطائفة الوسط، الذين جمعوا بين الأدلة وسلكوا في طريقهم خير ملة؛ فآمنوا بقضاء الله وقدره، وبأن للعبد اختياراً وقدرة، فأفعال العباد هي من الله خلقاً وإيجاداً وتقديراً، وهي من العبد فعلاً وكسباً، فالله هو الخالق لأفعالهم وهم الفاعلون لها[٢].

وأما فيما يتعلق بالاستطاعة، فقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله للاستطاعة نوعين، النوع الأول قبل الفعل وهو سلامة الجوارح حيث قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[٣]: « قال ابن كثير: أي جعلنا له سمعاً وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية »[٤].

والنوع الثاني من الاستطاعة مع الفعل، وهو ما يجب به وجود الفعل، يقول الشيخ رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾[٥]: « قال قتادة: إن كدحك يا ابن آدم لضعيف، فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل، ولا قوة إلا بالله »[٦].

ولا شك أن هذا الموقف الذي اختاره الشيخ فيصل رحمه الله فيما يتعلق بالاستطاعة هو تأييد ودفاع منه رحمه الله لعقيدة السلف.

---

(١) التعليقات السنية، ص(١٠٦). مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٣/ ١٤١).

(٢) انظر: شرح الطحاوية، ابن أبي العز، (٤٣٧). القول المفيد، ابن عثيمين، ص(٤٠١). شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ، ص(٩٥).

(٣) سورة الإنسان: آية (٢).

(٤) توفيق الرحمن، (٤/ ٤٠٥).

(٥) سورة الإنشقاق: آية (٦).

(٦) توفيق الرحمن، (٤/ ٤٦٠).

يقول الطحاوي رحمه الله: « والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به فهي مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب وهو كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [1] » [2].



(١) سورة البقرة: آية (٢٨٦).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص(٤٣٢).

المطلب الثاني: موقف الشيخ فيصل من القدرية

بين الشيخ فيصل رحمه الله معتقد القدرية في أفعال العباد حيث قال في معرض كلامه عن التباين بين الفرق نقلاً عن ابن حجر في فتح الباري: « ونظير هذا التباين قول الجهمية أن العبد لا قدرة له أصلاً، وقول القدرية أنه يخلق فعل نفسه »[(١)].

وقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله حديث مسلم عن يحي بن يعمر[(٢)] الذي جاء فيه ذكر نشأة بدعة القدرية في الإسلام فقال: « كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبدالجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري[(٣)] حاجّين، أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب النبي ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فَوُفِّق لنا عبدالله بن عمر داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرؤون القرآن، ويتقفّرون العلم، يزعمون أنه لا قدر وأن الأمر أنف، فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريء، وأنهم مني برآء، والذي يحلف به عبدالله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه، حتى يؤمن بالقدر »[(٤)].

---

(١) التعليقات السنية، ص(١٠٧).

(٢) هو يحيى بن يعمر العداوني، أبو سليمان البصري، نزيل مرو وقاضيها أيام قتيبة بن مسلم، وهو ثقة مقريء، قيل: أنه أول من نقط المصحف، وكان ذا لسان وفصاحة أخذ ذلك عن أبي الأسود، توفي قبل التسعين.

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٤/ ٤٤١). تهذيب الكمال، المزي، (٣٢/ ٥٣)، تقريب التهذيب، ابن حجر، (١/ ٥٩٨).

(٣) هو حميد بن عبدالرحمن الحميري البصري، ثقة، له أحاديث، قال عنه ابن سيرين: هو أفقه أهل البصرة، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: كان فقيهاً عالماً.

انظر: الثقات، ابن حبان، (٤/ ١٤٧). الكاشف، الذهبي، (١/ ٣٥٣). تقريب التهذيب، ابن حجر، (١/ ١٨٢).

(٤) القصد السديد، ص(٢٢٨-٢٢٩).

فالذي تولى كبر هذه البدعة هو معبدالجهني[1]، ثم سلك مسلكه غيلان الدمشقي[2]، الذي سال في القدر سيل الماء، حتى أمر هشام بن عبدالملك الخليفة الأموي بقطع يديه ورجليه وقتله وصلبه وذلك في سنة (١٠٦هـ)[3].

ولما جاءت المعتزلة دخلوا في التفاصيل، وقالوا بأن العبد يخلق أفعاله الاختيارية، وأنه ليس لله ﷻ في إكسابها ولا في أعمالها صنع وتقدير، كما صرح بذلك عبدالجبار المعتزلي[4] بقوله:

« إن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم،و أن الله جل وعز أقدرهم على ذلك، ولا فاعل لها ولا محدث سواهم،وأن من قال إن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه »[5].

---

(١) هو المبتدع القدري معبد بن عبدالله بن علي الجهني البصري، أول من قال بالقدر، وكان ممن سمع الحديث عن ابن عباس وعمران بن حصين وانتقل إلى المدينة وتنثر مذهبه فيها، وكان قد تلقاه من رجل نصراني يسمى سوسن، وأخذ عن معبد غيلان الدمشقي، قتله عبدالملك بن مروان وصلبه سنة (٨٠هـ). انظر: الكامل، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ، (٤/ ٧٥). البداية والنهاية، ابن كثير، (٩/ ٣٤).

(٢) هو غيلان بن مسلم الدمشقي أبو مروان، من البلغاء الذين أضلوا الناس، ثاني من تكلم في القدر، وإليه تنسب فرقة الغيلانية من القدرية، أفتى الإمام الأوزاعي بقتله، فصلب على باب كيسان بدمشق بعد سنة (١٠٥هـ).

انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، (٩/ ٣٤-٣٥).

(٣) انظر: تاريخ الجهمية والمعتزلة، جمال الدين القاسمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، ص(٥٦).

(٤) هو عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار الهمذاني السد أبادي، أبو الحسين، قاضي، أصولي، كان شيخ المعتزلة في عصره، وهم يلقبونه قاضي القضاة،ولا يطلقون هذا اللقب على غيره، ولي القضاء بالري ومات بها سنة (٤١٥هـ)، وله تصانيف كثيرة. انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (١١/ ١١٣). سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٧/ ٢٤٤). الأعلام، الزركلي، (٣/ ٢٧٣).

(٥) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ص(٢٢٣).

وقد رد الشيخ فيصل رحمه الله على القدرية من وجوه:

الأول: أنه استدل رحمه الله بمجموعة من الأدلة التي تدل على أن أفعال العباد مخلوقة ومقدرة لله تعالى، ومن هذه الأدلة التي ذكرها، كما جاء في صحيح مسلم: « عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: (إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة) [1].

وفي حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: (أول ما خلق الله القلم، فقال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة) [2]، وفي الصحيحين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار، فقال رجل: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فسييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝﴾ [3] وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [4] وقال تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ۝﴾ [5]) [6] » [7].

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم موسى عليه السلام، (ح/ ٢٦٥٣).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن الكريم عن رسول الله ﷺ باب ومن سورة، (ح/ ٣٣١٩). وأحمد، (٥/ ٣١٧). والطبراني في الكبير، (١١/ ٤٣٣). وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (ح/ ١٣٣)، (١/ ٢٠٧).

(٣) سورة الليل: آية (٥-١٠).

(٤) سورة الحديد: آية (٢٢).

(٥) سورة الرعد: آية (٣٩).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر، (ح/ ١٢٩٦). ومسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي، (ح/ ٢٦٤٧).

(٧) محاسن الدين، ص(٢٥-٢٦).

وهذه النصوص السابقة التي ذكرها الشيخ فيصل رحمه الله تدل دلالة واضحة على أن الله هو الخالق لأفعال العباد، وأن العبد له اختيار ومشيئة في فعله بعدما أعطاه الله العقل ليميز به الصحيح من السقيم، ثم يختار منها ما يشاء ليحاسب عليه يوم الحساب.

وهذه الأدلة أيضاً فيها الرد والحجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم.

الثاني: استدل بحديث الرسول ﷺ: (لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الذين يقولون: لا قدر، وإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم)[1].

ووجه دلالة هذا الحديث الذي ذكره الشيخ رحمه الله في الرد على القدرية هو: إثبات استقلال العبد بعمله مع كونه مملوكاً لله تعالى يقتضي إثبات شيء في ملك الله لا يريده الله،وهذا فيه شرك بالله، وشابهوا في قولهم هذا المجوسية القائلين بالأصلين، وهما النور والظلمة، فأثبتوا خالقين وكذلك القدرية[2].

الثالث: يقول الشيخ فيصل رحمه الله في دحض بدعة القدرية: « قال بعض السلف: ناظروهم -أي القدرية- بالعلم، فإن أقروا به خُصموا، وإن جحدوه كفروا »[3][4].

فالشيخ رحمه الله يريد أن نرد عليهم بأن نقول لهم: هل تقرون بأن الله عالم بما سيقع من أفعال العباد؟ فسيقول غير الغلاة منهم: نعم، نقر بذلك، فنقول: هل وقع فعلهم على وفق علم الله أو على خلافه؟ فإن قالوا: على وفقه؛ قلنا: إذن قد أراده، وإن قالوا: على خلافه؛ فقد أنكروا علمه.



(١) أخرجه أحمد، (٥/ ٨٦). وأبو داود، كتاب السنة، باب في القدر، (ح/ ٤٦٩٢). وابن ماجه في باب في القدر، (ح/ ٩٢). والحاكم، (١/ ١٥٩)، وصححه. قال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف. وحسنه الألباني في صحيح الجامع، (ح/ ٥١٦٣)، (٢/ ٩١٧).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، (٤٣٧).

(٣) القصد السديد، ص(٢٢٩).

(٤) هذا الأثر أخرجه الدارمي عن عمر بن عبدالعزيز.

انظر: الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: بدر بن عبدالله البدر، دار ابن الأثير، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، ص(١٣٩).

المطلب الثالث: موقف الشيخ فيصل من الجبرية

لقد رد الشيخ رحمه الله على هذه الفرقة الضالة في مواطن عديدة من تفسيره، فقد بين رحمه الله في تفسيره لآيات من القرآن أثبتت أن للعبد إرادة وقدرة، وأضافت عمله إليه وأنه سيجازى عليه إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ثم ذكر رحمه الله أن هذا فيه رد على الجبرية، وإن لم يصرح بذلك في بعضها.

يقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[1]: «قال ابن القيم: فإن العبد إذا زكى نفسه ودساها، فإنما يزكيها بعد تزكية الله لها بتوفيقه وإعانته، وإنما يدسيها بعد تدسية الله لها بخذلانه والتخلية بينه وبين نفسه، فتضمنت الآيتان الرد على القدرية والجبرية»[2].

وقال رحمه الله أيضاً في إثبات القدرة والإرادة للإنسان وهذا يعني أن له أفعالاً اختيارية، وهو رد على الجبرية، يقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[3]: «قال ابن القيم: ولما كان الإنسان له قوتان: قوة العلم وقوة العمل، وله حالتان: حالة يأتمر فيها بأمر غيره، وحالة يأمر فيها غيره، استثنى الله من كمل قوته العلمية بالإيمان، وقوته العملية بالعمل الصالح، وانقاد لأمر غيره بذلك، وأمر غيره به، من الإنسان الذي هو في خسر، فإن العبد له حالتان: حالة كمال في نفسه، وحالة تكميل لغيره، وكماله وتكميله موقوف على أمرين: علم بالحق، وصبر عليه، فتضمنت الآية جميع مراتب الكمال الإنساني من العلم النافع، والعمل الصالح، والإحسان إلى نفسه بذلك، وإلى أخيه به، وانقياده، وقبوله لمن يأمره بذلك»[4].

والكلام الذي أورده الشيخ رحمه الله يثبت أن للإنسان قدرة وإرادة تمكنه من الوصول

---

(١) سورة الشمس: آية (٩-١٠).

(٢) توفيق الرحمن، (٤/ ٤٩٣).

(٣) سورة العصر: آية (٣).

(٤) توفيق الرحمن، (٤/ ٥٢٧).

إلى الكمال الإنساني إن شاء وليس مجبراً على الوصول إليها .

وقال الشيخ رحمه الله عند شرحه لحديث الرسول ﷺ: « كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها »[1] قال: « أي: كل إنسان يسعى فمنهم من يبيع نفسه لله بطاعته فيعتقها من النار، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى فيهلكها »[2] .

وهنا أوضح الشيخ فيصل رحمه الله أن للعبد مشيئة في اختياره للخير والشر، والاقتدار حاصل بما وهبه الله تعالى له من القوى وهي: العقل وسلامة الآلات، وجعل سبحانه دواعي الخير أكثر من دواعي الشر وبين له الطريقين كما قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ .

يقول الشيخ رحمه الله في تفسير هذه الآية: « أي بينا له طريق الخير وطريق الشر »[3] .

وهو بعد ذلك يسلك أيهما شاء بمحض اختياره، فمن سلك طريق الخير استحق الثواب، ومن سلك طريق الشر استحق العقاب .

وعلى هذا فالشيخ رحمه الله قد أبطل مذهب الجبرية بالكتاب والسنة والعقل، ودلالة العقل على بطلانه؛ في أنه لو كان العبد مجبراً على عمله؛ لكانت عقوبة العاصي ظلماً ومثوبة الطائع عبثاً، والله تعالى منزه عن هذا وهذا، ولو كان العبد مجبراً على عمله لم تقم الحجة بإرسال الرسل، -وسيأتي بيان ذلك في حكم الاحتجاج بالقدر على المعاصي- .



(١) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، (ح/ ٢٢٣) .

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص(٣٧) .

(٣) توفيق الرحمن، (٤/ ٤٠٥) .



المبحث الخامس

حكم الاحتجاج بالقدر

وفيــه مطلبـــان : –

- المطلب الأول : الاحتجاج بالقدر في فعل المعاصي.

- المطلب الثاني : الاحتجاج بالقدر على المصائب .

* *   * *   * *

المطلب الأول: الاحتجاج بالقدر في فعل المعاصي

الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية قديم، قدم بدء الخليقة، وأول من قال به إبليس، فإنه بعد أن رفض أمر الله له بالسجود لآدم عليه السلام واستحق غضب الله عليه بلعنه وطرده من رحمته وإخراجه من الجنة، لم يندم، ولم يتب، ولم يرجع على نفسه باللائمة، بل زاد عصياناً وتمرداً؛ بإضافة غوايته إلى الله فقال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾[1]، وهكذا تلقى كثير من البشر هذه الحجة الباطلة عن إبليس فغرقوا في الضلال ووقعوا في المعاصي والآثام ثم احتجوا على ذلك بالحجة الإبليسية وقالوا: هذا شيء قدره الله علينا فحملوا مسؤولية خطاياهم على ربهم، وهو الذي نهاهم عن تلك المعاصي، وقد أخبر الله عن أمثال هؤلاء فقال: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾[2]، ولكن الله سبحانه أسقط حجتهم وأبطل مقالتهم ووصفها بأنها محض التخرص والقول على الله بلا علم، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[3].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير الله هذه الآية: « قال الربيع بن أنس: لا حجة لأحد عصى الله، ولكن لله الحجة البالغة على عباده، وقال: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال: لا يسأل عما يفعل وهم يسألون »[4].

والحاصل أن الشيخ فيصل رحمه الله قد أوضح لنا أن المطلوب من الناس هو تنفيذ أوامر الله واجتناب نهيه لأنه تعالى قد أقام الحجة عليهم، وليس المطلوب منهم أن يبحثوا عن غيب الله المستور ليكيفوا أنفسهم على حسبه.

---

(١) سورة الحجر: آية (٣٩).

(٢) سورة الأنعام: آية (١٤٨).

(٣) سورة الأنعام: آية (١٤٨-١٤٩).

(٤) توفيق الرحمن، (٢/ ١٨٧).

وهذا المنهج الذي اتخذه الشيخ فيصل رحمه الله في الرد عليهم، استند فيه للأسلوب القرآني الذي جاء ليصحح للناس منهجهم في الفكر والنظر، كما ذكر ذلك الأستاذ سيد قطب رحمه الله في ظلال آية الأنعام السابقة، فقال: « واللمسة الثانية: كانت بتصحيح منهج الفكر والنظر، إن الله أمرهم بأوامر ونهاهم عن محظورات، وهذا ما يملكون أن يعلموه علماً مستيقناً، فأما مشئية الله فهي غيب لا وسيلة لهم إليه، فكيف يعلمونه؟ إذا لم يعلموه يقيناً فكيف يحيلون عليه؟ إن لله أوامر ونواه معلومة علماً قطعياً، فلماذا يتركون هذه المعلومات القطعية وراء الحدس والخوض في واد لا يعلمونه؟ »(1) .

والاحتجاج بالقدر على المعاصي يلزم منه لوازم باطلة، فإذا كان القدر حجة للعبد، فهو حجة لجميع الناس، فيلزم منه أن لا ينكر على من ظلمه، ولا من شتمه أو أخذ ماله، وهذا خلاف الواقع فالمرء يطالب بحقه ويطلب تطبيق العقوبة، ويلزم منه أيضاً أن يكون إبليس وفرعون وكل من أهلكه الله بذنوبه معذوراً، وهذا من الكفر الذي اتفق عليه أرباب الملل، ويلزم منه أيضاً؛ أن لا يفرق بين أولياء الله وأعداء الله، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا أهل الجنة وأهل النار، فعلم بذلك أن القضاء والقدر ليس بحجة لأحد على معاصي الله، ومن أصر على هذا الاعتقاد كان أكفر من اليهود والنصارى، لأن اليهود والنصارى يؤمنون بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، ولكنهم حرفوا وبدلوا وآمنوا ببعض وكفروا ببعض، وأما من لم يقر بأمر الله ونهيه ووعده ووعيده، بل ترك ذلك محتجاً بالقدر، فهو أكفر ممن آمن ببعض، وكفر ببعض(2) .

ويرد على المحتجين بالقدر في ترك العمل وفعل المعاصي بحديث الرسول ﷺ الذي قال فيه: (ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة، فقالوا: يا

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ، (٨/ ١٢٢٧) .

(2) انظر: القضاء والقدر، شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية، اعتنى به: د.أحمد السايح، د.السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، ص(٢١٠-٢١١) .

رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا؟ فقال: اعملوا، فكل ميسر لما خلق له) [1] .

يقول الشيخ فيصل رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: « وفيه الأمر بالعمل وعدم الاتكال على الكتاب السابق، ولهذا لما قالوا: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، وأما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝﴾ [2] » [3] .



(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب فسنيسره للعسرى، (ح/ ٤٦٦٦) .

(٢) سورة الليل: آية (٥-١٠) .

(٣) تطريز رياض الصالحين، ص(٥٥٥). انظر: القصد السديد، ص(٢٣٠)، محاسن الدين، ص(٢٥-٢٦). توفيق الرحمن، (٤/ ٤٩٧) .

المطلب الثاني: الاحتجاج بالقدر على المصائب

الاحتجاج بالقدر على المصيبة جائز، وما قُدر على الإنسان من المصائب يجب الاستسلام له والرضا به وذلك من الرضا بالربوبية، لأن الله تعالى إذا قدر على الإنسان شراً، فإنما هو شر بالنسبة للإنسان نفسه بسبب جهله وذنوبه، وأما بالنسبة إلى الله عز وجل فإن ذلك خير محض لأنه جارٍ على مقتضى حكمته وعدله، وهذا هو الذي تؤيده الأدلة .

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ﴾ [(1)]: « أي: هذا أمر قدره الله عز وجل لا محيد عنه »[(2)] .

وقال رحمه الله أيضاً في معنى حديث الرسول ﷺ حينما قال: (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزنَّ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان)[(3)] يقول رحمه الله: « (واستعن بالله ولا تعجزن)، أي: افعل الأسباب وتوكل على الله (وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله) أي: هذاقدر الله »[(4)] .

وقال رحمه الله في شرحه لحديث الرسول ﷺ: (إذا أراد الله بعبده خيراً عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يُوافي به يوم القيامة)[(5)]، قال: « في هذا الحديث: الحث على الصبر على ما تجري به الأقدار، وأنه خير للناس في الحال والمآل،

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٥٤) .

(٢) القصد السديد، ص(٢٢١) .

(٣) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، (ح/ ٢٦٦٤) .

(٤) القصد السديد، ص(٢٢٢) .

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، (ح/ ٢٣٩٦). والحاكم في المستدرك، (١/ ٣٤٠). وابن حبان، (١/ ٢٧٨). وصححه الألباني في صحيح الجامع، (ح/ ٣٠٨)، (١/ ١١٨) .

فمن صبر فاز، ومن سخط فاته الأجر وثبت عليه الوزر، ومضى فيه القدر »[1] .

وقال ﷺ أيضاً عند شرحه لحديث الرسول ﷺ: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط)[2]، قال: « من سخط على قضاء الله وتدبيره، فله السخط من الله وكفى بذلك عقوبة، فالصبر على المصيبة واجب، والتسخط حرام، والرضا مستحب، قال شيخ الإسلام: وأعلى من ذلك أن يشكر الله على المصيبة؛ لما يرى من إنعام الله عليه بها »[3] .



(١) تطريز رياض الصالحين، ص(٤٧) .

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء،(ح٢٣٩٦). وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، (٤٠٣١). وقال الترمذي: حديث حسن. وحسنه الألباني في صحيح الجامع، (ح/ ٢١١٠)، (١/ ٤٢٤) .

(٣) القصد السديد، ص(١٦٩) .



المبحث السادس

الهدايـــــة

* *   * *   * *

المبحث السادس: الهداية

الهداية نوعان:

-هداية دلالة على الحق وإرشاد، وهي لجميع الخلق، وهي التي يقدر عليها الرسل وأتباعهم، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [1].

-وهداية توفيق وتثبيت من الله لعباده المتقين، وهي التي لا يقدر عليها إلا الله، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [2][3].

وقد أوضح الشيخ فيصل رحمه الله نوعي الهداية، فقال رحمه الله: « والهداية نوعان: مجملة ومفصلة، فالمجملة: هي الهداية للإسلام والإيمان، والمفصلة: هي الهداية إلى معرفة تفاصيل أجزاء الإيمان والإسلام، وإعانته على فعل ذلك، ولهذا أمر الله عباده أن يقرأوا في كل ركعة من صلاتهم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [4] » [5].

ثم بين الشيخ رحمه الله أن الهداية المجملة،معناها: إبانة طريق الحق، وإيضاح المحجة سواء سلكها المبيَّن له أم لا، يقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ [6]: «أي: بيناه له ووضحناه وبصرناه به، كقوله جل وعلا: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [7]، وكقوله ﷻ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [8]، أي: بيَّنا له طريق الخير

---

(١) سورة الرعد: آية (٧).

(٢) سورة القصص: آية (٥٦).

(٣) انظر:الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بكر القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، (١/ ١١٢-١١٣).

(٤) سورة الفاتحة: آية (٦).

(٥) محاسن الدين، ص(٧٥).

(٦) سورة الإنسان: آية (٣).

(٧) سورة فصلت: آية (١٧).

(٨) سورة البلد: آية (١٠).

وطريق الشر »[1].

وقال رحمه الله أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾[2] : « عن قتادة قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ يقول: على الله البيان؛ بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته »[3].

ثم وضح الشيخ فيصل رحمه الله أن الهداية المفصلة هي خاصة بالمؤمنين دون غيرهم فقال: « وقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[4] أي: رشد وبيان لأهل التقوى خاصة »[5].

وأكد رحمه الله على هذا المعنى عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[6]، حيث قال: « قال ابن كثير: الهداية هاهنا: الإرشاد والتوفيق، وقال البغوي: وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية، بمعنى التثبيت، وبمعنى طلب مزيد الهداية، لأن الألطاف والهدايات من الله لا تتناهى »[7].

وقد نبه الشيخ فيصل رحمه الله إلى أمر مهم في هذا الباب ألا وهو:

أن التوفيق الخاص في الهداية هو ملك لله يمن به على من يشاء من عباده؛ فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[8]: « أي: ليس إليك ذلك، وإنما عليك البلاغ، ولكن الله يهدي من يشاء هدايته،وهو أعلم بالمهتدين، فهداية التوفيق بيد الله تعالى وأما الهداية المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[9] فإنها هداية

(١) توفيق الرحمن، (٤/ ٤٠٥).

(٢) سورة الليل: آية (١٢).

(٣) توفيق الرحمن (٤/ ٤٩٨).

(٤) سورة البقرة: آية (٢).

(٥) المرجع السابق، (١/ ٩٨).

(٦) سورة الفاتحة: آية (٦).

(٧) المرجع السابق، (١/ ٨٧).

(٨) سورة القصص: آية (٥٦).

(٩) سورة الشورى: آية (٥٢).

الدلالة والبيان »[1].

وقال رحمه الله أيضاً عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾[2]: « قال مجاهد: يتبع الحق، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[3] قال البغوي: أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه، وأنهم لا يقدرون على ذلك إلا بمشيئة الله، وفيه إعلام أن أحداً لا يعمل خيراً إلا بتوفيق الله، ولا ضراً إلا بخذلانه »[4].

وما ذهب إليه الشيخ فيصل رحمه الله من تقسيم الهداية إلى نوعين، قد سبقه إليه أئمة السلف رحمهم الله؛ ومنهم الإمام ابن القيم رحمه الله حيث قال في توضيح نوعي الهداية: « قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[5] يتضمن طلب الهداية ممن هو قادر عليها، وهي بيده إن شاء أعطاها عبده، وإن شاء منعه إياها. والهداية معرفة الحق والعمل به، فمن لم يجعله تعالى عالماً بالحق عاملاً به لم يكن له سبيل إلى الاهتداء؛ فهو سبحانه المتفرد بالهداية الموجبة للاهتداء التي لا يتخلف عنها؛ وهي جعل العبد مريداً له عاملاً به. فهذه الهداية ليست إلى ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهي التي قال سبحانه فيها: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[6] وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[7]؛ فهذه هداية الدعوة والتعليم والإرشاد، وهي التي هدى بها ثمود فاستحبوا العمى عليها، وهي التي قال تعالى فيها: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[8]؛ فهداهم

(١) القصد السديد، ص(٩٤).

(٢) سورة التكوير: آية (٢٧-٢٨).

(٣) سورة التكوير: آية (٢٩).

(٤) توفيق الرحمن، (٤/ ٤٤٦).

(٥) سورة الفاتحة: آية (٦).

(٦) سورة القصص: آية (٥٦) .

(٧) سورة الشورى: آية (٥٢) .

(٨) سورة التوبة: آية (١١٥) .

هدى البيان الذي تقوم به حجته عليهم، ومنعهم الهداية الموجبة للاهتداء التي لا يضل من هداه بها، فذلك عدله فيهم، وهذا حكمته؛ فأعطاهم ما تقوم به الحجة عليهم، ومنعهم ما ليسوا له بأهل ولا يليق بهم »[1] .

والنتيجة:

أن الشيخ فيصل رحمه الله قد أقر مذهب السلف في القضاء والقدر، كما يلي:

١-أن معنى الإيمان بالقضاء والقدر: هو التصديق الجازم بأن كل ما يقع من خير أو شر فهو بقضاء الله وقدره .

٢-أن أفعال العباد منسوبة إلى الله خلقاً وإيجاداً وإلى العباد فعلاً وكسباً .

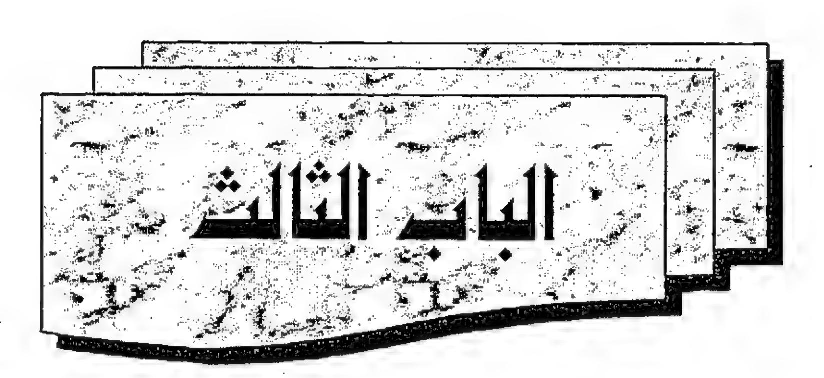
٣-أن الاستطاعة نوعين: نوعاً قبل الفعل ونوعاً مع الفعل .

٣-أنه يجوز الاحتجاج بالقدر على المصائب دون المعائب .

٤-أن الهداية نوعين: هداية إرشاد وبيان، وهداية توفيق .



(١) شفاء العليل، ابن القيم، ص(٥٣). وانظر: بدائع الفوائد، ابن القيم، (٢/ ٣٥) .



جهود الشيخ فيصل في الدعوة إلى الله

وفيه ثلاثة فصـــول : -

- **الفصل الأول**: موقف الشيخ من البدع والأهواء .
- **الفصل الثاني**: جهود الشيخ في توضيح الإمامة .
- **الفصل الثالث**: النشاط الدعوي للشيخ فيصل .



موقف الشيخ من البدع والأهواء

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث : -

۞ **المبحث الأول**: البدعة حقيقتها وأقسامها.

۞ **المبحث الثاني**: موقف الشيخ فيصل في التحذير من البدع والأهواء .

۞ **المبحث الثالث**: أمثلة لبعض البدع التي تحدث عنها الشيخ .

* * * * * *

۞ تمهيـــــد:

شريعة الإسلام أكمل الشرائع، وكمالها يقتضي عدم الحاجة إلى الزيادة فيها، فيكون التقيد بما جاء فيها هو كمال التقرب إلى الله،ودليل على الرضا والقناعة بتمامه وكماله.

وفي حول هذا المعنى يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[1]:

« وعن ابن عباس قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ وهو الإسلام، قال أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله عز ذكره فلا ينقصه أبداً، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبداً »[2].

وكمال الشرع يشمل كل جانب، فقد شمل جانب تقرير الأحكام والعبادات والمعاملات وغيرها من الشرائع، وكذلك في جانب حماية هذا الدين، والدفاع عنه وبيان ما يضاده ويخالفه[3]، فقد جاء الشرع في باب سد الذرائع الموصلة إلى الشرك بأكثر مما سبقه من الشرائع؛ ولذا فإنا نجد علماء السنة قد اجتهدوا في بيان البدع والأهواء والتحذير منها، وصنفوا فيها المصنفات[4].

وقد كان للشيخ فيصل رحمه الله موقفاً من البدع وأهلها ظهر لنا في ثنايا مؤلفاته، فقد

(١) سورة المائدة: آية (٣).

(٢) توفيق الرحمن، (٢/ ٣٠).

(٣) انظر: مقدمات في الأهواء والفرق والبدع، د.ناصر بن عبدالكريم العقل، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ، ص(٧).

(٤) صنفت كتب كثيرة قديماً وحديثاً في بيان البدع والرد عليها، منها: « البدع والنهي عنها » لابن وضاح، و« الحوادث والبدع » للطرطوشي، و« الاعتصام » للشاطبي، و« الباعث على إنكار البدع والحوادث » لأبي شامة، و« منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع » للشيخ سليمان بن سحمان، و« الإبداع في مضار الابتداع » للشيخ علي محفوظ.

عرّف رحمه الله البدعة، وظهورها وذكر أقسامها، ثم حذر من الوقوع فيها أشد التحذير، وأخيراً؛ ذكر رحمه الله نماذج من البدع الموجودة في عصره وحذر منها.

ولبيان ذلك كان هذا الفصل بمباحثه وهي كالآتي..





البدعة حقيقتها وأقسامها

وفيـــه ثلاثـــة مطالـــب : -

۞ المطلب الأول: تعريف البدعة .

۞ المطلب الثاني: بداية ظهور البدعة .

۞ المطلب الثالث: أقسام البدعة .

* * * * * *

المبحث الأول: البدعة وحقيقتها وأقسامها

البدعة هي مضادة للشريعة ومتهمة لها، حيث إن المبتدع ينصب نفسه نصب المستدرك على الشريعة لا نصب المكتفي بما حُدَّ له، ولسان حاله يتهم الرسول ﷺ بالخيانة في أداء الأمانة، بكونه يحدث من العبادات والاعتقادات والأعمال ما يعتقد أنه قربه إلى الله تعالى.

ومن هذا الباب، فإنه يخشى على المبتدع من الكفر أو الشرك، لمعارضته قول الرسول ﷺ بما جعله نظيراً له من رأي أو غيره مما يوافق هواه.

ولهذا؛ فإنه يستحسن بنا أن نقف على ما ذكره علماء السنة من السلف والخلف ومنهم: الشيخ فيصل رحمه الله في بيان حقيقة البدعة وأقسامها من خلال المطالب التالية ..



المطلب الأول: تعريف البدعة

البدعة في اللغة: مصدر بدع يبدع، وأبدع الشيء اخترعه لا على مثال[1]. ومن ذلك تسمية الله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير الآية: « أي: مبدعها ومنشئها من غير مثال سابق »[3].

وظهور الشيء في أوله يقال له: بدع[4]؛ ولذا نفى الرسول محمد ﷺ أن يكون هو أول من جاء بالوحي والرسالة من عند الله حيث أمره سبحانه أن يقول:

(١) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص(١/ ٩٠٦). العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي،وإبراهيم السامرائي، من منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، (٢/ ٥٤).

(٢) سورة البقرة: آية (١١٧).

(٣) توفيق الرحمن، (١/ ١٨٨).

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (٨/ ٦).

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [1].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير هذه الآية: « أي: لست بأوّل مرسل، قبلي كثير من الأنبياء، فكيف تنكرون نبوتي؟ » [2].

وعليه: فيكون مدار المعنى اللغوي للبدعة على الإحداث وابتداء الشيء على غير مثال سابق، وهذا المعنى قريب من المعنى الشرعي للبدعة -كما سيأتي-.

البدعة في الشرع:

عرف الشيخ فيصل رحمه الله البدعة، فقال: « المراد بالبدعة: ما أحدث في الدين مما لا أصل له في الشريعة » [3].

وهذا التعريف الذي عرفه الشيخ رحمه الله شامل للعبادات والعادات.

وقد أشار إلى هذا التعريف الإمام الشاطبي[4] رحمه الله حيث عرف البدعة بأنها: «طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية » [5].

والحاصل: أن البدعة هي إحداث فعل أو طريقة أو سلوك في الدين لم يكن عليها النبي ﷺ ولم يدل عليها من الشرع، وهذه هي العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي للبدعة.



(١) سورة الأحقاف: آية (٩).

(٢) توفيق الرحمن، (٤/ ٧٥).

(٣) محاسن الدين، ص(٨٨).

(٤) هو إبراهيم بن موسى الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي فقيه لغوي محدث مفسر، من أئمة المالكية اشتهر بالورع والصلاح والزهد واتباع السنة ومجانبة البدعة وأهلها، توفي سنة (٧٩٠هـ).

انظر: الأعلام، الزركلي، (١/ ٧٥).

(٥) الاعتصام، الإمام أبي إسحاق الشاطبي، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٤٠٣هـ (١/ ٣٧).

المطلب الثاني: بداية ظهور البدع

لم يكن ظهور البدع في دين الإسلام على شكل طفرة في زمن واحد، وبشكل مفاجئ، وإنما كان ذلك في أزمنة مختلفة متباعدة، وبهيئات وكيفيات متنوعة.

وكلما ظهرت شمس النبوة في مكان أو زمان، اختفت حنادس[1] البدع، وكلما حجبت أنوار الرسالة، بدت دياجير ظلام الهوى والابتداع.

فقد جاء في ا لصحيحين عن عمران بن الحصين[2] ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: (خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم قال عمران: فما أدري قال النبي ﷺ مرتين أو ثلاثاً ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن) [3].

يقول الشيخ فيصل ﵀ معلقاً على هذا الحديث: « القرن: أهل زمان واحد متقارب، وقرنه ﷺ هم أصحابه، ثم قرن التابعين، ثم أتباع التابعين، ثم فشت البدع، وامتحن أهل العلم، ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وكثرت شهادة الزور، والخيانة واتباع الشهوات، ولا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه » [4].

وفيما سبق يظهر لنا أن الشيخ ﵀ قد بين أن من أسباب انتشار البدع في بلاد المسلمين، هو تباعد زمنهم عن زمن النبوة، وتربص أعداء المسلمين بهم، بمحاربة العلماء

---

(١) الحندس: الظلمة، وفي الصحاح: الليل الشديد الظلمة. انظر: لسان العرب، ابن منظور، (٦/ ٥٨).

(٢) هو عمران بن الحصين الخزاعي ويكنى بأبي نجيد له صحبة،وغزا مع رسول الله ﷺ عدة غزوات، سكن البصرة ومات بها سنة (٥٢هـ) في خلافة معاوية.

انظر: الثقات، ابن حبان، (٣/ ٢٨٧-٢٨٨). الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٧/ ٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، (ح/ ٢٥٠٨). ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، (ح/ ٢٥٣٥).

(٤) تطريز رياض الصالحين، ص(٣٤٠).

لقطع اتصال الناس بالعلم الشرعي، ومزجوا لهم العلم الشرعي بالفلسفة،وسلطوا الأضواء على الفلاسفة ومؤلفاتهم التي طفحت بالإلحاد والفساد[1]، فنسبوا إليهم التقدم والنهضة في العلوم التجريبية وغيرها، متناسين ما قدمه علماء المسلمين في إثراء العلوم التجريبية دون الإنجراف وراء الفلسفات الهدامة.

وكان من أوائل البدع ظهوراً بدعة القدرية، فقد ظهر الكلام في القدر في حياة النبي ﷺ فغضب النبي عليه الصلاة والسلام على الذين تكلموا في القدر حينما خرج عليهم ونهاهم عن ذلك.

ثم حذر النبي ﷺ أصحابه وأمته من القدرية وآرائهم وأمر بهجرهم وسماهم مجوس هذه الأمة[2]، وقد تقدم الحديث عن ذلك وموقف الشيخ من بدعة القدرية.

ولكن الصحابة رضوان الله عليهم قد كان ينزل الوحي الكريم بينهم، فيجدون فيه ما يروي القلوب، ويشبع العقول، ويطمئن الأرواح، فاستناروا بنوره، وآمنوا بغيبه، وعملوا بشرعه، فكان هو الطريق الوحيد لاعتقادهم، فلم تجرفهم الشبهات،ولم يتنازعوا في مسألة من قواعد الدين أو أصل من أصوله.

وهكذا فإن عصر النبي ﷺ كان خير العصور؛ وذلك لبعدهم عن البدع والشبهات،والجدل والخصومات، وأنه حينما تكلم بعض الصحابة في القدر، فنهاهم الرسول ﷺ عن ذلك فانتهوا، وهذا الأمر لا يشكل ظاهرة يشار إليها، لعدم انتشارها وتفشيها، وإنما كان حدوث ذلك وفق كلمة الباري ﷻ ليكون بسببها التنبيه على خطورة البدع، والتحذير من شرها.

---

(١) ومن هؤلاء الفلاسفة الذين أولع بهم الغرب، وبالغوا في إطرائهم: ابن سينا والفارابي، وابن زكريا الرازي الطبيب، والكندي، وابن رشد، وغيرهم ممن رمي في دينه واتهم في عقيدته.

(٢) والحديث هو ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (إن لكل أمة مجوساً، وإن مجوس هذه الأمة القدرية، فلا تعودوهم إذا مرضوا، ولا تصلوا على جنائزهم) وقد سبق تخريج الحديث ص(٤٩١) .

ولم يظهر الكلام في القدر بعد ذلك إلا في عهد عبدالملك بن مروان[1]، وكان هذا في آخر عهد الصحابة ﷺ وكان أول من تكلم في القدر معبدالجهني -وقد سبق الإشارة إلى ذلك في فصل القضاء والقدر-.

كما أنه قد كان من أوائل البدع ظهوراً بدعة الخوارج، فقد ظهرت جذور هذه البدع في زمن النبي ﷺ في قصة ذي الخويصرة[2] المروية في الصحيح، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: (بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله اعدل؟ فقال: ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل؟ فقال عمر: يا رسول الله أتأذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافة فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه -قدحه- فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قرره فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود، إحدى عضدية مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فرقة من الناس قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم،وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس، فأتي به، حتى نظرت إليه على نعت

---

(١) هو الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان بن الحكم، ولد سنة (٢٦هـ)، ونشأ بالمدينة فقيهاً واسع العلم متعبداً استعمله معاوية على المدينة وعمره (١٦عاما)، وكان من أعظم الخلفاء ودهاتهم توفي في دمشق سنة (٨٦هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٤/ ٢٤٦). فوات الوفيات، محمد شاكر، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م، (٢/ ٣٠٥).

(٢) هو حرقوص بن زهير، وقيل عبدالله بن ذي الخويصرة التميمي قال ابن حجر: وعندي في ذكره من الصحابة وقف،وهو المعترض على الرسول ﷺ في قسمة الغنائم بعد حنين، قتل مع الخوارج يوم النهروان.

انظر: الإصابة، ابن حجر، (١/ ٤٧٣).

رسول الله ﷺ الذي نعته) [1].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله معلقاً على هذا الحديث وغيره من الأحاديث الواردة في قتال الخوارج: « وفي أحاديث الباب دليل على مشروعية الكف عن قتل من يعتقد الخروج على الإمام ما لم ينصب لذلك حرباً أو يستعد له. وقد اختلف أهل العلم في تكفير الخوارج، قال الخطابي: أجمع علماء المسلمين على أن الخوارج -مع ضلالتهم- فرقة من فرق المسلمين وأجازوا مناكحتهم، وأكل ذبائحهم، وأنهم لا يكفرون ماداموا متمسكين بأصل الإسلام » [2].

وهذا الاعتراض الذي اعترضه ذو الخويصرة على الشرع إتباعاً للهوى، كان من أوائل البدع ظهوراً في الإسلام، ومع كون ظهورها لم يشكل انتشاراً وتفشياً فتصبح ظاهرة يشار إليها إلا أن الخوارج بعد ذلك اجتمعوا وصارت لهم قوة، وزاد شرهم في خلافة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

ثم توالت بعد ذلك البدع في الظهور، فنشأت بدعة التشيع وبدعة الاعتزال، وكذلك الإرجاء وغيرها من البدع إلى وقتنا الحاضر.



(١) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء باب علامات النبوة في الإسلام، (ح/ ٣٤١٤). ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (ح/ ١٠٦٤).

(٢) بستان الأحبار، (٢/ ٤١٠).

المطلب الثالث: أقسام البدعة

تنقسم البدعة إلى تقسيمات كثيرة، سواء من جهة ذات البدعة، أو من جهة تعلقها بعمل المكلف وكذلك من جهة تعلقها بالعمل المشروع[1].

وستكون الإشارة هنا إلى ما أورده الشيخ فيصل رحمه الله عن أقسام البدعة، بقوله: « قال الشافعي: البدعة بدعتان:

بدعة محمودة، وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم. انتهى »[2].

ثم قال رحمه الله: « فمن البدع المحمودة الاجتماع في صلاة التراويح، وكتابة الحديث، وتفسير القرآن، وتبويب الفقه، ونحو ذلك مما له أصل في الشريعة،ويستعان به على معرفة الدين وإقامته، وبالله التوفيق »[3].

فالذي يظهر لنا هنا أن الشيخ فيصل رحمه الله قد وافق الشافعي في أن البدع الشرعية ليست مذمومة كلها، بل فيها ما هو حسن ممدوح مثاب عليه من الله، فقسموا البدع إلى محمود ومذموم.

ومما يستدل به على هذا التقسيم، ما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله عن صلاة التراويح حينما جمع الناس في عهده على قارئ واحد: « نعمت البدعة هذه »[4] وكذلك يستدل بما جرى في عهد الصحابة من الأعمال التي حدثت ولم تكن في عهد النبوة وهي التي ذكرها الشيخ فيصل -كما سبق-.

---

(١) للتوسع في هذه التقسيمات، راجع: حقيقة البدعة وأحكامها، د. سعيد ناصر الغامدي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، (٢/ ٦-١٨٩).

(٢) محاسن الدين، ص(٨٨).

(٣) محاسن الدين، ص(٨٨).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان، (ح/ ١٩٠٦) بلفظ « نعم البدعة هذه ».

وقد تعقب العلماء هذا التقسيم ولم يقروه، ومن هؤلاء العلماء الذين ردوا هذا التقسيم، الإمام الشاطبي رحمه الله وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. ومن جملة الاعتراضات التي اعترض بها على هذا التقسيم ما يلي:

أولاً: القول بحسن بعض البدع مناقض للأدلة الشرعية الواردة في ذم عموم البدع، ذلك أن النصوص الذامة للبدع والمحذرة من البدع جاءت مطلقة عامة، ولم يقترن بها تقييد ولا تخصيص، فذلك دليل على بقائها على مقتضى لفظها العام المطلق، ومن أظهر الأدلة الشرعية الدالة على ذم عموم البدع، قول رسول الله ﷺ: (كل بدعة ضلالة) [1]، فلم يرد في آية أو حديث ما يقيد أو يخصص هذا اللفظ المطلق العام، مما يدل على بقائه على لفظه العام المطلق[2].

ثانياً: أن القول بالبدعة الحسنة يفسد الدين، ويفتح المجال للمتلاعبين، فكل من أراد أن يفعل بدعة فإنه يستحسنها، فيكون الاستحسان هو الفاصل، وهو أمر نسبي، وتعلقها بالدين: هو تطاول على شرع الله؛ لما فيه من تحكيم أهواء الناس وعقولهم وأذواقهم في الشرع، وهذا الفعل شنيع غاية الشناعة،وكفى به إثماً وضلالاً مبيناً[3].

وعلى هذا: فإن ما ثبت حسنه بالدليل الشرعي لا يسمى بدعة شرعية، وإن كان يسمى بدعة من جهة اللغة، وما لم يثبت حسنه فهو داخل في عموم الذم الوارد في النصوص.

وهذه النتيجة قد وجه شيخ الإسلام رحمه الله ما ورد من قول عمر « نعمت البدعة هذه » إليها بقوله: « فأما صلاة التراويح فليست بدعة في الشريعة، بل هي سنة بقول

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (ح/ ٨٦٧) .

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص(٢٧٠-٢٧١)، وانظر: حقيقة البدعة وأحكامها، سعيد الغامدي، (٢/ ١٣٨-١٣٩).

(٣) انظر: تحذير المسلمين من الابتداع والبدع في الدين، أحمد بن حجر آل بوطامي، مكتبة ابن تيمية بالكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، ص(٧٣-٧٦).

رسول الله ﷺ وفعله فإنه قال: (إن الله فرض عليكم صيام رمضان، وسننت لكم قيامه)[1]، ولا صلاتها جماعه بدعة، بل هي سنة في الشريعة، بل قد صلاها رسول الله في الجماعة في أول شهر رمضان ليلتين أو ثلاثاً وصلاها أيضاً في العشر الأواخر في جماعة مرات وقال: (إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة) [2]....ثم نقول: أكثر ما في تسمية عمر تلك بدعة مع حسنها، وهذه تسمية لغوية، لا تسمية شرعية، وذلك أن « البدعة » في اللغة تعم كل ما فعل ابتداء من غير مثال سابق، وأما البدعة الشرعية: فكل ما لم يدل عليه دليل شرعي،.. فلفظ البدعة في اللغة، أعم من لفظ البدعة في الشريعة » [3].

وأما الاستدلال بالحوادث التي استجدت وليس عليها بأعيانها أدلة من الكتاب والسنة والإجماع على تحسين بعض البدع، فهذه الحوادث ليست من العبادات المحضة، ولا تسمى بدعاً في الدين، وإن كانت محمودة في الشرع، بل تسمى بدعاً من جهة اللغة، وهي هنا داخله في المصالح المرسلة، بناء على أنها لم تدخل أعيانها تحت النصوص الشرعية المعينة، مع ملائمتها لقواعد الشرع[4].

وعلى هذا التوجيه يمكن حمل كلام الشافعي في البدعة المحمودة، وكذلك الشيخ فيصل رحمه الله حينما تبعه في تقسيمه للبدع فلا يظن منهما أنهما يستحسنا البدع، ويمدحانها، ويجيزان التقرب إلى الله بها.

فعند النظر إلى تعريف الشيخ فيصل رحمه الله للبدعة السابق وذمه وتحذيره منها -كما

---

(١) أخرجه النسائي، باب ثواب من قام رمضان وصامه، (ح/ ٢٢١٠).

(٢) أخرجه أبو داود، باب تفريع أبواب شهر رمضان، (ح/ ١٣٧٥). الترمذي، كتاب الصوم، باب ما جاء في قيام شهر رمضان، (ح/ ٨٠٦). والنسائي، باب من صلى مع الإمام حتى ينصرف (ح/ ١٣٦٤). وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في قيام شهر رمضان، (ح/ ١٣٢٧). وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (ح/ ١٦١٥)، (١/ ٣٣٣).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٢٧٥-٢٧٦) بتصرف.

(٤) انظر: الاعتصام، الشاطبي، (١/ ١٩٢).

سيأتي- وما ذكره الأئمة في قدر الإمام الشافعي ومنهم الإمام أحمد، فقد قال: « ما رأيت أحداً أتبع للأثر من الشافعي »[1].

وقال محمد بن داود: « لم يحفظ في دهر الشافعي كله أنه تكلم في شيء من الأهواء ولا نسب إليه ولا عرف به، مع بغضه لأهل الكلام والبدع »[2].

وقد ذم الشافعي رحمه الله الاستحسان[3] الذي يستند إليه كل محسن لبدعته، فقال: «... وهذا يبين أن حراماً على أحد أن يقول بالاستحسان إذا خالف الاستحسان الخبر،والخبر من الكتاب والسنة عين »[4].

فالمتأمل فيما سبق ليعرف حق المعرفة قدر هذين الشيخين الفاضلين، فلا ينسب إليهما ما لم يريداه وهما منه براء.

والحاصل:

أن الشيخ فيصل رحمه الله قد وافق السلف في ذم البدع المخالفة للنصوص الشرعية وقواعدها، وما ذكره في تقسيمه البدعة إلى وجود بدعة حسنة، فإن ذلك لا يدل على مخالفتهم؛ لأنه أراد بذلك المعنى اللغوي الذي أراده الإمام الشافعي أيضاً .



(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٠/ ٨٧) .

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٠/ ٢٦).

(٣) الاستحسان هو: عد الشيء حسناً، وفي اصطلاح الأصوليين : هو عدول المجتهد عن مقتضى قياس جلي إلى مقتضى قياس خفي أو عن حكم كلي إلى حكم استثنائي لدليل انقدح في عقله، رجح لديه هذا العدول. انظر: روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، ابن قدامة، تحقيق: د.عبدالكريم النملة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، (٢/ ٥٣١). علم أصول الفقه، عبدالوهاب خلاف، دار القلم، الكويت، الطبعة السابعة عشر، ١٤١١هـ، ص(٧٩).

(٤) الرسالة، محمد بن إدريس أبو عبدالله الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ، ص(٥٠٣).



المبحث الثاني

موقف الشيخ فيصل رحمه الله
في التحذير من البدع والأهواء

* *   * *   * *

إن من يطالع في مؤلفات الشيخ فيصل رحمه الله يتبين له بجلاء مدى جهوده في الوقوف ضد البدع والأهواء، والرد عليها بالحجة والبرهان، والتحذير من الوقوع في مزالقها الوعرة، أو الانجراف وراء تياراتها الفاسدة.

فيقول رحمه الله عند شرحه لحديث الرسول ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[1]، قال: « هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الدين وهو من جوامع الكلم التي أوتيها المصطفى ﷺ فإنه صريح في رد كل بدعة ليس لها أصل في الكتاب ولا في السنة، سواءً أحدثها أو قلد غيره فيها، لقوله في رواية مسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فو رد)[2] أي: مردود باطل، والمراد: أن أعمال العاملين تكون تحت أحكام الشريعة في الأوامر والنواهي، فمن كان عمله تحت أحكام الشريعة فهو مقبول، وما كان خارجاً عنها فهو مردود، قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[3] »[4].

ثم رد الشيخ رحمه الله على من زادوا على ما جاء به النبي ﷺ باستسحان عقولهم القاصرة أو قياساتهم الفاسدة، بأن ما ذهبوا إليه هو من البدع والشبهات التي لا تنفعهم، بل تحيد بهم عن الصراط المستقيم الذي جاء به النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم.

فيقول رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[5]: « عن مجاهد في قول الله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على جور فالصلح مردود، (ح/ ٢٥٥٠). ومسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد المحدثات، (ح/ ١٧١٨) .

(٢) سبق تخريجه، ص(٢١٤) .

(٣) سورة الشورى: آية (٢١).

(٤) محاسن الدين، ص(٢٩).

(٥) سورة الأنعام: آية (١٥٣).

عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ قال: البدع والشبهات. وعن ابن مسعود قال: « خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً فقال: هذا سبيل الله، ثم خط عن يمين ذلك الخط وعن شماله خطوطاً فقال: هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعوا إليها، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ [1]. وقال ابن زيد: سبيله الإسلام» [2].

ثم ينفر الشيخ رحمه الله من البدع ببيان حال أهلها يوم القيامة وما هم عليه من ضلال وبُعدٍ عن الحق.

فيقول رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ ﴾ [3]: « قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة » [4][5].

ويقول رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩﴾ [6] قال: (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ في هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ ﴾ وليسوا منك، هم أهل البدع وأهل الشهوات وأهل الضلالة من هذه الأمة) [7] رواه ابن جرير » [8].

---

(١) أخرجه أحمد، (١/ ٤٣٥-٤٦٥)و (٣/ ٣٩٧). والحاكم، (٢/ ٣١٨). وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) توفيق الرحمن، (٢/ ١٨٨).

(٣) سورة آل عمران: آية (١٠٦).

(٤) أخرجه اللالكائي، (١/ ٧٢).

(٥) توفيق الرحمن، (١/ ٤٣٦). تطريز رياض الصالحين، ص(٣٠٢).

(٦) سورة الأنعام: آية (١٥٩).

(٧) أخرجه ابن جرير، (٨/ ١٠٥)، وفي سنده: عباد بن كثير وهو متروك، وليث بن أبي سليم وهو ضعيف. انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٦/ ٣٤٩). الكاشف، الذهبي (١/ ٥٣١، ٢/ ١٥١)، تقريب التهذيب، ابن حجر، (١/ ٢٩٠) .

(٨) توفيق الرحمن، (٢/ ١٩٤).

ويحذر الشيخ فيصل رحمه الله أشد التحذير من اتباع الهوى، والبدع من الهوى، وهو خلاف الهدى، ومن مالت نفسه وأحبت غير شرع الله، فقد جاوزت ومالت بالحب الحد المشروع والاعتدال، وإذا سقط المرء في هذا الوحل، فإنه لا يتبع الشرع وإنما يتبع ما تهوى نفسه، وهوى بنفسه في مزلق الضلال[1].

فيقول رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾[2]: « عن إبراهيم النخعي[3] في قوله: ﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ قال: هذه الأهواء المختلفة والتباغض هو الإغراء وقال قتادة: إن القوم لما تركوا كتاب الله، وعصوا رسوله، وضيعوا فرائضه، وعطلوا حدوده، ألقي بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، بأعمالهم أعمال السوء، ولو أخذ القوم كتاب الله ما افترقوا »[4].

وقد حذر أئمة السلف من البدع وأهلها، ومنهم اللالكائي[5] فقد بوب لهذا باباً سماه: « سياق ما روي عن النبي ﷺ في النهي عن مناظرة أهل البدع، وجدالهم والمكالمة معهم، والاستماع إلى أقوالهم المحدثة، وآرائهم الخبيثة »[6].

---

(١) انظر: مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، للدكتور: ناصر بن عبدالكريم العقل، ص(٢١-٢٢).

(٢) سورة المائدة: آية (١٤).

(٣) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعي، من أكابر التابعين صلاحاً وصدقاً ورواية وحفظاً للحديث، عاش بالكوفة، وكان إماماً مجتهداً له مذهب خاص، توفي سنة (٩٦هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ، الذهبي، (١/ ٧٣). تهذيب التهذيب، ابن حجر، (١/ ١٥٥).

(٤) توفيق الرحمن، (٢/٤٦).

(٥) هو هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي الشافعي اللالكائي، مفيد بغداد في وقته، قال الخطيب: كان يفهم ويحفظ، وصنف كتاباً في السنة، توفي سنة (٤١٨هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٧/ ٤١٩). شذرات الذهب، ابن العماد، (١/ ٣٥٩).

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي، (١/ ١١٤).

وعليه.. فإن الشيخ فيصل رحمه الله قد حذر من البدع وذم أهلها وكذلك الشهوات والأهواء، مستنداً في ذلك إلى أحاديث الرسول ﷺ وأقوال السلف الصالح، كما هو منهج أهل السنة في ذلك.



المبحث الثالث

أمثلة لبعض البدع
التي تحدث عنها الشيخ رحمه الله

وفيـه ثلاثـة مطالـب : -

۞ المطلب الأول: بدع القبور .

۞ المطلب الثاني: بدعة الانتساب إلى فرق مخالفة لأهل السنة .

۞ المطلب الثالث: بدعة الاشتغال بعلم الكلام المذموم .

* * * * * *

المبحث الثالث: أمثلة لبعض البدع التي تحدث عنها الشيخ

لقد ذم السلف الصالح بعض البدع وأهلها وحذروا من الوقوع فيها، لأن في ذمها والتحذير منها نوع من إنكار المنكر ولأن البدع من الضلال والمنكر.

وقد تحدث الشيخ فيصل رحمه الله عن بعض هذه البدع، مستنيراً بكلام العلماء المحققين العارفين بالسنة، المترسمين لخطى السلف الصالح على مر العصور، وهذا هو دأبه ومنهجه الذي تعود عليه في جميع مؤلفاته.

ومن البدع التي أنكرها الشيخ رحمه الله والتي وجدت في عصره، بدع القبور، والتفرق إلى فرق مخالفة لأهل السنة، وكذلك الاشتغال بعلم الكلام.

ولبيان ذلك، كان هذا المبحث بمطالبه التالية ..

المطلب الأول: بدع القبور

من أعظم الأمور خطراً على عقيدة المسلم: هذه البدعة التي انتشرت في الكثير من بلاد المسلمين؛ ألا وهي بدع القبور.

فالشيطان أدخل الناس في الشرك من باب الغلو في الصالحين والإفراط في محبتهم،وهذا الغلو أدى إلى عبادتهم من دون الله بتعظيم قبورهم، وبناء القباب عليها، وسترها بالأستار،وإيقاد السرج، وقيام السدنة وشياطين الإنس عندها لدعوة الناس إلى عبادتها بأنواع النذور فيعود عليهم من تلك الأموال.

وقد أوضح ذلك الشيخ فيصل رحمه الله عند شرحه لكتاب التوحيد في باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله، فقال: « أي: تعظيمها بالبناء عليها والصلاة عندها ونحو ذلك يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله كعبادة الأصنام »[1].

---

(١) القصد السديد، ص(١٠٦-١٠٧).

وسداً لهذه الذريعة، وخوفاً من النبي ﷺ على أمته من الوقوع فيما وقع فيه اليهود والنصارى في حق أنبيائهم من عبادتهم من دون الله، دعا ﷺ ربه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد، فقد روى مالك في الموطأ: أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) [1].

وقد استجاب الله دعوة نبيه محمد ﷺ وصان قبره وأحاطه بثلاثة جدران كما قال ابن القيم رحمه الله:

فأجاب رب العالمين دعاءه — وأحاطه بثلاثة جدران

حتى غدت أرجاؤه بدعائه — في عزة وحماية وصيان [2].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله عن الحديث السابق: « فيه تحريم البناء على القبور، وأن ذلك وسيلة إلى عبادتها من دون الله » [3].

ولاشك أن البناء على القبور محادة لله ورسوله ورغم أنه كذلك فقد صار في بعض بلدان المسلمين ديناً يتقرب به إلى الله؛ وذلك بسبب جهل الناس، وقلة من ينكر عليهم ذلك.

وقد بيّن ذلك الشيخ رحمه الله فقال نقلاً عن محمد بن إسماعيل الصنعاني [4]: « والمشاهد التي صارت أعظم الذريعة إلى الشرك والإلحاد، غالب من يعمرها الملوك والسلاطين،

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ، (ح/ ٨٥). الإمام أحمد، (٢/ ٢٤٦). وأبو يعلى، (١١/ ٦٦) .

(٢) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ، (٢/ ٣٥٢).

(٣) القصد السديد، ص(١٠٧).

(٤) هو محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الصنعاني، ولد في كحلان باليمن سنة (١٠٩٩هـ)، رحل مع والده إلى صنعاء فأكب على طلب العلم لدى كبار شيوخ عصره، ثم رحل إلى مكة وقرأ الحديث على علمائها، وتفرد برئاسة العلم في صنعاء.

انظر: البدر الطالع، الشوكاني، (٢/ ١٣٣-١٣٩). الأعلام، الزركلي، (٦/ ٣٨).

إما على قريب لهم، أو على من يحسنون الظن فيه من فاضل أو عالم.

ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الأموات من دون توسل به ولا هتف باسمه، بل يدعون له ويستغفرون.

حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم، فيأتي من بعدهم من يرى قبراً قد شيد عليه بالبناء، وسرجت عليه الشموع، وفرش بالفراش الفاخر فيعتقد أن ذلك لنفع أو لدفع ضر، وتأتيه السدنة يكذبون على الميت بأنه فعل وفعل، وأنزل بفلان الضر وبفلان النفع، حتى يغرسوا في جبلته كل باطل، والأمر ما ثبت في الأحاديث النبوية، من لعن من سرج القبور وكتب عليها وبنى عليها وأحاديث ذلك واسعة؛ فإن ذلك في نفسه منهي عنه، ثم هو ذريعة إلى مفسدة عظيمة »[1].

وفي موضع آخر نقل الشيخ ﵀ عن الشوكاني شرحه حديث رسول الله ﷺ عندما بعث علي فأمره بقوله: « لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»[2]، قال: «فيه أن السنة أن القبر لا يرفع رفعاً كثيراً من غير فرق بين من كان فاضلاً أو غير فاضل...، ورفع القبور الداخل في الحديث دخولاً أولياً القبب، والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك،وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام.

منها: اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام وعظم ذلك، فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج، وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم،وشدوا إليها الرحال، وتمسحوا بها، واستغاثوا وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه فإنا لله وإنا إليه راجعون، ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا نجد من يغضب لله ويغار حمية للدين لا عالماً ولا متعلماً، ولا وزيراً ولا ملكاً، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا

---

(١) القصد السديد، ص(١٠٧-١٨) .

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، (ح/ ٩٦٩).

يشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه من يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإن قيل له بعد ذلك إحلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني،تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين، أو ثالث ثلاثة، فيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين، أي رزء للإسلام أشد من الكفر؟ وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله، وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة؟ وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجباً؟

لقد اسمعت لو ناديت حياً ... ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو ناراً نفخت فيها أضاءت ... ولكن أنت تنفخ في رماد »[1].

وقد عقب الشيخ فيصل رحمه الله على كلام الشوكاني عن انتشار بدع القبور في بلاد المسلمين، وعدم وجود من ينكرها، بقوله: « وقد من الله تعالى على أهل نجد بآل سعود ومجدد القرن الثاني عشر محمد بن عبدالوهاب وذريته وأعوانهم فهدموا القبور التي كانت تعبد من دون الله، ودعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، واتباع سنة رسول الله ﷺ »[2].

وأكبر بدع القبور هو العبادة عليها، وتكون على وجهين:

أحدهما: عبادة القبور بالطواف حولها، ودعاء أصحابها، والتقرب إليهم بالنذور وغيرها، وهذا هو الشرك الأكبر.

الثاني: عبادة الله عند القبور بالصلاة عندها، والتقرب إلى الله عندها بالذبح والنذور، متبركاً بالعبادة في تلك البقعة،وهذا هو الشرك الأصغر، الذي يكون ذريعة ووسيلة للوقوع في الشرك الأكبر.

---

(١) القصد السديد، ص(١١٨-١١٩). بستان الأحبار، (١/ ٥١٥-٥١٦).

(٢) القصد السديد، ص(١١٩). بستان الأحبار ، (١/ ٥١٦) .

أوضح الشيخ فيصل رحمه الله ذلك عند شرحه كتاب التوحيد في باب ما جاء من التغليظ فيمن عبدالله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده، فقال: « أي: الرجل الصالح فإن عبادته شرك أكبر، وعبادة الله عند قبره وسيلة إلى عبادته، ووسائل الشرك محرمة لأنها تؤدي إلى الشرك الأكبر وهو أعظم الذنوب »[1].

ومن أعظم المحدثات وأسباب الشرك: الصلاة عند القبور واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها، وقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه، فعن جندب بن عبدالله[2] قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك)[3].

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في معنى هذا الحديث: « قال الخلخالي[4]: وإنكار النبي ﷺ صنيعهم هذا يخرج على وجهين:

أحدها: أنهم يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً.

الثاني: أنهم يجوّزون الصلاة في مدافن الأنبياء والتوجه إليها حالة الصلاة، نظراً منهم بذلك إلى عبادة الله والمبالغة في تعظيم الأنبياء.

---

(١) القصد السديد، ص(١٠٢).

(٢) هو جندب بن عبدالله بن سفيان البجلي، أبو عبدالله، له صحبة، كان بالكوفة ثم إلى البصرة، وحديثه عند البصريين جميعاً، مات بعد الستين من الهجرة.

انظر: الكاشف، الذهبي، (١/ ٢٩٨). تهذيب الكمال، المزي، (٥/ ١٣٨). تهذيب التهذيب، ابن حجر، (٢/ ١٠١).

(٣) أخرجه مسلم كتاب الصلاة، باب النهي أن تتخذ القبور مساجد، (ح/ ٥٣٢).

(٤) هو حسين العالم الفاضل الخلخالي، صنف التعليقه على تفسير البيضاوي، مات سنة (١٠١٤هـ).

انظر: طبقات المفسرين، الداودي، (١/ ٤٣٤).

والأول هو الشرك الجلي، والثاني الخفي، فلذلك استحقوا اللعن »[1].

وهذا ما أكده أيضاً ابن القيم رحمه الله حيث يقول: « وبالجملة فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه وفهم عن رسول الله ﷺ مقاصده، جزم جزماً لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغته -صيغة « لا تفعلوا » وصيغة « إني أنهاكم عن ذلك »- ليس لأجل النجاسة، بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة لمن عصاه، وارتكب ما عنه نهاه، واتبع هواه، ولم يخش ربه ومولاه، وقل نصيبه أو عدم من لا إله إلا الله فإن هذا وأمثاله من النبي ﷺ صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه،وتجريد له وغضب لربه أن يعدل به سواه؛ فأبى المشركون إلا معصية لأمره وارتكاباً لنهيه، وغرهم الشيطان بأن هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين وكلما كنتم لها أشد تعظيماً وأشد فيهم غلواً كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد، ولعمر الله من هذا الباب بعينه دخل الشيطان على عبّاد يعوق ويغوث ونسر، ودخل على عبّاد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة، فجمع المشركون بين الغلو فيهم والطعن في طريقتهم، فهدى الله أهل التوحيد لسلوك طريقتهم وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها من العبودية وسلب خصائص الإلهية عنهم »[2].

أما مسألة زيارة القبور فهي في أصلها مشروعة، لكن وللأسف صار الكثير من عامة المسلمين عند زيارتهم للقبور يخرجون عن الطريقة الشرعية إلى طرق شركية مخترعة ومبتدعة؛ لذا فقد أفرد بعض العلماء هذا الموضوع بالتأليف لخطورته ولكثرة من وقع في المحذور فيه، ومن هؤلاء العلماء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقد ألف فيه كتابه المسمى بـ« زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ».

وقد كان للشيخ فيصل رحمه الله وقفه مع هذا الموضوع لبيان الزيارة المشروعة فيها، فيقول رحمه الله بعد ذكر جملة من الأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على زيارة القبور ومنها:

---

(١) القصد السديد، ص(١٠٤-١٠٥).

(٢) إغاثة اللهفان، ابن القيم، (١/ ١٨٩).

قوله ﷺ: (قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه، فزوروها، فإنها تذكر الآخرة)[1].

وقوله عليه الصلاة والسلام: (لعن الله زوارات القبور)[2]، وقد كان عليه الصلاة والسلام يعلم صحابته إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية)[3].

يقول الشيخ رحمه الله: « وهذه الأحاديث فيها مشروعية زيارة القبور، ونسخ النهي عن الزيارة، وقد حكى النووي اتفاق أهل العلم على أن زيارة القبور للرجال جائزة.

قال الشارح: وقد ذهب إلى كراهة الزيارة للنساء جماعة من أهل العلم، واختلفوا في الكراهة هل هي كراهة تحريم أو تنزيه، وذهب الأكثر إلى الجواز إذا أمنت الفتنة، واستدلوا بأدلة، منها: دخولهن تحت الإذن العام بالزيارة، ويجاب عنه بأن الإذن العام مخصص بهذا النهي الخاص المستفاد من اللعن، قال القرطبي: اللعن المذكور في الحديث إنما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصيغة من المبالغة،ولعل السبب ما يفضي إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج وما ينشأ من الصياح ونحو ذلك، وقد يقال: إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن لهن لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء »[4].

وبهذا، فقد بين الشيخ فيصل رحمه الله الزيارة المشروعة لقبور المسلمين بهدف السلام عليهم والدعاء لهم، والاعتبار بهم حتى يتذكر المسلم الموت والآخرة فيكون ذلك عوناً له

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور، (ح/ ١٠٥٤). وبنحوه مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه، (ح/ ٩٧٧). وأبو داود، باب زيارة القبور، (ح/ ٣٢٣٥). والنسائي، باب تفسير الأوعية، (ح/ ٥٦٥٢). وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة القبور، (ح/ ١٥٧١). وصححه الألباني في صحيح الجامع، (ح/ ٢٤٧٥)، (١/ ٤٨٦).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، (٤/ ٧٨). وأبو يعلى في مسنده، (١٠/ ٣١٤). وصححه ابن حبان، (٧/ ٤٥٢).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، (ح/ ٩٧٥).

(٤) بستان الأحبار، (١/ ٥٢٩-٥٣٠).

على العبادة والطاعة.

والحاصل: أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ قد سار على نهج من سبقه من علماء أهل السنة في النهي عن بدع القبور والتحذير منها، حماية لجناب التوحيد، وسداً لذرائع الشرك.

المطلب الثاني: بدعة الانتساب إلى فرق مخالفة لأهل السنة

لقد مرت بالمسلمين في عصورهم المختلفة فترات حل فيها الجهل واستحكمت البدع والشبهات في النفوس محل العلم والاعتقاد الصحيح، فضعف نور الإيمان في نفوس هؤلاء، وقل وجود علماء متكاتفين متعاونين على إظهار الحق وقمع الباطل، فانتشرت البدع والخرافات وقوي أمر التحزب الباطل والفرقة الممقوتة.

وقد نشأ عن هذا الجهل عدم فهم النصوص فهماً سليماً، حيث أخذت كل فرقة تؤول النصوص لصالحها وتقوى ما تذهب إليه من أفكار وآراء، فنرى النص الواحد من الكتاب أو من السنة يفسر بعدة تفسيرات متعارضة في بعض الأحيان حسب ما تذهب إليه كل طائفة.

وصار بعضهم يعيب البعض الآخر، بعد ذم أهل السنة والاستهزاء بمفاهيمهم والفرح بما عندهم من تلك التأويلات الملفقة.

وكان لهذه المواقف نتائج ظاهرة في تفرق الأمة الإسلامية وظهورهم طوائف.

فإن حب البدع والخرافات ثم التصميم على تنفيذ تلك البدع، كان له أعظم الأثر في قيام كثير من الحركات والفرق على امتداد تاريخ الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ إلى زمننا الحاضر، فأبعدت الناس عن تفهم العقيدة الصحيحة وأخرجتهم إلى الجهل والتعلق بالبدع واعتبارها من الدين.

ولذلك فإنا نجد أن الشيخ فيصل رحمه الله في مواضع عديدة من كتبه، قد دعا إلى الاعتصام بجماعة المسلمين وجمع كلمتهم، والسير على صراط الله المستقيم والتمسك به، وحذر من التفرق والخلاف، حتى يعود للإسلام العزة والكرامة والمنعة والنصرة على

جحافل الكفر والطغيان، فيقول ﷺ عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

قال: « قال ابن عباس: أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة فنهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله »[2].

ويؤكد الشيخ ﷺ بأنه بعد أن تفرق المسلمون أحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون، زعمت كل فرقة أنها هي الناجية، وما عداها هالك، ثم يؤكد ﷺ على بيان من هي الفرقة الناجية الواردة في حديث الرسول ﷺ، فيقول عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[3]: « قال البغوي: وقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ يقول: ولا تكونوا من المشركين الذين بدلوا دينهم وخالفوه: ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ يقول: وكانوا أحزاباً، فرقاً كاليهود والنصارى.

وقوله: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ يقول: كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقوا دينهم الحق، فأحدثوا البدع التي أحدثوا، ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ يقول: بما هم به متمسكون من المذهب ﴿فَرِحُونَ﴾ مسرورون، يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم »[4].

ثم يقول ﷺ بعد ذلك: « وقال ابن كثير: فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على أراء وملل باطلة، وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء، وهذه الأمة أيضاً اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة إلاّ واحدة، وهم أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه، كما رواه الحاكم في مستدركه، أنه سئل ﷺ عن الفرقة الناجية منهم

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٠٥).

(٢) توفيق الرحمن، (١/ ٤٣٦).

(٣) سورة الروم: آية (٣٢).

(٤) توفيق الرحمن، (٣/ ٤٤١).

فقال: (من كان على ما أنا عليه وأصحابي) [(١)][(٢)].

وعليه: فإن الشيخ فيصل رحمه الله قد حذر من الانتساب إلى الفرق المخالفة لأهل السنة والذي ظهر نتيجة لحب البدعة وفعلها، مما أدى إلى تفرق المسلمين واختلافهم.



(١) ونص الحديث هو قول الرسول ﷺ: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة) أخرجه أبو داود، باب شرح السنة، (ح/ ٤٥٩٧). والترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، (ح/ ٢٦٤١). وابن ماجه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، (ح/ ٣٩٩١-٣٩٩٢)، وقال الترمذي: هذا حديث مفسر غريب. وصححه الألباني في صحيح الجامع، (ح/ ١٠٨٣)، (١/ ٢٤٥).

(٢) توفيق الرحمن، (٣/ ٤٤٢).

المطلب الثالث: بدعة الاشتغال بعلم الكلام المذموم

علم الكلام: هو ذلك العلم الذي يقصد إلى دراسة الأحكام الاعتقادية في الشريعة الإسلامية، وهي غاية جليلة جديرة بالاعتبار، ولكنه حين استقام علماً، تعقد له الحلقات، وتتصارع فيه الآراء، وتدون فيه الكتب، ونشأت فيه فرق ومذاهب تتفاوت قرباً وبعداً من جوهر العقيدة الإسلامية الصافي كما وردت في الكتاب والسنة، واستخدم علماؤه مناهج ليست دائماً على وفاق تام مع أصول النظر الإسلامي وأساليب الاستدلال القرآنية.

وتطور الأمر بهذا العلم حتى وجد من يغلو من هذه الفرق إلى حد يكاد يخرجه من ملة الإسلام، ومن يسرف في تبني المناهج الدخيلة والآراء الغريبة حتى خلط الكلام في العقيدة بفلسفات ذات أصول وثنية شرقية أو غربية.

ومن ثم ظهرت في المجتمعات الإسلامية أصوات تتساءل عن مشروعية الاشتغال بعلم الكلام، فدعا بعضهم إلى هجر هذا العلم وتحريم النظر فيه، وهي أصوات تستند إلى نصوص وردت عن النبي ﷺ ناهية عن الكلام في الدين أو الجدل في العقيدة، وتؤيد ذلك ببعض الظواهر السلبية في الوسط الكلامي؛ كإهمال الدليل السمعي، أو تكفير الخصوم، أو استخدام المنطق اليوناني أو غير ذلك.

وقد علت هذه الأصوات حتى صارت تياراً واضحاً واتجاهاً بارزاً لطوائف من المحدثين والمحافظين من علماء السلف، فقد خشوا أخطار علم الكلام على الأمة فحرموه جملة، وذموه بدون تفصيل، كأبي عبدالرحمن السلمي[1]، والهروي في كتابه « ذم

---

(١) هو عبدالله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، ويعرف بأبي عبدالرحمن السلمي، الإمام المقرئ، ولد في حياة النبي ﷺ، قرأ القرآن وجوده وعرضه على عثمان وعلي وابن مسعود، وأخذ عنه القراءة عاصم، وقد مكث يقرئ الناس ويعلمهم القرآن أربعين سنة، توفي سنة (٧٤هـ).

انظر: تذكرة الحفاظ، الذهبي، (١/ ٥٥). سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٤/ ٢٦٧).

الكلام وأهله »[1].

وفي مقابل ذلك كتب أنصار علم الكلام مدافعين عن جواز الاشتغال به شرعاً، حتى ذهب بعضهم إلى وجوبه كفائياً أو عينياً في بعض الأحيان، فكتب أبو الحسن الأشعري[2]، رسالته المعروفة « استحسان الخوض في علم الكلام ».

وقد كان للشيخ فيصل رحمه الله موقفاً في حكم الاشتغال بعلم الكلام وذلك عند شرحه لحديث رسول الله ﷺ: (أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)[3] فيقول: « قال القرطبي: هذا الشخص الذي يبغضه الله هو الذي يقصد بخصومته مدافعة الحق، ورده بالأوجه الفاسدة، والشبه الموهمة، وأشد ذلك الخصومة في أصول الدين، كما يقع لأكثر المتكلمين المعرضين عن الطرق التي أرشد إليها كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ وسلف أمته إلى طرق مبتدعة، واصطلاحات مخترعة، وقوانين جدلية، وأمور صناعية، ومدار أكثرها على أراء سفسطائية[4]، أو مناقضات لفظية، ينشأ بسببها على الأخذ بها شبه ربما يعجز عنها، وشكوك يذهب الإيمان معها، وأحسنهم انفصالاً عنها أجدلهم لا أعلمهم، فكم من منفصل عنها لا يدرك حقيقة علمها، ثم إن هؤلاء قد ارتكبوا أنواعاً من المحال لا

---

(١) انظر: درء التعارض، ابن تيمية، (٧/ ١٤٤-١٨٦).

(٢) هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر، ينتسب إلى أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ وكنيته أبو الحسن، ولد في البصرة سنة (٢٦٠هـ)ن وكان له ثلاث أحوال: كان في أولاهما معتزلياً، وسلك في الثانية مذهب ابن كلاب، ورجع أخيراً إلى معتقد السلف، وألف عدة كتب في نصرة معتقدهم ككتاب الإبانة، ورسالة إلى أهل الثغر، ومقالات الإسلاميين. انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، (١١/ ١٩٩). شذرات الذهب، ابن العماد، (٢/ ٣٠٣). وفيات الأعيان، ابن خلكان، (٣/ ٢٨٤٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾، (ح/ ٢٣٢٥)، كتاب الأحكام، باب في الألد الخصم، (ح/ ٦٧٦٥). ومسلم، كتاب العلم باب في الألد الخصم، (ح/ ٢٦٦٨).

(٤) يراد بالسفسطة: جحود الحقائق الموجودة بالتلبيس والتمويه. راجع: بيان تلبيس الجهمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد بن قاسم، المطبعة الحكومية بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ (١/ ١٥٠).

يرتضيها البله ولا الأطفال، لما بحثوا عن تحيز الجواهر والألوان والأحوال، فأخذوا فيما أمسك عنه السلف الصالح من كيفيات تعلقات صفة الله تعالى... » إلى أن قال: « ولا فرق بين البحث عن كيفية الذات وكيفية الصفات، ومن توقف في هذا فليعلم أنه إذا كان عجز عن كيفية نفسه مع وجودها، وعن كيفية إدراك ما يدرك به، فهو على إدراك غيره أعجز، وغاية علم العالم أن يقطع بوجود فاعل لهذه المصنوعات منزه عن الشبيه، مقدس عن النظير، متصف بصفات الكمال، ثم متى ثبت النقل عنه بشيء من أوصافه وأسمائه قبلناه واعتقدناه وسكتنا عما عداه، كما هو طريق السلف، وما عداه لا يأمن صاحبه الزلل، ويكفي عن الردع في الخوض في طرق المتكلمين ما ثبت عن الأئمة المتقدمين كعمر بن عبدالعزيز ومالك وأنس والشافعي، وقد قطع بعض الأئمة بأن الصحابة لم يخوضوا في الجوهر[1] والعرض[2] وما يتعلق بذلك من مباحث المتكلمين، فمن رغب عن طريقهم فكفاه ضلالاً »[3].

ثم يشير رحمه الله إلى ما وصل إليه المشتغلون بعلم الكلام من خروج عن الحق ثم الندامة والحسرة، فقال: « وأفضى الكلام بكثير من أهله إلى الشك، وببعضهم إلى الإلحاد، وببعضهم إلى التهاون بوظائف العبادات، وسبب ذلك إعراضهم عن نصوص الشارع، وتطلُّبهم حقائق الأمور من غيره، وليس في قوة العقل ما يدرك ما في نصوص الشارع من الحكم التي استأثر بها، وقد رجع كثير من أئمتهم عن طريقهم، حتى جاء عن إمام الحرمين أنه قال: ركبت البحر الأعظم، وغصت في كل شيء نهى عنه أهل العلم

---

(١) الجوهر: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في الموضوع، وقيل: ما يقوم بنفسه.

انظر: التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ص(١٠٨).

(٢) العرض: الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي: محل يقوم به كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحل ويقوم.

انظر: التعريفات، الجرجاني، ص(١٩٢).

(٣) التعليقات السنية، ص(١٠٧-١٠٨).

في طلب الحق فراراً من التقليد، والآن فقد رجعت واعتقدت مذهب السلف. انتهى»[1].

وخلاصة ما نقله الشيخ فيصل رحمه الله عن الإمام القرطبي في حكم الاشتغال بعلم الكلام أنه لا مانع من الاستدلال بالأدلة العقلية على المطالب الإلهية إذا كانت صحيحة، وأن المذموم من علم الكلام هو ما خالف الكتاب السنة، أو الكلام بلا علم، والكلام المبتدع في الدين، وهذا هو بعينه موقف السلف الصالح من علم الكلام والاشتغال به – كما سيأتي بيانه–

ثم بين الشيخ رحمه الله أن المذموم شرعاً هو ما ذمه الله ورسوله، كالجدل بالباطل، والجدل بغير علم، والجدل في الحق بعد ما تبين، فيكون جداله اتباعاً لهواه.

يقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾[2]: «قال ابن كثير: لما ذكر تعالى حال الضُّلَّال الجُهَّال المقلدين في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ أي: بلا عقل صحيح ولا نقل صريح، بل بمجرد الهوى»[3].

ويقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾[4]: «قال قتادة: قوله ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ يقول: شديد القسوة في معصية الله، جدال بالباطل، وإذا شئت رأيته عالم اللسان جاهل العمل، يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة وفي الحديث عن النبي ﷺ: إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»[5][6].

ثم إن الشيخ رحمه الله قد حث على الالتزام بما جاء في الكتاب والسنة في طلب العلم

---

(١) التعليقات السنية، ص(١٠٨-١٠٩).

(٢) سورة الحج: آية (٨).

(٣) توفيق الرحمن، (٣/ ١٥٤).

(٤) سورة البقرة: آية (٢٠٤).

(٥) سبق تخريجه، ص(٥٣٨).

(٦) توفيق الرحمن، (١/ ٢٧٨).

وترك مالا فائدة فيه، فيقول عند شرحه لحديث أبي هريرة ﷺ حينما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم فإنما أهلك الذين قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم) [1].

يقول ﷺ: « فالذي يتعين على المسلم أن يبحث عما جاء عن الله ورسوله ﷺ، ثم يجتهد في فهم ذلك والوقوف على معانيه والعمل به، وهكذا كان حال أصحاب النبي ﷺ والتابعين لهم بإحسان في طلب العلم النافع من الكتاب والسنة.

وروى الإمام أحمد عن معاوية ﷺ عن النبي ﷺ (أنه نهى عن الأغلوطات[2]) [3].

قال الأوزاعي: هي شدائد المسائل، وقال عيسى بن يونس[4]: هي مالا يحتاج إليه من كيف وكيف؟ وقال الأوزاعي: إن الله إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط، فلقد رأيتهم أقل الناس علماً، وقال مالك: المراء والجدال يذهب بنور العلم من قلب الرجل » [5].

ويقول ﷺ في شرحه لحديث رسول الله ﷺ: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء، وإن كان محقاً) [6].

قال: « في هذا الحديث: استحباب ترك الجدال، وفي بعض الآثار: إذا أراد الله بعبد

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله، (ح/ ١٣٣٧).

(٢) الأغلوطة: هي الكلام الذي يغلط فيه ويغالط به، وهي أن تعيا بالشيء فلا تعرف وجه الصواب فيه، انظر: لسان العرب، ابن منظور، (٧/ ٣٦٣).

(٣) أخرجه أحمد، (٥/ ٤٣٥).

(٤) هو عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، أحد الأعلام في الحفظ والعبادة، يحج سنة ويغزو سنة، وهو ثقة، مات سنة (١٨٧هـ).

انظر: الكاشف، الذهبي، (٢/ ١١٤). تقريب التهذيب، ابن حجر، (١/ ٤٤١).

(٥) محاسن الدين، ص(٣٧-٣٨).

(٦) أخرجه أبو داود، باب حسن الخلق، (ح/ ٤٨٠٠). والبيهقي، في السنن الكبرى، (١٠/ ٢٤٩).

خيراً فتح له باب العلم، وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد بعبد شراً فتح له باب الجدل، وأغلق عنه باب العلم »[1].

ولم يحذر الشيخ رحمه الله من الجدال جملة بل استثنى من ذلك الجدال الحسن عند مناظرة الخصم في الدعوة إلى الله، فيقول رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[2]: « قال ابن كثير: يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله ﴿بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ﴾ أي بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس، ذكّرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى وقوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن، برفق ولين وحسن خطاب، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾[3]. فأمره تعالى بلين الجانب، كما أمر موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[4] »[5].

وعليه.. فإن الشيخ فيصل رحمه الله لم يخرج عن منهج السلف الصالح في هذه القضية والدليل على ذلك: ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن موقف الإمام أحمد من علم الكلام لما نسب إليه الغزالي شدة إنكاره على المشتغلين بهذا العلم، فقال: « فإن أحمد لم ينه عن نظر في دليل عقلي صحيح يفضي إلى المطلوب، بل في كلامه في أصول الدين في الرد على الجهمية وغيرهم من الاحتجاج بالأدلة العقلية على فساد قول المخالفين للسنة ما هو معروف في كتبه وعند أصحابه، ولكن أحمد ذم من الكلام البدعي ما ذمه سائر الأئمة

---

(١) تطريز رياض الصالحين، ص(٤١٢).

(٢) سورة النحل: آية (١٢٥).

(٣) سورة العنكبوت: آية (٤٦).

(٤) سورة طه: آية (٤٤).

(٥) توفيق الرحمن، (٢/ ٦٠٢).

وهو الكلام المخالف للكتاب والسنة، والكلام في الله وفي دينه بغير علم »[1].

وخلاصة ما سبق:

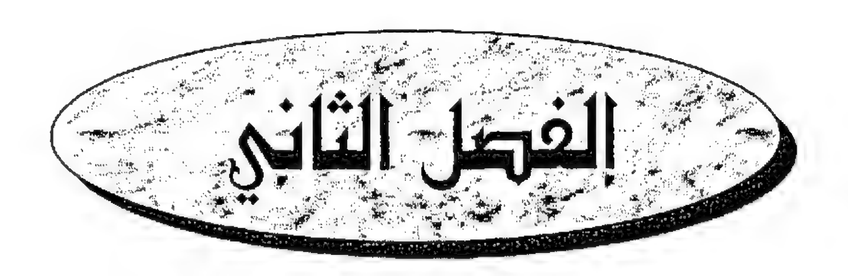
أن موقف الشيخ فيصل رحمه الله من البدع، وأهلها يمثل منهج أهل السنة والجماعة فيما عرف عنهم من كراهية للبدع، وتحذيرهم منها استناداً لما ورد في النصوص الشرعية الدالة على وجوب الاتباع، والنهي عن البدع ومحدثات الأمور.

فأنكر رحمه الله بدع القبور لما تفضي إليه من الشرك ووسائله، وحذر من الافتراق بين المسلمين بالانتساب إلى فرق مبتدعة.

وأخيراً؛ فقد نهى رحمه الله من الاشتغال بعلم الكلام المخالف للكتاب والسنة حتى لا يضيع على المرء تحصيل العلم النافع له في الدارين.



(١) درء التعارض، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٧/ ١٥٤).



جهود الشيخ في توضيح الإمامة

وفيه تمهيد وأربعة مباحث : -

- **المبحث الأول**: وجوب نصب إمام للمسلمين.
- **المبحث الثاني**: الشروط الواجب توافرها في الإمام.
- **المبحث الثالث**: حثه على وجوب طاعة ولي الأمر .
- **المبحث الرابع**: تحذيره من الخروج عن طاعة ولي الأمر.

* *　　* *　　* *

تمهيـــــد

حين يجتمع البشر في مكان واحد، وفي بيئة معينة، فإن من الطبيعي، أن تحدث بينهم المشكلات، وأن تقع بينهم الخلافات؛ وذلك لاختلاف طبائعهم وأهوائهم، ولذا فإنه لا يصلح حال الناس دون أن يتولى أحدهم أمر الحكم فيهم.

وقد ذكر الشيخ فيصل رحمه الله أهمية الإمام لصلاح حال الناس، فقال: « قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن الناس لا يصلحهم إلا إمام بر أو فاجر » .

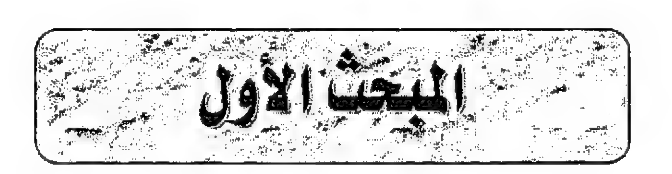
وقال الحسن: والله ما يستقيم الدين إلا بالأمراء، وإن جاروا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون »[1].

وقد كان الشيخ رحمه الله يحث كثيراً على طاعة أولي الأمر في المعروف، ويحذر أشد التحذير من الخروج عليهم، وقد نبه رحمه الله على هذه الركيزة كثيراً في ثنايا مؤلفاته.

هذا ويمكن بيان موقف الشيخ فيصل من الإمامة من خلال المباحث التالية..



(١) تطريز رياض الصالحين، ص(١٢٨).



وجوب نصب إمام للمسلمين

* *　　* *　　* *

المبحث الأول: وجوب نصب إمام للمسلمين

من الواضح المعلوم من الدين بالضرورة أنه يجب على المسلمين نصب إمام تجتمع به الكلمة ،وتنفذ به أحكام الله في أرضه، لأن الله تعالى قد يزع بالسلطان مالا يزعه بالقرآن.

وقد أكد الشيخ فيصل ﷫ على وجوب نصب الإمام عند شرحه للحديث الذي رواه عبدالله بن عمرو ﷠ عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم) [(١)].

والحديث الذي رواه أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: (إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا عليهم أحدهم) [(٢)].

يقول الشيخ ﷫: « فشرعيته لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار، ويحتاجون لدفع التظالم وفصل التخاصم أولى وأحرى » [(٣)].

وقد حذر الشيخ ﷫ من عدم بيعة الإمام في تعليقه على الحديث الذي رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ : (من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات ليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) [(٤)].

قال ﷫: « فيه وعيد شديد على من خرج على الإمام ولم ينقد له، ووجوب بيعة الإمام) [(٥)].

ثم يقول ﷫: « كان أهل الجاهلية يأنفون من الدخول تحت الطاعة خصوصاً

---

(١) أخرجه أحمد، (٢/ ١٧٦). وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، (ح/ ٥٨٩)، (٢/ ٥٦).

(٢) أخرجه أبو داود، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم، (ح/ ٢٦٠٨). والبيهقي في سننه، (٥/ ٢٥٧). والطبراني في الأوسط، (٨/ ٩٩). وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، (ح/ ١٣٢٢)، (٣/ ٣١٤).

(٣) بستان الأحبار، (٢/ ٦٠٩).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، (ح/ ١٨٥١).

(٥) تطريز رياض الصالحين، ص(٤٣٠).

العرب، فأخبرهم النبي ﷺ أن ذلك واجب لكل أمير ولو أنه حقير »[1].

وهذا الذي قرره الشيخ فيصل رحمه الله هو ما يقرره أئمة الدين وعلماء أهل السنة والجماعة ويؤكدون ضرورته.

يقول الإمام الحسن بن علي البربهاري[2]: « والسمع والطاعة للأئمة فيما يحب الله ويرضى، ومن ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به فهو أمير المؤمنين لا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن ليس عليه إمام براً كان أو فاجراً »[3].

والحاصل: أن الشيخ فيصل رحمه الله قد وافق السلف في وجوب عقد البيعة للحاكم المسلم، والتغليظ على من ليس في عنقه بيعة والترهيب من نقضها.



(١) تطريز رياض الصالحين، ص(٤٣٠).

(٢) هو الحسين بن علي بن خلف أبو محمد البربهاري، شيخ طائفة الحنابلة في وقته، كان أحد الأئمة العارفين والحفاظ المتقنين، وكان شديداً على أهل البدع، صنف مصنفات عدة منها: كتاب شرح السنة، توفي سنة (٨٣٩هـ). انظر: طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى، (٢/ ١٩). الوافي بالوفيات، صلاح الدين بن إيبك، (١٢/ ٩٠).

(٣) كتاب شرح السنة، الحسن بن علي البربهاري، تحقيق: د.محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ص(٢٨).



الشروط الواجب توافرها في الإمام

* *   * *   * *

المبحث الثاني: الشروط الواجب توافرها في الإمام

نظراً لما يترتب على الإمامة من وحدة الأمة، وصون حقوقها، ورفع راية الدين، والذود عنه، وإقامة أمره فإن لإمام المسلمين شروط لابد من توفرها فيه لتصح إمامته، وقد ذكر هذه الشروط علماء الأمة من أهل السنة.

وذكر الشيخ فيصل رحمه الله بعض هذه الشروط أثناء تعليقه على بعض أحاديث الرسول ﷺ ومن هذه الشروط:

الأول: أن يكون ذكراً:

والدليل أنه ﷺ لما بلغه أن أهل فارس ملَّكوا عليهم بنت كسرى، قال: (لن يفلح قوم ولوا أمرهم إمرأة) [(١)].

قال الشيخ رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: « فيه دليل على أن المرأة ليست من أهل الولايات، ولا يحل لقوم توليتها، لأن تجنب الأمر الموجب لعدم الفلاح واجب » [(٢)].

الثاني: أن يكون بالغاً:

والدليل: قوله ﷺ: (تعوذوا بالله من رأس السبعين، وإمارة الصبيان) [(٣)].

قال الشيخ رحمه الله: « وقوله (إمارة الصبيان) فيه دليل على أنه لا يصح أن يكون الصبي قاضياً، قال في البحر: إجماعاً، وأمر ﷺ بالتعوذ من رأس السبعين لعله لما ظهر فيها من الفتن العظيمة منها قتل الحسين رضي الله عنه ووقعة الحرة، وغير ذلك مما وقع في عشر السبعين» [(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، (ح/ ٤١٦٣)، وفي كتاب الفتن، باب الفتنة كموج البحر، (ح/ ٦٦٨٦).

(٢) بستان الأحبار، (٢/ ٦١٣).

(٣) أخرجه أحمد، (٢/ ٣٢٦-٣٥٥-٤٤٨). قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

(٤) بستان الأحبار، (٢/ ٦١٣).

الثالث: أن يكون قوياً، فلا تلحقه رقة في إقامة الحدود .

والدليل:

الحديث الذي رواه أبو ذر عن النبي ﷺ أنه قال: (يا أبا ذر، إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين، ولا تولين مال يتيم)[1].

قال الشيخ رحمه الله : « قوله (أراك ضعيفاً) فيه دليل على أن من كان ضعيفاً لا يصلح لتولي القضاء بين المسلمين.

قوله: (لا تأمرن على اثنين) إلى آخره، فيه إرشاد للعباد إلى ترك تحمل أعباء الإمارة مع الضعف عن القيام بحقها من أي جهة من الجهات »[2].

وهناك شروط أخرى لم يذكرها الشيخ وقد ذكرها العلماء وهي:

١-أن يكون حراً، لا عبداً ولا مبغضاً، لأن له الولاية العامة، فلا يكون مولاه عليه[3].

٢-أن يكون عدلاً، فلا تجوز إمامة الفاسق، ويدخل في اشتراط العدالة اشتراط الإسلام[4].

٣-أن يكون عالماً بالأحكام الشرعية، لاحتياجه إلى مراعاتها، في أمره ونهيه[5].

٤-أن يكون سليم الأعضاء[6].



(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، (ح/ ١٨٢٦).

(٢) بستان الأحبار، (٢/ ٦١٣-٦١٤).

(٣) انظر: حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، جمع: عبدالرحمن بن قاسم النجدي، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ، (٧/ ٣٩٢).

(٤) انظر: منار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن ضويّان،مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ (٢/٤٠٦).

(٥) انظر: حاشية الروض المربع، عبدالرحمن بن قاسم، (٧/ ٣٩٢).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١/ ٢٧٠).



حثه على وجوب طاعة ولي الأمر

* *　　* *　　* *

المبحث الثالث: حثه على وجوب طاعة ولي الأمر

إن طاعة ولاة أمور المسلمين من المسائل العقدية المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة، فيؤكدون عليها ويقررونها لبالغ أهميتها وعظم شأنها، حيث لا تنتظم مصالح العباد في دينهم ودنياهم إلا بالسمع والطاعة لمن ولاه الله أمرهم، فيما ليس فيه معصية لله ﷻ.

وقد ذكر الشيخ فيصل منهج أهل السنة والجماعة تجاه ولاة أمور المسلمين بما نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية عند بيانه أصول أهل السنة والجماعة فقال: « ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً،ويحافظون على الجماعات »[(١)].

وقد جاءت الأدلة في الكتاب والسنة صريحة وصحيحة في الدلالة على وجوب طاعة أولي الأمر، ومن هذه الأدلة ما يلي: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[(٢)] وفي هذه الآية دلالة واضحة وأمر صريح بوجوب طاعة أولي الأمر.

يقول الشيخ فيصل رحمه الله في تفسير هذه الآية: « قال أبو هريرة: هم الأمراء، وقال ابن عباس: يعني أهل الفقه والدين. قال ابن كثير: والظاهر والله أعلم، أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء »[(٣)].

أما من السنة فالأدلة كثيرة ومنها: ما رواه عباده بن الصامت رضي الله عنه حيث قال: « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله تعالى فيه برهان، وعلى

(١) التعليقات السنية، ص(١٢٣).

(٢) سورة النساء: آية (٥٩).

(٣) توفيق الرحمن، (١/ ٥٥٢).

أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم » متفق عليه[1].

يقول الشيخ رحمه الله معلقاً على الحديث: « في هذا الحديث: دليل على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر وإن جاروا ، وأنه لا يجوز الخروج عليهم ما لم يظهروا كفراً واضحاً لا يحتمل التأويل »[2].

وكلام الشيخ رحمه الله فيه دلالة واضحة على منع القيام على ولي الأمر ولو كان مرتكباً لما لا يجوز، إلا إذا ارتكب الكفر الصريح الذي قام البرهان الشرعي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أنه كفر بواح، أي ظاهر لا لبس فيه ولا يحتمل التأويل.

وخير مثال في ذلك ما حصل من الإمام أحمد بن حنبل في وقفته التاريخية لإبطال القول بخلق القرآن الذي تبناه الخليفة العباسي المأمون، وحمل الناس عليه، فلم يحمل ذلك الخلاف الإمام أحمد بالدعوة إلى الخروج على ذلك الخليفة، ولكنه تمسك بمنهج أهل السنة والجماعة عندما جاء إليه فقهاء بغداد وقالوا له: إن الأمر قد تفاقم وفشا -أي القول بخلق القرآن- ولا نرضى بإمارته ولا سلطانه أي الواثق بالله، فقال لهم: « عليكم بالإنكار في قلوبكم ولا تخلعوا يداً من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم وانظروا في عاقبة أمركم واصبروا حتى يستريح بر ويستراح من فاجر »[3].

وقد حصل ما ذكره الإمام أحمد فبعد أن دام الأمر في الدعوة إلى بدعة القول بخلق القرآن زمن المأمون، والمعتصم، والواثق، أي ما يقارب بضع عشرة سنة جاء بعدهم المتوكل الذي أبطل هذه المحنة، وأمر بإظهار السنة[4].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: (سترون بعدي أموراً تنكرونها)، (ح/ ٦٦٤٧). ومسلم، كتاب الحدود، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، (ح/ ١٧٠٩).

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص(١٤٩).

(٣) طبقات الحنابلة، أبي يعلى، (١/ ١٤٤).

(٤) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي، ١٤١٥هـ، (١/ ٣٠).

وبهذا؛ فإنه يظهر لنا أن الذي ذكره الشيخ فيصل رحمه الله في وجوب طاعة ولي الأمر، ومنع الخروج عليه هو القول الصحيح وهو معتقد أهل السنة.

ولكن هذه الطاعة لولاة الأمور ليست مطلقة، بل هي طاعة مقيدة بأن تكون في المعروف أما إذا أمر الوالي بمعصية الله فلا تجوز طاعته بل تحرم.

يقول الشيخ فيصل رحمه الله: مؤكداً المعنى السابق في بيان قوله تعالى: ﴿ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ ﴾ قال: « أي: فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »[(١)].

ويقول رحمه الله معلقاً على حديث رسول الله ﷺ : (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)[(٢)].

يقول رحمه الله: « في هذا الحديث: وجوب السمع والطاعة والانقياد لقول ولي الأمر، سواء كان موافقاً لمراد المأمور، أو مخالفاً له إلا في معصية الله »[(٣)].

ويعلق الشيخ رحمه الله على الحديث الذي رواه علي رضي الله عنه حينما قال، (بعث رسول الله سرية، واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، فأغضبوه في شيء، فقال: اجمعوا لي حطباً، فجمعوا له، ثم قال: أوقدوا ناراً فأوقدوا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى. قال: فادخلوها، فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار. فكانوا كذلك حتى سكن غضبه وطفئت النار، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً وقال: لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف)[(٤)].

---

(١) تطريز رياض الصالحين، ص(٤٢٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والأقضية، باب السمع والطاعة للإمام، (ح/ ٢٧٩٦).

(٣) تطريز رياض الصالحين، ص(٤٢٩).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب سرية عبدالله بن حذافة السهمي وعلقمة المدلجي، ويقال: إنها سرية الأنصاري، (ح/ ٤٠٨٥). ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية =

قال: « قوله: (لا طاعة في معصية الله) أي: لا تجب بل تحرم على من كان قادراً عن الامتناع، قوله: (إنما الطاعة في المعروف) فيه بيان ما يطاع فيه من كان من أولي الأمر وهو الأمر بالمعروف لا ما كان منكراً »[1].

وهذا المعتقد الذي قرره الشيخ فيصل رحمه الله هو عين ما قرره قبله أئمة السلف رحمهم الله؛ مثل شيخ الإسلام ابن تيمية الذي قال: « أهل السنة لا يطيعون ولاة الأمور مطلقاً، إنما يطيعونهم في ضمن إطاعة الرسول كما قال تعالى: ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ »[2].

وعليه: فإن الشيخ فيصل رحمه الله قد وافق السلف في وجوب طاعة الإمام في غير معصية الله.

= وتحريمها في المعصية، (ح/ ١٨٤٠).

(١) بستان الأحبار، (٢/ ٤٣٧).

(٢) منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٢/ ٧٦).



المبحث الرابع

تحذيره من الخروج عن طاعة ولي الأمر

* *   * *   * *

المبحث الرابع: تحذيره من الخروج عن طاعة ولي الأمر

الخروج على ولاة الأمر يترتب عليه فساد عظيم، وشر كبير، فيختل به الأمن، وتضيع الحقوق، ولا يتيسر ردع الظالم، ولا نصرة المظلوم، وتختل السبل ولا تأمن، إلا إذا رأى المسلمون كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان، فلا بأس أن يخرجوا على هذا السلطان لإزالته إذا كان عندهم قدرة، أما إذا لم يكن عندهم قدرة فلا يخرجوا، أو كان الخروج يسبب شراً أكثر فليس لهم الخروج.

وقد أشار الشيخ فيصل رحمه الله إلى المعنى السابق عند شرحه لحديث عبادة بن الصامت حينما قال: (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان) [(١)].

قال رحمه الله: « قوله (عندكم فيه من الله برهان)، أي: نص آية أو خبر صريح لا يحتمل التأويل ومقتضاه أنه لا يجوز الخروج عليهم ما دام فعلهم يحتمل التأويل قال في الفتح: وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك بل يجب مجاهدته إن قدر عليها كما في الحديث » [(٢)].

ثم يرشد الشيخ رحمه الله إلى الطريق السوي الذي يجب أن يسلك تجاه ولاة الأمر من وجوب السمع والطاعة والصبر على أذاهم، وترك الخروج عليهم؛ فيقول رحمه الله عند تعليقه على حديث رسول الله ﷺ : (عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك) [(٣)]. قال: « فيه: وجوب السمع والطاعة للأمراء على كل حال،

---

(١) سبق تخريجه ص(٥٥٥).

(٢) بستان الأحبار ،(٢/ ٤١٢).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، (ح/ ١٨٣٦).

ولو اختصوا بالمال دون مستحقيه فإن الله سائلهم عن ذلك »[1].

ويقول رحمه الله معلقاً على حديث رسول الله ﷺ: (من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً، مات ميتة الجاهلية)[2]. قال: « فيه الحث على الصبر على جور الولاة، ولزوم طاعتهم، وعدم الخروج عليهم »[3].

كما بين لنا الشيخ رحمه الله ما يجب علينا عند مناصحة ولاة الأمر إذا حصل منهم بعض المعاصي والمخالفات التي لاتوجب الكفر والخروج عليهم، وذلك بالرفق والكلام الطيب، لا بالعنف والخروج عليهم، فيقول: « النصيحة لأئمة المسلمين: معاونتهم على الحق، وطاعتهم، وتنبيههم، وتذكيرهم برفق، وترك الخروج عليهم »[4].

وقد ذكر رحمه الله حكم من خرج عن طاعة ولي الأمر عند تعليقه على حديث رسول الله ﷺ: (من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يفرق جماعتكم فاقتلوه)[5]. قال: « الحديث دليل على أن من خرج على إمام قد اجتمعت عليه كلمة المسلمين فإنه قد استحق القتل لإدخال الضرر على العباد »[6].

وهذا الذي ذكره الشيخ فيصل رحمه الله في وجوب طاعة ولاة الأمر والتحذير من الخروج عليهم، قد قال به كثير من علماء الأمة المعتبرين؛ من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وتلميذه ابن القيم رحمه الله وغيرهم. وهذا مما يدل على أن الشيخ رحمه الله قد سلك منهج سلف هذه الأمة، واقتفى أثرهم، وقال بقولهم.

---

(١) تطريز رياض الصالحين، ص(٤٣١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: (سترون بعدي أموراً تنكرونها)، (ح/ ٦٦٤٥). ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، (ح/ ١٨٤٩).

(٣) تطريز رياض الصالحين، ص(٤٣٣).

(٤) المرجع السابق، ص(١٤٥).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، (ح/ ١٨٥٢).

(٦) مختصر الكلام، ص(٣٩٠).

وسأذكر بعض أقوال العلماء المؤيدة لما قاله –حفظه الله–، منها قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في جوابه عن الحكم إذا كان ولي الأمر فاسق هل يطاع فيما يأمر به من طاعة الله وينفذ حكمه إذا وافق العدل أو لا يطاع في شيء؟ قال: « المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف ، وإن كان فيهم ظلم، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ ؛ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما» [(١)].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله عند شرحه لحديث رسول الله ﷺ : (ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم)[(٢)]. قال: « قوله: (ومناصحة أئمة المسلمين) هذا أيضاً مناف للغل والغش فإن النصيحة لا تُجامع الغل، إذ هي ضده، فمن نصح الأئمة والأمة فقد برئ من الغل. وقوله (ولزوم جماعتهم): هذا أيضاً مما يطهر القلب من الغل والغش، فإن صاحبه للزومه جماعة المسلمين يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها، ويسوؤه ما يسوؤهم، ويسره ما يسرهم، وهذا بخلاف من انحاز عنهم، واشتغل بالطعن عليهم، والعيب والذم لهم، كفعل الرافضة والخوارج والمعتزلة وغيرهم، فإن قلوبهم ممتلئة غلاً وغشاً، ولهذا تجد الرافضة، أبعد الناس من الإخلاص، وأغشهم للأئمة والأمة، وأشدهم بعداً عن جماعة المسلمين » [(٣)].

والحاصل: أن الشيخ فيصل رحمه الله قد سار على منهج السلف في بيان أهمية الإمامة

---

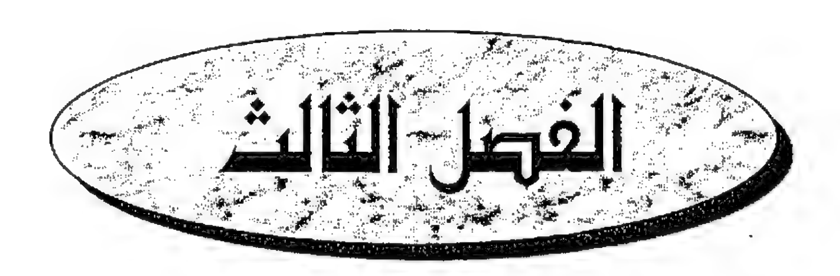
(١) منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام بن تيمية، (٣/ ٣٩١-٣٩٢).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، (ح/ ٢٦٥٨). وابن ماجه، باب من بلغ علماً، (ح/ ٢٣٠). والإمام أحمد في مسنده، (٣/ ٢٢٥)، (٤/ ٨٠)، (٥/ ١٨٣). وابن حبان، (١/ ٢٧٠)، (٢/ ٤٥٤). وصححه الحاكم (١/ ١٦٢). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، (ح/ ٤٠٤)، (١/ ٧٦٠).

(٣) مفتاح دار السعادة، بن القيم الجوزية، (١/ ٧٢-٧٣).

وما يجب للإمام من السمع والطاعة في غير معصية الله، والشروط الواجب توفرها في إمـام المسلمين، وأخيراً في التحذير من الخروج عن طاعة ولاة الأمر وحكم من فعل ذلك.





النشاط الدعوي للشيخ فيصل

وفيه تمهيد وستة مباحث : -

- **المبحث الأول:** منهجه في الدعوة إلى الله.
- **المبحث الثاني:** الدعوة إلى الله من خلال مجالسة العلمية والعناية بطلبة العلم.
- **المبحث الثالث:** الدعوة إلى الله من خلال التأليف.
- **المبحث الرابع:** الدعوة إلى الله من خلال التواصل مع أولي الأمر.
- **المبحث الخامس:** مراسلات الشيخ فيصل العلمية.
- **المبحث السادس:** صلات الشيخ فيصل بالشيخ القرعاوي وتلامذته.

* *　　* *　　* *

تمهيد

الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا.

وهي منزلة كريمة اختارها الله -جل وعلا- لأفضل خلقه وهم الأنبياء والمرسلين -عليهم السلام- قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾[1].

والحاجة للدعوة إلى الله تعالى كامنة في سر وجود البشر في هذه الدنيا، وحاجة البشر إليها لا تقاس بحاجة؛ لأنها سبب للسعادة والنجاة في الدنيا والآخرة.

لذا كان الدعاة إلى الله هم ورثة الأنبياء، فقد خلفوهم على مناهجهم، واتبعوا طريقهم من نصيحتهم للأمة وإرشادهم الضال، وتعليمهم الجاهل، ونصرتهم المظلوم وأخذهم على يد الظالم، وأمرهم بالمعروف وفعله، ونهيهم عن المنكر وتركه، والدعوة إلى الله -تعالى- بالحكمة للمستجيبين، والموعظة الحسنة للمعرضين الغافلين، والجدال بالتي هي أحسن للمعاندين المعارضين.

وقد كان الشيخ فيصل ﵀ ممن مارس الدعوة إلى الله، وتحمل في سبيلها كل ما يعرض له من تعب ومشقة، فأضافت إليه من الأعباء ما تنوء به كواهل الرجال.

فقام هذا العالم الداعية بهذا الدور وفق أسلوب تربوي شرعي، فانتهج منهجاً وسطاً في معالجة قضايا الدعوة في عدة محاور، ومنها: التعليم والتأليف والقضاء وغيرها من المجالات.

ولإبراز جهود الشيخ في توضيح بعض قضايا الدعوة، وما قام به من أعمال في هذا المجال، كانت المباحث التالية ..



(١) سورة النساء: آية (١٦٥).



منهج الشيخ فيصل في الدعوة إلى الله

* * * * * *

المبحث الأول: منهج الشيخ فيصل في الدعوة إلى الله

اهتم الشيخ رحمه الله بأمر الدعوة إلى الله تعالى وحرص عليها، وأشار إلى أن الدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم قد علم ما يدعو إليه، أو ما ينهى عنه، فيقول رحمه الله في الدعوة إلى التوحيد وفضله، والخوف من ضده: « لا ينبغي لمن عرف ذلك أن يقتصر على نفسه، بل يجب عليه أن يدعو إلى الله -تعالى- بالحكمة والموعظة الحسنة، كما هو سبيل المرسلين وأتباعهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[1] »[2].

ويرى رحمه الله أن كل من اتبع النبي ﷺ يجب عليه أن يدعو إلى ما دعا إليه، يقول عند تفسير قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[3]، قال: « وحق والله على من اتبعه أن يدعوا إلى ما دعا إليه، ويذكر بالقرآن والموعظة، وينهي عن معاصي الله »[4].

ويتضح لنا منهج الشيخ في الدعوة من خلال إبراز جهوده في بيان أساليب الدعوة المتنوعة، بهدف استجابة المدعو وتقبله، يتخلل ذلك ذكر بعض الأمثلة من حياته الشخصية التي تعتبر ترجمة حقيقية لما قاله.

وقد نقل رحمه الله عن ابن القيم أهمية التنويع في أساليب الدعوة بحسب حال المدعوين، وبما يحصل معه المقصود، فيقول: « قال ابن القيم رحمه الله في معنى قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[5]: ذكر سبحانه مراتب الدعوة، وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو:

---

(١) سورة فصلت: آية (٣٣).

(٢) القصد السديد، ص(٤٥).

(٣) سورة يوسف: آية (١٠٨).

(٤) توفيق الرحمن، (٢/ ٥٠٦).

(٥) سورة النحل: آية (١٢٥).

-فإنه إما أن يكون طالباً للحق محباً له، مؤثراً له على غيره إذا عرفه، فهذا يدعى بالحق ولا يحتاج إلى موعظة وجدال.

-وإما يكون مشتغلاً بضد الحق، لكن لو عرفه آثره واتبعه. فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب.

-وإما يكون معانداً معارضاً ، فهذا يجادل بالتي هي أحسن، فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجلاد إن أمكن »[1].

وبهذا يتبين لنا أن أساليب الدعوة إلى الله متنوعة، وقد أشار الشيخ ﵀ إلى بعض أساليب الدعوة وسلكها في دعوته، ومنها ما يلي:

أولاً: أسلوب الرفق واللين:

أسلوب الرفق واللين في الدعوة إلى الله عظيم النفع والأثر، لأن الإنسان بطبعه يتقبل ممن يلين به ويرفق به، ويحس أن الداعي له ما دفعه لذلك إلا حباً له وشفقة عليه، فيسعى للاستجابة والقبول، وعكس ذلك سلوك طريق العنف والشدة الذي يسبب النفور والعناد.

ونظراً لأهمية هذا الأسلوب في الدعوة، فقد عرّفه الشيخ ﵀، وبيّن الآثار المترتبة على الأخذ به أو بضده، فقال: « الرفق: لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف، وهو الشدة والمشقة، فصاحب الرفق يدرك حاجته أو بعضها، وصاحب العنف لا يدركها، وإن أدركها فبمشقة ، وحريٌّ أن لا تتم »[2].

وكان الشيخ ﵀ ينتهج أسلوب الرفق واللين في الدعوة إلى الله -تعالى- وذلك بالمعاملة الحسنة ومراعاة ما هو أرفق بحال الناس .

ومن ذلك: أنه إذا مر بأناس وهو ذاهب إلى الصلاة لا يزيد على قوله: (الصلاة

---

(١) القصد السديد، ص(٤٦).

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص(٤١٤-٤١٥).

هداكم الله) فيستجيبون له، فلا يتخلف أحد منهم عن الصلاة في المسجد.

وذات مرة، جيء برجل إلى الشيخ رحمه الله وذكروا أنه يتخلف عن الصلاة فقال الشيخ: « من قال هذا؟ هذا الرجل كثيراً ما أراه » ثم أجلسه عنده، وقام إلى الصلاة وهو معه، فكان ذلك الرجل بعدها لا يتخلف عن الصلاة في ا لصف الأول[1].

ولما عين الشيخ رحمه الله قاضياً في إحدى المناطق النائية، كانت بعض عوائد أهل المنطقة مخالفة للشريعة، فكان أهل الحسبة يراجعونه في ذلك، فيقول لهم: « هؤلاء ما كان عندهم طلبة علم، فإذا تعلموا التزموا بأوامر الشرع » ثم صار يعقد لهم المجالس العلمية، وبعد عدة أشهر ترك أهل تلك المنطقة ما كانوا عليه من العوائد المخالفة، والتزموا بالتعاليم الشرعية[2].

وقد نقل رحمه الله عن السلف الصالح ممن فقهوا الكتاب والسنة ، حثهم الناس على هذا الأسلوب في الدعوة ، فيقول: « قال سفيان بن عيينة: لا يأمر بالمعروف ،ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خصال: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر، عالم بما ينهى »[3].

وقال أيضاً: « وقال الإمام أحمد: الناس محتاجون إلى مداراة ورفق، الأمر بالمعروف بلا غلظة، إلا رجل معلن بالفسق فلا حرمة له »[4].

وبهذا يتبين لنا أن الشيخ فيصل رحمه الله قد أرشد إلى أسلوب الرفق واللين في الدعوة إلى الله، وقد طبق رحمه الله هذا المنهج في حياته الواقعية ونقل رحمه الله كلام السلف في الحث على نهج هذا الأسلوب الجميل.

---

(١) معالم الوسطية، محمد المبارك، ص(٨٠).

(٢) معالم الوسطية، محمد المبارك، ص(٨٠-٨١).

(٣) محاسن الدين، ص(١٠٥-١٠٦).

(٤) المرجع السابق، ص(١٠٦).

ثانياً: أسلوب التدرج في الدعوة:

من سمات الداعية الفطن التدرج في دعوة الناس، وذلك بحسب حال المدعوين وطبائعهم وأخلاقهم، وهذا الطريق أقرب لهدايتهم، وأحرى لاستجابتهم.

وقد كان رسول الله ﷺ مراعياً لهذا الأصل العظيم في جميع مراحل دعوته، كما أنه ﷺ قد أرشد صحابته إلى مراعاة ذلك، فقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: « إنك تأتي قوماً أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب »(١).

قال الشيخ رحمه الله مشيراً إلى هذا الأسلوب عند تعليقه على الحديث فيقول: « وفي الحديث: البداءة بالأهم فالأهم، والتعليم بالتدريج »(٢).

ويرى الشيخ رحمه الله أنه ينبغي للعالم الداعية أن يشرح للعامة أصول العلم قبل فروعه، تحقيقاً للتدرج في تعليم الناس ودعوتهم حتى يحصل المقصود من التعليم والدعوة، فيقول رحمه الله في مقدمة مجموعه المسمى: « زبدة الكلام في الأصول والآداب والأحكام »: « العالم الرباني هو الذي يربي الناس بأصول العلم وواضحاته، قبل فروعه ومشكلاته »(٣).

وبهذا الأسلوب الفريد الذي حث عليه الشيخ رحمه الله وهو مراعاة الظروف والأحوال والأشخاص، واختيار ما يناسب الآخرين، يتحقق النجاح في الدعوة إلى الله.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، (ح/ ١٤٢٥). ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، (ح/ ١٩).

(٢) القصد السديد، ص(٤٨). تطريز رياض الصالحين، ص(٦٢٧).

(٣) زبدة الكلام في الأصول والآداب والأحكام مخطوط ، ورقة (١).

ثالثاً: الموعظة الحسنة:

عرفنا فيما سبق من كلام الشيخ فيصل ﷺ أن من المدعوين من يكون مشتغلاً بضد الحق، لكن لو عرفه آثره واتبعه، فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب.

وقد عرف ﷺ الموعظة بقوله: « الموعظة هي التذكير بعذاب الله الزاجر عن مخالفته، وبثوابه الباعث على طاعته -تعالى- »[1].

والمطَّلع على منهج الشيخ ﷺ في الدعوة يجد أنه استخدم هذا الأسلوب في خطبه وكتاباته، ومن ذلك قوله في مقدمة كتابه (نصيحة جامعة) : « من فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك إلى من يسمعه من إخواننا المسلمين، وفقنا الله وإياهم لفعل الخيرات، وترك المنكرات آمين . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد: فقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ﴾[3] »[4].

ويؤكد ﷺ على وجوب المحافظة على الصلاة، فيقول: « وأمر الله -تعالى- بالمحافظة عليها، قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾[5]، والصلاة الوسطى، هي صلاة العصر »[6].

ويدعو ﷺ إلى اجتناب الفواحش، فيقول: « إياكم والزنا فإنه من الفواحش المحرمات، وإنه معصية لرب الأرض والسماوات ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ

(١) تطريز رياض الصالحين، ص(٥٥٤).

(٢) سورة المائدة: آية (٢).

(٣) سورة التوبة: آية(٧١).

(٤) نصيحة جامعة، ص(١٥).

(٥) سورة البقرة: آية (٢٣٨).

(٦) نصيحة جامعة، ص(١٦).

فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾[2] »[3].

وقد عرف الشيخ هذا الأسلوب وتأثيره في الدعوة إلى الله، فنراه يدعو الناس إلى الإقبال على الآخرة وترك الدنيا باستخدام هذا الأسلوب، فيقول: « الإنسان في الدنيا غريب ووطنه الحقيقي الجنة، وهي التي أنزل الله بها الأبوين ابتداءً، وإليها المرجع إن شاء الله -تعالى- بفضل الله ورحمته، وهو مسافر في الدنيا بالأعمال الصالحة، وترك الأعمال السيئة، والمسافر لا يأخذ من المتاع إلا ما تدعوا إليه ضرورته، فإن الدنيا دار ممر، والآخرة هي دار المقر، فتزودوا ممن ممركم لمقركم، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار »[4].

وبهذا الأسلوب الدعوي الرائع يتضح لنا منهج الشيخ رحمه الله في الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة، ليحصل بذلك تعليم الجاهلين، وإرشاد الغافلين، وتوجيه المعرضين.

رابعاً: أسلوب المناظرة والمجادلة بالتي هي أحسن:

بعد أن تحدثنا عن منهج الشيخ فيصل رحمه الله في الدعوة باستخدامه أسلوب الموعظة وأنه يكون لدعوة من عرف الحق ولكنه غفل عنه.

بقي أن نعرف منهج الشيخ رحمه الله مع الصنف الثالث من المدعوين وهم المعارضون المتكبرون، فهؤلاء يُدعون بالمناظرة والمجادلة بالتي هي أحسن حتى يحصل المقصود من دعوته.

---

(١) سورة الإسراء: آية (٣٢).

(٢) سورة النور: آية (٢-٣).

(٣) نصيحة جامعة، ص(٣٣).

(٤) تطريز رياض الصالحين، ص(٣٨٣).

وقد عرف الشيخ رحمه الله الجدل بقوله: « الجدل: الخصومة »[1].

وهذا التعريف الذي ذكره الشيخ هو تعريف للجدل في اللغة[2]، أما في الاصطلاح، فله عدة تعاريف متقاربة، منها قولهم: هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد بحجة أو شبهة[3].

ثم يوضح رحمه الله المقصود بالمناظرة بما نقله عن الشيخ ابن سعدي، فيقول:

« والمناظرة تخالف غيرها في أمور كثيرة، منها: أن المناظر يقول الشيء الذي لا يعتقده ليبني عليه حجته، وليقيم الحجة على خصمه كما قال -إبراهيم- في تكسيره الأصنام لما قالوا له: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ فأشار إلى الصنم الذي لم يكسره فقال: بل فعله كبيرهم هذا، ومعلوم أن غرضه إلزامهم بالحجة، وقد حصلت، فهذا يسهل علينا فهم معنى قولهم: ﴿هَـٰذَا رَبِّى﴾[4]، أي: إن كان يستحق الإلهية بعد النظر في حالته ووصفه فهو ربي، مع أنه يعلم العلم اليقيني أنه لا يستحق من الربوبية والإلهية مثقال ذرة، ولكن أراد أن يلزمهم بالحجة »[5].

وبهذا فقد أوضح الشيخ أن الهدف من المناظرة والمجادلة هو إحقاق الحق ورد الباطل، وما عدا ذلك فهو مذموم.

ثم أوضح رحمه الله الآداب الواجب مراعاتها عند دعوة الناس بهذا الأسلوب ليتحقق المطلوب، ولئلا تنفر القلوب، فيقول عند تفسيره قول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى

---

(١) توفيق الرحمن، (٣/ ٢٦).

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (١١/ ١٠٥).

(٣) انظر: مدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ص(٢٦٣).

(٤) سورة الأنعام: آية (٧٦).

(٥) توفيق الرحمن، (٢/ ١٥١).

هِيَ أَحْسَنُ﴾[1].

قال: « أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن، برفق ولين وحسن خطاب، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾[2]، فأمره الله بلين الجانب، كما أمر به موسى وهارون -عليهما السلام- حين بعثهما إلى فرعون في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[3]»[4].

ولأهمية هذا الأسلوب في مناسبته ووقته، فقد استخدمه الشيخ رحمه الله في مواضع متعددة كوسيلة لإقناع المدعوين، ومثال ذلك قوله: « وأما التنباك الذي افتتن الناس به في هذه الأزمنة، فقد اختلف العلماء فيه، فمنهم من حرمه، ومنهم من كرهه ولم يحرمه، والراجح تحريمه، لأنه يزيل العقل في بعض الأحيان، وهو مضر بالجسد، مضيع للمال، خبيث الرائحة، وأما قياسه على قهوة البن فهو قياس فاسد، فإن البن من الطيبات، والتنباك من الخبائث، وقد قال الله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾[5].

وكثير ممن يشربون التنباك لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾[6] »[7].

---

(١) سورة النحل: آية (١٢٥).

(٢) سورة العنكبوت: آية (٤٦).

(٣) سورة طه: آية (٤٤).

(٤) توفيق الرحمن، (٢/ ٦٠٢).

(٥) سورة الأعراف: آية (١٥٧).

(٦) سورة المائدة: الآيتان (٩٠-٩١).

(٧) محاسن الدين، ص(١٤٤).

والحاصل: أن الشيخ فيصل رحمه الله قد انتهج منهجاً وسطاً في معالجة قضايا الدعوة، وذلك بالتنويع في أساليبها بحسب اختلاف المدعوين، واختلاف الزمان والمكان، ليحصل بذلك المقصود من الدعوة.





الدعوة إلى الله من خلال مجالسه العلمية والعناية بطلبة العلم

* *   * *   * *

المبحث الثاني: الدعوة إلى الله من خلال مجالسه العلمية والعناية بطلبة العلم

لقد كان الشيخ فيصل رحمه الله مدرسة تعليمية وتربوية فذة، فقد أعطى العلم والتعليم معظم وقته.

وكانت دروسه تشمل مختلف العلوم والفنون ، فدرَّس القرآن تلاوة وحفظاً ، كما درَّس كتب التوحيد والفقه والحديث، ودرَّس المواريث وقواعد اللغة العربية، أوضح ذلك تلميذه الشيخ ناصر الراشد، فقال: « أقام الشيخ رحمه الله في حريملاء بضعة أشهر فقط، تولى بعدها القضاء في رنية، وفي أثناء هذه المدة القصيرة، رتب له دروساً في علم الحديث، وفي علم الفرائض في مسجد (موافق) [1] » [2].

وقد كانت له رحمه الله طريقته في التدريس التي كانت من أسباب التفاف التلاميذ حوله في حلقته، وهذه الطريقة تتمثل فيما يلي:

١-التدرج في التعليم:

لقد سار رحمه الله في منهجه التعليمي حسب ما قرره العلماء من ضرورة تناول العلوم الأهم فالمهم.

فكان رحمه الله يبتدئ بتدريس القرآن الكريم، ثم التوحيد، ثم الحديث، فالفقه.

ووصى رحمه الله طلبة العلم بوصايا عظيمة في كيفية طلب العلم النافع، ورتب لهم العلوم حسب أهميتها، وذكر لهم أسماء بعض الكتب التي يحتاجها طالب العلم، فأوصى رحمه الله بالبدء بحفظ القرآن ومراجعته، ثم التوحيد، ثم الحديث، ثم كتب الفضائل والأخلاق، ثم الأصول، ثم النحو، ثم القراءة في الكتب المطولات وهي الشروح، وأخيراً أوصى

---

(١) اسم مسجد في حي من أحياء بلدة حريملاء.

(٢) انظر: آداب العالم والمتعلم، الجوهرة المبارك، ص(٢٠٠).

رحمه الله بالإطلاع على بعض كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم[1].

٢-التقويم اليومي:

كانت عادة الشيخ فيصل في تعليم طلابه القرآن الكريم، أن يسمع من كل طالب مقداراً من الآيات، وإذا وجد الشيخ أن الطالب جيد الحفظ، يوقفه عند حد معين، بعد أن يكون أخذ حظه من العلم والوقت، ويقول له: « بركة » ، فيفهم التلميذ أن هذا يعني كفايته في ذلك اليوم. وأما إذا وجد الشيخ من الطالب عجزاً في الحفظ فإنه يقول له: «رُدَّها » فيفهم الطالب أن عليه أن يعيد قراءته ويجيد حفظه في اليوم التالي[2].

٣-تشجيع المنافسة في طلب العلم:

لقد اتبع الشيخ فيصل طريقة فريدة وحسنة في التسميع لطلبة العلم، فالحضور يجلسون في المسجد على هيئة حلقه، أو نصف دائرة، حسب ما تسمح به سعة المكان، فيكون ترتيب جلوس الطلبة في الحلقة حسب قدرة كل منهم في التحصيل العلمي، وأما إذا تساوت قدراتهم فيكون الترتيب حسب الأسبقية في القدوم ولا يخفى ما في هذه الطريقة من التنافس الشريف في طلب العلم، وهذا هو العدل الذي يجب أن يحرص عليه العالم[3].

٤-الحرص على حفظ المتون:

لقد حرص الشيخ رحمه الله على حث طلابه على حفظ المتون، فقد ذكر في وصيته أسماء بعض المتون التي يجب حفظها لعظيم نفعها، فقال لطالب العلم: « ثم يجلس على مشايخ العلم، فيبتدئ بالأربعين النووية في الأحاديث النبوية للإمام يحي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي رحمه الله ويحفظها، ويدرسها، فإنها نافعة جداً.

---

(١) انظر: نصيحة جامعة، ص(٧٥-٧٦).

(٢) آداب العالم والمتعلم، الجوهرة المبارك، ص(١٩٨).

(٣) آداب العلم والتعلم، الجوهرة المبارك، ص(١٩٧).

ثم يقرأ في « الأصول الثلاثة » ، وكتاب « التوحيد » للإمام المجدد شيخ الإسلام: محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ويحفظها، ويحفظ ما استطاع من سائر مختصراته، مثل « أصول الإيمان »، و « نصيحة المسلمين » و « كشف الشبهات » ، وغيرها من مؤلفاته النافعة، ويحفظ « العقيدة الواسطية » لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فإنه كتاب جامع لأصول الدين »[1].

وغيرها من المتون التي حث رحمه الله طلاب العلم على حفظها، ثم بيّن لهم الفائدة من ذلك: « فإن فعل ذلك فقد بلغ في العلم، وأخذ من كل فن أصلاً، ومن ترك الأصول حرم الوصول، وما لا يدرك جله لا يترك كله »[2].

٥-مكافأته للمجتهدين:

لقد أخذ الشيخ فيصل بمبدأ الثواب، وقد يكون هذا الثواب مادياً، وقد يكون معنوياً.

فأما الثواب المادي، فقد خصص الشيخ رحمه الله مكافأة تشجيعية لمن يدرس القرآن الكريم في حلقاته كان يقتطعها من راتبه الشهري، وكلما ارتفع التحصيل ارتفعت المكافأة.

وأما الثواب المعنوي، فكان رحمه الله يمنح طلابه شهادات تزكية، وكان لهذه الشهادات دور كبير في إعطاء التلاميذ فرصة العمل في وظائف الدولة[3].

وكان الشيخ رحمه الله حريصاً على تذليل الصعوبات لطلبة العلم، ويرى أهمية تسهيل طلب العلم الشرعي لطلبته على النحو التالي:

١-المساعدة المادية لطلبة العلم: لقد مر معنا أن الشيخ رحمه الله قد قرر مكافأة شهرية

---

(١) نصيحة نافعة، ص(٧٥).

(٢) المرجع السابق، ص(٧٨).

(٣) انظر: آداب العالم والمتعلم، الجوهرة المبارك، ص(١٩٩).

لطلبة العلم من راتبه الشهري، ثم قام رحمه الله بمكاتبة أولي الأمر لتقرير المكافآت المشجعة لطلبة العلم -وسيأتي نص المكاتبة-، فحصل بذلك على موافقة الجهات المسؤولة، وكانت المكافأة بحسب تحصيل الطالب، فقد بدأت من عشرين إلى ثلاثين ريال سنوياً[1].

كما قام رحمه الله ببناء المساجد في منطقة الجوف، وتعيين الأئمة من طلبة العلم بها، ثم قام بمكاتبة أولي الأمر لتقرير المكافآت المشجعة لأئمة المساجد، للقيام بشؤون المسجد ولتعليم وتدريس العامة.

كما سعى -رحمه الله- لافتتاح مدارس حكومية لتعيين طلبة العلم الشرعي فيها[2].

٢-الاهتمام الشخصي بطلبة العلم:

أرسل الملك عبدالعزيز رحمه الله إلى الشيخ فيصل عام (١٣٦٨هـ) يطلب منه الانتقال إلى المنطقة الشرقية بناءاً على رغبة الأمير سعود بن جلوي أمير المنطقة الشرقية رحمه الله، وكان الشيخ في الجوف قد التف حوله طلبة العلم وكثروا جداً، فكتب إلى الملك رحمه الله يستعفيه من الانتقال قائلاً: « إن لي غرساً وأنا انتظر إبان إثماره » فعلم الملك رحمه الله أنه يقصد طلبة العلم، فأعفاه.

ومما يرويه أهل الجوف عن حرص الشيخ رحمه الله على طلبة العلم ، أنه شوهد مرة خارج مدينة سكاكا في وقت كان يجلس فيه لطلبة العلم، فلما سئل عن ذلك أخبر أنه خرج لزيارة أحد طلبته[3]، قد ألمت به وعكة صحية، فتاه عن الطريق[4].

٣-تسهيل المتون العلمية للطلبة:

اعتنى الشيخ رحمه الله بالمتون المختصرة في شتى الفنون شرحاً وتدريساً، كما أنه اختصر

---

(١) انظر: آداب العالم والمتعلم، الجوهرة المبارك ص(١٩٩).

(٢) انظر: معالم الوسطية، محمد المبارك ص(٤٨).

(٣) ذلك الطالب هو الشيخ خالد الحميد.

(٤) انظر: المتدارك، محمد المبارك، ص(٤٥-٤٦).

الشروح المطولة لتكون في متناول الطلبة، وقام بطبع كثير منها وتوزيعها في حياته ﷺ
وأسلوب الشيخ كما يبدو من خلال تآليفه المتنوعة أسلوب واضح العبارة سهل المأخذ، أبعد ما يكون عن التنطع والتشدق والتعقيد، مما يختصر كثيراً من الجهد والوقت على طلبة العلم، وسيأتي الحديث عن هذا المحور في المبحث التالي.





الدعوة إلى الله من خلال التأليف

وفيـــه ثلاثـــة مطالـــب : -

- المطلب الأول: مشروعه العلمي في تيسير المتون العلمية أو شرحها.
- المطلب الثاني: أسماء مؤلفات الشيخ فيصل.
- المطلب الثالث: الشيخ فيصل ومجاميع العلوم الشرعية.

* *   * *   * *

المبحث الثالث: الدعوة إلى الله من خلال التأليف

تمهيـــــــد:

يعتبر الشيخ فيصل المبارك من أغزر علماء نجد والجزيرة العربية تأليفاً، فقد تألفت من مصنفاته مكتبة علمية ضخمة، متنوعة الفنون، إذ أن الشيخ ﵀ ألَّف في التفسير والعقيدة والفقه والفرائض والحديث، والرقائق والنحو، ما بين مطوَّل ومختصر.

وقد اهتم الشيخ ﵀ بالتأليف في الجانب الوعظي والدعوي، مثل كتبه: « غذاء القلوب » ، و « تجارة المؤمنين » و « نصيحة جامعة ووصية نافعة » وغيرها، بل حتى مؤلفات الشيخ فيصل العلمية لا تخلو من توجيهات دعوية نافعة، وتنبيهات سلوكية ماتعة تتجلى للقارئ المتأمل بين الفينة والأخرى.

وعند الاستقراء نجد أنَّ كتب الشيخ ﵀ تنقسم إلى أربعة أقسام:

النوع الأول: الشروح المختصرة على المتون، فمن ذلك:

(شرحه على كتاب التوحيد)، وشرحه المختصر على عمدة الأحكام: (خلاصة الكلام)، وشرحه المختصر على « بلوغ المرام » : (مختصر الكلام)، وشرحه على «الآجروميَّة » في النحو، وشرح « الرحبيَّة » في الفرائض، وغير ذلك كثير.

النوع الثاني: الشروح المطوَّلة على المتون، فمن ذلك:

(شرحه على الروض المربع)، و(مجمع الجوادّ) وهو شرحه الكبير على « زاد المستنقع » ، وشرحه المتوسط على « عمدة الأحكام » ، وشرحه الكبير على « عمدة الأحكام » .

والنوع الثالث: اختصاره لكثير من الكتب المطولة، فمن ذلك:

« فتح الباري » في كتابه (لذة القاريء مختصر فتح الباري)، و « نيل الأوطار » في كتابه (بستان الأحبار مختصر نيل الأوطار) .

النوع الرابع: التأليف في الفنون تأصيلاً وابتداءً، مثل:

(تفسيره القيِّم)، و(الدلائل القاطعة في المواريث الواقعة) في الفرائض، و(تجارة المؤمنين)، و(لباب الإعراب) في النحو وغيرها.

وقد حظيت مؤلفات الشيخ رحمه الله بقبول تامٍّ من علماء نجد والجزيرة العربية، فقد أثنى عليها كثير منهم، بل وقُرِّرت للتدريس في المعاهد العلمية، مثل كتابه: (خلاصة الكلام على عمدة الأحكام) .

قال الشيخ ابن سعدي -في رسالة خاصَّة للشيخ فيصل -رحمهما الله- : « هديتكم لمحبكم (خلاصة الكلام على عمدة الأحكام) وصل وسررت به، وسألت المولى أن يضاعف لكم الأجر بما أبديتموه فيه من الفوائد الجليلة والمعاني الكثيرة،وسعيكم في نشره، لا زلتم تخرجون أمثاله من الكتب، العام نفعها، العظيم وقعها » [1].

وكان الشيخ رحمه الله من خلال هذه المؤلفات يرى أهمية تسهيل طلب العلم الشرعي لطلبته، ولذلك فقد استأنف مشروعاً علمياً منظماً لتيسير المتون العلميَّة أو شرحها لطلبة العلم.



(١) عن رسالة بخط الشيخ عبدالرحمن بن سعدي موجهة إلى الشيخ فيصل رحمهما الله.

المطلب الأول: مشروعه العلمي في تيسير المتون العلميّة أو شرحها

كان للشيخ فيصل رحمه الله اعتناءٌ كبير بالمتون العلميَّة المشهورة في شتَّى العلوم الإسلامية، من عقيدة وتفسير وحديث وفقه وفرائض ونحو وغيرها، إذ اهتمَّ الشيخ رحمه الله بتيسير تلك المتون شرحاً أو اختصاراً، فوضع شرحاً مفيداً -في الغالب- على كل متنٍ من مهمّات المتون، وربما تمثَّل رحمه الله في بعض مؤلفاته بقولهم:

فالحِفظُ للأصول رأسُ العلمِ

والبحثُ في الشروحِ بابُ الفهمِ[1].

وقولهم: « من ترَك الأصولَ حُرِم الوصولُ »[2].

ويبدو أنّ هذا الهاجس العلمي -بتيسر المتون العلمية لطلبة العلم- بدأ لدى الشيخ رحمه الله مبكراً، إذ يقول رحمه الله في وصيته لطالب العلم[3] -والتي تُعتبر من أوائل مؤلفاته، إذ كتبها عام ١٣٥٤هـ-:

١-ثم يبتدئ أي: طالب العلم بحفظ القرآن، وينظر في التفسير[4].

٢-ثم يجلس إلى مشايخ العلم، فيبتدئ بـ الأربعين النووية[5] للإمام العالم محيي الدين يحيى بن شرف النووي.

---

(١) وصية نافعة، ص(٧٦).

(٢) المرجع السابق، ص(٧٨).

(٣) وصية نافعة، ص(٧٥-٧٦).

(٤) للشيخ رحمه الله تفسير مشهور « توفيق الرحمن في دروس القرآن » طبع مراراً، آخرها تحقيق الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الزير.

(٥) للشيخ رحمه الله شرحان على الأربعين النووية: أحدهما « محاسن الدين »، والثاني « تعليم الأحب على أحاديث النووي وابن رجب ».

٣-ثم يقرأ في (الأصول الثلاثة)، وكتاب (التوحيد)[١] للإمام المجدِّد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، ويحفظها ما استطاع من سائر مختصراته مثل: (أصول الإيمان)، و(فضل الإسلام) وغيرها من مؤلفاته النافعة.

٤-ويحفظ (العقيدة الواسطية)[٢] لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فإنَّه كتابٌ جامعٌ لأصول الدين.

٥-ويقرأ في (رياض الصالحين)[٣].

٦-ويحفظ (عمدة الأحكام)[٤] للحافظ عبدالغني المقدسي رحمه الله وهو كتابٌ نافعٌ لا يغتني طالب العلم عن حفظه.

٧-وإن أراد الإطلاع على أدلَّة المذاهب في الحكام والراجح والمرجوح من الأقوال فليحفظ (بلوغ المرام)[٥]، للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله.

٨-ويقرأ في النحو، ويحفظ (الآجرُّوميَّة)[٦] و (الملحة)[٧]، أو غيرهما.

٩-ويقرأ (الرحبية)[٨] في المواريث ويحفظها[٩]. انتهى باختصار.

---

(١) وللشيخ رحمه الله « القصد السديد بشرح التوحيد »، طبع مؤخراً بتحقيق الشيخ عبدالإله الشايع.

(٢) وللشيخ رحمه الله « التعليقات السنية على الواسطية »، طبع مؤخراً بتحقيق الشيخ عبدالإله الشايع.

(٣) وللشيخ رحمه الله « تطريز رياض الصالحين »، طبع مؤخراً بتحقيق الشيخ الدكتور عبدالعزيز الزير.

(٤) للشيخ رحمه الله ثلاثة شروح على عمدة الأحكام، مطوَّل، ومتوسط، ومختصر باسم « خلاصة الكلام »، طبع مراراً.

(٥) وقد ألف الشيخ شرحاً على بلوغ المرام باسم « مختصر الكلام » مطبوع.

(٦) للشيخ رحمه الله شرح على الآجرُّوميَّة باسم « مفاتيح العربيَّة » مطبوع.

(٧) للشيخ رحمه الله شرح على ملحة الإعراب باسم « صلة الأحباب ».

(٨) للشيخ رحمه الله شرح على الرحبية في الفرائض باسم « السبيكة الذهبية »،طبع مراراً.

(٩) وصيَّة نافعة، ص(٧٥-٧٨).

والملاحظ أنَّ معظم هذه المتون المذكورة قد وضع الشيخ عليها فيما بعد شروحاً ما بين مختصرةٍ أو مطوَّلة.

المطلب الثاني: أسماء مؤلفات الشيخ فيصل

أولاً- في العقيدة:

بالنسبة إلى مجال التأليف، فإذا كانت المصنفات في باب العقيدة على قسمين: مؤلفات تُعنى وتركز على توحيد الإلهية، ومؤلفاتٍ تهتم وتعنى بتوحيد الأسماء والصفات، فقد ألَّف الشيخ في القسم الأوَّل « شرحه على كتاب التوحيد » [1] للشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهو:

١-(**القصد السديد شرح كتاب التوحيد**) في مجلد، وقد طبع مؤخراً عام ١٤٢٦هـ عن دار الصميعي بتحقيق الشيخ عبدالإله الشايع وفقه الله.

أما في القسم الثاني فقد شرح الشيخ رحمه الله أشهر المتون في باب الأسماء والصفات، وهو « العقيدة الواسطية » لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا الشرح هو:

٢-(**التعليقات السنية على العقيدة الواسطية**) في مجلد صغير، وقد طبع مؤخراً عام ١٤٢٦هـ عن دار الصميعي بتحقيق الشيخ عبدالإله الشايع وفقه الله.

ثانياً- في التفسير:

حصل الشيخ على إجازةٍ خاَّصة في علم التفسير من العلامة الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ سعد رحمه الله من تلامذة الإمام المحدِّث المفسِّر صديق حسن خان[2]، واشتُهِرت مجالس التفسير التي كان يعقدها الشيخ فيصل رحمه الله لطلبة العلم، وقد ألف الشيخ في هذا العلم:

---

(١) يلاحظ أن الشيخ رحمه الله أدرج كتابين في العقيدة هما شرحاه على كل من التوحيد والواسطية في موسوعته العلمية « زبدة الكلام في مهمات الأصول » « والأحكام » الآتي ذكرها وذلك عناية بالعقيدة الإسلامية الصحيحة.

(٢) هو محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، ولد ونشأ في قنوج بالهند، وتزوج بملكه بهوبال، وقد كان أحد علماء الهند المجددين والسالكين سبيل السلف الصالح، توفي سنة (١٣٠٧هـ). انظر: الأعلام، الزركلي، (٦/ ١٦٧).

١-(توفيق الرحمن في دروس القرآن) في أربعة أجزاء، وقد طُبع هذا التفسير مرتين، أولاهما: عام ١٣٧٦هـ، على نفقة الشيخ حسن بن حسينان ﷺ وآخرهما عام ١٤١٦هـ عن دار العاصمة بالرياض، على نفقة بعض المحسنين، بعناية وتحقيق الشيخ الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الزير.

وكثيراً ما نوَّه العلامة الشيخ عبدالكريم الخضير بهذا التفسير، فقال حفظه الله في بعض دروسه: (تفسير الشيخ فيصل المبارك المسمى (توفيق الرحمن في دروس القرآن) تفسير مختصر مستمد من الطبري والبغوي وابن كثير، وليس بمنتشر بين طلبة العلم -مع الأسف- وهو مفيدٌ جداً، نافعٌ في بابه، يحتاجه طالب العلم، لا سيما إذا ضاق الوقت عن الرجوع إلى الأصول المذكورة)[1].

وقد انتخَبَ الشيخ الخضير حفظه الله هذا التفسير، بل وثنى به «تفسير الشيخ ابن سعدي»، ضمن بضعة تفاسير يفيد منها طالب العلم[2].

وقال مؤلفوا « الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير »: (عند مراجعة تفسير (توفيق الرحمن في دروس القرآن) وجدناه تفسيراً على نهج السلف الصالح في كل شيء، وخاصَّة في آيات الصفات والآيات المتشابهات وغيرها)[3].

والقارئ في تآليف الشيخ ﷺ -وعلى سبيل المثال شرحه على « الواسطية » أو (القول في الكرة الجسيمة) أو غيرهما- يسترعي انتباهه اعتناء الشيخ ﷺ بالتفسير، بل ويجد نفس المفسرين في كثير من كتبه، لاسيما أنَّ الشيخ ﷺ كان يحمل إجازة خاصَّة في

(١) عن محاضرة للشيخ عبدالكريم الخضير حفظه الله بتصرف، بعنوان « كيف يبني طالب العلم مكتبته »، الشريط الأول.

(٢) عن محاضرة للشيخ عبدالكريم الخضير حفظه الله بتصرف، بعنوان « كيف يبني طالب العلم مكتبته »، الشريط الأول.

(٣) الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري وغيره، (٢/ ١٨٢٩).

التفسير.

ويرى الشيخ فيصل رحمه الله أنَّ غالب معاني القرآن الكريم واضحة لا تحتاج إلى تفسير، بل يُعرف معناها بمجرد سماعها قال الشيخ رحمه الله في مقدمة تفسيره:

« والمقصود أن من كان لسانه عربياً وفطرته مستقيمة يعرف معنى القرآن بمجرد سماعه، وكثيراً ما يسألني الأعراب وغيرهم عن مسائل غامضة في الأيتام فأتلو عليهم قول الله تعالى: ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ﴾[1]، فيعرفون الجواب بمجرد التلاوة ويقنعون، فإذا انضم إلى العربية والفطرة السليمة معرفة سيرة النبي ﷺ كان ذلك نوراً على نور »[2]، وهذا المنهج في دراية التفسير يتمشَّى وينسجم مع منهج التيسير العام في العلوم الشرعية والذي يتجلَّى واضحاً في سائر تراث الشيخ فيصل العلمي.

٢-(القول في الكرة الجسيمة الموافق للفطرة السليمة)، مخطوط، في مجلد، وهو كتاب بديع في معناه، لطيف في مبناه، ينصر فيه المؤلف القول بكروية الأرض -كما يتضح ذلك من اسم الكتاب-، ثم يتكلم في باقي مباحث الكتاب عن آيات الله الكونية، كالسموات والأرضين والقمرين والنجوم، وخلق الملائكة والجن والشياطين، وخلق آدم، ويأجوج ومأجوج، وفي علامات الساعة الكبرى والصغرى، وذكر بدء الخلق، والقلم والعرش والكرسي.

ومنه مخطوطة في مكتبة الملك فهد -تصنيف رقم (٢٦١/ ٣)-، وعنها مصورَّة بدارة الملك عبدالعزيز / مكتبة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك.

ثالثاً- في الحديث:

لعلّ العلم الذي ظهر فيه الشيخ واشتهر به رحمه الله هو: علم الحديث، فإنَّ الشيخ رحمه الله حصل على الإجازة بالكتب الستة وغيرها من كتب الحديث من العلاَّمة محدث

(١) سورة البقرة: آية (٢٢٠).

(٢) توفيق الرحمن، مقدمة المؤلف، ص(٥٩).

البلاد النجديَّة الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، كذلك من الشيخ عبدالله العنقري، ومن الشيخ المحدِّث محمد بن ناصر المبارك، وكذلك من عمِّه العلاَّمة المحدِّث محمد بن فيصل المبارك -رحمهم الله-.

يقول الشيخ فيصل ﷺ: « وقد رزقني الله تعالى -وله الحمدُ- محبَّة الحديث وأهله من حين نشأت، فكنتُ في صغري أعتني بحفظ المختصرات من الحديث مثل (عمدة الأحكام)، و(بلوغ المرام)، و(أصول الإيمان) وغيرها.

وكان بعض الإخوان يحثُّني على ذلك، وبعضهم يحثُّني على حفظ مختصرات الفقه، وكلُّهم لي ناصح، فشاورت في ذلك عبدالله بن حمد الحجازي قاضي بلدنا ﷺ وهو أحد مشائخي، فقال لي: لا تكن أعور، فعرفتُ ما أراد، فنفعني الله بكلمته فبدأت بمختصرات الحديث ثم بالفقه، وأسأل الله تعالى أن يوفقني وإخواني المسلمين للعلم النافع والعمل الصالح، إنَّه لطيف خبيرٌ »[1].

ولذلك ألَّف الشيخ في علم الحديث ما لم يؤلِّف في بقيَّة الفنون، فصنَّف ﷺ:

١-(لذة القارئ مختصر فتح الباري)[2]، في ثمانية مجلدات ذكر الشيخ عبدالمحسن أبا بطين أنه تحت الطبع، والشيخ عبدالمحسن من أعرف الناس بكتب الشيخ فيصل لأنه طبع أكثرها في مكتبته الأهلية ، وبعضها طُبعت بواسطته في غيرها من المكتبات[3]، وقال الزركلي: « شرع بعض الفضلاء بطبعه »[4]، إلاَّ أنَّه وللأسف الشديد، فإن هذا الكتاب النفيس في حكم المفقود.

عناية الشيخ بمتن « عمدة الأحكام » للحافظ عبدالغني المقدسي.

(١) أقوال الأئمة الأعلام على أحاديث عمدة الأحكام، مخطوط، ج١، ورقة (٨).

(٢) اعتمدت تسمية الشيخ عبدالمحسن أبا بطين للكتاب، بينما تسمي بعض المصادر المترجمة للشيخ الكتاب تذكرة القارئ.

(٣) مثل مكتبة البابي الحلبي بمصر.

(٤) الأعلام، الزركلي، (٥/ ١٦٨).

-اعتنى الشيخ ﷀ بمتن « عمدة الأحكام » بصفة خاصَّة، لكونه أول كتب أحاديث الأحكام التي يبتدئ بها طلبة العلم، فكتب عليه عدَّة شروح متدرجة بحسب حالة الطالب العلمية:

-فشرحه شرحاً مطوَّلاً في خمسة أجزاء.

-ثم اختصره ﷀ في جزئين.

-ثم اختصره في مجلد[1].

يقول الشيخ في بداية شرحه المختصر على « العمدة » : « هذا الكتاب من أصحِّ الكتب وأنفعها، ولا بدَّ لطالب العلم من حفظه، فإنَّ أحاديثه صحيحة صريحة، جامعة لما تفرق في غيره من كتب الحديث »[2].

ويقول في موضع آخر عن متن « عمدة الأحكام » :« وهو كتابٌ نافع، وقراءته تحبِّبُك إلى رسول الله ﷺ »[3].

فألف عليه ثلاثة شروح: كبيراً ومتوسطاً وصغيراً، وجميع هذه الشروح ألفها الشيخ ﷀ قبل شهر رجب من عام ١٣٧١هـ كما تدلُّ عليه رسالة الشيخ عبدالرحمن بن سعدي الموجهة إليه في غرة رجب من عام ١٣٧١هـ[4].

٢-(نقْعُ الأوام[5] بشرح أحاديث عمدة الأحكام) وهو الشرح الكبير على عمدة الأحكام، خمسة أجزاء كبار، في إحدى عشرة مجلَّد، غالبه نُقولٌ عن « فتح الباري ».

(١) انظر: مقدمة المجموعة الجليلة، بقلم الشيخ عبدالمحسن أبا بطين.

(٢) خلاصة الكلام، ص(٩).

(٣) وصية نافعة، ص(٧٦).

(٤) انظر: رسالة الشيخ عبدالرحمن بن سعدي ﷀ في النفحات الزكية من المرسلات العلمية، ص(١١٣-١١٨).

(٥) للنقع معانٍ عدَّة منها: الرَّيُّ بعد الظمأ، والأوام هو: شدَّة العطش.

انظر: لسان العرب، ابن منظور، (٨/ ٣٦٠)، (١٢/ ٣٨).

ومنه مخطوطة كاملة، بخطّ الشيخ فيصل رحمه الله في مكتبة الملك فهد تصنيف « مكتبة حريملاء » تحت رقم= (٣/٢٢٨)، (٣/٢٤٧)، (٣/٢٥١)، (٣/٢٣١)، (٣/٢٥٦)، (٣/٢٥٥)، (٣/٢٤١) ، (٣/٢٣٠)، (٣/٢٦٠)، (٣/٢٣٩)، (٣/٢٣٨).

٣-(أقوال العلماء الأعلام على أحاديث عمدة الأحكام) في مجلدين ضخمين وهو مختصر عن سابقه، قال الشيخ في مقدِّمته:

« وقد سُقتُ كل حديث بسنده من صحيح البخاري ونقلت شرحه من « فتح الباري » فصار كتاباً مطولاً وشرحاً مفيداً، ولخصته في هذا المختصر، مع زيادات حسنة، وأسأل الله أن ينفع به الصغير والكبير »[1].

ومنه أيضاً مخطوطة كاملة بدارة الملك عبدالعزيز / مكتبة الشيخ عبدالمحسن أبابطين، وعنها مصوَّرة بدارة الملك عبدالعزيز أيضاً / مكتبة الشيخ فيصل المبارك.

ومنه أيضاً نسخة -(لعلها مبيضة)- وصل فيها المؤلف إلى منتصف الجزء الأول، وهي بدارة الملك عبدالعزيز / مكتبة الشيخ عبدالمحسن أبا بطين.

٤-(خلاصة الكلام شرح عمدة الأحكام) للمقدسي، مجلد في أربعمائة صفحة، وهو اختصار لشرحيه على العمدة الكبير والمتوسط، وقد طبع مراراً.

وقد أوصى الشيخ عبدالكريم الخضير حفظه الله المتوسطين من طلبة العلم بالعناية بشرح الشيخ (خلاصة الكلام) قبل النظر في المطوّلات من شروح (عمدة الأحكام)[2].

ثم اعتنى الشيخ بمتن أطول من متون أحاديث الأحكام، وهو متن (بلوغ المرام من أحاديث الأحكام)، وهو متنٌ مطوَّل فألف عليه:

٥-(مختصر الكلام شرح بلوغ المرام) لابن حجر، طبع ضمن (المجموعة الجليلة)، ثم طبع مفرداً عن المجموعة في الرياض عن دار إشبيليا عام ١٤١٩هـ.

---

(١) مخطوط أقوال الأئمة الأعلام على أحاديث عمدة الأحكام، ورقة (٣).

(٢) محاضرة للشيخ عبدالكريم الخضير حفظه الله باسم « كيف يستفيد طالب العلم من كتب السنن ».

ثمَّ اعتنى الشيخ بمتن موسَّع من متون أحاديث الأحكام وهو: منتقى الأخبار لشيخ الإسلام ابن تيمية فاختصر شرح الشوكاني عليه، وسمَّاه:

٦-(**بستان الأحبار**[1] **باختصار نيل الأوطار**) للشوكاني، في مجلدين، وقد طبع مرتين، آخرهما عن دار إشبيليا عام ١٤١٩هـ.

وبالنسبة إلى المجاميع الحديثية الوعظيَّة فقد ألف الشيخ ﵀:

٧-(**تجارة المؤمنين في المرابحة مع رب العالمين**) مجلد في ٢٧١ صفحة، طبع مرتين بدمشق أولاهما على نفقة الأمير عبدالرحمن السديري عام ١٣٧٢هـ، وآخرهما على نفقة تلميذه الشيخ عبدالرحمن بن عطا الشايع عام ١٤٠٤هـ.

٨-(**تطريز رياض الصالحين**)، في مجلد ضخم، وقد طبع الكتاب مؤخراً في عام ١٤٢٣هـ عن دار العاصمة، بتحقيق الشيخ الدكتور عبدالعزيز الزير.

٩-(**محاسن الدين بشرح الأربعين النووية**) طبع ضمن المجموعة الجليلة، ثمَّ طبع مفرداً عن دار إشبيليا بالرياض عام ١٤٢٠هـ.

١٠-(**تعليم الأحب أحاديث النووي وابن رجب**) وقد طبع قديماً ضمن (المختصرات النافعة).

١١-(**نصيحة المسلمين**) وهي رسالة لطيفة طبعت في الكويت في أواخر حياة الشيخ تحت اسم: « نصيحة دينية » ، على نفقة الشيخ عطا الشايع الكريع الجوفي -رحمهما الله-.

١٢-(**وصية لطلبة العلم**) رسالة لطيفة، وقد قام بتحقيق هذه الرسالة مع (نصيحة المسلمين)[2] الشيخ الدكتور عبدالعزيز الزير عام ١٤٢٤هـ.

---

(١) أحبار -بالحاء المهملة- جمع حبْر وهو العالم، وابن عباس ﵄ هو حبر هذه الأمة أي: عالمها. انظر: لسان العرب، ابن منظور، (٤/ ١٥٧).

(٢) طبعتا تحت عنوان: « نصيحة نافعة ووصية جامعة »، للشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك.

١٣-(غذاء القلوب ومفرِّج الكروب) وقد طُبع قديماً ضمن مجموع: المختصرات النافعة.

رابعاً- في الفقه:

اعتنى الشيخ فيصل المبارك بالتأليف في علم الفقه لاسيما في أخريات حياته ﷺ على النحو التالي:

أ-في أصول الفقه:

فألف ﷺ في أصول الفقه رسالة واحدة، هي: (مقام الرشاد بين التقليد والاجتهاد)، طبع ضمن المجموعة الجليلة، ثم طبع مفرداً عام ١٤١٣هـ عن دار السلف، بتحقيق الباحث راشد بن عامر الغفيلي.

ب-في الفروع:

فقد ألف الشيخ ﷺ مؤلفات عدَّة لاسيما ما ألفه ﷺ على زاد المستقنع وشرحه المعروف بالروض المربع، كما سيأتي:

عناية الشيخ بمتن « زاد المستقنع » للحجَّاوي:

اعتنى الشيخ عناية خاصَّة بمتن زاد المستقنع للحجاوي، إذ يرى ﷺ أنَّ من حفظه وتصوَّر مسائله كان متأهلاً للقضاء، يقول الشيخ ﷺ في بداية شرحه على الزاد: « هذا المختصر صغير الحجم، كبير الفائدة، كثير المسائل النافعة، يعرف قدره من حفظه، ولكن ينبغي لطالب العلم أن يحفظ قبله « عمدة الأحكام » في الحديث لأنه الأصل، وكذلك « بلوغ المرام » ، فإذا حفظ ذلك وقد رزقه الله تعالى فهماً في كتابه واتباعاً لسُنَّةِ رسوله ﷺ والإنصاف والعدل في القول والحكم، فقد استحق الفتيا والقضاء »[1].

وهذا الرأي حول شروط الأهلية لتولي القضاء يتمشَّى وينسجم مع منهج التيسير العام في العلوم الشرعية والذي يتجلَّى واضحاً في سائر تراث الشيخ فيصل العلمي.

---

(١) كلمات السداد، ص(٤).

ولذلك فقد ألَّف الشيخ فيصل على الزاد شرحاً وجيزاً:

-هو: (كلمات السداد على متن زاد المستقنع) للحجاوي، وهو شرح لطيف في مجلد، طبع مرتين دون تحقيق آخرهما عام ١٤٠٥هـ، عن مكتبة النهضة، ثم طبع طبعة منقحة عام ١٤٢٦هـ عن دار كنوز اشبيليا، اعتنى به: الشيخ محمد بن حسن آل مبارك .

-ثُمَّ اعتنى الشيخ رحمه الله بعد ذلك بشرح الزاد المعروف « بالروض المربع شرح زاد المستقنع » فألف عليه ثلاثة شروح، أشبه بالحواشي المطولة[1]، وتتميز هذه الشروحات بالعناية بذكر الخلاف العالي بين المذاهب الأربعة، وأدلَّة كل فريق، وهذه الشروحات هي:

(المرتع المشبع مواضع من الروض المربع)[2] مخطوط، في أربعة أجزاء وستة مجدات كبيرة، وهو تحت الطبع.

والثاني هو: (الوابل المُمرع على الروض المربع) وهو مختصر المرتع المشبع، في مجلد، منه نسخة في مكتبة الملك فهد، تصنيف رقم (٢٥٠/٣) وصل فيه إلى كتاب الجنائز، وعنها مصوَّرة بدارة الملك عبدالعزيز / مجموعة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك.

يقول الشيخ في ديباجة الكتاب: « وبعدُ فإني لما كتبت كلمات السداد على متن الزاد رأيت مواضع في شرحه[3] ينبغي التنبيه عليها، فكتبت المرتع المشبع في مواضع من الروض المربع، وذكرت الخلاف من جميع المذاهب، ومشهور أدلتهم، فصار كتاباً مفيداً

---

(١) الفرق بين الشرح والحاشية في الاصطلاح: أنَّ الشرح يتوجَّه إلى جميع مسائل المتن المشروح أو أغلبها، أمَّا الحاشية فينتقي الشارح مسائل معينة ثم يشرحها بإسهاب، والصفة الأخيرة هي صفة شروح الشيخ رحمه الله.

(٢) شرع الشيخ فيصل رحمه الله في تأليف شرحه المرتع المشبع عل الروض المربع قبل عام ١٣٧١هـ تقريباً، كما تدلُّ على ذلك رسالة من الشيخ عبدالرحمن بن سعدي إلى الشيخ فيصل رحمهما الله بتاريخ الأول من رجب من عام ١٣٧١هـ.

(٣) أي: في الروض المربع.

جداً، غير أنَّه يعسُرُ فيه معرفة الراجح لطول الكتاب، وكثرة النقول، فأردت أن اختصره، وألحق مواضع لم أنبِّه عليها في المرتع، والكلمات لتتميم الفائدة وسمَّيته « مختصر المرتع » وأسال الله تعالى أن ينفعني به، وجميع إخواني المسلمين آمين »[1].

أمَّا المطوَّل فهو: (مجمع الجواد[2] حاشية شرح الزاد) مخطوط، وهو شرح موسَّع على الروض المربع، وذلك أن الشيخ رحمه الله في الشرحين السابقين انتقى مسائل خلافية معينة فشرحها، أمَّا في المطوَّل فقد وجَّه عنايته إلى غالب المسائل الخلافية في الروض.

إلاَّ أن الشيخ رحمه الله لم يكمله، إذ ابتدأ بتأليفه وقد ألمَّ به المرض، ولذلك يقول في كتاب البيوع منه: « لم نكتُبْ من مجمع الجوادِّ إلاَّ هذا القليل من كتاب البيع إلى هنا[3]، فعسى الله أن ييسر تمامه في حياتنا أو بعد موتنا، إنَّه على كل شيء قدير، فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك »[4].

إلاَّ أنَّ الشيخ بعد ذلك أحسَّ من نفسه نشاطاً فكتب منه فصولاً، وتوفي رحمه الله وقد انتهى إلى (باب القرض) .

ولو تمَّ هذا الشرح لكان كتاباً ضخماً جداً، إذ أنَّ فهرس الجزء الأول منه بخط مؤلفه يقع في تسع وعشرين صفحة، أمَّا كتاب البيوع منه –وهو الجزء الثالث من الشرح– فيقع

---

(١) مخطوط: الوابل الممرع على الروض المربع، ورقة (٥).

(٢) الجوادّ –بتشديد الدال– جمع جادَّة، وهي الطريق الواضح المستقيم.

انظر: لسان العرب، ابن منظور، (١٠/ ٢٢٢).

(٣) الحق أن عبارة الشيخ هذه تشكل –بعض الشيء– إذ تشعر بأن الشيخ لم يكتب من مجمع الجواد إلا من كتاب البيع إلى الموضع الذي توقف عنده، ولكن الشيخ رحمه الله كتب فوق طرَّة (كتاب البيع) من الشرح ما يلي: الجزء الثالث من مجمع الجواد حاشية شرح الزاد، مما يدل على أنه كتب الأول والثاني قبل ذلك، لاسيما وأن فهرس الجزء الأول من مجمع الجواد بين أيدينا، وهو بخط الشيخ إسماعيل البلال رحمه الله أحد تلامذة الشيخ كما أن الأصل في الشروحات أن يتناول الكاتب المتن مرتباً، لا سيما وأن هذا هو منهج الشارح رحمه الله في شرحيه السابقين.

(٤) مجمع الجواد مخطوط، ج٣ كتاب البيع.

في مجلد كبير، وهذا القدر من الكتاب هو الموجود منه، والباقي مفقود.

-ومن فرائد النقول في ا لكتاب قوله: « فائدة: كان شيخنا سعد بن حمد بن عتيق يقول في كلامه عند كتاب البيع: حكم الحاكم يرفع الخلاف »[1].

ومن الجزء الثالث نسخة مخطوطة في مكتبة الملك فهد تحتوي على كتاب البيوع فقط في مجلد، وكذلك في خمسة ملازم صغيرة، تصنيف رقم = (٣/٢٦٤)، (٣/٢٦٥)، (٣/٢٦٦)، (٣/٢٦٧)، تحت اسم: حاشية على بعض عبارات الزاد وشرحه، وعنها مصوَّرة بدارة الملك عبدالعزيز / مجموعة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك.

وكما يبدو للناظر في أسماء هذه المؤلفات فإنها متدرجة بحسب حالة الطالب العلمية: فـ (**كلمات السداد**) هو شرح للمبتدئ في هذا العلم.

ثمَّ يأتي بعد ذلك : (**شرحه المختصر على الروض المربع**) كمرحلة تالية لمن تعرَّف على مبادئ علم الفقه، وأراد أن يزيد من تحصيله.

ثم يأتي بعد ذلك شرحه المطوَّل: (**المرتع المشبع على الروض المربع**) للطالب النابه في هذا الفن، ثمَّ بعد ذلك شرحه الكبير على الزاد.

(**زبدة المراد فهرس مجمع الجواد**) مخطوط، وعنه مصورة بدارة الملك عبدالعزيز، مجموعة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك.

(**القول الصائب في حكم بيع اللحم بالتمر الغائب**)، رسالة وجيزة مخطوطة في مكتبة الملك فهد بدون تصنيف، وعنه مصورة بدارة الملك عبدالعزيز مجموعة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك.

جـ-علم الفرائض:

وفي علم الفرائض ألف رحمه الله:

١-(**الدلائل القاطعة في المواريث الواقعة**) وهذه الرسالة قد طُبعت ثلاث مرَّات

---

(١) مجمع الجواد مخطوط، ج٣ كتاب البيع.

ضمن مجموع المختصرات النافعة للشيخ فيصل، وسيأتي الكلام بالتفصيل عن هذا المجموع، وطبعت مجتمعة مع السبيكة الذهبية في كتاب واحد بعناية الشيخ محمد المبارك، عن دار إشبيليا، في عام ١٤٢٧هـ.

٢-(السبيكة الذهبية على متن الرحبية) وقد طبعت عدَّة مرات، كان آخرها بعناية الشيخ محمد المبارك، عن دار إشبيليا في عام ١٤٢٧هـ.

د-الفقه الحديثي:

وفي الفقه الحديثي ألَّف الشيخ ﵀: (الغُرر النقية شرحُ الدرر البهية)، وطبع مؤخراً بعناية الشيخ محمد المبارك، عن دار إشبيليا في عام ١٤٢٦هـ.

خامساً- في النحو:

أخذ الشيخ فيصل ﵀ علم النحو عن سيبويه عصره: الشيخ حمد بن فارس ﵀، ممَّا هَيَّأه للتمكُّن في هذا العلم والتصنيف فيه، فألَّف الشيخ ﵀ شرحه على مُلحة الإعراب والذي سماه: (صلة الأحباب شرح ملحة الإعراب)، وهو فيما يظهر من كُتُب الشيخ المفقودة. وألف الشيخ أيضاً كتابه: (مفاتيح العربية على متن الآجرومية)، وهو شرحٌ ممتع متوسط على متن الآجروميَّة.

وقد طبع قديماً ضمن مجموعة الشيخ المسمَّاة، (المختصرات الأربع النافعة)، تحت اسم (مفتاح العربية على متن الآجرومية).

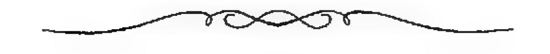
ورسالة مختصرة بعنوان: (لباب الإعراب في تيسير علم النحو لعامَّة الطلاب)، وهذه الرسالة عبارة عن متن مختصر في عدَّة أوراق في علم النحو، وفيه سقْط، وقد قام بتحقيقه الشيخ محمد المبارك، عن دار إشبيليا عام ١٤٢٥هـ.

ومنهج المؤلف في الرسالة منهجٌ جيِّدٌ ميسَّر: فقد أدار المؤلف الشرح في المباحث النحوية حسب حالتي البناء والإعراب، وهذه طريقة سلسة تصوغ المباحث النحوية في منظومة واحدة، كما أفرَدَ المؤلف التوابع بقسم مستقل، ولم يكررها في بابي المرفوعات ثم في المنصوبات كما في بعض المتون النحوية.

وممَّا يعزِّز أهمية هذه الرسالة أنَّ المتون المستقلَّة في أيِّ علمٍ من العلوم لاسيما علم النحو قليلة وعزيزة بالنسبة إلى ما كُتب فيها من الشروح والحواشي أو الاختصارات، هذا عدا أنَّ مؤلفات علماء الدعوة الإصلاحيَّة في علم النحو قليلة جداً بل نادرة، وبالنسبة إلى المتون المستقلة فلا أعلم أنَّ لهم مؤلفاً في ذلك غير هذه الرسالة الوجيزة.

وكما يبدو للناظر في أسماء هذه المؤلفات فإنَّها متدرِّجة بحسب حالة الطالب العلميَّة: فـ (لباب الإعراب) هو منهج أولي لتعريف الطالب بهذا العلم، ثم يأتي بعد ذلك (شرحه على الآجرومية) كمرحلة تالية لمن تعرف على مبادئ النحو، وأراد أن يزيد من تحصيله، ثمَّ يأتي بعد ذلك شرحه على ملحة الإعراب للطالب النابه في هذا الفن.

إلاَّ أن الشيخ فيصل رحمه الله وحسب منهج التيسير العام في العلوم الشرعية -والذي يتجلَّى واضحاً في سائر تراث الشيخ فيصل العلمي- لا يرى لطالب العلم أن يتوغل في هذا العلم حتى لا يشغله عمَّا هو أهم منه من العلوم، لكونه من علوم الآلة، لا من علوم الغاية، يقول الشيخ موجهاً طالب العلم الشرعي: « ويقرأ في النحو، ولا يتوغل فيه فيشغله عن ما هو أهم منه »[1].



(١) وصية نافعة ص(٧٧).

المطلب الثالث: الشيخ فيصل رحمه الله ومجاميع العلوم الشرعيّة

تمَّ طبع بعض كتب الشيخ فيصل رحمه الله في مجاميع، ولعلّ ذلك كان -في الغالب- بسبب ظروف الطباعة الصعبة في ذلك الوقت، وهذه المجاميع هي:

أ-المجموعة الجليلة:

وقد طبعت ثلاث مرات، أولاها عام ١٣٧٢هـ في المكتبة الأهلية بالرياض، والثانية في دمشق على نفقة تلميذه الشيخ عبدالرحمن بن عطا الشايع عام ١٤٠٤هـ والثالثة بمطابع القصيم، وتجمع ثلاث مختصرات هي:

١-(مقام الرشاد بين التقليد والاجتهاد) وقد طبع منفرداً عام ١٤١٣هـ عن دار السلف، بتحقيق راشد بن عامر الغفيلي.

٢-(محاسن الدين بشرح الأربعين النووية)، وقد طبع مفرداً عن دار إشبيليا عام ١٤٢٠هـ.

٣-(مختصر الكلام شرح بلوغ المرام) لابن حجر، وقد طبع مفرداً عن دار إشبيليا عام ١٤١٩هـ.

ب-المختصرات الأربع النافعة:

وقد طبعت ثلاث طبعات، أولاها عام ١٣٦٩هـ، وثانيها عام ١٣٧١هـ، وآخرها عام ١٤٠٥هـ، وتجمع أربع مختصرات هي:

١-(مفتاح العربية[1] على متن الآجرومية) ومنه مخطوطة في مكتبة الملك فهد، بعنوان مفاتيح العربية بخط الشيخ.

٢-(الدلائل القاطعة في المواريث الواقعة) ومنه مخطوطة في مكتبة الملك فهد.

---

(١) طبع ضمن المختصرات النافعة باسم مفتاح العربية، والصحيح ما أثبته وهو « مفاتيح العربية »، كما هو بخط الشيخ رحمه الله على طرّة الكتاب.

٣-(غذاء القلوب ومفرج الكروب).

٤-(تعليم الأحبّ أحاديث النووي وابن رجب) ومنها مخطوطة كاملة بدارة الملك عبدالعزيز مكتبة الشيخ عبدالمحسن أبا بطين.

جـ-معلمة الشيخ فيصل المسمّاة: (زبدة الكلام في الأصول والآداب والأحكام):

عندما أقام الشيخ رحمه الله في الجوف في أخريات حياته جمع رحمه الله مجموعاً علمياً مفيداً لطلبة العلم، يصدق عليه اسم المعلمة (الموسوعة) المصغَّرة في العلوم الإسلامية ضمَّت بعض شروحه رحمه الله على جُملة من المتون العلميَّة، وذلك للتسهيل والتيسير على طلبة العلم الذين قد يجدون بعض الصعوبة في تمييز ومعرفة ومراعاة الترتيب والتسلسل المرحلي لدراسة المتون العلمية في كافة الفنون والعلوم الشرعية، وقد سمَّي هذا المجموع أو المكتبة العلمية المصغرة لطالب العلم: (**زبدة الكلام في الأصول والآداب والأحكام**).

ولعل سبب جمع المصنف رحمه الله للمجموعين الأولين: المجموعة الجليلة والمختصرات النافعة هو ظروف الطباعة الصعبة في ذلك الوقت، أمَّا المجموع الأخير فقد اختار الشيخ المتون المشروحة فيه بعناية ورتبها ترتيباً دقيقاً، ولذلك تجد أنَّ بعض تلك المتون المشروحة كانت قد تمَّت طباعتها في المجموعتين السابقين.

وقد انتخب رحمه الله فصولها بحيث تكون كالمكتبة العلمية للمتوسطين من طلبة العلم للترقي في مدارج الطلب، والانخراط في جملة المتسببين إلى أهل العلم.

قال الشيخ رحمه الله في أول هذه المعلمة أو الموسوعة المصغرة:

« أمَّا بعد، فإنَّ كتب العلم قد كثرت وانتشرت، وبُسِطت واختصرت، فرأيت أن اجمع منها ما يحفظه الطالب ويعتمد عليه، ونقلت من كلام أهل العلم ما يبين بعض معانيه، ليكون أصلاً يرجع إليه، وجسراً يعبُرُ منه إلى غيره إن شاء الله تعالى، والعالم الربَّاني هو الذي يربِّي الناس بأصول العلم وواضحاته، قبل فروعه ومشكلاته، ورتَّبت الكتب التي أردت، فبدأت:

١-بـ(الأربعين النووية).

٢-ثمَّ بـ (عمدة الأحكام) لحافظ عبدالغني المقدسي في الحديث.

٣-ثمَّ (كتاب التوحيد).

٤-ثمَّ (العقيدة الواسطية).

٥-ثمَّ (بلوغ المرام).

٦-ثمَّ (الدرر البهيَّة).

٧-ثمَّ (نبذة في أصول الفقه).

٨-وختمتُها بـ (غذاء القلوب ومفرج الكروب).

وسمَّيته (زبدة الكلام في الأصول والآداب والأحكام) وأسأل الله أن ينفعني به وجميع من قرأه أو سمعه إنَّه لطيفٌ خبيرٌ آمين.

ومنه مخطوطة في ثلاث مجلدات في مكتبة الملك فهد ضمن مجموع (زبدة الكلام) تصنيف رقم: (٢٥٨/ ٣)، (٢٢٩/ ٣)، (٢٣٠/ ٣) تاريخ الإيداع ١٠/ ٧/ ٩٥م، وعنها مصوَّرة بدارة الملك عبدالعزيز مجموعة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك.

خصائص هذه المكتبة العلميَّة:

-تتميَّز هذه المكتبة العلمية بما يلي:

١-أنَّ مؤلف هذه المكتبة العلمية عالم جليل ومشهور، سلفي المشرب، من علماء الدعوة الإصلاحية.

٢-أنَّ هذه المعلمة تعتبر أوَّل مكتبة علمية لطلبة العلم، وبالتالي فهي الرائدة في هذا الفن، بل لا أعلم أنَّه قد ألف على منوالها لإفادة طلبة العلم، لا قبلُ، ولا بعد، ولعلَّ هذه المعلمة أن تكون أوَّل موسوعة أصيلة مصغَّرة في العلوم الإسلامية.

٣-اختيار الشيخ ﷺ للمتون العلمية المهمَّة التي يحتاج إليها طالب العلم.

٤-تتجلَّى حصافة الشيخ ﷺ لدى اختياره لهذه المجموعة من المختصرات النافعة من عدة نواحٍ، منها:

أ-دقة اختيار الشيخ للمتون المختارة في هذه المجموعة، إذ كانت المتون الرئيسية المعتمدة من كافة العلوم الشرعية .

ب-اقتصار الشيخ لدى شرحه لهذه المختصرات على توضيح أهم المباحث والمسائل، ممَّا يتناسب مع حالة طالب العلم المبتدئ أو المتوسط.

جـ-وكذلك اقتصار الشيخ رحمه الله على علوم الغاية من فنون الشريعة، كعلوم العقيدة والحديث والفقه دون علوم الآلة كالنحو والبلاغة والمنطق وغيرها.

د-والملاحظ أنَّ الشيخ رحمه الله رتَّب هذه المتون حسب الترتيب المراعى لدى أهل العلم:

١-فابتدأ بـ (الأربعين النووية) للإمام النووي رحمه الله، والتي ما زال العلماء يبتَدِرون بها الطلبة المبتدئين ، وذلك لتعويد الطلبة على حفظ وفهم النصوص الشرعية والأحاديث النبوية.

٢-وعنايته بالعقيدة الإسلامية الصحيحة فقد أدرج الشيخ رحمه الله شرحه على كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، والذي يعتني -في الأغلب- بتوحيد الألوهية.

٣-أمَّا في توحيد الأسماء والصفات فقد أدرج الشيخ رحمه الله -بعد ذلك- شرحه على الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

٤-ثمَّ شرع الشيخ رحمه الله بمتون أحاديث الأحكام، فأدرج شرحه على عمدة الأحكام للحافظ عبدالغني المقدسي رحمه الله الذي غالباً ما يبتدئ به طلبة العلم في كافة الأمصار في جميع المذاهب الفقهية.

٥-ثمَّ شرع بالترقِّي بطالب العلم شيئاً فشيئاً، فساق شرحه على بلوغ المرام للحافظ ابن حجر رحمه الله وهو متن مشهور متداول في هذا الفن، وهو أوسع من سابقه وأشمل، وما زال العلماء يعتنون به ويحرصون على تدريسه.

٦-وعندما يحفظ الطالب أحاديث الأحكام فينبغي عند ذلك أن يحفظ متناً فقهياً،

إلاَّ أنَّ الشيخ رحمه الله لم يعتمد مذهباً فقهياً معيَّناً في هذه الموسوعة، بل أدرج مختصر الشوكاني رحمه الله المسمَّى بـ « الدرر البهية » في الفقه الحديثي وذلك حتى يفيد من هذه الموسوعة طلبة العلم في جميع المذاهب الفقهية، وحتى لا تنحصر هذه المعلمة في طلبة العلم من مذهب معين، ولتكون شاملة لجميع المذاهب الفقهية.

٧-وإذا تصوَّر الطالبُ المسائل الفقهية وأتقنها وعرف أدلَّتها فأنَّه ينبغي له ألاَّ يكون جامداً على المذهب، بل ينبغي له أن يدور مع الدليل الشرعي حيث دار، ولذلك فمن المناسب -هاهنا- أن يقرأ الطالب متناً أصولياً في باب « التقليد والاجتهاد » ولذلك ساق الشيخ رحمه الله بعد ذلك رسالةً مختصرة له في هذا الباب، وهي مقام الرشاد في التقليد والاجتهاد.

٨-ثم خَتَم الكتاب بمختصر في الأذكار من إنشائه رحمه الله، وهو: غذاء القلوب ومفرِّج الكروب، ليربط فيه الطالب بالمقصود من طلب العلم، وهو التقرُّب إلى الله عز وجل بالعمل الصالح والكلم الطيب.

وختاماً تحسن الإشارة إلى عدة نقاط وهي:

١-أن بعض الكتب التي أوردها الشيخ في الموسوعة سبق طبعها مفردة في حياته رحمه الله وبعضها طبع مؤخراً.

٢-قد يختلف النص الوارد في المجموع عن النصوص المفردة المطبوعة زيادة أو نقصاً.

٣-تقوم بعض دور النشر على تحقيق هذه الموسوعة العلمية المصغرة عن أصلها الخطي على أسس علمية، ومنهج وثيق، وبإشراف بعض طلبة العلم المتمكنين.

٤-حبذا لو استثمرت بعض الجهات الرسمية المختصة هذه الموسوعة دعوياً وعلمياً، وتبنت الإشراف على طباعتها، ومن ثم توزيعها على طلبة العلم.





الدعوة إلى الله
من خلال التواصل مع أولي الأمر

* *　　* *　　* *

المبحث الرابع: الدعوة إلى الله من خلال التواصل مع أولي الأمر

لقد كان الملك عبدالعزيز ﷬ يولي الشيخ فيصل ثقته المطلقة، ويقدِّر المنهج الدعوي المتسامح الذي كان يمثِّله الشيخ فيصل ﷬، ففي ذي الحجة من عام ١٣٣٨هـ انتدبت الدولة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك [1] لعقد معاهدة مع الإمام محمد بن علي الإدريسي، ومعه الشيخان عبدالله بن محمد الراشد، والشيخ ناصر بن حمد الجار الله.

قال ابن ناصر في أحداث عام ١٣٣٨هـ: « وفيها بعث الإمام وفداً إلى نواحي اليمن منهم الشيخ عبدالله بن محمد الراشد، والشيخ ناصر بن حمد الجار الله، والشيخ فيصل بن عبدالعزيز المبارك يعلمونهم أصول الإسلام وشرائع الدين وحقيقة ما دعت إليه الأنبياء والمرسلين، وأن يقصدوا إلى الإمام محمد بن إدريس لعقد الأخوة الإسلامية، ولتحديد الحدود وعقد معاهدة صداقة، فساروا إلى أن وصلوا تلك النواحي فنشروا فيها ما ذكرنا واتفقوا بالرئيس محمد بن علي بن إدريس، فبعد اعترافه بأنه لم يبق له علاقة ببلاد يام ووادعه كتبوا بينهم وبينه سجلاً » [2].

وكان الشيخ ﷬ هو الذي تقدّم إلى معسكر الإدريسي لما توسّم ميل المعسكر الإدريسي للصلح، فبعد أن اصطفّ الجيشان وتأهبا للحرب، تقدم الشيخ والرصاص يتناثر عن يمينه وشماله، وليس في يده إلا مروحة ورقية، فلما عرفوه كفوا عن الإطلاق، فاجتمع الشيخ بالإدريسي، ثم حضر بقية الشيوخ وقائد الحامية السعودية محمد بن زيد وتم الاتفاق.

وهذا نص المعاهدة:

---

(١) كان الشيخ فيصل ﷬ حينذاك في الخامسة والعشرين من عمره.

(٢) عنوان السعد والمجد فيما استظرف من تاريخ الحجاز ونجد لابن ناصر، مخطوط ورقة (١٦١-١٦٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله.

يعلم به الناظر والواقف عليه بأن الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل حفظه الله لما أمرنا بالقدوم على الإمام محمد بن علي بن إدريس لعقد الأخوة الإسلامية الخاصة، وجمع الكلمة على دين الله ورسوله، ودعوة الناس إلى ذلك في التعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،والجهاد في سبيل الله، وأن تكون اليد واحدة على أعداء الدين فلما قدمنا على الإمام المذكور، سرَّه ذلك وأحبه حرصاً علي الخير والتعاون عليه، فاتفقت الحال منا ومنه على عقد الأخوة بين الإمامين المذكورين على مثل ما ذكر أعلاه.

ثم ساقوا تفاصيل وبنود العقد، ثم في ختام العقد ما يلي:

والله ولي التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. ١٦ ذي الحجة ١٣٣٨هـ.

نواب الإمام

فيصل بن عبدالعزيز المبارك — عبدالله بن محمد الراشد

ناصر بن حمد الجار الله — محمد بن علي بن إدريس

الختم

وبعد إتمام مهمتهم على أفضل وجه أرسل المشائخ المذكورين رسالة إلى الملك عبدالعزيز يبلغونه بما تمَّ إبرامه مع الإدريسي.

وقد دخلت بموجب هذه المعاهد منطقة تهامة تحت حكم الإمام عبدالعزيز عبدالرحمن آل سعود رحمه الله [1] .وتوطدت إثر عقْد المعاهدة الأخوية بين الملك عبدالعزيز

(١) تاريخ الدولة السعودية، أمين سعيد، (٢/ ٩٨-٩٧). أضواء على تاريخ الجزيرة العربية، محمد العقيلي، =

والشريف محمد الإدريسي عرى الأخوة والصداقة بين الشيخ فيصل والإدريسي، والذي أعجب كثيراً بما كان عليه الشيخ فيصل من حسن الخلق، وطيب المعاملة، ومحبة النفع العام للإسلام والمسلمين، فما كان من الإدريسي إلاَّ أن أهدى الشيخ فيصل مكتبة علميَّة عامرة، بعضها بخطِّ الإدريسي نفسه[1].



ص(٤١٩-٤٢٠). وانظر: عنوان السعد والمجد فيما استظرف من تاريخ الحجاز ونجد لابن ناصر، مخطوط ورقة (١٦١-١٦٠).

(١) وقد انتقلت تلك المكتبة الإدريسية مع سائر كتب ومصنفات الشيخ فيصل ﷺ عام ١٤١٦هـ من مكتبة الشيخ فيصل ﷺ الخيرية في حريملاء إلى مكتبة الملك فهد حيث هي محفوظة الآن تحت تصنيف مكتبة حريملاء ومن عناصر تلك المكتبة:

١- منظومة ابن الشحنة في علوم البلاغة.

٢- شرح الرعيني الحطاب على (متممة الآجرومية).

٣- روض الأذهان شرح منظومة الزبيدي في علمي المعاني والبيان للقاضي الحسن بن أحمد الضمدي المعروف بعاكش.

٤- (التلخيص في علوم البلاغة) للقزويني إلاَّ أنَّ جلَّ تلك المخطوطات ليست كاملة.

وقد كانت مكاتبات الشيخ فيصل رحمه الله لولاة الأمر تفيض بمشاعر الولاء والطاعة والمحبة لمن ولاهم الله عز وجل أمور المسلمين. فقد كتب إلى الملك سعود رحمه الله ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

جلالة الملك المعظم سعود أسعده الله تعالى، يجب علينا النصيحة للدولة سراً وعلانية، لأنَّا لا نعلم حكومة قائمة بأمور الدين، ورادعةً للظالمين، غير حكومتنا، ولجلالتكم خاصَّة لما لك عليَّ من الفضل الكبير الذي لا أقدر على مكافأته إلاَّ بالشكر والدعاء.

فيصل بن مبارك[1]

وهذه الصلة الوثيقة بالدولة لم تكن تمنعه بين الفينة والأخرى من أن يهمس في أذن ولاة الأمر بما يراه متوجباً عليه من واجب بذل النصيحة لهم فيما قد لا يطلعون عليه من أحوال الناس، وقد كانت سرعة استجابة الدولة لما ترى فيه الخيرية للإسلام والمسلمين عجباً من العجب، بل إن المطلع على هذه الوثائق المسطرة تعود به الذاكرة إلى عهد السلف الصالح الذين كانوا يتجاذبون مع ولاتهم طرفي السبق في النصح لله ورسوله والمسلمين.

فمن ذلك أنَّ الشيخ رحمه الله أبرق إلى جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله قائلاً:

بسم الله الرحمن الرحيم

جلالة الملك المعظَّم أيَّده الله تعالى، عندنا قراء وطلبة متوجهين،إن رأيتوا تفضلون عليهم بمعاونة تنشطهم، لعل الله ينفع بهم، ونظركم أعلى.

فيصل بن مبارك ٨/ ١٠/ ١٣٧١هـ[2].

---

(١) عن دفتر برقيات الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك المحفوظ بدارة الملك عبدالعزيز قسم الوثائق ص(٣٠).

(٢) عن دفتر برقيات فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك المحفوظ بدارة الملك عبدالعزيز قسم الوثائق ص(٣٠).

فأجاب الملك عبدالعزيز ﵀ بقوله:

قد أمرنا وزارة المالية توفِّر لمالية الجوف عشرة آلاف ريال، إذا ترون توزعونها على الطلبة بنظركم، كل على مقدرته ومنزلته العلمية.

عبدالعزيز ٢٦/ ١٠/ ١٣٧١هـ[١].

فأجاب الشيخ ﵀: شكر الله سعيكم وسنجتهد في توزيعها كما ذكرتم والله الموفق.

فيصل بن مبارك ٢٨/ ١٠/ ١٣٧١هـ[٢].

وحين قرَّر الملك سعود ﵀ بذل مكافأة خاصَّة لحفظة كتاب الله أرسل إلى الشيخ فيصل يسأله عن عدد ما استجدَّ من الحفاظ من طلبته، فأرسل إليه الشيخ فيصل قائلاً:

اختبرنا حملة القرآن، فوجدنا الحفاظ منهم اثنا عشر، والباقين تحت الإتمام، أحببنا اشعاركم ونظركم أعلى.

فيصل بن مبارك ٨/ ٤/ ١٣٧٤هـ[٣].

فأرسل إليه الملك سعود ﵀ طالباً منه أن يفرق بين من حفظ القرآن دون تجويد وبين من حفظه مجوَّدًا حتى تزاد مكافأة القسم الأخير:

أخبرونا: هل الذين حفظوا القرآن حفظوه تجويداً أم لا؟ نحن لا نقصد الماضي، بل نقصد التشجيع على المستقبل.

سعود ١٠/ ٤/ ١٣٧٤هـ[٤].

---

(١) عن دفتر برقيات الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، المحفوظ بدارة الملك عبدالعزيز، قسم الوثائق ص(٣٠).

(٢) عن دفتر برقيات الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، المحفوظ بدارة الملك عبدالعزيز، قسم الوثائق ص(٣٠).

(٣) عن دفتر برقيات الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، المحفوظ بدارة الملك عبدالعزيز، قسم الوثائق ص(٣٩).

(٤) عن دفتر برقيات الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، المحفوظ بدارة الملك عبدالعزيز، قسم الوثائق ص(٣٩).

وحين ارتفعت الأسعار عام ١٣٧٠هـ أبرق الشيخ فيصل للدولة حفظها الله قائلاً:

لما ارتفعت الأسعار عمَّ الضرر الحاضرة والبادية، خصوصاً الفقير لأن الرسم في الحقيقة عليه، التاجر يضيفه على رأس ماله ويجعله على الفقير، والفقراء ما يلتجؤون إلاَّ لله ثم لكم، ووضعه عنهم من أعظم الأسباب النافعة لهم، ولكم فيه الثواب الجزيل، وقد قال النبي ﷺ: (من سنَّ في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئا)[1] أحببنا إخباركم والأمر لله ثم لكم.

فيصل بن مبارك ٦/ ٣/ ١٣٧٠هـ[2]

ومع أن حديث الشيخ رحمه الله كان عن الأسعار في ناحيته، إلاَّ أن الدولة حفظها الله سارعت بوضع الجمارك عن جميع أنواع الأطعمة في جميع المملكة، وأبرق الملك سعود رحمه الله إلى الشيخ فيصل قائلاً: من قبل برقيتكم كان لها أثر طيب، نرجوا أن الله يوفقنا وإياكم للخير، وقد كتبنا لجلالة الملك من قبل إعفاء الأطعمة في جميع المملكة، ووافق على ذلك، وسنعمِّد الجمارك كلها بإعفاء جميع الأطعمة، أحببنا إخبارك بذلك.

سعود ١٧/ ٣/ ١٣٧٠هـ[3].

فأجاب الشيخ فيصل: متعنا الله بحياتك، استبشر الناس بإلغاء رسوم الطعام، وأعلنوا الدعاء لكم، وضع الله عنك وزرك، ورفع ذكرك.

فيصل بن مبارك ١٩/ ٣/ ١٣٧٠هـ[4].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، (ح/ ١٠١٧).

(٢) عن دفتر برقيات الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، المحفوظ بدارة الملك عبدالعزيز، قسم الوثائق ص(٢٢).

(٣) عن دفتر برقيات الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، المحفوظ بدارة الملك عبدالعزيز، قسم الوثائق ص(٢٣).

(٤) عن دفتر برقيات الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، المحفوظ بدارة الملك عبدالعزيز، قسم الوثائق ص(٢٢).

فانظر إلى هذه المساجلة البديعة والراقية معنى ومضموناً وأسلوباً، والتي تجسِّد بحقٍّ مقدار التلاحم والاتحاد بين كل من ولاة الأمر والعلماء والمواطنين في هذا البلد الأمين المؤمن.

والأمثلة في هذا المعنى كثيرة، إلاَّ أننا لا نودُّ الإطالة على القارئ، إذ حسبُك من القلادة ما أحاط بالجيد.

ومراسلات الشيخ رحمه الله لم تكن مع أولي الأمر فقط، بل كانت أيضاً مع أهل العلم، كما سيظهر لنا في المبحث التالي..



مراسلات الشيخ فيصل العلمية

* *   * *   * *

المبحث الخامس: مراسلات الشيخ فيصل العلمية

كان بين الشيخ رحمه الله وبين علماء نجد مراسلات عديدة يسألهم فيها عن بعض ما يشكل عليه من العلم، ومن ذلك:

رسالة أرسلها إلى **الشيخ سعد بن عتيق** رحمه الله يسأله فيها عن مسألتين:

الأولى: عن معنى قول الطحاوي في عقيدته: « لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات » .

الثانية: عن ما يخرج الإنسان من ماله من صدقة في الاستسقاء، وصدقة على المساكين الذين يسألون الناس في المساجد، وإعطاء سائل هل تكون من الزكاة أم لا، وهل إذا نواها تصح كونها من الزكاة ، أم لا؟ فأجابه الشيخ سعد رحمه الله بالجواب السديد المفيد[1].

ومن مراسلاته أيضاً رسالة أرسلها **الشيخ عبدالرحمن بن سعدي** رحمه الله يسأله فيها عن بعض المسائل، وهي:

الأولى: رجل تزوج امرأة، واشترط أبوها أن لا يخرجها من بلدها، وإن خرج بها فهي طالق ثلاثاً، وبعد ذلك رضيت المرأة بالخروج مع زوجها، وخاف الزوج من وقع الطلاق إن أخرجها.

الثانية: حكم المعاملة بالنوط، وهي العملة الورقية، بالإضافة إلى مسائل أخر.

وهناك رسالة أخرى مستقلة عن هذه الرسالة، مضمونها:

---

(١) انظر: النفحات الزكية من المراسلات العلمية، محمد بن حسن المبارك، ص(٩٩-١٠١) وهذه الرسالة محفوظة بدارة الملك عبدالعزيز ، مجموعة الشيخ عبدالله العنقري حفظ (ع) ص(٧٠ب) ومنها نسخة بجامعة الإمام رقم (٤٨٣٢)خ. وجواب الرسالة مطبوع ضمن: « المجموع المفيد من رسائل وفتاوى الشيخ سعد بن عتيق » جمع وترتيب الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، دار الهداية ص(٨٥-٨٦) ومطبوعة ضمن « الدرر السنية في رسائل علماء نجد » .

السؤال عن حكم السيارة التي تمشي في طريقها المعتاد، فصادف أن نفرت منها إبل تزاحمت ، فتلف بسبب نفورها -أي: الإبل- رجل، فهل السائق ضامن في هذه المسألة؟[1].

بالإضافة إلى مراسلات كانت بينه وبين الشيخ **محمد بن إبراهيم آل الشيخ** رحمه الله[2].

ومراسلات الشيخ رحمه الله لم تكن مقصورة على سؤال أهل العلم فقط؛ بل تتعداها إلى بيان وتوضيح رأيه في مسألة ما من المسائل الشرعية، التي يراها الشيخ، مبيناً مستنده في ذلك من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم رحمهم الله، ويظهر ذلك من خلال رسالته إلى الشيخ إبراهيم بن سليمان بن ناصر آل حمد[3] رحمه الله حينما بيّن له الشيخ رحمه الله رأيه في: أن للحاكم جواز تطليق المرأة من زوجها إذا أبى الزوج ذلك، وكان بينهما شقاق، ولم يتوصل الحكمان إلى صلح أو حل.

وقد جاء في الرسالة ما يلي:

من فيصل بن عبدالعزيز إلى حضرة الأخ المكرم الأحشم المحب الناصح الأمين الشيخ إبراهيم بن سليمان بن ناصر آل راشد، سلمه الله تعالى، وهداه ونصره على من عاداه، وأرشده إلى الصراط المستقيم، آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ومغفرته وطيب صلواته، فنحمد الله الذي لا إله إلا هو، ونحن بخير وعافية، عسى الله يعز الإسلام والمسلمين ويثبتنا وإياكم على الدين، وكتابكم الكريم وصل، وسرنا ما ذكرتم فيه، خصوصاً تأنيكم واستفساركم، وهذا هو الواجب بين طلبة العلم، وخصوصاً المتجاورين، والحق ضالة المؤمن.

فأقول وبالله التوفيق: ومستندي في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا

---

(١) انظر: النفحات الزكية، محمد المبارك، ص(١٠٦-١١٠) وقد ذكر مضمون الرسالة وجوابها.

(٢) المرجع السابق، ص(١١٣) وقد ذكر نص الرسالة وجوابها.

(٣) تقدمت ترجمته ضمن شيوخ الشيخ فيصل رحمه الله، ص(١١٥).

فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾[1]، وقوله ﷺ لثابت بن قيس: (خذ الحديقة، وطلقها تطليقة)، فإذا لم يفد الحكمان بشيء وأبى الزوج التطليق جاز للحاكم التفريق بينهما، لأن الضرر اللاحق من الشقاق أعظم من الضرر اللاحق من الإيلاء أو الإعسار، ولا تخفاك أقوال العلماء في ذلك » ثم ذكر رحمه الله قول أهل العلم في ذلك إلى أن قال: « هذا حكمنا في ذلك، فإن كان صواباً فمن الله، وأرجوا منه الإثابة، وإن كان خطأ فمني، ومن الشيطان، فأرجوا من الله المغفرة »[2].



(١) سورة النساء: آية (٣٥).

(٢) مقدمة كتاب توفيق الرحمن، بقلم عبدالعزيز الزير، ص(٣١-٣٢).



صلات الشيخ فيصل
بالشيخ القرعاوي وتلامذته

* *   * *   * *

المبحث السابع: صلات الشيخ فيصل بالشيخ القرعاوي[1] وتلامذته

كان الشيخ رحمه الله يوالي مناشطه الدعوية، ويزيد من فعالياتها من خلال تواصله مع الدولة حفظها الله، وتلاحمه مع أولي الأمر، وفي المقابل كانت الدولة توليه ثقتها المطلقة، وتعتمد مشورته في تقييم كثير من الفعاليات الدعوية في الدولة:

فقد كان لتقرير اللجنة التي ترأسها الشيخ فيصل رحمه الله وكان من أعضائها الشيخ محمد البيز رحمه الله والتي كلفت عام ١٣٦٠هـ بالتحقق من أحوال الشيخ عبدالله القرعاوي رحمه الله، وما يقوم به من نشاط عقب جولاته الكثيرة في الخارج كالهند ومصر والشام مما كان له أثرٌ كبيرٌ في توجيه الدعم لحكومي للشيخ عبدالله القرعاوي، ممّا شجّع الشيخ عبدالله رحمه الله، وأسهم في مضاعفته لجهوده الدعوية، وافتتاح المزيد من المدارس[2].

قال الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق حفظه الله:

« أرسل الملك عبدالعزيز الشيخ فيصل المبارك، والشيخ محمد البيز عام ١٣٦٠هـ للتحقق من أحوال الشيخ عبدالله القرعاوي، وما يقوم به من نشاط عقب جولاته الكثيرة في الخارج كالهند ومصر والشام، فاطلعت اللجنة على ما يقوم به الشيخ عبدالله، فقدمت صورة حسنة سرَّ بها الملك عبدالعزيز مما أوجب استدعاء الشيخ عبدالله القرعاوي إلى الرياض، وأمره بكتابة سيرته وأعماله، فقام الشيخ عبدالله بتقديم تقريره مناولة للشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية فارتاح الملك لما قدمه الشيخ واطمأن، وأمر بتقديم أربعة آلاف ريال إليه، ووعده باستمرارها كقاعدة سنوية، وهذا الإجراء أعطى للشيخ عبدالله الضوء الأخضر والطمأنينة على سير عمله.

ثمَّ عاد الشيخ القرعاوي إلى منطقة عمله بجيزان ليواصل تدريسه ودعوته مما جعل

---

(١) سبقت ترجمته، ص(٧٣).

(٢) كان من أهم أسباب اختيار الدولة للشيخ فيصل لترأس اللجنة المذكورة معرفة الشيخ رحمه الله الجيدة للمنطقة، لكونه أحد أفراد البعثة العلمية التي أرسلتها الدولة لإرشاد أهالي تلك المنطقة، مع الشيخين: عبدالله بن محمد الراشد، وناصر بن حمد الجار الله رحمهما الله.

أمارة جيزان تفتح صدرها للشيخ عبدالله، وكان أمير المنطقة آنذاك خالد بن أحمد السديري، فرحم الله الملك عبدالعزيز وجزاه عن الإسلام خير الجزاء، ثمَّ إنَّ الأمير سعود ﷺ ضاعف المبلغ إلى أربعين ألفاً[1].

وكذلك كان لتقرير تلك اللجنة التي ترأسها الشيخ فيصل ﷺ الأثر الحميد بتبني الدولة وفقها الله لطبع جميع مؤلفات الشيخ النابغة حافظ الحكمي تلميذ القرعاوي رحم الله الجميع، قال الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق حفظه الله:

وأمر أي: الأمير سعود ﷺ بطبع جميع مؤلفات الشيخ حافظ بن أحمد التلميذ المبرز للشيخ القرعاوي[2].

وكتب حينذاك الشيخ فيصل إلى تلاميذ الشيخ القرعاوي يطلب منهم سرعة إرسال كتب الشيخ حافظ إلى الرياض لتقوم الدولة حفظها الله بطباعتها، فأجابه أحد تلامذة الشيخ وهو فضيلة قاضي بلدة البرك بتهامة:

« مصنفات الحافظ تحصلنا على غالبها، وسنبذل الجهد في طبعها، فمن الذي عندنا من مؤلفاته:

١-رسالته في التوحيد المسمّاة: (أعلام السنة المنشورة باعتقاد الطائفة المنصورة.)

٢-وأرجوزته في الفقه المسماة: (السبل السوية لقصد السنن المروية) قدر ١٥٠٠ بيت.

٣-ورسالته في الفرائض المسماة (بالنور الفائض من شمس الوحي في علم الفرائض).

٤-وله (ديوان خطب منبرية) تليق بالوقت، دعاية إلى التوحيد، ونهي عن الشرك

(١) المثال من الرجال في سيرة الشيخ عبدالله القرعاوي ﷺ، الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق، ص(٤٥-٤٦).

(٢) المثال من الرجال في سيرة الشيخ عبدالله القرعاوي ﷺ، الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق، ص(٤٧).

وترغيب وترهيب. وله مناظيم ورسائل ونصائح لا يفيء الزمان بمثلها[1].

فانظر إلى هذه المصالح المتعددة التي تحققت من هذا العمل المشترك بين العلماء وأولي الأمر، مثل دعم الدعاة وطبع الكتب العلمية وغير ذلك من المصالح، والتي لم تكن لتتحقق من خلال العمل المنفرد، إلاَّ أن التحام العلماء والدعاة مع أولي الأمر أثمر عن مثل تلك النجاحات الباهرة.

والحاصل: بعد هذه الجولة في النشاط الدعوي للشيخ فيصل ﷺ وضح لنا منهجه في الدعوة إلى الله، وبانت لنا معالم دعوته على النحو التالي:

١-أنه قد انتهج منهجاً وسطاً في معالجة قضايا الدعوة، وفق أسلوب تربوي شرعي أصيل، بعد معرفته لعصره الذي يعيش فيه، وواقعه الذي يتحدث عنه.

٢-حرصه على جمع الكلمة، ووحدة الأمة، والنهضة بها، من خلال تقوية صلاته بولاة الأمر والعلماء، وطلاب العلم.

٣-أن التراث الفكري عنده يمثل منهجاً علمياً ودعوياً متكاملاً يمكن أن يكون رائد المدارس الدعوية في هذا العصر لمسايرته روح العصر الذي نعيش فيه، ويستحق أن يوفر له أصحاب الهمم أوقاتهم لدراستها.



(١) النفحات الزكية، محمد المبارك، ص(١٣٤-١٣٥).

الخاتمة

أحمد الله على انتهائي كما حمدته في ابتدائي، وأصلي وأسلم على البشير الهادي، وعلى آله وأصحابه وأتباعه من كل حاضر وباد.. وبعد: -

فإنه يطيب لي أن استوقف رحلة هذا البحث بذكر جملة من النتائج المهمة المفصلة في ثنايا البحث، وتتلخص في الآتي:

أولاً: أن الأحداث التي عاصرها الشيخ فيصل رحمه الله قد طبعت في نفسه صورة أثرت في حياته وتجربته، فاتضح لنا منهجه وفكره، وبانت لنا معالم دعوته من خلال ما يلي:

١- **من الناحية السياسية**، فقد عاصر الشيخ فترة قيام الدولة السعودية الثالثة، وشارك في توحيدها، مما أوجد في نفسه الحرص على جمع كلمة المسلمين، ومحاربة كل أسباب الفرقة والاختلاف.

٢- **أما من الناحية الاجتماعية**، فقد نشأ رحمه الله في مجتمع موحد، يقوم على الترابط والتواصل بين الناس رغم الفقر والفاقة، ولكنه لازم طبقة العلماء رغم قلتهم، وأكب على الاغتراف من معين فضلهم وعلمهم.

٣- **ومن الناحية العلمية**، فقد شارك رحمه الله مشاركة واسعة وكبيرة في مجال التعليم في المملكة منذ بداياته، فكانت له مجالسه العلمية التي يحضرها طلاب العلم، ثم ما تبع ذلك من نهضة تعليمية في منطقة الجوف، فجنى أهلها الثمار اليانعة من ذلك الغرس الطيب.

٤- **ومن الناحية الدينية**، فنشأة الشيخ وتعلمه في بيئة تمتاز بصفاء العقيدة والتمسك بمنهج السلف الصالح، جعلته يسير على ذات المنهج علماً واعتقاداً، وقولاً وعملاً، وأدباً وسلوكاً.

ثانياً: مكانة الشيخ العلمية والاجتماعية، تجلت من خلال تلقيه العلم على يد علماء عصره، ونبوغه في فنون عديدة، ومن خلال عدد من الدوائر التي شارك فيها.

ثالثاً : منهج الشيخ فيصل منهج أثري يعتمد على الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح، كما أنه حذر من صرف النص عن ظاهره المتبادر إلا بنص من الكتاب والسنة.

رابعاً : موافقته لمذهب السلف في حقيقة الإيمان بأنه قول وعمل، يزيد وينقص، وأن صاحب الكبيرة في الدنيا مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته وفي الآخرة تحت مشيئة الله، وكفر تارك جنس العمل وكفر تارك الصلاة .

ثم إن الشيخ قد بيّن ما يناقض الإيمان من كفر ونفاق وما يتعلق بهما من أمور، ثم قرر رحمه الله أصلاً عظيماً يجب الأخذ به في التعامل مع الناس وهو التفريق بين الحكم الظاهر والباطن عند الحكم عليهم .

خامساً : قرر رحمه الله منهج السلف في الإيمان بالله على النحو التالي :

١- إثباته لتوحيد الربوبية عن طريق الأدلة الشرعية، مجانباً للطرق التي استعملها المتكلمون في هذا التوحيد والتي أدت بهم إلى الضلال والفساد .

٢- موافقته للكتاب والسنة فيما قرره من قضايا حول توحيد الألوهية، من حيث أهمية هذا التوحيد الذي بعث الله الرسل به، ومن حيث شمول مفهوم العبادة للحياة كلها، وأن الإنسان لا يكون عابداً لله حتى يتجنب مظاهر الشرك الأكبر والأصغر وذرائعهما، مع قيامه بحق العبودية من التوكل والخوف والرجاء وغيرها.

٣- اهتم رحمه الله بعقيدة السلف في الأسماء والصفات، فأشار إلى بعض المسائل المهمة في إثبات الأسماء والصفات، والتي هي أساس منهج السلف في تقرير عقيدتهم في هذا الباب .

كما أنه قد ذكر بعض الصفات بشيء من التفصيل وخاصة في الصفات التي حصل فيها خلاف بين السلف ومخالفيهم .

وقد وافق رحمه الله السلف أيضاً في إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الجنة يوم القيامة.

سادساً : تقرير الشيخ لعقيدة السلف في وجوب الإيمان بالملائكة، إجمالاً بما لم يرد

تعيينه باسمه المخصوص، وتفصيلاً بما صح به الدليل من أسمائهم وصفاتهم وأعمالهم.

سابعاً : قرر الشيخ كذلك عقيدة السلف في الإيمان بالكتب السماوية جميعاً، فيجب الإيمان إجمالاً، بأن الله سبحانه وتعالى أنزل كتباً على أنبيائه ورسله لبيان حقه والدعوة إليه، ونؤمن على سبيل التفصيل بما سمى الله منها كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن، وأن القرآن هو أفضلها، وناسخها، وأن ما قبله طرأ عليه التحريف، وأنه لذلك يجب اتباعه دون ما سبقه.

ثامناً : كما أنه قرر ﷺ عقيدة السلف في الإيمان بالرسل على النحو التالي :

١ – وجوب الإيمان بالرسل جميعاً، فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم جميعاً.

٢ – يجب الإيمان بأن الله تعالى قد خص أنبياءه بخصائص لا يلحقهم فيها أحد، وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدق ما جاءوا به من ربهم.

٣– وجوب الإيمان بنبوة نبينا محمد ﷺ على وجه الخصوص، ومن لوازم ذلك وجوب القيام بحقوقه –عليه الصلاة والسلام –وحقوق صحابته وآل بيته على أكمل وجه .

٤ – أن كرامات الأولياء حق ويجب التصديق بها، وضابطها يكون بموافقتها للكتاب والسنة، فإن خالفتها فهي ليست كرامة بل من تأثير الشياطين والمبطلين.

تاسعاً : موافقة الشيخ لمنهج السلف في الإيمان باليوم الآخر وما اشتمل عليه من أمور مما صح به الدليل كفتنة القبر وعذابه أو نعيمه والحشر وغيرها.

عاشراً : كما قرر الشيخ منهج السلف في القضاء والقدر فيما يلي :

١ – نسبة أفعال العباد إلى الله خلقاً وإلى العباد فعلاً وكسباً .

٢– أن الاستطاعة نوعين : نوعاً قبل الفعل ونوعاً معه .

٣– أنه يجوز الاحتجاج بالقدر على المصائب دون المعائب .

الحادي عشر : كراهية الشيخ للبدع وتحذيره منها، ومن ذلك بدع القبور وما تفضي إليه من الشرك ووسائله، وبدعة الانتساب إلى فرق مخالفة لأهل السنة، وكذا بدعة الاشتغال بعلم الكلام المخالف للكتاب والسنة، وهذا الموقف الذي اتخذه الشيخ من البدع هو نفسه موقف السلف منها، وذلك لورود الأدلة الشرعية الدالة على وجوب الاتباع والنهي عن الابتداع.

الثاني عشر : توضيح الشيخ لأهمية الإمامة وما يجب للإمام من السمع والطاعة في غير معصية الله، والشروط الواجب توافرها في الإمام، وأخيراً حذر من الخروج عن طاعة ولي الأمر وحكم من فعل ذلك .

الثالث عشر : لقد سلك الشيخ فيصل رحمه الله منهجاً وسطاً في معالجة قضايا الدعوة، فحرص على جمع الكلمة ووحدة الأمة من خلال تقوية الروابط بين طلاب العلم والعلماء وولاة الأمر .

وما تركه الشيخ من تراث فكري يمثل منهجاً علمياً ودعوياً متكاملاً يمكن أن يكون رائد المدارس الدعوية في هذا العصر، ويستحق أن يوفر له أصحاب الهمم أوقاتهم لدراستها.

وفي الختام أسأل الله – العلي القدير – أن يعلي درجة الشيخ فيصل في المهديين، وأن يجزل له المثوبة والأجر يوم الدين، وأن يُلحقنا به في الصالحين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين .





وفيــــه:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس الفرق والمذاهب.
- فهرس الأماكن.
- فهرس المفردات والمصطلحات.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	البقرة:٤٧	٢	٣٨٧
﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾	البقرة:٧٥	٢	٣٤٢
﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾	البقرة:١٠٢	٢	٢٣٧
﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	البقرة:١١٧	٢	٥١٠
﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	البقرة:١٢٩	٢	٢٦٥
﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾	البقرة:١٣٦	٢	٣٤٤
﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾	البقرة:١٣٧	٢	٣٣٥
﴿أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾	البقرة:١٤٠	٢	٢٦١
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾	البقرة:١٤٣	٢	٣٨٦
﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾	البقرة:١٧٧	٢	٣١٨، ٣٣٦، ٤٢٠، ٤٢٢
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾	البقرة:٢٠٤	٢	٥٤٠
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾	البقرة:٢١٠	٢	٢٨٧، ٣٠٩
﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾	البقرة:٢١١	٢	٤٠٧
﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾	البقرة:٢١٣	٢	١٩١

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾	البقرة:٢٢٠	٢	٥٨٨
﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾	البقرة:٢٣٨	٢	٥٦٩
﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾	البقرة:٢٥٣	٢	٢٨٩، ٢٩٥، ٤١٢
﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	البقرة:٢٥٥	٢	١٩٤
﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾	البقرة:٢٥٥	٢	٢٨٣
﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾	البقرة:٢٥٥	٢	٢٩٢
﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾	البقرة:٢٥٥	٢	٢٩٣
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾	البقرة:٢٥٥	٢	٤٥٤
﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)﴾	البقرة:٢٨٥	٢	٣١٨، ٣٥٣، ٣٥٥
﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	البقرة:٢٨٦	٢	٤٨٧
﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾	آل عمران:٣-٤	٣	٣٣٩
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾	آل عمران:٣١	٣	٣٩٣
﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	آل عمران:٣٣	٣	٣٦٢
﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)﴾	آل عمران:٣٧	٣	٤١٦

الآيـــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٤٨﴾	آل عمران:٤٨	٣	٣٣٨
﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾	آل عمران:٤٩	٣	٤٠٩
﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	آل عمران،٤٩	،٣	٤١٠
﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾	آل عمران:٥٤	٣	٢٧٣
﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾	آل عمران:٧١	٣	٣٤٢
﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝٨٠﴾	آل عمران:٨٠	٣	١٢٧
﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝٨٤﴾	آل عمران:٨١	٣	٣٣٥
﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝٨٤﴾	آل عمران:٨٤	٣	٣٣٧، ٣٥٥
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾	آل عمران:١٠٢	٣	٧
﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٥﴾	آل عمران:١٠٥	٣	٥٣٥
﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾	آل عمران:١٠٦	٣	٥٢٢
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾	آل عمران:١١٠	٣	٧٦، ٣٨٦، ٣٨٧

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾	آل عمران:١٣٣	٣	٤٦٢
﴿يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ﴾	آل عمران:١٥٤	٣	٤٩٨
﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾	آل عمران:١٦٤	٣	٣٥١
﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ١٨١﴾	آل عمران:١٨١	٣	٢٧٢
﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	آل عمران:١٩١	٣	١٩٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾	النساء:١	٤	٧
﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ﴾	النساء:٢٣	٤	١٣٥
﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾	النساء:٣٥	٤	٦١٤
﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾	النساء:٣٦	٤	٢٢٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾	النساء:٤٨	٤	٢٢١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾	النساء:٥٩	٤	٥٥٣
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾	النساء:٦٥	٤	٣٩٦،١٢٥

الآيـــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾	النساء:٨٠	٤	٣٩٣
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾	النساء:٨٧	٤	٢٨٩
﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾	النساء:١٤٢	٤	٢٧٣
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾	النساء:١٥٠	٤	٣٥٦
﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾	النساء:١٥٨	٤	٢٨٤
﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾	النساء:١٦٣	٤	٣٣٨، ٣٦٣
﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾	النساء:١٦٤	٤	٢٨٩
﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ﴾	النساء:١٦٤	٤	٣٥٩
﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾	النساء:١٦٥	٤	٥٦٣
﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾	النساء:١٧١	٤	٢٣٣، ٣٤٣
﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾	المائدة:٢	٥	٥٦٩
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ﴾	المائدة:٣	٥	٥٠٧
﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ﴾	المائدة:١٤	٥	٥٢٣
﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾	المائدة:٢٣	٥	٢١٦

الآيـــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾	المائدة:٤٨	٥	٣٣٩، ٣٤٢
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾	المائدة:٤٨	٥	٣٤٧
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾	المائدة:٦٤	٥	٢٧٢
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾	المائدة: ٩٠-٩١	٥	٥٧٢
﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾	المائدة:٩٨	٥	٢١٩
﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾	المائدة:١١١	٥	٣٦٣
﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾	الأنعام:٨-٩	٦	٣٧٥
﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟﴾	الأنعام:٣٤	٦	٣٧٩
﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ﴾	الأنعام:٥٤	٦	٢٩٤
﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾	الأنعام:٥٩	٦	٤٨٠
﴿هَـٰذَا رَبِّى ۖ﴾	الأنعام:٧٦	٦	٥٧١
﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾	الأنعام:١٠٣	٦	٣٠٦
﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ﴾	الأنعام:١٠٣	٦	٣٠٦
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾	الأنعام:١١٢	٦	٦٦

الآيـــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	الأعراف:١٣٤	٧	٤٠٨
﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾	الأعراف:١٤٣	٧	٢٨٩، ٣٠٤
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾	الأعراف:١٥٦	٧	٢١٩، ٢٦٤، ٢٩٤
﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾	الأعراف:١٥٧	٧	٥٧٢
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	الأعراف:١٥٨	٧	٣٨٣
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾	الأعراف:١٧٢	٧	١٩١
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	الأعراف:١٨٠	٧	٢٥٨، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٦
﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾	الأعراف:١٨٢	٧	٢٧٤
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	الأعراف:١٨٧	٧	٤٣١
﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	الأعراف:١٨٨	٧	٢٣٤، ٢٣٥، ٣٧٧
﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾	الأعراف:١٩١	٧	١٩٥
﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾	الأنفال:١٢	٨	١٢٦، ٢٨٦
﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾	الأنفال:٣٠	٨	٢٧٣
﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾	الأنفال:٧١	٨	٢٧٣

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾	هود:١١٩	١١	٢٩٥، ٤٨٢
﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	هود:١٢٣	١١	٢١٥، ٢١٦
﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾	يوسف:١	١٢	٣٤٦
﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾	يوسف:١٠٨	١٢	٥٦٥
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾	يوسف:١٠٩	١٢	٣٧٤
﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾	إبراهيم:٢٧	١٤	٤٢٦
﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾	إبراهيم:٢٧	١٤	٤٢٦
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	الحجر:٩	١٥	٣٤٨
﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	الحجر:٣٩	١٥	٤٩٥
﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾	النحل:١٦	١٦	٢٤٦
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾	النحل:٣٦	١٦	٢٢٣، ٣٥٤
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	النحل:٤٣	١٦	٣٧٤
﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	النحل:٦٠	١٦	٢٧٠
﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾	النحل:٦٨	١٦	٣٦٤
﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾	النحل:٨٤	١٦	٤٤٧

الآيـــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾	الإسراء:١١٠	١٧	٢٦٢
﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾	الكهف:١٦-١٧	١٨	٤١٦
﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾	الكهف:٣٩	١٨	٢٩٥
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾	الكهف:١٠٥	١٨	٤٥٠
﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۞﴾	الكهف:١١٠	١٨	٢٢٢، ٣٦٤، ٣٧٧
﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۞﴾	مريم:١١	١٩	٣٦٤
﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۞ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۞﴾	مريم:٢٧	١٩	٤١٥
﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۞ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ﴾	مريم:٢٩-٣٠	١٩	٤١٥
﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾	مريم:٥١	١٩	٣٦٢
﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾	مريم:٨٥	١٩	٤٤٣
﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾	طه:٥	٢٠	٢٧٩، ٢٨٠
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۞﴾	طه:٨	٢٠	٢٦٢، ٢٦٣
﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۞﴾	طه:٣٩	٢٠	٣٠٠
﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾	طه:٤٤	٢٠	٥٤٢، ٥٧٢

الآيـــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ﴾	الحج:٥٢-٥٤	٢٢	٣٦٨
﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾	الحج:٧٠	٢٢	٤٧٩
﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾	الحج:٧٥	٢٢	٣٦١
﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	المؤمنون:٨٤	٢٣	١٩٢
﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	المؤمنون:٩١	٢٣	١٩٦
﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾	المؤمنون: ١٠٢-١٠٣	٢٣	٤٤٩
﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾	المؤمنون:١١٧	٢٣	٢٤٨
﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾	النور:٢-٣	٢٤	٥٧٠

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾	الزمر:٦٧	٣٩	٢٩٧
﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾	الزمر:٦٩	٣٩	٣٣١
﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾	غافر:١٧	٤٠	٤٤٦
﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾	غافر:٣٢-٣٣	٤٠	٣٢٤
﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ﴾	غافر:٣٧	٤٠	١٩٣
﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾	غافر:٥٥	٤٠	٣٧٩
﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾	غافر:٥٧	٤٠	٤٣٨
﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾	غافر:٦٠	٤٠	٢١٤
﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾	فصلت:١٠	٤١	٤٧٢
﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾	فصلت:١٧	٤١	٥٠١
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾	فصلت:٣٠	٤١	٣٨٦
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾	فصلت:٣٣	٤١	٥٦٥
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾	فصلت:٣٩	٤١	٤٤٠
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	الشورى:١١	٤٢	٢٥٣، ٢٥٨، ٢٧٦، ٢٧٦

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾	الشورى:١٣	٤٢	٣٥٣
﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾	الشورى:٢١	٤٢	٥٢١
﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾	الشورى:٥١	٤٢	٣٦٤
﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	الشورى:٥٢	٤٢	٥٠٣،٥٠٢
﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾	الشورى:٥٣	٤٢	١٨٨
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾	الزخرف:٩	٤٣	١٩٢
﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾	الزخرف:١٩	٤٣	٣١٩
﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾	الزخرف:٣٢	٤٣	٣٦٢
﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾	الزخرف:٤٥	٤٣	٣٥٤
﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾	الزخرف:٨٠	٤٣	٣٣٠،٢٧٢
﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾	الجاثية:٢٤	٤٥	،٤٣٦،٢٦٨ ٤٣٧
﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾	الجاثية:٢٤	٤٥	٢٦٨
﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾	الأحقاف:٥	٤٦	٢٢٥
﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾	الأحقاف:٥	٤٦	٢٢٥
﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾	الأحقاف:٦	٤٦	٢٢٦

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾	الأحقاف:٩	٤٦	٢٣٤، ٥١٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾	الأحقاف: ١٣-١٤	٤٦	٢١١
﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾	الأحقاف:٣٣	٤٦	٤٣٩
﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾	الأحقاف:٣٥	٤٦	٣٥٨
﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ﴾	محمد:١٨	٤٧	٤٣١
﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾	الفتح:٩	٤٨	٣٨٩، ٣٩١
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ﴾	الحجرات:١	٤٩	٣٩٠
﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	ق:١٥	٥٠	٤٣٧
﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾	ق:١٧	٥٠	٣٣٠
﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾	ق:١٨	٥٠	٣٣٠
﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾	ق:٢١	٥٠	٤٤٧
﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾	ق:٣٥	٥٠	٣٠٣
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾	ق:٣٨	٥٠	٣٤٣
﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾	الطور:٣٥	٥٢	١٩٤
﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ﴾	الطور:٤٨	٥٢	٢٩٩
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾	النجم:٣-٤	٥٣	٢٦١
﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾	النجم:٥	٥٣	٣٢٢

الآيـــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝﴾	النجم:١٣-١٥	٥٣	٤٦٢
﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾	النجم:٢١	٥٣	٣١٩
﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۝﴾	النجم:٢٦	٥٣	٤٥٤
﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾	النجم:٣٦	٥٣	٣٣٨
﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾	القمر:١٣-١٤	٥٤	٣٠٠
﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾	القمر:٤٩	٥٤	٤٦٧
﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾	القمر:٥٣	٥٤	٤٤٨
﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	الرعد:٥	٥٥	٤٣٨
﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾	الرعد:٧	٥٥	٥٠١
﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾	الرعد:١١	٥٥	٣٢٩
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾	الرحمن:٢٦-٢٧	٥٥	٢٩٦
﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾	الرعد:٣١	٥٥	٤١١
﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝﴾	الرعد:٣٩	٥٥	٣٣٠، ٤٩٠
﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾	الواقعة:٧٧	٥٦	٢٩١
﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝﴾	الواقعة:٧٧-٧٨	٥٦	٣٤٦
﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝﴾	الحديد:٤	٥٧	١٢٦، ٢٨٦، ٢٨٧
﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾	الحديد:٤	٥٧	٢٥٤

الآيـــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾	الحديد:١٣	٥٧	٤٥٦
﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾	الحديد:١٦	٥٧	٢٣٣
﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾	الحديد:٢٢	٥٧	٤٦٧، ٤٧٤، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٩٠
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾	المجادلة:٧	٥٨	١٢٦، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧
﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾	الحشر:١٠	٥٩	٣٩٩
﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ﴾	الصف:٦	٦١	٣٨٥
﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾	الجمعة:٤	٦٢	٣٨٧
﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ﴾	التغابن:٧	٦٤	٤٣٩
﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾	التغابن:١١	٦٤	٤٧٤
﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾	التغابن:١٢	٦٤	٣٩٢
﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾	الملك:١٦	٦٧	٢٨٤

الآيـــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾	النازعات:٢	٧٩	٣٣١
﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾	النازعات:٤	٧٩	٣٢٥
﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا (٣٨) فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ (٤١)﴾	النازعات: ٣٧-٤١	٧٩	٣٩٥
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ (٢)﴾	عبس:١-٢	٨٠	٣٦٧
﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ (١٥) كِرَامِۭ بَرَرَةٖ (١٦)﴾	عبس:١٥-١٦	٨٠	٣٢٥
﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾	عبس:٣٧	٨٠	٤٤٢
﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ (٢٠) مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾	التكوير:١٩-٢٠	٨١	٣٢٨
﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ (٢١)﴾	التكوير:٢١	٨١	٣٢٦
﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ (٢٧) لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾	التكوير:٢٧-٢٨	٨١	٥٠٣
﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٢٩)﴾	التكوير:٢٨-٢٩	٨١	٤٨٥
﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	التكوير:٢٩	٨١	٤٨١، ٥٠٣
﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ (١٣) وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ (١٤)﴾	الانفطار:١٣-١٤	٨٢	٤٥٩
﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ (١٣)﴾	المطففين:١٣	٨٣	٣٤٦
﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ (١٤)﴾	المطففين:١٤	٨٣	٣٤٦
﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ (١٥)﴾	المطففين:١٥	٨٣	٣٠٣
﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (٢٣)﴾	المطففين:٢٣	٨٣	٣٠١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾	الإنشقاق:٦	٨٤	٤٨٦
﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ (١٤) ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ (١٦)﴾	البروج:١٢-١٦	٨٥	٢٦٧

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾	الطلاق:٣	٦٥	٢١٧، ٢٢٩
﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾	الطارق:١٥-١٦	٨٦	٢٧٣، ٢٧٤
﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾﴾	الأعلى:٦-٧	٨٧	٣٦٦
﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾	الغاشية:٢٥-٢٦	٨٨	٤٤٦
﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾	الفجر:٢٢	٨٩	٢٨٨، ٣٢٣
﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ﴾	الفجر:٢٢-٢٣	٨٩	٣٢٤
﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾	البلد:١٠	٩٠	٥٠١
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾	الشمس:٩-١٠	٩١	٤٩٢
﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾	الليل:٥-١٠	٩٢	٤٩٠، ٤٩٧
﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾	الليل:١٢	٩٢	٥٠٢
﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾	التين:٥	٩٥	٤٦٢
﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾	العلق:١٨	٩٦	٣٣٢
﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾	البينة:٥	٩٨	٣٣٩
﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾	الزلزلة:٤	٩٩	٤٤٧
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾	العصر:٣	١٠٣	٤٩٢
﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾	الكوثر:٢	١٠٨	٢٢٩



فهرس الأحاديث النبوية



فهرس الأعلام المترجم لهم



فهرس الفرق والمذاهب



فهرس الأماكـــن



فهرس المفردات والمصطلحات



فهرس المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم** (جل منزله وعلا).

❖ **إبطال التأويلات لأخبار الصفات**، أبو يعلى، تحقيق: محمد النجدي، دار الإمام الذهبي، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

❖ **الأحوال السياسية في عهد الدولة السعودية الثانية**، محمد السلمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

❖ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٢هـ.

❖ **أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة**، د.عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، الطبعة السادسة، ١٤٢٤هـ.

❖ **الإصابة في تمييز الصحابة**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

❖ **الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز**، عبدالفتاح حسن أبو علية، دار المريخ للنشر، الرياض،طبعة عام١٤٠٦هـ.

❖ **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، طبع المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٤٠٣هـ.

❖ **أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث**، محمد أحمد العقيلي، الطبعة الأولى،١٤١٢هـ.

❖ **الاعتصام**، الإمام أبي إسحاق الشاطبي، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣هـ.

❖ **اعتقاد الإمام المبجل ابن حنبل (ذيل طبقات الحنابلة)**، محمد بن أبي يعلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

❖ **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، ابن القيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت.

❖ **الأعلام**، خير الدين الزركلي، دار العلوم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.

- **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، ابن القيم الجوزية، تحقيق:محمد حامد الفقي، دار المعرفـة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.
- **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
- **الإمام ابن جرير الطبري ودفاعه عن عقيدة السلف**، أحمد العوائشة، رسالة دكتوراة مكتوبـة بالآلة الكاتبة بجامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ.
- **الأمير عبدالعزيز بن مساعد**،حياته ومآثره، حسن بن حسن بن سليمان، مجلة الفيصل.
- **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار**، يحي العمراني، تحقيق: سعود الخلـف، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- **الأنساب**، أبو سعيد محمد بن منصور السمعاني، تحقيق: عبدالله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- **بدائع الفوائد**، ابن القيم الجوزية، تحقيق: هشام عطا، عادل العدوي، أشرف أحمد، مكتبة نـزار الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- **البداية والنهاية**، ابن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف، بيروت، مكتبـة النـصر، الريـاض، الطبعـة الأولى، ١٩٦٦م.
- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، محمد علي الشوكاني، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٤٨هـ.
- **بستان الأحبار مختصر نيل الأوطار**، فيـصل عبـدالعزيز آل مبـارك، دار إشـبيليا، الريـاض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- **بلاد العرب**، الحـسن الأصـفهاني، تحقيـق: حمـد الجـاسر وصـالح العـلي، دار اليمامـة، الريـاض، ١٣٨٨هـ.
- **البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة**، محمد الفيروز آبادي، تحقيق: محمد المصري، جمعيـة إحيـاء التراث الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- **بيان تلبيس الجهمية**، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابـن تيميـة، تحقيـق: محمـد بـن قاسـم، المطبعة الحكومية، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ.

❖ **تاج العروس من جواهر القاموس**، محب الدين أبي الفيض الزبيدي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.

❖ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، شمس الدين الذهبي، تحقيق: د.عمر عبدالسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

❖ **تاريخ البلاد السعودية**، منير العجلاني، الطبعة الأولى، بيروت.

❖ **تاريخ الجهمية والمعتزلة**، جمال الدين القاسمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

❖ **تاريخ الدولة السعودية**، أمين سعيد، مطبعة الهلال، ١٣٨٥هـ .

❖ **تاريخ المخلاف السليماني**، محمد بن أحمد العقيلي، دار اليمامة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

❖ **تاريخ المملكة العربية السعودية**، د.عبدالله الصالح العثيمين، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على توحيد المملكة العربية السعودية ١٤١٩هـ.

❖ **تاريخ المملكة العربية السعودية**، صلاح الدين مختار، منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،طبعة عام١٣٧٦هـ.

❖ **تاريخ بغداد**، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت.

❖ **تاريخ عسير في الماضي والحاضر**،هاشم بن سعيد النعمي، صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ.

❖ **تاريخ قضاة حريملاء**، د.إبراهيم بن عبدالله آل إبراهيم، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

❖ **تاريخ مكة**،أحمد السباعي، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، الطبعة السابعة، ١٤١٤هـ.

❖ **تاريخ نجد الحديث**،أمين الريحاني، دار الجيل، بيروت،الطبعة االثانية،١٣٧٤هـ.

❖ **تجارة المؤمنين في المرابحة مع رب العالمين**، فيصل بن عبد العزيز آل مبارك، تحقيق: عبد الرحمن بن عطا الشايع الكريع، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ .

❖ **تحذير المسلمين من الابتداع والبدع في الدين**، أحمد بن حجر آل بوطامي، مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

❖ **تحفة الأولياء في تاريخ الأحساء**، سليمان الدخيل، الطبعة الأولى، ١٣٣٤هـ.

❖ **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد**، عبدالسلام اللقاني، مطبعة بولاق، مصر، ١٢٩٦هـ.

❖ **التدمرية**، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٠٥هـ.

❖ **تذكرة الحفاظ**، شمس الدين الذهبي، تحقيق: عبدالرحمن بن يحى المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ.

❖ **تذكرة الحفاظ**، شمس الدين الذهبي، تحقيق: عبدالرحمن يحي المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ.

❖ **تذكرة أولي النهي والعرفان**، إبراهيم بن عبيد، مطابع مؤسسة النور، الرياض، الطبعة الأولى.

❖ **تطريز رياض الصالحين**، فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، تحقيق: د.عبدالعزيز بن عبدالله الزير الحمد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

❖ **تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية**، عثمان حافظ، طبع نشر شركة المدينة للطباعة والنشر، جده، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ.

❖ **التعريفات**، الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٠٣هـ.

❖ **تعظيم قدر الصلاة**، محمد بن نصر المروزي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

❖ **التعليقات السنية على العقيدة الواسطية**، فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، تحقيق: عبدالإله بن عثمان الشايع، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

❖ **التعليقات على متن لمعة الاعتقاد**، الشيخ عبدالله بن جبرين، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

❖ **التعليم في عهد الملك عبدالعزيز**، محمد بن عبدالله السلمان، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ.

❖ **تفسير الرازي**، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمد رضوان، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق.

❖ **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، دار الفكر، بيروت، لبنان.

❖ **تقريب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

❖ **تلبيس إبليس**، ابن الجوزي، إدارة المطبعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٦٨هـ.

❖ **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ابن عبدالبر، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

❖ **التنبيه على المخالفات العقدية في فتح الباري**، علي بن عبد العزيز الشبل، دار الوطن، الرياض، دار الشبل، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ .

❖ **تهذيب التهذيب**، أحمد بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

❖ **تهذيب الكمال**، يوسف أبو الحجاج المزي، تحقيق: د.بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

❖ **تهذيب اللغة**، أبو منصور الأزهري، تحقيق: د.أحمد البردوني، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.

❖ **توحيد المملكة العربية السعودية**، محمد المانع، الأصل، باللغة الانجليزية وترجمه إلى اللغة العربية الدكتور/ عبدالله بن صالح العثيمين، مطبعة المطوع، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

❖ **التوحيد ومعرفة أسماء الله عزوجل وصفاته على الاتفاق والتفرد**، ابن منده، تحقيق: د.علي بن محمد ناصر الفقيهي، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، مركز شؤون الدعوة بالجامعة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

❖ **توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم**، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.

❖ **توفيق الرحمن في دروس القرآن**، فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله الزير الحمد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

❖ **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**، الشيخ: سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٠٨هـ.

❖ **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: زهري النجار، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

❖ **الثقات**، محمد بن حبان البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ.

❖ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

❖ **جامع العلوم والحكم**، ابن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت.

❖ **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

❖ **الجرح والتعديل**، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٢٧١هـ.

❖ **جزيرة العرب في القرن العشرين**، حافظ وهبة، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٣٨٧هـ.

❖ **الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه**، عبدالرزاق طاهر بن أحمد معاش، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

❖ **الجواهر المضيئة في طبقات الحنيفة**، عبدالقادر بن أبي الوفاء القرشي، نشر مير محمد كتب خانه، كراتشي.

❖ **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن القيم الجوزية، تحقيق: د.السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٠هـ.

❖ **حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع**، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ.

❖ **الحالة العلمية في حريملاء منذ عهد الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، د.عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيعة، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

❖ **حصوننا مهددة من داخلها**، د.محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، الطبعة العاشرة، ١٤٠٦هـ.

❖ **حقيقة البدعة وأحكامها**، د.سعيد ناصر الغامدي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

❖ **الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو**، محمد سرور نـايف زيـن العابـدين، دار الأرقـم، الطبعـة الثانية، ١٤٠٨هـ.

❖ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، مطبعة السعادة، مـصر، ١٣٩١هـ.

❖ **خلاصة الكلام على عمدة الأحكام**، فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، مكتبـة الرشـد، الريـاض، الطبعة الرابعة.

❖ **داعية التوحيد محمد بن عبدالوهاب**، عبدالعزيز سيد الأهل، طبعة ١٤٩٤هـ.

❖ **درء تعارض العقل والنقل**، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د.محمد رشـاد سـالم، طبـع جامعـة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

❖ **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، جمع: عبدالرحمن القاسم، من مطبوعات دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية، طبعة ١٣٨٨هـ.

❖ **دعوة التوحيد**، محمد خليل هراس، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

❖ **دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي**، محمد عبدالله السلمان، طبعة عام ١٤٠٧هـ - ١٤٠٨هـ.

❖ **الدولة السعودية الأولى**، عبـدالرحيم عبـدالرحمن عبـدالرحيم، معهـد البحـوث والدراسـات العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م.

❖ **ديوان أبو العتاهية**، إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية، دار صادر، بيروت، ١٣٨٤هـ.

❖ **ديوان البوصيري**، تحقيق: سعيد كيلاني، طبع مصطفى الحلبي، مصر.

❖ **رجال صحيح مسلم**، أحمد بن علي الأصبهاني، تحقيق: عبدالله الليثي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

❖ **الرد على الجهمية**، عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: بـدر بـن عبـد الله البـدر، دار ابـن الأثـير، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.

❖ **الرسالة الحموية**، شيخ الأسلام ابن تيمية، تحقيق: أبو مالك محمد بـن حامـد عبـدالوهاب، دار البصيرة، الإسكندرية.

❖ **الرسالة المدنية**، شيخ الإسلام ابـن تيميـة، تحقيـق: الوليـد بـن عبـدالرحمن الفريـان، دار طيبـة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

❖ **الرسالة**، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، مطبعـة البـابي الحلبـي، القـاهرة، الطبعـة الأولى، ١٣٥٨هـ.

❖ **روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه**، ابن قدامه المقدسي، تحقيق: د.عبدالكريم النملـة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

❖ **روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين**، محمـد بـن عـثمان القـاضي، مطبعـة الحلبي، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

❖ **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسـلامي، بـيروت، الطبعـة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

❖ **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعـارف، الريـاض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

❖ **السنة**، أبو بكر الخلال، تحقيق: د.عطية بن عتيق الزهراني، دار الراية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

❖ **السنة**، عبدالله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد بن سعد القحطاني، دار ابن القـيم، الطبعـة الأولى، ١٤٠٤هـ.

❖ **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث أبو داود، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر.

❖ **سنن البيهقي الكبرى**، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مكتبـة دار البـاز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

❖ **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى الترمـذي الـسلمي، تحقيـق: أحمـد شـاكر وآخـرون، دار إحيـاء التراث، بيروت.

❖ **السنن الكبرى**، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: د.عبدالغفار سـليمان البنـداري، سـيد كـسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

❖ **سنن النسائي (المجتبى)**، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: محمـد فـؤاد عبـدالباقي، دار الفكـر، بيروت.

❖ **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤١٢هـ.

❖ **شبه الجزيرة العربية**، خير الدين الزركلي، دار العلوم للملايين، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٩٩٩م.

❖ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، عبدالحي ابن العماد الحنبلي، دار الآفاق، بيروت.

❖ **شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة**، سعيد بن علي بن وهب القحطاني، راجعه: الشيخ عبدالله بن جبرين، مؤسسة الجريسي، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ.

❖ **شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة**، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، راجعه: الشيخ عبدالله بن جبرين، مؤسسة الجريسي، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ.

❖ **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، أبو القاسم هبة الله اللالكائي، تحقيق: د.أحمد سعد حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

❖ **شرح الأصول الخمسة**، القاضي عبدالجبار، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية.

❖ **شرح السنة**، الحسين البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

❖ **شرح العقيدة الأصفهانية**، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: سعيد بن نصر، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

❖ **شرح العقيدة الطحاوية**، ابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤٠٨هـ.

❖ **شرح العقيدة الواسطية**، الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

❖ **شرح العقيدة الواسيطة**، الشيخ محمد العثيمين، اعتنى به: سعد الصميل، دار ابن الجوزية، الدمام، الطبعة الخامسة، ١٤١٩هـ.

❖ **شرح الكافية الشافية**، جمال الدين بن مالك الطائي الجياني، تحقيق: د.عبدالمنعم هريدي، دار المأمون للتراث، نشر جامعة أم القرى.

❖ **الشرح الممتع على زاد المستقنع**، محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به: د.سليمان أبا الخيل و د.خالد المشيقح، مؤسسة آسام، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.

❖ **شرح حديث جبريل (الإيمان الأوسط)**، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د.علي بن بخيت الزهراني، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣هـ.

❖ **شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد**، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ.

❖ **الشريعة**، محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: د.عبدالله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

❖ **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل**، ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد بدر الدين النعساني الحلبي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

❖ **الشيخ عبدالله القرعاوي ودعوته في جنوب المملكة العربية السعودية**، موسى بن حاسر السهلي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

❖ **الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، حياته، وفكره، عبدالله العثيمين، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٠٤هـ.

❖ **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: محمد الحلواني ومحمد شودري، دار ابن حزم ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

❖ **الصحاح**، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

❖ **صحافة الأمس والغد**، عبدالله عمر خياط، مطابع سحر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

❖ **صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ .

❖ **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

❖ **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

❖ **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث، بيروت.

❖ **صفة الصفوة**، عبدالرحمن بن علي أبو الفرج، تحقيق: محمود فاخوري، محمد رواس قلعة جي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

❖ **صفة جزيرة العرب**، أبو محمد الحسن الهمداني، تحقيق: حمد الجاسر وصالح العلي، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.

❖ **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، ابن القيم الجوزية، تحقيق: د.علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.

❖ **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ.

❖ **ضعيف سنن أبي داود**، محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

❖ **ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة**، عبدالله بن محمد القرني، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

❖ **طبقات الحفاظ**، عبدالرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

❖ **طبقات الحنابلة**، ابن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

❖ **طبقات الشافعية**، أبو بكر بن أحمد شهبة، تحقيق: د.الحافظ عبدالعليم خان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

❖ **طبقات الشافعية**، تاج الدين بن علي السبكي، تحقيق: د.محمد الطناحي، د.عبدالفتاح الحلو، دار هجر، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

❖ **الطبقات الكبرى**، محمد بن سعد، دار صادر، بيروت.

❖ **طبقات المفسرين**، أحمد محمد الداودي، تحقيق: سليمان صالح، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

❖ **طبقات المفسرين**، عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

❖ **ظاهرة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز**، عبدالعزيز الأحيدب، الطبعة الأولى.

❖ **العبر**، شمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

❖ **العبودية**، شيخ الإسلام ابن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٣٩٩هـ.

❖ **عقيدة أهل السنة والجماعة على ضوء الكتاب والسنة**، د.سعيد مسفر القحطاني، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

❖ **العلامة المحقق والسلفي المدقق**، ترجمة حياة الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، فيصل بن عبدالعزيز البديوي، دار البخاري للنشر، القصيم، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

❖ **علم أصول الفقه**، عبدالوهاب خلاف، دار القلم، الكويت، الطبعة السابعة عشرة، ١٤١١هـ.

❖ **علماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم**، صالح سليمان العمري، مطابع الإشعاع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

❖ **علماء نجد خلال ثمانية قرون**، الشيخ عبدالله البسام، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

❖ **عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب**، عبدالعزيز أحمد الرفاعي، مطبوعات مكتبة الملك فهد، الرياض، ١٤٠٨هـ.

❖ **عنوان المجد في تاريخ نجد**، عثمان بن بشر، تحقيق: عبدالرحمن آل الشيخ، طبع وزارة المعارف، مطابع الرياض الحديثة، الطبعة الثانية، ١٣٧١هـ.

❖ **العين**، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، من منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

❖ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

❖ **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد بن علي الشوكاني ضبطه وصححه: أحمد عبدالسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

❖ **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**، الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، علق عليه: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، مكتبة دار السلام، الرياض، مكتبة دار الفيحاء، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

❖ **فتح رب البرية بتلخيص الحموية**، محمد صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض.

❖ **الفتن**، نعيم بن حماد المروزي، تحقيق: سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

❖ **الفرق بين الفرق**، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي الإسفرائيني، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت.

❖ **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ابن حزم الظاهري، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.

❖ **فضل علم السلف على علم الخلف**، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: يحي مختار غزاوي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

❖ **فوات الوفيات**، محمد شاكر، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.

❖ **في ظلال القرآن**، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السابعة عشرة، ١٤١٢هـ.

❖ **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: ربيع بن هادي المدخلي، مكتبة لينة للنشر والتوزيع، دمنهور، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

❖ **القصد السديد على كتاب التوحيد**، فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، تحقيق: عبدالإله بن عثمان الشايع، دار الصميعي، الرياضن الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

❖ **القضاء والقدر**، شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية، اعتنى به: د.أحمد السايح، د.السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

❖ **قلب جزيرة العرب**، فؤاد حمزة، مطبعة النصر الحديثة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ.

❖ **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به: أبو عائش عبدالمنعم إبراهيم وأبو طريفة محمد إبراهيم، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

❖ **القول المفيد على كتاب التوحيد**، الشيخ محمد العثيمين، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

❖ **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، شمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

❖ **الكامل**، ابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ.

❖ **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزوجل**، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: د.عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.

❖ **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، أبو القاسم الزمخشري، دار المعرفة، بيروت.

❖ **كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر على ألسنة الناس**، إسماعيل بن محمد العلجوني، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

❖ **كشف الشبهات**، محمد بن عبدالوهاب التميمي، دار القاسم، النزهة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

❖ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مصطفى الرومي الشهير بحاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت.

❖ **كلمات السداد على متن الزاد**، فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، اعتنى به: محمد حسن آل مبارك، كنوز إشبيليا، الرياضن الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

❖ **لسان العرب**، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.

❖ **لسان الميزان**، ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثالثة.

❖ **لمحات عن التعليم وبداياته في المملكة العربية السعودية**، عبدالعزيز آل الشيخ، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

❖ **لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد**، ابن قدامة المقدسي، خرج أحاديثه: بدر عبدالله البدر، دار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

❖ **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرق المرضية**، محمد بن أحمد السفاريني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

❖ **ما رأيت وما سمعت**، خير الدين الزركلي، المطبعة العربية، مصر، عام ١٣٤٣هـ.

❖ **الماتريدية دراسة وتقويماً**، أحمد الحربي، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

❖ **ماضي الحجاز وحاضرة**، حسين نصيف، مطبعة العرب، تونس، الطبعة الأولى، ١٣٤٩هـ.

❖ **المتدارك من تاريخ الشيخ فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك**، محمد بن حسن المبارك، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

❖ **المثال من الرجال في سيرة الشيخ عبدالله القرعاوي**، إسماعيل بن سعد بن عتيق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

❖ **مجلة البحوث الإسلامية**، ربيع الأول، ١٤١٨هـ، العدد (٥١).

❖ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢هـ.

❖ **مجموع الفتاوى**، شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، مطابع الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ.

❖ **المجموع المفيد من رسائل وفتاوى الشيخ سعد بن عتيق**، جمع وترتيب: سعد بن حمد بن عتيق، دار الهداية، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ.

❖ **المجموعة الجليلة**، فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، دار العربية، بيروت.

❖ **محاسن الدين على متن الأربعين**، فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، دار اشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

❖ **مختصر الكلام على بلوغ المرام**، فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، دار إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

❖ **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.

❖ **مدخل إلى علم الدعوة**، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

❖ **مذاهب أهل التفويض في نصوص الصفات**، أحمد بن عبد الرحمن القاضي، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

❖ **المستدرك على الصحيحين**، محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

❖ **المستدرك على معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

❖ **مسند أبي يعلى**، أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

❖ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

❖ **مشاهير علماء نجد**، عبدالرحمن بن عبدالله آل الشيخ، طبع دار اليمامة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.

❖ **مشكاة المصابيح**، محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.

❖ **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد**، حافظ بن أحمد الحكمي، اعتنى به: صلاح عويضة، أحمد القادري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

❖ **معالم التنزيل**، الحسين البغوي، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

❖ **معالم الوسطية والتيسير والاعتدال**، محمد بن حسن المبارك، طبع فرع وزارة الشؤون الإسلامية بمنطقة الجوف، ١٤٢٧هـ.

❖ **معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات**، د.محمد بن خليفة التميمي، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

❖ **معجزة فوق الرمال**، أحمد عسه، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٩٦٦م.

❖ **معجم الأدباء**، أبو عبدالله ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

❖ **المعجم الأوسط**، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله، وعبدالمحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

❖ **معجم البلدان**، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر، بيروت، ط١٣٩٧هـ.

- ❖ **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية شمال المملكة « إمارة تبوك وحائل »**، طبع بالمطبعة العربية الحديثة، مصر، نشر دار اليمامة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.
- ❖ **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية(مقاطعة جيزان- المخلاف السليماني)**، محمد أحمد العقيلي، طبع مطابع النهضة،مصر،نشر دار اليمامة،الرياض، الطبعة الثانية،١٣٩٩هـ.
- ❖ **المعجم الصغير**، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور المكتب الإسلامي، بيروت، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ❖ **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
- ❖ **معجم مقاييس اللغة**، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، مطبعة الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ.
- ❖ **معرفة الثقات**، أحمد العجلوني، تحقيق: عبد العليم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ❖ **المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها**، د.عبدالله محمد القرني، دار عالم الكتب، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ❖ **مفاتيح العربية على متن الآجرومية**، فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، تحقيق: عبدالعزيز بن سعد الدغيثر، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
- ❖ **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ❖ **المفردات في غريب القرآن**، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٨١هـ.
- ❖ **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى .
- ❖ **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، أبو الحسن علي الأشعري، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ.

❖ **مقدمات في الأهواء والفرق والبدع**، د.ناصر بن عبدالكريم العقل، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

❖ **الملل والنحل**، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

❖ **من شيم الملك عبدالعزيز**، فهد المارك، الطبعة الأولى، عام ١٣٩٨هـ.

❖ **منار السبيل في شرح الدليل**، إبراهيم بن محمد بن ضويان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

❖ **المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**، أبو إسحاق إبراهيم الحربي، تحقيق: حمد الجاسر، من منشورات دار اليمامة، الرياض، ١٤٠١هـ.

❖ **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية**، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: د.محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

❖ **موسوعة أسبار للدراسات والبحوث والأعلام**، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.

❖ **الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة**، وليد بن أحمد الحسين الزبيري وغيره، ١٤٢٤هـ.

❖ **موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مائة عام**، طبع وزارة المعارف، الطبعة الثانية، الرياض، ١٤٢٣هـ.

❖ **النبوات**، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد عبدالرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

❖ **نجد في الأمس القريب** ،عبدالرحمن بن زيد السويداء، دار العلوم، الرياض، الطبعة الأولى،١٤٠٣هـ.

❖ **نشأة إمارة آل رشيد**، عبد الله بن صالح العثيمين، دار الشريف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.

❖ **نصيحة جامعة ووصية نافعة**، فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، تحقيق: د.عبدالعزيز بن عبدالله الزير الحمد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

❖ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، أحمد التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ.

❖ **النهاية في غريب الحديث والأثر**، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

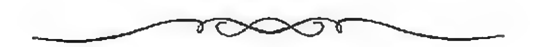
❖ **هدية الأصحاب في جواهر أنساب منطقة الجوف**، عبدالرحمن بن عطا الشايع المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

❖ **الهدية السنية والتحفة الوهابية**، سليمان بن سحمان النجدي، علق عليه: محمد رشيد رضا، مطابع دار الثقافة، مكة، عام ١٣٩٣هـ.

❖ **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين إيبك، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

❖ **الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز**، خير الدين الزركلي، الطبعة الخامسة، ١٤٠٨هـ.

❖ **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.



فهرس الموضوعات